

تَفْسِيرُ
حَدَائِقِ الْفَرْحِ وَالسَّحَابِ
فِي
رَوَايِ عُلُومِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ

مُحَمَّدُ الْأَمِينُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأُرُمِّيِّ الْعَلَوِيِّ الْهَرَرِيِّ الشَّافِعِيِّ
الْمَدْرَسُ بِدَارِ الْحَدِيثِ الْخَيْرِيَّةِ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ

إِشْرَافُ وَمُرَاجَعَةُ

الدُّكْتُورُ هَاشِمُ مُحَمَّدُ عَلِي بْنُ سَيِّدِ مُحَمَّدٍ
خَيْرُ الدِّرَاسَاتِ بِرَابِطَةِ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ
مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ

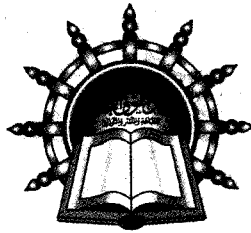
المجلد العشري

ذِي طَوْقِ النَّجَاةِ

حقوق الطبع محفوظة للناسر

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م



دار الحيات

بيروت - لبنان

تَفْسِيرُ
حَدِيثِ الْفُرُجِ وَالسَّحَابِ
فِي
رَوَايَةِ عُلُومِ الْقُرْآنِ



شعر

جَزَى اللّهُ خَيْرًا مَنْ تَأَمَّلَ صَنَعَتِي وَقَابَلَ مَا فِيهَا مِنَ السَّهْوِ بِالْعَفْوِ
وَأَضْلَحَ مَا أَخْطَأْتُ فِيهِ بِفَضْلِهِ وَفَظَنَّتْهُ أَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ مِنْ سَهْوِي

آخر

إِنْ تَجِدَ عَيْبًا فَسُدِّ الْخَلَلَا جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

آخر

الصَّبْرُ مِفْتَاحُ مَا يُرْجَى وَكُلُّ خَيْرٍ بِهِ يَكُونُ
وَرَبِّمَا نِيلَ بِاضْطِبَارٍ مَا قِيلَ هُنَاهُ لَا يَكُونُ

آخر

السَّبَاقُ السَّبَاقُ قَوْلًا وَفِعْلًا حَذَّرِ النَّفْسَ حَسْرَةَ الْمَسْبُوقِ
رَأَيْتُ أَخَا الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ ثَاوِيَا أَخَا سَفَرٍ يُسْرَى بِهِ وَهُوَ لَا يَذِرِي

آخر

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٍ نَسَجُهُ مِنْ عَنَكُبُوتٍ

آخر

سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَ وَأَلْهَمْتَ لَنَا إِلَهَامًا

آخر

إِلَهِي رَبِّ سَامِعَا عَلَّمْنَا عِلْمًا نَافِعَا
وَقَفَّنَا يَسَارًا وَيُسْرَا جَنَّبْنَا إِغْسَارًا وَعُشْرَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي سرح قلوبنا في ميادين التنزيل، وشرح صدورنا برشحات التفسير والتأويل، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الفرد الجليل، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفته الحبيب الخليل، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإني لما فرغت من تفسير الجزء الثامن عشر من القرآن تفرغت لتفسير الجزء التاسع عشر منه، راجياً من الله سبحانه التوفيق والهداية لأقوم الطريق، فقلت وقولي هذا:

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا ٢٢﴾ وَقَدْ مَنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ يَنْزِلُ الْمَلَكُوتُ تَنْزِيلًا ٢٥﴾ أَلَمْ تَكُن يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُرُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ٢٧﴾ يَوْمَئِذٍ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرُ أَنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ٣٦﴾ وَقَوْمٌ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا

أَلَيْسَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّمِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا نَبِّئْنَا نَذِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمُطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شُورًا ﴿٤٠﴾ وَلَئِنْ رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَلَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبَرْنَا عَلَيْهِمْ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيَالٍ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ شُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُفِيقَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَالِقَ الْكَأْسِ النَّاسِ إِلَّا كَثُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَمَعْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَهَنَّهُمْ بِهِ جَهَادًا كَثِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ .

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى^(١) لما حكى أباطيل المشركين السالفة بطعنهم في نبوة محمد ﷺ بقولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾.. أردف ذلك بذكر سخافات أخرى لهم في هذا الصدد، فقالوا: «هلا أنزل علينا الملائكة فيخبرونا بصدقه، أو نرى ربنا فينبئنا بذلك، ثم بين أن هذا عتو عظيم منهم، ثم أعقب هذا ببيان أنهم سيرون الملائكة حين الهول يوم الجزاء والحساب حين يقولون لهم: لا بشرى لكم اليوم، بل فيه منعكم من كل خير، فإن ما قدمتم من

(١) المراغي.

عمل صالح في الدنيا صار هباء منثوراً، ثم أخبر بما يكون لأهل الجنة من خير المستقر وحسن المقيّل في ظل ظليل، ونعم لا مقطوعة ولا ممنوعة حين يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾، ولعل في ذكر هذا ما يكون حافزاً لهم على مراجعة أنفسهم، وتخمين الرأي ليرشدوا إلى طريق السداد، ويقلعوا عما هم فيه من هوى متبع وشيطان مطاع.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما بين في سابق الآيات أن المشركين طلبوا إنزال الملائكة.. أردف هذا ببيان أنهم ينزلون حين ينتهي هذا العالم الدنيوي، ويختل نظام الأفلاك والأرض والسموات، ويحشر الناس من قبورهم للعرض والحساب، فيعض الكافر على يديه نادماً على ما فات، ويتمنى أن لو كان قد أطاع الرسول فيما أمر ونهى، ولم يكن قد أطاع شياطين الإنس والجن الذين أضلوه السبيل، وخذلوه عن الوصول إلى محجة الصواب.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَذَرِي إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (٢٠)... الآيتين، مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما: أن الله سبحانه لما ذكر (١) مقالاتهم الباطلة، وتعنّتهم الظالم في الرسول من نحو قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾، وقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، وقولهم في القرآن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾، وقولهم فيه: ﴿وَقَالُوا سَطِيرُ الْأُولَى اكْتَبَاهَا﴾.. أعقب ذلك بشكاية الرسول إلى ربه بأن قومه قد هجروا كتابه، ولم يلتفتوا إلى ما فيه من هداية لهم، ورعاية لمصالحهم في دينهم ودنياهم، ثم سلاه سبحانه على ذلك بأن هذا ليس دأب قومك فحسب، بل إن كثيراً من الأمم قد فعلوا مع رسلهم مثل هذا، فاقتد بأولئك الأنبياء، ولا تجزع، ثم وعده وعداً كريماً بأن يهديه إلى مطلبه، وينصره على عدوه، وكفى به هادياً ونصيراً.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر^(١) مطاعنهم في كتابه الكريم، كقولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا فُكٌّ أَفْتَرْتَهُ﴾، وقولهم: ﴿وَقَالُوا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا﴾.. قفى على ذلك بذكر شبهة أخرى لهم؛ وهي قولهم: لو كان القرآن من عند الله حقاً لأنزله جملة واحدة، كما أنزلت التوراة جملة على موسى، والإنجيل جملة على عيسى، والزبور على داود، فرد الله عليهم مقالاتهم، وبين لهم فوائد إنزاله منجماً، فذكر منها تثبيت فؤاد ﷺ بتيسير الحفظ وفهم المعنى وضبط الألفاظ إلى نحو أولئك، ثم وعده بأنهم كلما جاؤوا بشبهة دحضها بالجواب الحق والقول الفصل الذي يكشف وجه الصواب، وبعدئذ ذكر حال المشركين، وأنهم حين يحشرون يكونون في غاية الذل والهوان، ويجرون على وجوههم إلى جهنم، وهم مصفدون بالسلاسل والأغلال.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل وحدانيته ونفي الأنداد، وفي النبوة، وأجاب عن شبهات المنكرين لها، وفي أحوال يوم القيامة وأهوالها التي يلقاها الكافرون، وفي النعيم الذي يتفضل به على عباده المتقين.. أردف ذلك بقصص بعض الأنبياء مع أممهم الذين كذبوهم، فحل بهم النكال والوبال؛ ليكون في ذلك عبرة لقومه المشركين الذين كذبوا رسوله حتى لا يحل بهم من العذاب مثل ما حل بمن قبلهم إذا هم تماردوا في تكذيبهم، وأصروا على بغيتهم وطغيانهم، وقد ذكر من ذلك خمس قصص: قصة موسى مع فرعون وقومه، وقصة نوح وقومه، وقصة هود مع قومه عاد، وقصة صالح مع قومه ثمود، وقصة أصحاب الرس.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَخِذُّوْكَ إِلَّا هُزُوًّا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر^(٢) مطاعن المشركين في النبي ﷺ، وأورد

(٢) المراغي.

(١) المراغي.

شبهاتهم في ذلك.. أردف هذا ببيان أن ذلك ما كفاهم، وليتهم اقتصروا عليه، بل زادوا على ذلك الاستهزاء به والخط من قدره، حتى لقد قال بعضهم لبعض: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾، بل لقد غالوا في ذلك فسموا دعوته إضلالاً، فرد الله عليهم مقالهم، وأبان لهم أنه سيظهر عليهم حين مشاهدة العذاب من الضال ومن المضل، ثم عجب رسوله من شناعة أحوالهم بعد حكاية أقوالهم وأفعالهم القبيحة، وأرشد إلى أن مثل هؤلاء يبعد أن يزدجروا عما هم فيه من الغي بنصحك وإرشادك، فإن أكثرهم لا يسمعون ولا يعقلون، وما هم إلا كالأنعام أو أضل منها سبيلاً.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما بين^(١) جهالة المعرضين عن دلائل التوحيد، وسخيف مذاهبهم وآرائهم.. أعاد الكرة مرة أخرى، فذكر خمسة أدلة عليه نراها عياناً، وتتوارد علينا ليلاً ونهاراً، وتكون دليلاً على وجود الإله القادر الحكيم.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في «الدلائل» بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلاً حليماً، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبا أبو معيط، وقدم خليله من الشام ليلاً، فقال لامراته: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبا، فبات ليلة سوء، فلما أصبح أتاه أبو معيط، فحياه، فلم يرد عليه التحية، فقال: ما لك لا ترد علي تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت، فقال: أو قد فعلتها قريش؟ قال: فما يبرىء صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتبه في مجلسه، وتبزق في وجهه، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل، فلم يزد النبي ﷺ أن مسح

(١) المراغي.

وجهه من البزاق، ثم التفت إليه فقال: «إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك صبراً»، فلما كان يوم بدر، وخرج أصحابه أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: أخرج معنا، قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً، فقالوا: لك جمل أحمر لا يدرك، فلو كانت الهزيمة طرت عليه، فخرج معهم، فلما هزم الله المشركين وحل به جملة - وقع في الوحل - في جدد من الأرض، فأخذه رسول الله ﷺ أسيراً في سبعين من قريش، وقدم إليه أبو معيط، فقال: تقتلني من بين هؤلاء؟ قال: نعم بما بزقت في وجهي، فأنزل الله في أبي معيط: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (ج ٥ / ص ٦٨).

التفسير وأوجه القراءة

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ هذه المقالة من جملة شبههم التي قدحوا بها في النبوة، وهذه الجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ...﴾ الخ؛ أي: وقال المشركون الذين لا يأملون وعدنا على الطاعة بالثواب، ولا يخافون وعيدنا على المعصية بالعقاب، وأصل الرجاء^(١): ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة. واللقاء: يقال في الإدراك بالحس بالبصر وبالبصيرة، وملاقة الله سبحانه عبارة عن القيامة، وعن المصير إليه تعالى؛ أي: الرجوع إلى حيث لا حاكم، ولا مالك سواه. والمعنى: وقال الذين لا يتوقعون الرجوع إلينا للمجازاة؛ أي: ينكرون البعث والحشر والحساب والجزاء؛ وهم كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ﴾؛ أي: بطريق الرسالة لكون البشرية منافية للرسالة بزعمهم؛ أي: قالوا: هلا أنزلت الملائكة علينا، فيخبرونا أن محمداً صادق فيما يدعيه، أو هلا أنزلوا علينا رسلاً يرسلهم الله تعالى إلينا؛ لأن البشر لا يصلح للرسالة ﴿أَوْ﴾ هلا ﴿نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ جهرة وعياناً، فيأمرنا بتصديق محمد ﷺ واتباعه؛ لأن هذا الطريق أحسن وأقوى في الإفضاء إلى

(١) روح البيان.

الإيمان وتصديقه، ولما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أراد تصديقه.

ومن لطائف الشيخ نجم الدين في تأويلاته أنه قال^(١): يشير سبحانه إلى أن الذين لا يؤمنون بالآخرة والحشر من الكفرة يتمنون رؤية ربهم بقولهم: ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فالمؤمنون الذين يدعون أنهم يؤمنون بالآخرة والحشر، كيف ينكرون رؤية ربهم وقد وردت بها النصوص، فلمنكري الحشر عليهم فضيلة بأنهم طلبوا رؤية ربهم، وجوزوها كما جوزوا إنزال الملائكة، ولمنكري الرؤية ممن يدعي الإيمان شركة مع منكري الحشر في جحد ما ورد الخبر والنقل؛ لأن النقل كما ورد بكون الحشر ورد بكون الرؤية لأهل الإيمان، انتهت.

ثم أجاب سبحانه عن شبهتهم هذه بقوله: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ واللام في قوله: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ موطئة للقسم؛ أي: وعزتي وجلالي لقد أضمر هؤلاء القائلون الاستكبار عن الحق والعناد به ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: في قلوبهم، كما في قوله: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْفِيزُونَ﴾، أو المعنى^(٢): لقد أظهروا الكبر والعظم والترفع في شأن أنفسهم، يعني: وضعوا لأنفسهم وجعلوا لها قدراً ومرتبة ورفعة حيث أرادوا لأنفسهم الرسل من الملائكة، ورؤية الرب تعالى ﴿وَعَتُوا﴾؛ أي: تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان ﴿عُتُوا﴾؛ أي: تجاوزاً ﴿كَبِيرًا﴾؛ أي: بالغاً إلى أقصى غاياته من حيث أنهم عاينوا المعجزات القاهرة، وأعرضوا عنها، واقترحوا لأنفسهم الخبيثة معاينة الملائكة الطيبة، ورؤية الله تعالى التي لم ينلها أحد في الدنيا من أفراد الأمم وآحاد الأنبياء غير نبينا محمد ﷺ، وهو إنما رآه تعالى بعد العبور عن حد الدنيا، وهو الأفلاك السبعة التي هي من عالم الكون والفساد.

ووصفه^(٣) بالكبر لكون التكلم بما تكلموا به من هذه المقالة الشنيعة في

(١) التأويلات النجمية.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

غاية الكبر والعظم، فإنهم لم يكتفوا بإرسال البشر حتى طلبوا إرسال الملائكة إليهم، بل جاوزوا ذاك إلى التخيير بينه وبين مخاطبة الله سبحانه ورؤيته في الدنيا من دون أن يكون بينهم وبينه ترجمان، ولقد بلغ هؤلاء الرذالة بأنفسهم مبلغاً هي أحقر وأقل وأرذل من أن تكون من أهله، أو تعد من المستعدين له، وهكذا كل من جهل قدر نفسه، ولم يقف عند حده.

وإنما قال هنا^(١): ﴿عُتُوًّا﴾ على الأصل، وفي سورة مريم: ﴿عِتْيًا﴾ على استئصال اجتماع الواوین، والقلب لمناسبة الفواصل هناك.

وحاصل معنى الآية: أي^(٢) وقال الذين ينكرون البعث والحشر، ويطعنون في صدق الرسول فيما أوحى به إليه: هلا أنزل علينا الملائكة، فيخبرونا بأن محمداً صادق فيما يدعي، فإننا في شك من أمره، وفي ريب مما يخبر به، وإن لم يكن هذا فلنر ربنا، ونعلم أنه هو حقاً بأمارات لا يعتريها لبس، ثم يقول لنا: إني أرسلت إليكم محمداً من لدني بشيراً ونذيراً، فإن تم لنا ذلك صدقناه وآمنا به، وما مقصدهم من هذا وذاك إلا التماذي في الإنكار والعناد والعتو، ومن ثم قال: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾؛ أي: والله لقد استكبروا في شأن أنفسهم، وتجاوزوا الحد في الظلم والطغيان تجاوزاً بلغ أقصى الغاية تكذيباً برسوله، وشموخاً بأنوفهم عن أن ينصاعوا إليه ويتبعوه، ولم يأبهوا بباهر معجزاته، ولا كثرة آياته، وإنهم لقد بلغوا غاية القحّة في الطلب. وفي الحق أن شأنهم لعجب، وأن العقل ليحار في أمرهم ويدهش لقصور عقولهم، وسذاجة آرائهم، وضعف أحلامهم ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَقَهُمْ بِذَٰلِكَ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، والله در القائل:

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى
ثم بين أنهم سيلقون الملائكة حين الهول يوم القيامة، لا على الوجه الذي طلبوه، ولا على الصورة التي اقترحوها، بل على وجه آخر لم يمر ببالهم، فقال:

(٢) المراغي.

(١) البحر المحيط.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾.

وفي «الأسئلة المقحمة»^(١): فإذا كان رؤية الله جائزة، فكيف ويخهم على سؤالهم لها؟ قلنا: التوبيخ بسبب أنهم طلبوا ما لم يكن لهم طلبه؛ لأنهم بعد أن عاينوا الدليل قد طلبوا دليلاً آخر، ومن طلب الدليل بعد الدليل.. فقد عتا عتواً ظاهراً، ولأنهم كلفوا الإيمان بالغيب فطلبوا رؤية الله، وذلك خروج عن موجب الأمر وعن مقتضاه، فإن الإيمان عند المعاينة لا يكون إيماناً بالغيب، فلهذا وصفهم بالعتو.

وانتصاب ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ بفعل محذوف؛ أي: واذكر لهم يا محمد أهوال يوم يرى الكفار الملائكة رؤية ليست على الوجه الذي طلبوه، والصورة التي اقترحوها، بل على وجه آخر، وهو يوم ظهورهم لهم عند الموت، أو يوم القيامة.

ثم أخبر، فقال: ﴿لَا بُشْرَى﴾؛ أي: لا بشارة بالمغفرة ودخول الجنة ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم يرى الكفار الملائكة ﴿لِلْمُتَجَرِّمِينَ﴾؛ أي: للكافرين، وهذا إظهار في مقام الإضمار، أي: لا بشرى لهم.

ويجوز^(٢) أن يكون انتصاب هذا الظرف بما يدل عليه قوله: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُتَجَرِّمِينَ﴾ والمعنى: لا يبشر المجرمون يوم يرون الملائكة. و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ مؤكد ل﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ والمعنى: أنهم يمنعون البشرى في ذلك اليوم، أو لا توجد لهم البشرى فيه، فأعلم سبحانه بأن الوقت الذي يرون فيه الملائكة وهو وقت الموت، أو يوم القيامة قد حرمهم الله البشرى. والمراد بالملائكة: ملائكة العذاب. قال الزجاج: المجرمون في هذا الموضع هم الذين اجترموا الكفر بالله واقترفوه أياً كانوا، لا خصوص القائلين الذين سبق ذكرهم.

(١) الأسئلة المقحمة.

(٢) زاد المسير.

وعبارة «روح البيان» هنا: قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ لم يقل: يوم تنزل الملائكة... إلخ. إيداناً^(١) من أول الأمر بأن رؤيتهم ليست على طريق الإجابة إلى ما اقترحوه، بل على وجه آخر غير معهود، و﴿يَوْمَ﴾ منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾؛ لأنه في معنى: لا يبشر يومئذ المجرمون، لا بنفس بشرى؛ لأنه مصدر، والمصدر لا يعمل فيما قبله، وكذا لا يجوز أن يعمل ما بعد لا فيما قبلها، وأصل الجرم: قطع الثمرة عن الشجر، واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه، ووضع المجرمون موضع الضمير تسجيلاً عليهم بالإجرام مع ما هم عليه من الكفر، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تكرير للتأكيد، بين الله تعالى أن الذي طلبوه سيوجد، ولكن يلقون منه ما يكرهون حيث لا بشرى لهم، بل لهم إنذار وتخويف وتعذيب بخلاف المؤمنين، فإن الملائكة تنزل عليهم ويبشرونهم ويقولون لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا.

﴿وَيَقُولُونَ﴾؛ أي: يقول الكفرة المجرمون عند مشاهدة الملائكة، وهو معطوف على ما ذكر من الفعل المنفي المقدر المعلوم من ﴿لَا بُشْرَى﴾؛ أي: لا يبشر المجرمون يومئذ، ويقولون: إذا رأوا الملائكة، وفزعوا منهم عند الموت ويوم القيامة: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾؛ أي: استعادة مستعادة منكم، وهي كلمة كانوا يقولونها عند لقاء العدو ونزول الشدة، ويضعونها موضع الاستعادة، والحجر: المنع. والمحجور: الممنوع، جعل صفة لحجر؛ لقصد التأكيد كيوم أيوم. وليل الليل. والمعنى نسأل الله تعالى أن يحجر المكروه عنا حجراً، ويمنع شركم عنا منعاً أكيداً بحيث لا يلحقنا شركم وتعذيبكم إيانا. وقيل^(٢): معنى ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ بعداً بعيداً بيننا وبينكم.

ويقال: إن قريشاً كانوا إذا استقبلهم أحد بشر يقولون: حاجوراً حاجوراً، حتى يعرف أنهم من الحرم، فيكف عنهم، فأخبر تعالى أنهم يقولون يوم القيامة، فلا ينفعهم. وقيل: الضمير في ﴿يقولون﴾ يعود إلى الملائكة. قال ابن عباس:

(٢) تنوير المقياس.

(١) روح البيان.

معناه: تقول^(١) الملائكة حراماً محرماً أن يدخل الجنة إلا من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: إذا خرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة: حراماً محرماً عليكم أن تكون لكم البشرى.

وقرأ الجمهور: ﴿حَجَرًا﴾ - بكسر الحاء -، وقرأ أبو رجاء والحسن والضحاك وقتادة ومعاذ القاري: ﴿حُجْرًا﴾ - بضم الحاء -، وقرأ أيضاً بفتحها كما في «المراح». والمعنى؛ أي: (٢) يوم يرى هؤلاء المجرمون الملائكة، فلا بشرى لهم بخير؛ إذ يقولون لهم: ﴿حَجَرًا تَحْجُرُونَ﴾؛ أي: محرم عليكم البشرى بالغفران والجنة؛ أي: جعلهما الله تعالى حراماً عليكم؛ إذ هما لا يكونان إلا لمن اعترف بوحدانية الله تعالى، وصدق رسوله.

والخلاصة: لا بشرى يومئذ للكافرين، وتقول لهم الملائكة: حرام أن نبشركم بما نبشر به المتقين.

ثم بين السبب في وبالهم وخسرانهم، فقال: ﴿وَقَدِمْنَا﴾؛ أي: عمدنا وقصدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾؛ أي: إلى ما عمل الكفار في الدنيا من أعمال الخير التي لو عملوها مع الإيمان لنالوا ثوابها من صلة رحم وإغاثة ملهوف، وقرى ضيف وفك أسير، وإكرام يتيم مثلاً؛ أي: قصدنا إلى إبطالها في الآخرة ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾؛ أي: فجعلنا عملهم ذلك ﴿هَبَاءً﴾؛ أي: غباراً ﴿مَنْثُورًا﴾؛ أي: مفرقاً؛ أي: كالهباء المنثور في الحقارة وعدم الانتفاع بها؛ أي: تعلقنا إرادتنا أزلاً بإبطال ثوابها، فأظهرنا بطلانها في الآخرة. والقدوم في الأصل عبارة عن مجيء المسافر بعد مدة ولكن المراد هنا إراد الله سبحانه. والهباء: هو ما يدخل من الكوة مع ضوء الشمس يشبه الغبار، فلا يمس بالأيدي، ولا يرى في الظل. والمنثور: المفرق المنعدم كما سيأتي. ووصفه بالمنثور؛ لأن الهباء تراه منتظماً مع الضوء، فإذا حركته الريح رأيت أنه قد تناثر وذهب.

(١) الخازن.

(٢) المراغي.

مثل^(١) سبحانه وتعالى حالهم وحال أعمالهم التي يعملونها في الدنيا من صلة وصدقة وعتاقة ونحو ذلك من المحاسن التي لو عملوها مع الإيمان.. لنالوا ثوابها بحال قوم خالفوا سلطانهم، واستعصوا عليه، فقصدا إلى ما تحت أيديهم من الدار والعقار ونحوهما، فهدمها ومزقها وأبطلها بالكلية ولم يبق لها أثراً؛ أي: قصدنا إليها، وأظهرنا بطلانها بالكلية لعدم شرط قبولها، وهو الإيمان، فليس هناك قدوم على شيء ولا نحوه، وهذا هو تشبيه الهيئة بالهيئة، فهو استعارة تمثيلية، وفي مثله تكون المفردات مستعملة في معانيها الأصلية، وشبه أعمالهم المحبطة بالغبار في الحقارة وعدم الجدوى، ثم بالمتنور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه.

وبعد أن بين سبحانه حال الكافرين يومئذ.. ذكر حال أصدادهم المؤمنين، فقال: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ وهم المؤمنون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾؛ أي: يوم إذ يرون الملائكة ويقولون: حجراً محجوراً، وهو يوم القيامة ﴿خَيْرٌ﴾ من المجرمين ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: تمييز؛ أي: من جهة المكان الذي^(٢) يكونون فيه في أكثر أوقاتهم يتجالسون ويتحدثون فيه ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾؛ أي: من جهة المكان الذي يأوون إليه للاستراحة إلى أزواجهم، ولا نوم في الجنة، ولكنه سمي مكان استراحتهم إلى الحور مقيلاً على طريق التشبيه، وروي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم، فيقبل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. وفي لفظ الأحسن تهكم بهم، قال الأزهري: القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك نوم. قال النحاس: والكوفيون يجيزون العسل أحلى من الخل.

فإن قلت^(٣): كيف يكون أصحاب الجنة خيراً مستقراً من أهل النار ولا خير في النار، ولا يقال: العسل أحلى من الخل؟

قلت: إنه من قبيل التقرع والتهكم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) النسفي.

جَنَّةُ الْخُلْدِ» كما سبق، فليست المفاضلة على بابها. ويمكن^(١) إبقاؤها على بابها، ويكون التفضيل وقع بين المستقرين والمقيلين باعتبار الزمان الواقع ذلك فيه، فالمعنى: خير مستقراً في الآخرة من الكفار المترفين في الدنيا، وأحسن مقيلاً في الآخرة من أولئك في الدنيا. وقيل: خير مستقراً منهم لو كان لهم مستقر، فيكون التقدير: لو وجد لهم مستقر. . يكون مستقر المؤمنين خيراً من مستقرهم.

والمعنى: أي^(٢) إن منازل أهل الجنة خير من منازل أولئك المشركين الذين يفتخرون بأموالهم وما أوتوا من الترف والنعيم في الدنيا، وأحسن فيها قراراً حين القائلة من مثلها لهم في الدنيا؛ لما يتزين به مقيليهم من حسن الصور وجمال التنوق والآبه والزخرف وغيرها من المحاسن التي لا يوجد مثلها في الدنيا في بيوت المترفين، ولما فيه من نعيم لا يشوبه كدر ولا تنغيص، بخلاف مقيلي الدنيا.

والمراد بالمقيلي هنا المكان الذي ينزل فيه للاستراحة بالأزواج، والتمتع بمغازلتهم؛ أي: محادثتهم ومراودتهم، وإلا فليس في الجنة حر ولا نوم، بل استراحة مطلقة من غير غفلة، ولا ذهاب حس من الحواس، وكذا ليس في النار مكان استراحة ونوم للكفار، بل عذاب دائم وألم باق، وإنما سمي بالمقيلي؛ لما روي أن أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنون مساكنهم في الجنة، وأهل النار في النار، وأما المحبوسون من العصاة، فتطول عليهم المدة مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا. والعياذ بالله تعالى. ثم في «أحسن» رمز إلى أن مقيلي أهل الجنة مزين بفنون الزين والزخارف كبيت العروس في الدنيا.

وفي الحديث: «من سعادة المرء المسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء»، وسئل بعضهم عن الغنى، فقال: سعة البيت ودوام القوت. ثم

(٢) المراغي.

(١) البحر المحيط.

إن سعادات الدنيا كلها مذكرة لسعادات الآخرة، فالعاقل من لا تغره الدنيا الدنية، فجنة العارف هي القلب المطهر ومعرفة الله فيه، كما قال يحيى بن معاذ الرازي - رحمه الله تعالى -: في الدنيا جنة من دخلها لم يشق إلى الجنة، قيل: وما هي؟ قال: معرفة الله تعالى.

ثم ذكر سبحانه بعض حوادث يوم القيامة، فقال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ﴾ منصوب بـ اذكر مقدراً، وهو معطوف على ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾، وكذا قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ...﴾ إلخ؛ أي: واذكر يا محمد لهم أهوال يوم تشقق وتتقطع وتتخرق فيه السماء؛ أي: كل سماء ﴿وَالْفَنَمِ﴾؛ أي: بسبب ثقل الغمام، وهو سحاب^(١) أبيض مثل الضباب فوق السموات السبع، ثخنه كثن السموات السبع، وثقله كثقل السموات السبع، فينزل على السماء السابعة، فيخرقها بثقله ويشققها، وهكذا حتى ينزل إلى الأرض وفيه الملائكة؛ أي: ملائكة كل سماء، فينزل أولاً ملائكة الدنيا، وهم أزيد من أهل الأرض من إنس وجن، ثم ملائكة السماء الثانية، وهم أزيد من ملائكة سماء الدنيا، وهكذا، ثم ينزل الكروبيون، وإذا نزل ملائكة سماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع في المحشر صفاً، وإذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفاً آخر، وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة، كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار والهرب. قال الإمام النسفي - رحمه الله تعالى -: الغمام فوق السموات السبع، وهو سحاب أبيض غليظ كغلظ السموات السبع، ويمسكه الله سبحانه اليوم بقدرته، وثقله أثقل من ثقل السموات، فإذا أراد الله سبحانه أن يشقق السموات ألقى ثقله عليها فانشقت، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ وَالْفَنَمِ﴾؛ أي: بثقل الغمام، فيظهر الغمام، ويخرج منها، وفيه الملائكة كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِيلًا﴾؛ أي: تنزيلاً عجيباً غير معهود.

فإن قيل^(٢): قد ثبت بالنقل أن الأرض بالقياس إلى سماء الدنيا كحلقة في فلاة، وهكذا سماء الدنيا بالنسبة إلى السماء الثانية، وهكذا إلى السماء السابعة،

(٢) روح البيان بتصرف.

(١) زاده.

فكيف تسع الأرض لملائكة السموات السبع بأسرها؟

أجيب: بأن الله سبحانه وتعالى يمد الأرض يوم القيامة مد الأديم، فتتسع مع أن السموات مقبية، فكلما زالت واحدة منها ونزلت تتسع الأرض بقدرها، فيكفي لملائكتها أطرافها، وقد ثبت أن الملائكة أجسام لطيفة رقيقة، فلا تتصور بينهم المزاحمة كمزاحمة الناس.

وقرأ الحرميان^(١) - نافع وابن كثير - وابن عامر: ﴿تَشَقَّقُ﴾ بتشديد الشين، فأدغموا التاء في الشين؛ لأن أصله تتشقق، قرؤوا كذلك هنا وفي ق، وباقي السبعة بحذف تلك التاء: ﴿تَشَقَّقُ﴾ بلا تشديد الشين.

وقرأ الجمهور: ﴿وَنَزَّلَ﴾ ماضياً مشدداً مبنياً للمفعول. وقرأ ابن مسعود وأبو رجاء ﴿ونزل﴾ ماضياً مشدداً مبنياً للفاعل، وعنه أيضاً: ﴿وأنزل﴾ مبنياً للفاعل، وجاء مصدره تنزيلاً، وقياسه إنزالاً؛ لأنه لما كان معنى أنزل ونزل واحداً جاز مجيء مصدر أحدهما للآخر. وقرأ الأعمش وعبد الله في نقل ابن عطية ﴿وأنزل﴾ ماضياً رباعياً مبنياً للمفعول، مضارعه ينزل. وقرأ جناح بن حبيش والخفاف عن أبي عمرو ﴿ونزل﴾ ثلاثياً مخففاً مبنياً للفاعل. وقرأ هارون عن أبي عمرو ﴿وتنزل﴾ بالتاء من فوق مضارع نزل مشدداً مبنياً للفاعل. وقرأ أبو معاذ وخارجة عن أبي عمرو ﴿ونزل الملائكة﴾ بضم النون وشد الزاي، أسقط النون من ﴿وننزل﴾. وفي بعض المصاحف ﴿وننزل﴾ بالنون مضارع نزل مشدداً مبنياً للفاعل، ونسبها ابن عطية لابن كثير وحده، قال: وهي قراءة أهل مكة، ورويت عن أبي عمرو. وعن أبي أيضاً ﴿وتنزلت﴾، وقرأ أبي: ﴿ونزلت﴾ ماضياً مشدداً مبنياً للمفعول بتاء التأنيث. وقال صاحب «اللوامح» عن الخفاف عن أبي عمرو ﴿ونزل﴾ مخففاً مبنياً للمفعول. ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ رفعاً، والوجه في هذه القراءة أن يكون مثل: زكم الرجل وجن، فإنه لا يقال إلا: أزكمه الله وأجنه، فهذه إحدى عشرة قراءة.

(١) البحر المحيط.

﴿الْمَلِكِ﴾^(١): مبتدأ ﴿يَوْمِذٍ﴾: ظرفه ﴿الْحَقُّ﴾: نعته، ومعناه: الثابت؛ لأن كل ملك يزول يومئذ فلا يبقى إلا ملكه ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾: خبره.

والمعنى^(٢): إن السلطة القاهرة والاستيلاء الكلي العام صورة ومعنى بحيث لا زوال له أصلاً ثابت للرحمن يومئذ؛ أي: يوم إذ تشقق السماء بالغمام. وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يوم القيامة، وأما ما عداه من أيام الدنيا، فيكون غيره أيضاً له تصرف صوري في الجملة ﴿وَكَانَ﴾ ذلك اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾؛ أي: يوماً شديداً هوله على الكافرين، وأما على المؤمنين فيكون يسيراً بفضل الله تعالى، وقد جاء في الحديث: «أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا»؛ أي: وكان^(٣) هذا اليوم مع كون الملك فيه لله وحده شديداً على الكفار لما يصابون به فيه، وينالهم من العقاب بعد تحقيق الحساب، وأما على المؤمنين فهو يسير غير عسير لما ينالهم فيه من الكرامة والبشرى العظيمة.

والحاصل: أن الكافرين يرون ذلك اليوم عسيراً عظيماً من دخول النار وحسرة فوات الجنان بعدما كانوا في اليسير من نعيم الدنيا، وأهل الإيمان والجد والاجتهاد يرون فيه اليسر من نعيم الجنان ولقاء الرحمن بعد أن كانوا في الدنيا راضين بالعسر، تاركين لليسر، موقنين أن مع العسر يسراً. وقيل للشبلي - رحمه الله تعالى - في الدنيا أشغال، وفي الآخرة أهوال، فمتى النجاة؟ قال: دع أشغالها تأمن من أهوالها، فله در قوم فرغوا عن طلب الدنيا وشهواتها، ولم يغتروا بجمعها، ولم يلتفتوا إليها، نسأل الله سبحانه وتعالى الوقوف عند الأمر إلى حلول الأجل وانتهاء العمر.

والظرف في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ منصوب بمحذوف كسابقه تقديره: واذكر لهم يا محمد لهؤلاء المشركين أهوال يوم يأكل الكافر يديه إلى

(٣) الشوكاني.

(١) النسفي.

(٤) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

المرفق، ثم ينبتان، ثم يأكلهما، وهكذا كلما نبتتا أكلهما تحسرا وندامة على التفریط والتقصير، فلا يزال كذلك كما قاله الضحاك وعطاء. ﴿عَلَى﴾ زائدة على هذا التأويل، وهو يوم القيامة، والظاهر أن العض هنا حقيقة، ولا مانع من ذلك، ولا موجب لتأويله. وقيل: هو كناية عن الغيظ والحسرة؛ أي: فعرض اليدين عبارة عن الندم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك، وكذا عرض الأنامل، وأكل البنان، وحرق الأسنان، ونحوها كنايةات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها.

والمراد بالظالم: كل ظالم يرد ذلك المكان، وينزل ذلك المنزل، ولا ينافيه ورود الآية على سبب خاص، وهو عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كما مر في الأسباب، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وحاصل قصة عقبة بن أبي معيط: أنه كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً، وكان يدعو إلى الطعام من أهل مكة من أراد، وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ، ويعجبه حديثه، فقدم ذات يوم من سفره، وصنع طعاماً، ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه، فأتاه رسول الله ﷺ، فلما قدم الطعام إليه أبى أن يأكل، فقال: «ما أنا بالذي آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله»، وكان عندهم من العار أن يخرج من عندهم أحد قبل أن يأكل شيئاً، فآلح عليه بأن يأكل، فلم يأكل، فشهد بذلك عقبة، فأكل رسول الله ﷺ من طعامه، وكان أبي بن خلف الجمحي غائباً، وكان صديق عقبة، فلما قدم أخبر بما جرى بين عقبة وبين رسول الله ﷺ، فأتاه فقال: صبوت يا عقبة؟ أي: ملت عن دين آبائك إلى دين حادث؟ فقال: لا والله ما صبوت، ولكن دخل علي رجل، فأبى أن يأكل من طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم، فشهدت، فطعم، فقال: ما أنا بالذي أرضى منك أبداً حتى تأتبه فتبزيق في وجهه وتشتمه وتكذبه - نعوذ بالله تعالى - فأتاه، فوجده ساجداً في دار الندوة، ففعل ذلك - والعياذ بالله تعالى - فقال رسول الله ﷺ لعقبة: «لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف» فأسر يوم بدر، فأمر عليه السلام علياً

- رضي الله عنه - أو عاصم بن ثابت الأنصاري - رضي الله عنه - فقتله، وطعن عليه السلام بيده الطاهرة الكاسرة ألباً للعين يوم أحد في المبارزة، فرجع إلى مكة، فمات في الطريق بسرف - بفتح السين المهملة وكسر الراء - وهو مناسب لوصفه، لأنه مسرف. قال في «إنسان العيون»: ولم يقتل النبي ﷺ بيده الشريفة قط أحداً إلا أبي بن خلف، لا قبل ولا بعد.

حال كون ذلك الظالم ﴿يَقُولُ﴾: حال من فاعل ﴿يَعْزُزُ﴾ ﴿يَا﴾ هؤلاء، فالمنادى محذوف، ويجوز أن تكون ﴿يَا﴾ لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه؛ أي: يا قوم ﴿لِيتَنِي اتَّخَذْتُ﴾ في الدنيا ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ ﴿سَيِّلاً﴾؛ أي: طريقاً إلى النجاة من هذه الورطات؛ أي: صاحبته في اتخاذ سبيل الهدى؛ أي: واذكر يوم يعرض المشرك بربه على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله، وعلى ما أعرض عنه من الحق الواضح الذي جاء به رسوله حالة كونه يقول: ليتني اتخذت مع الرسول طريقاً إلى النجاة، ولم تتشعب بي طرق الضلالة.

﴿يَوَلِّي﴾؛ أي: يا هلكتي تعالي واحضري لأتعجب منك، فهذا أوان حضورك، والنداء وإن كان أصله لمن يتأتى منه الإقبال؛ وهم العقلاء إلا أن العرب تتجاوز وتنادي ما لا يعقل إظهاراً للتحسر ﴿لَيْتَنِي لَوْ اتَّخَذْتُ فَلَانًا﴾ كأبي بن خلف ﴿خَلِيلاً﴾؛ أي: صديقاً، من الخلعة وهي المودة لأنها تتخلل النفس؛ أي: تتوسطها والمراد من أضله في الدنيا كائناً من كان من شياطين الإنس والجن، فيدخل فيه أبي المذكور؛ أي: لم أتخذ فلاناً الذي أضلني وصرفني عن طريق الهدى خليلاً وصديقاً.

وهذا^(١) دعاء على نفسه بالويل والثبور على مخاللة الكافر الذي أضله في الدنيا. وفلان: كناية عن الأعلام. قال النيسابوري: زعم بعض أهل اللغة أنه لم يثبت استعمال فلان في الفصح إلا حكاية، لا يقال: جاءني فلان، ولكن يقال:

(١) البحر المحيط.

قال زيد: جاءني فلان؛ لأنه اسم اللفظ الذي هو علم الاسم، وكذلك جاء في كلام الله. وقيل: فلان كناية عن علم ذكور من يعقل، وفلانة عن علم إناثهم. وقيل: كناية عن نكرة من يعقل من الذكور، وفلانة عمن يعقل من الإناث. والظاهر أنه منصرف. وأما الفلان والفلانة فكناية عن غير العقلاء. وقيل: يختص بالنداء إلا في ضرورة الشعر، كقوله:

فِي لُجَّةِ أُمْسِكِ فُلَانًا عَنْ قُلِّ

وفل^(١): كناية عن نكرة الإنسان نحو يا رجل، وهو مختص بالنداء، وفلة بمعنى يا امرأة كذلك، ولام فل ياء أو واو على الخلاف فيه، وليس مرخماً من فلان، خلافاً للفرء. ووهم ابن عصفور وابن مالك وصاحب البسيط في قولهم: فل كناية عن العلم كفلان. وفي كتاب سيويه: ما قلناه بالنقل عن العرب.

وقرأ الحسن وابن قطيب ﴿يَا وَيْلَتِي﴾ بكسر التاء والياء الصريحة، فالياء فيه ياء المتكلم، وهو الأصل. وقرأ الدوري وجماعة بالإمالة. قال أبو علي: وترك الإمالة أحسن؛ لأن أصل هذه اللفظة الياء، فأبدلت الكسرة فتحة والياء ألفاً فراراً من الياء، فمن أمال رجع إلى الذي قرأ منه.

والله ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي﴾ وصرفني ﴿عَنِ الذِّكْرِ﴾؛ أي: عن القرآن المذكر لكل مرغوب ومرهوب، وعن موعظة الرسول ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ الذكر من ربي بواسطة الرسول، وتمكنت من العمل به، وعمرت ما يتذكر فيه من تذكر.

وههنا^(٢) تم الكلام، ثم قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾؛ أي: إبليس الحامل بوسوسته على مخالاة المضلين ومخالفة الرسول وهجر القرآن ﴿لِلْإِنْسَانِ﴾ المطيع له ﴿حَذُولًا﴾؛ أي: كثير الخذلان له، ومبالغاً في حبه، يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك، ثم يتركه ولا ينفعه، وكذا حال من حمّله على صداقته. والخذلان: ترك النصرة ممن يظن به أن ينصر. وفي وصفه بالخذلان إشعار بأنه كان يعدّه في الدنيا ويمنيه بأن ينفعه في الآخرة.

(٢) روح البيان.

(١) زاد المسير.

وهذا^(١) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله؛ إما من جهته تعالى كما مر، وإما من تمام كلام الظالم، قال بعضهم: المراد بالشیطان: قرين السوء، سماه شیطاناً؛ لأنه الضال المضل، يضل كما يضل الشيطان الحقيقي. وهذه الآية عامة في كل متحابين اجتماعاً على معصية الله، والخلة الحقيقية هي أن لا تكون لطمع ولا لخوف، بل في الدين. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال» أخرجه أبو داود والترمذي. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي». وروى الشيخان عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «مثل المجلس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة». قال مالك بن دينار: إنك إن تنقل الحجارة مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار، نسأل الله الخلاص والالتحاق بأرباب الاختصاص، والعمل بالقرآن في كل زمان وعلى كل حال.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ شكاية لله مما صنع قومه، وفي هذا^(٢) تخويف لقومه؛ لأن الأنبياء إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل الله لهم العذاب. وهذا عطف على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وما بينهما اعتراض؛ أي: قالوا: كيت وكيت، وقال الرسول محمد ﷺ إثر ما شاهد منهم غاية العتو، ونهاية الطغيان بطريق البث والشكوى ﴿يَتَرَبَّ إِنَّا قَوْمِي﴾ قريشاً ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾؛ أي: متروكاً بالكلية، ولم يؤمنوا به، وصدّوا عنه، ولم يتأثروا بتخويفه ووعيده. والمعنى^(٣): إن قومي اتخذوا هذا القرآن الذي جئت به إليهم، وأمرتني بإبلاغه، وأرسلتني به مهجوراً متروكاً لم يؤمنوا به، ولا قبلوه بوجه من الوجوه. وقيل: هو من هجر إذا هذى، والمعنى: إنهم اتخذوه هجراً وهذياناً. وقيل:

(١) المراح.

(٢) الشوكاني.

معنى «مَهْجُورًا» مهجوراً فيه، ثم حذف الجار. وهجرهم فيه قولهم: إنه باطل، إنه سحر وشعر وأساطير الأولين. وهذا حكاية لقوله ﷺ في الدنيا. وقيل: يقوله الرسول ﷺ يوم القيامة. والمعنى حينئذ: ويقول الرسول يوم القيامة. فالماضي بمعنى المضارع. وفي ذكره ﷺ بلفظ «الرَّسُولِ» تحقيق للحق ورد عليهم؛ إذ كان ما أورده قدحاً في رسالته ﷺ. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو «إن قومي اتخذوا» بتحريك الياء، وأسكنها عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي اه ابن الجوزي.

وفي هذه الآية^(١): تلويح بأن حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن؛ أي: التحفظ والقراءة كل يوم وليلة كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم. وفي الحديث: «من تعلم القرآن وعلق مصحفاً لم يتعهده ولم ينظر فيه... جاء يوم القيامة متعلقاً به، يقول: يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه». ومن أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل آية من القرآن أو سورة ثم ينساها. والنسيان: أن لا يمكنه القراءة من المصحف كما في «القنية». وفي الحديث: «إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد»، قيل: وما جلاؤها؟ قال: «تلاوة القرآن وذكر الله».

ثم سلى رسوله ﷺ على ما يلاقيه من الشدائد والأهوال بأن له في سلفه من الأنبياء قبله أسوة بقوله: «وَكَذَلِكَ»؛ أي: كما جعلنا لك يا محمد أعداء من مجرمي قومك كأبي جهل وأضرابه «جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ» من الأنبياء المتقدمين «عَدُوًّا»؛ أي: أعداء، فإنه يحتمل الواحد والجمع «مِنَ الْمُجْرِمِينَ»؛ أي: من مجرمي قومهم كعمروذ لإبراهيم، وفرعون لموسى، واليهود لعيسى، فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا.

والمعنى^(٢): أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون عليك ما يقولون من الترهات والأباطيل، ويفعلون من السخف ما يفعلون، جعلنا لكل نبي من الأنبياء الذين سلفوا وأوتوا من الشرائع ما فيه هدى للبشر أعداء لهم من

(٢) المراغي.

(١) روح البيان.

شياطين الإنس والجن، وكانوا لهم بالمرصاد، وقاوموا دعوتهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. فلا تجزع أيها الرسول، فإن هذا دأب الأنبياء قبلك، واصبر كما صبروا، قال ابن عباس: كان عدو النبي ﷺ أبا جهل، وعدو موسى قارون، وكان قارون ابن عم موسى، ونحو الآية قوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

ثم وعده بالهداية والنصر والتأييد وغلبته لأعدائه، فقال: ﴿وَكُنِّي بِرَبِّكَ﴾؛ أي: كفاك ربك. والباء صلة لتأكيد ﴿هَادِيًا﴾: تمييز؛ أي: من جهة هدايته لك إلى كافة مطالبك، ومنها انتشار شريعتك وكثرة الآخذين بها ﴿وَنَصِيرًا﴾؛ أي: ومن جهة نصرته لك على جميع أعدائك، فلا تبال بمن يعاديك وسيبلغ حكمك إلى أقطار الأرض وأكناف الدنيا. ويصح أن يكون: ﴿هَادِيًا﴾ حالاً من ﴿رَبِّكَ﴾؛ أي: حالة كونه هادياً لك، وناصراً لك.

والمعنى^(١): أي وكفاك ربك هادياً لك إلى مصالح الدين والدنيا، وسيبلغك أقصى ما تطلب من الكمال، وسينصرك على أعدائك، وستكون لك الغلبة عليهم آخراً، فلا يهولنك كثرة عددهم وعُددهم، فإني لا محالة جاعل كلمة الله هي العليا، وكلمة أعدائه هي السفلى، فاصبر لأمري وامض لتبليغ رسالتي حتى يبلغ الكتاب أجله.

دلت الآية^(٢) بالعبارة والإشارة على أن لكل نبي وولي عدواً يمتحنه الله به، ويظهر شرف اصطفائه. قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله تعالى: رفعت درجات الأنبياء والأولياء بامتحانهم بالمخالفين والأعداء، وفي الخبر: «لو أن مؤمناً ارتقى على ذروة جبل لقيض الله إليه منافقاً يؤذيه فيؤجر عليه»، ثم لم يغادر الله المجرم المعاند العدو لوليه حتى أذاقه وبال ما استوجبه على معاداته، كما قال في الحديث الرباني: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»، وقال: «وأنا أنتقم لأوليائي كما ينتقم الليث الجريء لجروه».

(٢) روح البیان.

(١) المراغي.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة كآبي جهل وأصحابه: ﴿لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ﴾

أي على محمد ﴿الْقُرْآنَ﴾ ف﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية بمعنى: هلا. والتنزيل هنا: مجرد عن معنى التدرج، ف﴿نَزَلَ﴾ هنا بمعنى: أنزل ك: خَبَّرَ بمعنى: أخبر؛ لئلا يناقض قوله: ﴿جَمَلَةٌ وَاحِدَةٌ﴾؛ أي: دفعة واحدة كالكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والزيور. حال من ﴿الْقُرْآنَ﴾؛ إذ هي في معنى: مجتمعاً، وهذا اعتراض حيرة وبهت، لا طائل تحته؛ لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقاً، وقد تحدوا بسورة واحدة فعجزوا عن ذلك، حتى أخلدوا إلى بذل المهج والأموال دون الإتيان بها، مع أن للتفريق فوائد كثيرة سيأتي تفصيلها.

أي: وقال الذين كفروا من أهل مكة في تعنتاتهم: هلا أنزل هذا القرآن على محمد ﷺ حالة كونه جملة واحدة في مرة واحدة كسائر الكتب السالفة إن كان من عند الله تعالى، وما له أنزل على التفريق؟. وهذا^(١) اعتراض فاسد، لأنهم تحدوا بالإتيان بسورة واحدة من أصغر السور، فأبرزوا صفحة عجزهم، حتى لاذوا بالمناسبة، وفزعوا إلى المحاربة، وبذلوا المهج ومالوا إلى الحجج. وقيل: المراد بالذين كفروا هنا اليهود، والمعنى عليه: أي^(٢): وقال اليهود: هلا أنزل القرآن على محمد دفعة واحدة كما أنزلت الكتب السالفة على الأنبياء كذلك. وهذا زعم باطل ودعوى داحضة، فإن هذه الكتب نزلت متفرقة، فقد أنزلت التوراة منجمة في ثماني عشرة سنة، كما تدل عليه نصوص التوراة، وليس هناك دليل قاطع على خلاف ذلك من كتاب أو سنة كما نزل القرآن، لكنهم معاندون أو جاهلون لا يدرون كيف نزلت كتب الله على أنبيائه، وهو اعتراض بما لا طائل تحته؛ لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرقاً فرد الله عليهم ما قالوا، وأشار إلى السبب الذي لأجله نزل القرآن منجماً، فقال: ﴿كَذَلِكَ﴾ والكاف في محل نصب على أنها صفة لمصدر محذوف^(٣) مؤكد معلل بما بعده، و﴿ذلك﴾: إشارة إلى ما يفهم من كلامهم؛ أي: مثل ذلك التنزيل المفرق الذي

(٣) روح البيان.

(١) النسفي.

(٢) المراغي.

قدحوا فيه نزلناه، لا تنزيلاً مغايراً له ﴿لِئْتِيَتْ﴾ ونقوي. وقرأ عبد الله ﴿ليثبت﴾
 بالياء؛ أي: ليثبت الله ﴿به﴾؛ أي: بذلك التنزيل المفرق ﴿فَوَادَكَ﴾؛ أي:
 قلبك، فإن فيه تيسيراً لحفظ النظم وفهم المعنى، وضبط الأحكام والعمل بها،
 ألا ترى أن التوراة أنزلت دفعة، فشق العمل على بني إسرائيل، ولأن الكتب
 المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرؤون، وأنزلنا القرآن على نبي أمي لا يكتب
 ولا يقرأ، ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ، ومنه ما هو جواب لمن سأل عن
 أمور تحدث في أوقات مختلفة، ففرقناه ليكون أدعى لرسول الله ﷺ، وأيسر على
 العامل به، ولأنه كلما نزل عليه وحى جديد في كل أمر وحادثة ازداد هو قوة
 قلب وبصيرة.

وبالجملة: فإن إنزال القرآن منجماً فضيلة خص بها نبينا ﷺ من سائر
 النبيين، فإن المقصود من إنزاله أن يتخلق قلبه المنير بخلق القرآن ويتقوى بنوره،
 ويتغذى بحقائقه وعلومه، وهذه الفوائد إنما تكمل بإنزاله مفرقاً، ألا ترى أن الماء
 لو نزل من السماء جملة واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها إذا نزل مفرقاً إلى
 أن يستوي الزرع.

وقيل: إن هذه الكلمة أعني: ﴿كَذَلِكَ﴾ هي من تمام كلام المشركين؛
 أي: وقال الذين كفروا: لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك؛ أي: كالتوراة
 والإنجيل والزبور، فيوقف على قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾، ثم يتبدى بقوله: ﴿لِئْتِيَتْ بِهِ﴾
 ﴿فَوَادَكَ﴾ على معنى أنزلناه عليك متفرقاً لغرض تثبيت فؤادك. قال ابن الأنباري:
 وهذا أجود وأحسن. قال النحاس: وكان ذلك؛ أي: إنزال القرآن منجماً من
 أعلام النبوة؛ لأنهم لا يسألونه عن شيء إلا أجيبوا عنه، وهذا لا يكون إلا من
 نبي، فكان ذلك تثبيتاً لفؤاده وأفئدتهم.

وقوله: ﴿وَوَلَّيْنَاهُ تَرْيَلاً﴾ معطوف على ذلك الفعل المقدر. والترتيل^(١):
 التفريق ومجيء الكلمة بعد الأخرى بسكوت يسير دون قطع النفس، وأصله في

(١) روح البيان.

الأسنان، وهو تفريجها. والمعنى: كذلك نزلناه وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تودة وتمهل في عشرين سنة، أو ثلاث وعشرين سنة.

خلاصة تلك الفوائد^(١):

١. أنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فلو أنزل عليه القرآن جملة واحدة كان من الصعب عليه أن يضبطه، وجاز عليه السهو والغلط.

٢. أنه أنزل هكذا ليكون حفظه له أكمل، ويكون أبعد عن المساهلة وقلة التحصيل.

٣. أنه لو أنزل جملة على الخلق لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة عليهم، ولا يخفى ما في ذلك من حرج عليهم بكثرة التكليف مرة واحدة، ولكن بإنزاله منجماً جاء التشريع رويداً رويداً، فكان احتمالهم له أيسر، ومرانهم عليه أسهل.

٤. أنه ﷺ إذا شاهد جبريل الفينة بعد الفينة قوي قلبه على أداء ما حمّل به، وعلى الصبر على أعباء النبوة، وعلى احتمال أذى قومه، وقدر على الجهاد الذي استمر عليه طول حياته الشريفة.

٥. أنه أنزل هكذا بحسب الأسئلة والوقائع، فكان في ذلك زيادة بصر لهم في دينهم.

٦. أنه لما نزل هكذا، وتحداهم بنجومه وبما ينزل منه، وعجزوا عن معارضته.. كان عجزهم عن معارضته جملة أجدر وأحق في نظر الرأي الحصيف.

٧. أن بعض أحكام الشريعة جاء في بدء التنزيل على وفق حال القوم الذين أنزلت عليهم، وبحسب العادات التي كانوا يألفونها، فلما أضاء الله بصائرهم

(١) المراغي.

بهدي رسوله تغيرت بعض أحوالهم، واستعدت أنفسهم لتشريع يزيدهم طهراً على طهر، ويذهب عنهم رجس الجاهلية الذي كانوا فيه، فجاء ذلك التشريع الجديد الكامل المناسب لتلك الحال الجديدة، ولو أنزل القرآن جملة واحدة لم يتسن شيء من هذا.

ثم ذكر سبحانه أنهم محجوجون في كل أوان، مدفوع قولهم بكل وجه وعلى كل حالة، فقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ يا محمد ﴿بِمَثَلٍ﴾؛ أي: ^(١) بسؤال عجيب وكلام غريب، كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك وحق القرآن ﴿إِلَّا بِمِثْلِكَ﴾ في مقابلته، فالباء في قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ للتعدية أيضاً؛ أي: بالجواب الحق الثابت المبطل لما جاؤوا به، القاطع لمادة القيل والقال ﴿وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾ عطف على ﴿الحق﴾. والتفسير: تفعيل من الفسر؛ وهو كشف ما غطي.

والمعنى: وبما هو أحسن بياناً وتفصيلاً لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة، بمعنى أنه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته، لا أن ما يأتون به له حسن في الجملة، وهذا أحسن منه، لأن سؤالهم مثل في البطلان، فكيف يصح له حسن، اللهم إلا أن يكون بزعمهم. يعني: لما كان السؤال حسناً بزعمهم.. قيل: الجواب أحسن من السؤال. والمعنى؛ أي: ^(٢) لا يأتيك يا محمد المشركون بمثل من أمثالهم التي من جملتها اقتراحاتهم المتعنتة إلا جنناك في مقابلة مثلهم وسؤالهم بالجواب الحق الثابت الذي يبطل ما جاؤوا به من المثل ويدمغه ويدفعه، فالمراد بالمثل هنا السؤال والاقتراح، وبالحق جوابه الذي يقطع ذريعتيه، ويبطل شبهته، ويحسن مادته.

والاستثناء في قوله ^(٣): ﴿إِلَّا بِمِثْلِكَ﴾ مفرغ، محله النصب على الحالية؛ أي: لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا حال إتياننا إياك بالحق الذي لا محيد عنه، وهذا بعبارة ناطق ببطلان جميع الأسئلة، وبصحة جميع الأجوبة،

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

وبإشارته منبئ عن بطلان السؤال الأخير وصحة جوابه؛ إذ لولا أن التنزيل على التدرج.. لما أمكن إبطال تلك الاقتراحات الشنيعة، أو يقال: كل نبي إذا قال له قومه قولاً.. كان النبي ﷺ هو الذي يرد عليهم، وأما النبي ﷺ إذا قالوا له شيئاً.. فالله يرد عليهم.

وحاصل المعنى^(١): ولا يأتيك هؤلاء المشركون بصفة غريبة من الصفات التي يقترحونها، ويريدون بها القدح في نبوتك إلا دحضناها بالحق الذي يدفع قولهم، ويقطع عروق أسئلتهم السخيفة، ويكون أحسن بياناً مما يقولون، ونحو الآية قوله: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾.

والخلاصة: أنهم لا يقترحون اقتراحاً من فاسد مقترحاته إلا أتيناك بما يدفعه، ويوضح بطلانه.

وبعد أن وصفوا رسوله بتلك الأوصاف السالفة تحقيقاً له.. سلاه على ذلك، وطلب إليه أن يقول لهم: ﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ أول ﴿يُحْشَرُونَ﴾ يوم القيامة، ويسحبون ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ ويجرون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ﴾: مبتدأ ثان ﴿شَرٌّ﴾: خبر المبتدأ الثاني ﴿مَكَانًا﴾؛ أي: مكانة ومنزلة، أو مسكناً ومنزلاً في الآخرة ﴿وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾؛ أي: أخطأ طريقاً عن الحق والهدى من كل أحد في الدنيا.

والمعنى: أي إني لا أقول لكم كما تقولون، ولا أصفكم بمثل ما تصفونني به، بل أقول لكم: إن الذين يسحبون إلى جهنم، ويجرون بالسلاسل والأغلال هم شرّ مكاناً، وأصل سبيلاً، فانظروا بعين الإنصاف، وفكروا من أولى بهذه الأوصاف منا ومنكم؛ لتعلموا أن مكانكم شر من مكاننا، وسبيلكم أضل من سبيلنا، وهذا على نسق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَوْ لِيَاكُم لَعَلَّىٰ هُذًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝١٤﴾، ويسمون هذا الأسلوب في المناظرة بإرخاء العنان للخصم؛ ليسهل إفحامه وإلزامه.

والمراد أن الملائكة تسحبهم وتجرحهم على وجوههم إلى جهنم، أو كون

(١) المراغي.

الحشر على الوجوه عبارة عن الذلة والخزي والهوان، أو هو من قول العرب: مر فلان على وجهه إذا لم يدر أين يذهب. روى الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف: صنفاً مشاةً، وصنفاً ركبانا، وصنفاً على وجوههم». قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «إن الذين أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك».

ولما استكبر الكفار واستعلوا حتى لم يخروا ساجدين لله تعالى.. حشرهم الله تعالى على وجوههم، ولما تواضع المؤمنون.. رفعهم الله على النجائب، فمن هرب عن المخالفة، وأقبل إلى الموافقة نجا، ومن عكس هلك، وأين يهرب العاصي والله تعالى مدركه.

قصة موسى وهارون عليهما السلام

واللام في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ موطئة للقسم؛ أي: وعزتي وجلالي لقد آتينا موسى التوراة؛ أي: أنزلناها عليه بعد إغراق فرعون وقومه.

واعلم: أن الله سبحانه ذكر هنا طرفاً من قصص الأولين تسلية له ﷺ بأن تكذيب قوم أنبياء الله لهم عادة للمشركين بالله، وليس ذلك بخاص بمحمد ﷺ. وفي «الإرشاد»: والتعرض في مطلع القصة لإيتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم، ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات للإيذان من أول الأمر ببلوغه عليه السلام غاية الكمال، ونيله نهاية الآمال التي هي إنجاء بني إسرائيل من ملك فرعون، وإرشادهم إلى طريق الحق بما في التوراة من الأحكام ﴿وجعلنا معه﴾؛ أي: مع موسى، والظرف متعلق بـ ﴿جَعَلْنَا﴾ ﴿أَخَاهُ﴾ الشقيق، مفعول أول له ﴿هَارُونَ﴾ بدل من ﴿أَخَاهُ﴾، أو عطف بيان وهو اسم أعجمي، ولم يرد في شيء من كلام العرب. ﴿وَزَيْرًا﴾ مفعول ثان؛ أي: معيناً يوازره ويعاونه في الدعوة إلى الله وإعلاء الكلمة، فإن الموازنة المعاونة كما سيأتي في مبحث اللغة.

تنبيه: والراو في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ لا تفيد ترتيباً، فإن من المعلوم أن إيتاء التوراة كان بعد إيتاء الرسالة لموسى وهارون بنحومن ثلاثين سنة، لأن إرسالهما كان في واقعة الطور عند مجيء، موسى من الشام، ثم جاء مصر، ومكث يدعو فرعون وقومه ثلاثين سنة، ثم خرج من مصر، فانفلق له البحر، فغرق فرعون وقومه، فذهب موسى إلى الشام، فأتاه الله التوراة هناك، فقوله: ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبًا﴾ معطوفة على ﴿جَعَلْنَا﴾، وكل من الجعل والقول كان قبل إيتاء التوراة كما علمت. اهـ شيخنا.

أي^(١): ولقد أنزلنا على موسى التوراة كما أنزلنا عليك الفرقان، وجعلنا معه أخاه هارون معيناً وظهيراً له، ولا تعارض بين هذه الآية وقوله: ﴿وَوَقَّعْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ فإنه وإن كان نبياً فالشريعة لموسى عليه السلام، وهو تابع له فيها، كما أن الوزير متبع لسلطانة.

وفي «الروح»^(٢): فإن قلت: كون هارون وزيراً كالمنافي لكونه شريكاً له في النبوة؛ لأنه إذا صار شريكاً له خرج عن كونه وزيراً؟

قلت: لا ينافي ذلك مشاركته في النبوة؛ لأن المتشاركين في الأمر متوازنان عليه، وقد كان هارون في أول الأمر وزيراً لموسى، ولاشتراكهما في النبوة قيل لهما: اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا.

ثم ذكر ما أمرا به من تبليغ الرسالة مع بيان أن النصر لهما آخرأ على أعدائهما بقوله: ﴿فَقُلْنَا﴾ لهما ﴿أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الإلهية^(٣)؛ وهي مصنوعات الله تعالى الدالة على انفراده تعالى بالملك والعبادة، حيث عبدوا فرعون، فذهبا إليهم، فأرياهم الآيات التسع كلها؛ وهي آيات النبوة، فكذبوها حيث أنكروا رسالتهما كما كذبوا الآيات الإلهية ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾؛ أي: أهلكناهم عقب ذلك التكذيب إهلاكاً عجيباً؛ أي: فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون

(٣) المراح.

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

وقومه الذين كذبوا بدلائل التوحيد المودعة في الأنفس والآفاق، فلما ذهب إليهم كذبوهما، فأهلكناهم أشد إهلاك، ونحو الآية قوله: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلَكَفِيرِينَ أَتْلُهَا﴾ وفي ذلك تسلية لرسوله، وأنه ليس أول من كذب من الرسل، فله أسوة بمن سلف منهم. قيل^(١): المراد بالآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام، ولم يوصف القوم عند إرسالهما إليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن إظهارها المتأخر عن الأمر به، بل إنما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله ﷺ بياناً لعل استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير. وقيل: المراد: ﴿بَيَّأَيْنَا﴾ التكوينية؛ أي: العلامات التي خلق الله في الدنيا، كما جرينا عليه في حلنا. وقيل: المراد بها الرسل وكتب الأنبياء الذين قبل موسى، كما في قوله: ﴿وَقَوْمٌ نُوْجٌ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ فالباء على كل تقدير متعلقة بـ ﴿كَذَّبُوا﴾ لا بـ ﴿أَذْهَبَ﴾، وإن كان الذهاب إليهم بالآيات، كما في قوله في الشعراء: ﴿فَاذْهَبَا بَيَّاتِنَا﴾. وأما التكذيب فتارة يتعلق بالآيات، كما في قوله في الأعراف: ﴿فَقْلَمُوا بِهَا﴾؛ أي: بالآيات، وقوله في طه: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾، وتارة بموسى وهارون، كما في قوله في المؤمنون: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾.

وقوله: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ قبله حذف تقديره: فذهب إليهم فأرياهم آياتنا فكذبوهما تكذيباً مستمراً، فأهلكناهم إثر ذلك التكذيب المستمر إهلاكاً عجيباً هائلاً لا يدرك كنهه. فاقصر على حاشيتي القصة؛ أي: أولها وآخرها اكتفاء بما هو المقصود منها؛ وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل والتدمير بالتكذيب، والفاء للتعقيب باعتبار نهاية التكذيب؛ أي: باعتبار استمراره، وإلا فالتدمير متأخر عن التكذيب بأزمة متطاوله. وقيل: إن المراد بالتدمير هنا الحكم؛ لأنه لم يحصل عقب بعث موسى وهارون إليهم، بل بعده بمدة. وقرأ^(٢) علي والحسن ومسلمة بن محارب: ﴿فدمراهم﴾ على الأمر لموسى وهارون. وعن علي كذلك إلا أنه مؤكد بالنون الشديدة. وعنه أيضاً: ﴿فدمرا بهم﴾ أمراً لهما بزيادة باء الجر. ومعنى

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

الأمر: كونا سبب تدميرهم.

قصة قوم نوح عليه السلام

﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ﴾ منصوب بفعل مضمر وجوباً، يدل عليه ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾؛ أي: ودمرنا قوم نوح ﴿لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ﴾؛ أي: نوحاً ومن قبله من الرسل كشيث وإدريس، أو نوحاً وحده؛ لأن تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والإسلام. ويقال: إن نوحاً كان يدعو قومه إلى الإيمان به وبالرسل الذين بعده، فلما كذبوه فقد كذبوا جميع الرسل، كما ثبت أن كل نبي أخذ العهد من قومه أن يؤمنوا بخاتم النبيين إن أدركوا زمناً. وقيل: معطوف على الهاء في: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ﴾.

﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ بالطوفان؛ أي: أهلكناهم بمائه، والإغراق السفول في الماء كما سيأتي. وهو استئناف مبين لكيفية تدميرهم ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾؛ أي: وجعلنا إغراقهم، أو قصتهم ﴿لِلنَّاسِ آيَةً﴾ عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها، وهو مفعول ثان لـ ﴿جَعَلْنَا﴾ و﴿لِلنَّاسِ﴾ ظرف لغو له؛ أي: جعلنا قصتهم عبرة لكل الناس على العموم، يتعظ بها كل مشاهد لها وسماع لخبرها ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾؛ أي: أعددنا وهياناً في الآخرة ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾؛ أي: لهم؛ أي: للمغرقين من قوم نوح، والإظهار في موضع الإضمار للتسجيل بظلمهم، والايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب. فالمراد بالظالمين قوم نوح على الخصوص، ويجوز أن يكون المراد بهم كل من سلك مسلكهم في التكذيب: ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: وجيعاً سوى ما حل بهم من عذاب الدنيا.

وحاصل معنى الآية: أي^(١) وكذلك فعلنا بقوم نوح حين كذبوا رسولنا نوحاً عليه السلام، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى الله، ويحذرهم نقمته ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ فأغرقناهم، ولم نترك منهم أحداً إلا

(١) المراغي.

أصحاب السفينة، وجعلناهم عبرة للناس، كما قال: ﴿إِنَّا لَنَّا طَعَا أَلَمًا مِّمَّنْ لَكُمْ فِي النَّارِ﴾ ١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكُرَةً وَفَعِيلًا أَذُنٌ وَّعِيَّةٌ ١٢؛ أي: أبقينا لكم السفينة؛ لتذكروا نعمة الله عليكم بإنجائكم من الغرق، وجعلكم من ذرية من آمن به وصدق بأمره.

وفي قوله: ﴿كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ وهم لم يكذبوا إلا رسولاً واحداً؛ وهو نوح إيماء إلى أن من كذب رسولاً واحداً.. فقد كذب جميع الرسل؛ إذ لا فرق بين رسول وآخر؛ إذ جميعهم يدعون إلى توحيد الله ونبذ الأصنام والأوثان، قاله الزجاج.

ثم ذكر مآل المكذبين، فقال: ﴿وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾؛ أي: وأعدنا لكل من كفر بالله، ولم يؤمن برسله عذاباً أليماً في الآخرة. وفي ذلك رمز إلى أن قريشاً سيحل بهم من العذاب في الدنيا والآخرة مثل ما حل بأولئك المكذبين إذا لم يراعوا عن غيهم.

قصص عاد وثمود وأصحاب الرس وغيرهم

وانتصاب ﴿وَعَادًا﴾ بالعطف على ﴿قوم﴾. وقيل: على محل ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾. وقيل: على المفعول الأول لـ ﴿جعلنا﴾؛ أي: وأهلكنا عاداً قوم هود ﴿وَتَمُودًا﴾ قوم صالح. قرأ حمزة وحفص وعبد الله وعمرو بن ميمون والحسن وعيسى ﴿وَتَمُودًا﴾ غير مصروف على تأويل القبيلة، وقرأ غيرهم ﴿وَتَمُودًا﴾ بالصرف على تأويل الحي ﴿و﴾ أهلكنا ﴿أصحاب الرس﴾ الرس في كلام العرب: البئر التي تكون غير مطوية. وأصحاب الرس هم قوم يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شعيباً عليه السلام فكذبوه، فبينما هم حول الرس؛ أي: بثرهم الغير المبنية التي يشربون منها ويسقون مواشيهم انهارت، فحسف بهم وبديارهم. قاله الكلبي ووهب. وقيل: الرس: قرية بفلج اليمامة، كان فيها بقايا ثمود، فبعث إليهم نبي، فقتلوه، فأهلكوا. وقيل: هم أصحاب حنظلة بن صفوان عليه السلام، ابتلاه بطير عظيم، فيها من كل لون تسمى بالعنقاء لطول عنقها فتخطف صبيانهم وعرسهم - أي طعامهم -، فدعا عليها حنظلة، فأصابتها الصاعقة، فكفوا شرها،

ثم إنهم قتلوا حنظلة عليه السلام، فأهلكوا. وقيل: إن الرس بئر في أنطاكية الشام، كذبوا حبيباً النجار؛ وهو صاحب يس الذي قال: ﴿يَقْوَرُ أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾، وقتلوه، فدسوه في تلك البئر، فأهلكوا.

وروى عكرمة ومحمد بن كعب القرظي عن النبي ﷺ: أن أهل الرس أخذوا نبيهم، فرسوه في بئر، وأطبقوا عليه صخرة، فكان عبد أسود قد آمن به يجيء بطعام إلى تلك البئر، فيعينه الله تعالى على تلك الصخرة فيقلعها، فيعطيه ما يغذيه به، ثم يرد الصخرة، إلى أن ضرب الله يوماً على ذلك الأسود بالنوم أربع عشرة سنة، وأخرج أهل القرية نبيهم، فأمنوا؛ به في حديث طويل. قال الطبري: فيمكن^(١) أنهم كفروا بعد ذلك، فذكرهم في هذه الآية، وكثر الاختلاف في أصحاب الرس، فلو صح ما نقله عكرمة ومحمد بن كعب كان هو القول الذي لا يمكن خلافه.

وملخص هذه الأقوال: أنهم قوم أهلكهم الله تعالى بتكذيب من أرسل إليهم، والله سبحانه أعلم بمن هم.

﴿وَقُرُونًا﴾؛ أي: وأهلكنا أيضاً أهل قرون وأزمنة. جمع قرن؛ وهم القوم المقترون في زمن واحد. قيل: القرن: مئة سنة. وقيل: مئة وعشرون سنة. وقيل: القرن أربعون سنة. وفي «القاموس»: الأصح أنه مئة سنة؛ لقوله ﷺ لرجل: «عش قرناً، فعاش مئة سنة» ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور من الطوائف والأمم من قوم نوح وما بعده ﴿كَثِيرًا﴾ صفة لـ ﴿قُرُونًا﴾. والإفراد باعتبار الجمع، أو العدد كقوله: ﴿وَبَيْنَ مِثْمَا رَجَالًا كَثِيرًا﴾، أو لأن فعلاً يستوي فيه المفرد والجمع؛ أي: وأهلكنا أقواماً كثيراً بين هؤلاء الأمم المذكورة لا يعلمهم إلا الله سبحانه وتعالى.

والمعنى: أي^(٢) ودمرنا عاداً قوم هود عليه السلام بالريح الصرصر العاتية، وثمود قوم صالح بالصيحة، وأهلكنا أصحاب الرس الذين كانوا باليمامة أو

(٢) المراغي.

(١) الطبري.

بغيرها - على الخلاف السابق - وقتلوا نبيهم - واختار ابن جرير أنهم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج، وسيأتي ذكر قصصهم - وأهلكنا أمماً كثيرة بين أولئك المذكورين.

ثم ذكر أنه أنذر أولئك المكذبين، وحذرهم قبل أن يوقع بهم، فقال: ﴿وَكُلًّا﴾: منصوب بمضمر يفسره ما بعده؛ أي: ذكرنا وأنذرنا وخوفنا كل واحد من الأمم المذكورين المهلكين ﴿ضَرَيْنَا لَهُ الْآمَلَّةَ﴾؛ أي: بينا له الأشباه والقصص العجيبة الغريبة التي تشبه الأمثال في الغرابة، الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل ﴿وَكُلًّا﴾؛ أي: وكل واحد منهم بعد التكذيب والإصرار ﴿تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا﴾؛ أي: أهلكنا إهلاكاً عجيباً هائلاً. والتبشير^(١): الإهلاك بالعذاب، قال الزجاج: كل شيء كسرتة وفتته فقد تبرته. قال المؤرخ والأخفش: معنى: ﴿تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا﴾ دمرنا تدميراً، أبدلت التاء والباء من الدال والميم.

ثم ذكر مشركي مكة بما يرونه من العبر في حلهم وترحالهم، وما يشاهدونه مما حل بأولئك الأمم المكذبة من المثلات، فقال: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرْنَا﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد أتى قوم قريش في متاجرهم إلى الشام ومروا ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرًا سَوِيًّا﴾ وهي^(٢) قرية سدوم - بالدال المهملة، وقيل: بالدال المعجمة - وهي عظمى قرى قوم لوط، أمطرت عليها الحجارة، وأهلكت، فإن أهلها كانوا يعملون العمل الخبيث. واعلم أن قرى قوم لوط خمس، ما نجا منها إلا واحدة؛ وهي أصغرهما؛ لأن أهلها كانوا لا يعملون العمل الخبيث، وسدوم من التي أهلكت. وتخصيصها هنا؛ لكونها في ممر تجار قريش، وكانوا في مرورهم بها يرونها مؤتفكة ولا يعتبرون. وانتصاب^(٣) ﴿مَطَرًا﴾ على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَتَبَرُّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾؛ أي:

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) روح البيان.

أمطرت إمطار السوء والشر والضرر، و﴿مطر﴾ مجهولاً في الخير، و﴿أمطر﴾ في الشر. وقيل: هما لغتان. و﴿السَّوءُ﴾ - بفتح السين وضمها -: كل ما يسوء الإنسان، ويغمه من البلاء والآفة. وقرأ زيد بن علي: ﴿مطرت﴾ ثلاثياً مبنياً للمفعول، و﴿مطر﴾ متعد. وقرأ أبو السماك ﴿مطر السوء﴾ بضم السين، ذكره في «البحر».

والمعنى: والله لقد مر هؤلاء المكذبون في رحلة الصيف على سدوم عظمى قرى قوم لوط، وقد أهلكها الله سبحانه بأن أمطر عليها حجارة من سجيل، لأن قومها كانوا يعملون الخبائث، وحذرهم لوط، فما أغنت عنهم الآيات والنذر، ثم ويخهم على تركهم التذكر حين مشاهدة ما يوجب، فقال: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَكُونُوا يَكُونُوا؟﴾ أي: أفلم يكونوا يرون آثارها وآثار ما حل بأهلها؟ والاستفهام فيه: للتقرير، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه؛ وهو ما بعد النفي؛ أي: ليقرروا بأنهم رأوها حتى يعتبروا بها. اهـ. وفي «أبي السعود»^(١): والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام؛ أي: ألم يكونوا ينظرون إليها، فلم يكونوا يرونها، أو أكانوا ينظرون إليها، فلم يكونوا يرونها في مرات مرورهم؛ ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب، فالمنكر في التقدير الأول: ترك النظر وعدم الرؤية معاً، والمنكر في التقدير الثاني: عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها. اهـ.

والمعنى: ألم يكونوا ينظرون إليها، فلم يكونوا يرون ما نزل بتلك القرية من عذاب الله تعالى بتكذيب أهلها رسول ربهم، فيعتبروا ويتذكروا ويراجعوا التوبة من كفرهم وتكذيبهم لرسوله؟ ثم أبان سبحانه أن عدم التذكر لم يكن سببه عدم الرؤية، بل منشؤه إنكار البعث والنشور، فقال: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾؛ أي: بعثاً. وهذا إما إضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على أهل القرى من العقوبة، وإما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر إلى

(٢) بيضاوي.

(١) أبو السعود.

التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور» اهـ «أبو السعود»؛ أي^(١): بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة، فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا كما مرت ركبهم، أو لا يؤملون نشوراً كما يأمله المؤمنون طمعاً في الثواب، أو لا يخافونه على اللغة التهامية اهـ «بيضاوي». فالرجاء هنا؛ إما بمعنى التوقع، أو الأمل، أو الخوف.

والمعنى: أي أنهم ما كذبوا محمداً ﷺ فيما جاءهم به من عند الله تعالى؛ لأنهم لم يكونوا رأوا ما حل بالقرية التي وصفت، بل كذبوه من قبل أنهم قوم لا يخافون نشوراً بعد الممات، ولا يوقنون بعقاب، ولا ثواب، فيردعهم ذلك عما يأتون من معاصي الله تعالى؛ أي^(٢): فإنهم ينكرون النشور المستتبع للجزاء الأخروي، ولا يرون لنفس من النفوس نشوراً وبعثاً أصلاً مع تحققه حتماً، وشموله للناس عموماً، واطراده وقوعاً، فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك، وإنما يحملونه على الاتفاقات.

واعلم: أن النشور لا ينكره إلا الكفور، وقد جعل الله في الدنيا شاهداً له، ومشيراً لوقوعه، وفي الخبر: «إذا رأيتم الربيع فاذكروا النشور». والربيع مثل يوم النشور؛ لأن الربيع وقت إلقاء البذر، ويكون الزارع قلبه معلقاً إلى ذلك الوقت أخرج أم لا؟ فكذلك المؤمن يجتهد في طاعته وقلبه يكون معلقاً بين الخوف والرجاء إلى يوم القيامة، أيقبل الله تعالى منه أم لا؟ ثم إذا خرج الزرع وأدرك يحصد ويداسى ويذرى، ثم يطحن ويخبز، وإذا خرج من التنور بلا احتراق يصلح للخوان، ولو احترق ضاع عمله وبطل سعيه، وكذلك العبد يصلي ويصوم ويزكي ويحج، فإذا جاء ملك الموت، وحصد روحه بمنجل الموت، وجعلوه في القبر يكون فيه إلى يوم القيامة، وإذا جاء يوم القيامة وخرج من قبره، ووقع الحشر والنشور أمر به إلى الصراط، فإذا جاوز الصراط سالماً فقد صلح للرؤية، وإلا

(١) روح البيان.

فقد هلك، فعلى العاقل أن يتفكر في النشور، ويتذكر عاقبة الأمور.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾؛ أي: وإذا أبصرك يا محمد هؤلاء المشركون الذين قصصت عليك قصصهم يعني: قريشاً كأبي جهل وأصحابه ﴿إِن يَتَّخِذُوكَ﴾ ﴿إِنْ﴾: نافية؛ أي: ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزْوَ﴾؛ أي: إلا موضع هزء وسخرية؛ أي: إلا مهزوءاً بك؛ أي: يستهزئون بك قائلين بطريق الاستحقار والتهكم: ﴿أَهَذَا﴾ الإنسان هو ﴿الذي بعث﴾ه ﴿اللَّهُ﴾ إلينا حالة كونه ﴿رَسُولاً﴾ ليثبت الحجة علينا يعني^(١): أنهم لم يقتصروا على ترك الإيمان، وإيراد الشبهات الباطلة، بل زادوا عليه الاستخفاف والاستهزاء إذا رأوه؛ وهو قول أبي جهل لأبي سفيان، وهذا نبي بني عبد مناف. والاستفهام فيه للتعجب المضمن للإنكار والتهكم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أهل الحس لا يرون النبوة والرسالة بالحس الظاهر؛ لأنها تدرك بنظر البصيرة المؤيدة بنور الله عز وجل، وهم عميان بهذا البصر، فلما سمعوا منه ما لم يهتدوا به من كلام النبوة والرسالة ما اتخذوه إلا هزواً، وقالوا مستهزئين: أهذا الذي بعث الله رسولاً وهو بشر مثلنا محتاج إلى الطعام والشراب.

﴿إِنْ كَادَ﴾ ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، وضمير الشأن محذوف؛ أي: إنه كاد، واللام في ﴿يُضِلُّنَا﴾ هي الفارقة بين النافية والمخففة؛ أي: إنه كاد محمد وقارب أن يضلنا ويصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا﴾؛ أي: عن عبادتها صرفاً كلياً بحيث يبعدنا عنها؛ أي ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده، والدعاء إلى التوحيد، وكثرة ما يورده مما يسبق إلى الذهن أنه حجج ومعجزات ﴿لَوْلَا أَن صَبَرْنَا﴾ وثبتنا ﴿عَلَيْهَا﴾؛ أي: على آلهتنا، واستمسكنا بعبادتها، وحبسنا أنفسنا عليها، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ معلوم مما قبله؛ أي: لولا صبرنا على عبادتها وثباتنا على ديننا كاد ليضلنا عن آلهتنا.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

وفي هذا: ^(١) إيماء إلى وجوه من الفائدة:

١. أنه ﷺ قد بلغ من الاحتفال في الدعوة إلى التوحيد وإظهار المعجزات، وإقامة الحجج والبيانات مبلغاً شاربوا به أن يتركوا دينهم لولا فرط عنادهم وتناهي عتوهم ولجاجهم.

٢. الدلالة على تناقضهم واضطرابهم، فإن في استفهامهم السابق ما يدل على التحقير له، وفي آخر كلامهم ما يدل على قوة حجته ورجاحة عقله، فذكره تحميق لهم، وتجهيل لاستهزائهم بما استعظموه.

وبعد أن حكى مقاتلهم سقاه آراءهم من وجوه ثلاثة:

١. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ البتة وإن تراخى ﴿حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ الذي يستوجبه كفرهم، ومن العذاب عذاب بدر أيضاً؛ أي: سوف يعلمون حين يرون العذاب في الآخرة عياناً ﴿مَنْ﴾ هو ﴿أَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ أي: من هو أبعد طريقاً عن الحق والهدى، أهم أم المؤمنون؟ نسبوه ﷺ إلى الضلال في ضمن الإضلال، فإن أحداً لا يضل غيره إلا إذا كان ضالاً في نفسه، واعلم أنه لا يهملهم وإن أمهلهم. ووصف السبيل بالضلال مجازاً. والمراد سالكوها، و﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ جملة استفهامية معلقة ل﴿يَعْلَمُونَ﴾، فهي سادة مسد مفعوليه.

أي ^(٢): إنهم حين يشاهدون العذاب الذي استوجبوه بكفرهم وعنادهم يعلمون من الضال ومن المضل؛ وفي هذا رد لقولهم: ﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ كما أن فيه وعيداً شديداً على التعامي والإعراض عن الاستدلال والنظر. ثم بين لهم سبحانه أنه لا تمسك لهم فيما ذهبوا إليه سوى التقليد واتباع الهوى، فقال معجباً لرسوله ﷺ:

٢. ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يا محمد، أو أيها المخاطب. كلمة ﴿أَرَأَيْتَ﴾ تستعمل تارة للإعلام، وتارة للسؤال، وههنا للتعجب من جهل من هذا وصفه ﴿مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ

(١) المراغي.

هُوَئِلَهُ ﴿إِلَهُهُ﴾ مفعول ثان قدم على الأول للاعتناء به؛ لأنه الذي يدور عليه أمر التعجب. والهوى مصدر هويه إذا أحبه واشتهاه، ثم سمي به المهوى المشتهى، محموداً كان أو مذموماً، ثم غلب على غير المحمود، ف قيل: فلان اتبع هواه إذا أريد ذمه، فالهوى ما يميل إليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهااء من غير سند منقول، ودليل معقول.

والمعنى^(١): أ رأيت يا محمد من جعل هواه إلهاً لنفسه بأن أطاعه، وبنى عليه أمر دينه معرضاً عن استماع الحجة والبرهان بالكلية، كأنه قيل: ألا تعجب ممن جعل هواه بمنزلة الإله في التزام طاعته وعدم مخالفته، فانظر إليه وتعجب منه. وهذا الاستفهام للتقرير والتعجب. قال أبو سليمان - رحمه الله تعالى -: من أتبع نفسه هواها فقد سعى في قتلها؛ لأن حياتها بالذكر، وموتها وقتلها بالغفلة، فإذا غفل أتبع الشهوات، وإذا أتبع الشهوات صار في حكم الأموات.

﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾؛ أي: حفيظاً تمنعه عن الشرك والمعاصي، وحاله هذا؛ أي: الاتخاذ. والهمزة فيه للاستفهام الإنكاري، داخله على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أتطمع في هدايته، فتكون عليه وكيلاً؛ أي: لست موكلاً على حفظه، بل أنت منذر، وليس هذا نهياً عن دعائه إياهم، بل الإعلام بأنه قد قضى ما عليه من الإنذار والإعذار. وقال بعض المفسرين: هذه الآية منسوخة بآية السيف.

والمعنى: أي انظر في حال هذا الذي جعل هواه إلهه بأن أطاعه وبنى عليه أمر دينه، وأعرض عن استماع الحجة الباهرة والبرهان الجلي الواضح، وأعجب ولا تأبه به، فإنك لن تكون حفيظاً على مثل هذا، تزجره عما هو عليه من الضلال، وترشده إلى الصراط السوي.

وخلاصة ذلك: كأنه سبحانه يقول لرسوله: إن هذا الذي لا يرى معبوداً له

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

إلا هواه لا تستطيع أن تدعوه إلى الهدى، وتمنعه من متابعة الهوى، إن عليك إلا البلاغ. ونحو الآية قوله: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ (٣٣)، وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾، وقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. وفي هذا الأسلوب^(١) تعجيب لرسوله من سوء أحوالهم بعد أن حكى قبيح أقوالهم وأفعالهم، وتنبيه له إلى سوء عاقبتهم، قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زماناً، فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول، فأنزل الله الآية.

٣. ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ ﴿أَمْ﴾: منقطعة تقدر بمعنى بل الإضرابية، وهمزة الاستفهام الإنكاري؛ أي: بل أظن يا محمد ﴿أَنْ أَكْثَرَهُمْ﴾؛ أي: أن أكثر هؤلاء المشركين ﴿يَسْمَعُونَ﴾ ما يتلى عليهم من الآيات حق سماع؛ أي: سماع تفهم وتدبر واعتبار واتعاظ ﴿أَوْ﴾ أنهم ﴿يَعْقِلُونَ﴾ ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبايح الداعية إلى المحاسن، فتهتم بشأنهم، وتطمع في إيمانهم، لا تحسبن ذلك. وتخصيص^(٢) الأكثر؛ لأنه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكباراً وخوفاً على الرسالة.

قال ابن عطاء - رحمه الله -: لا تظن أنك تسمع نداءك، إنما تسمعهم إن سمعوا نداء الأزل، وإلا فإن نداءك لهم ودعوتك لا تغني عنهم شيئاً، وإجابتهم دعوتك هو بركة جواب نداء الأزل ودعوته، فمن غفل وأعرض فإنما هو لبعده عن محل الجواب في الأزل ﴿إِنْ هُمْ﴾؛ أي: ما هم في عدم انتفاعهم بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات، وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات ﴿إِلَّا كَالْبَهَائِمِ﴾؛ أي: إلا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة، وعلم في الضلالة.

وفي «التأويلات النجمية»: ليس لهم نهمة إلا في الأكل والشرب واستجلاب حظوظ النفس كالبهائم التي نهمتها الأكل والشرب ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ وأجهل وأخطأ ﴿سَيِّئًا﴾؛ أي: طريقاً موصلاً إلى مصالحتهم من الأنعام؛ لأنها تنقاد لمن يقودها، وتميز من يحسن إليها، وتطلب ما ينفعها، وتجتنب ما يضرها،

(١) روح البيان.

وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار، ولأنها لم تعتقد حقاً، ولا تكتسب خيراً ولا شراً بخلاف هؤلاء، ولأن جهالتها لا تضر بأحد، وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق، ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال، فلا تقصير منها ولا ذم، وهؤلاء مقصرون مستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم.

وقيل: إنما كانوا أضل من الأنعام؛ لأنه لا حساب عليها، ولا عقاب لها. وقيل: إنما كانوا أضل؛ لأن البهائم إذا لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك بخلاف هؤلاء، فإنهم اعتقدوا البطلان عناداً ومكابرة وتعصباً وغمطاً للحق.

واعلم: أن^(١) الله تعالى خلق الملائكة وعلى العقل جبلهم، وخلق البهائم وركب فيها الشهوة، وخلق الإنسان، وركب فيه الأمرين؛ أي: العقل والشهوة، فمن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم، ولذا قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ لأن الإنسان بقدمي العقل المغلوب والهوى الغالب ينقل إلى أسفل دركة لا تبلغ البهائم إليها بقدّم الشهوة فقط، ومن غلب عقله هواه؛ أي: شهوته، فهو بمنزلة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ومن كان غالباً على أمره فهو خير من الملائكة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾^(٢)، فعلى العاقل الاحتراز عن الأفعال الحيوانية، فإنها سبب لزوال الجاه الصوري والمعنوي، فمدار الخلاص هو ترك الراحة، والعمل بسبب مخالفة النفس والطبيعة.

وحاصل معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٣)؛ أي^(٢): بل أنظن يا محمد أن أكثرهم

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

يسمعون حق السماع ما تلو عليهم من الآيات، أو يعقلون ما تتضمنه من المواعظ الداعية إلى الفضائل ومحاسن الأخلاق، حتى تجتهد في دعوتهم، وتحفل بإرشادهم وتذكيرهم، وتطمع في إيمانهم، فما حالهم إلا حال البهائم في تركهم للتدبر فيما يشاهدون من البيئات والحجج، بل هم أضل منها سبيلاً؛ إذ هي قد تنقاد لصاحبها الذي يتعهدا، وتعرف من يحسن إليها ومن يسيء، وتطلب ما ينفعها وتجنب ما يضرها، وتهتدي لمراعيها ومشاربها، وتأوي إلى معاطنها ومرابضها، لكن هؤلاء لا ينقادون لخالقهم ورازقهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم وإساءة الشيطان لهم، وهو الذي قد زين لهم اتباع الشهوات إلا أنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، إلا أن جهالة الأنعام مقصورة عليها، وجهالة هؤلاء تؤدي إلى وقوع الفتنة والفساد، وصد الناس عن سنن السداد، ووقوع الهرج والمرج بين العباد، إلا أن البهائم إذ لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك، بخلاف هؤلاء فإنهم اعتقدوا البطلان عناداً ومكابرة وتعصباً وغمطاً للحق، إلا أنها لم تعطل قوة من القوى المودعة فيها، فلا تقصير من قبلها عن الكمال، أما هؤلاء فهم مبطلون لقواهم العقلية، مضيعون للفترة التي فطر الله الناس عليها، وقد قالوا: الملائكة روح وعقل، والبهائم نفس وهوى، والبشر مجمع الكل للابتلاء والاختبار، فإن غلبته النفس والهوى فضلت البهائم، وإن غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام.

ولما فرغ سبحانه من ذكر جهالة الجاهلين وضلالتهم.. أتبعه بذكر طرف من دلائل التوحيد، مع ما فيها من عظيم الإنعام، وحاصل ما ذكره منها خمسة: الأول منها: مد الظل، والثاني: جعل الليل لباساً، والثالث: إرسال الرياح، والرابع: مرج البحرين، والخامس: خلق البشر من الماء.

فأولها: الاستدلال بأحوال الظل، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ الخطاب^(١) لرسول الله ﷺ، ولكن المراد منه العموم؛ لأن المقصود بيان إنعام الله تعالى

(١) روح البيان.

بالظل، وجميع المكلفين مشتركون في تنبيههم على هذه النعمة اهـ «مراح». والهمزة للتقرير. والرؤية؛ إما رؤية العين، والمعنى عليه: ألم تنظر إلى بديع صنعه تعالى، فإن المنظور يجب أن يكون مما يصح أن يتعلق به رؤية العين ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام، سأل بها عن الحال، منصوبة على الحال بقوله: ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾؛ أي: بسط الظل؛ أي: ألم تبصر إلى صنع ربك، أو لم تبصر إلى الظل كيف مده ربك، وإما قلبية بمعنى العلم، فإن الظل متغير، وكل متغير حادث، ولكل حادث موجد، قال الزجاج: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم، وهذا من رؤية القلب، قال: وهذا الكلام على القلب، والتقدير: ألم تر إلى الظل كيف مده ربك يعني: الظل من الفجر إلى طلوع الشمس، وهو ظل لا شمس معه.

وعبارة أبي السعود: ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾؛ أي^(١): كيف أنشأ ظلاً لأي مظل كان من جبل، أو بناء، أو شجر، عند ابتداء طلوع الشمس ممتداً، لا أنه تعالى مده بعد أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار إلى غروبها، فإن ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بإنشائه تعالى وإحداثه يأباه سياق النظم الكريم، وأما ما قيل من أن المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وأنه أطيب الأوقات فغير سديد؛ إذ لا ريب في أن المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبإلغ حكمته فيما يشاهدونه، فلا بد أن يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف، مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضحَّ الشمس، وما ذكر وإن كان في الحقيقة ظلاً للأفق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلاً، ولا يصفونه بأوصافه المعهودة اهـ باختصار.

والمراد^(٢): أن الشمس تنسخ الظل وتزيله شيئاً فشيئاً إلى الزوال، ثم ينسخ الظل ضوء الشمس، ويزيله من وقت الزوال إلى الغروب، فالظل الآخذ في التزايد الناسخ لضوء الشمس يسمى شيئاً؛ لأنه فاء من جانب المشرق إلى جانب المغرب، فهو من الزوال إلى الغروب، والظل من الطلوع إلى الزوال.

(١) أبو السعود.

(٢) روح البيان.

والمعنى: انظر أيها الرسول إلى صنع ربك كيف أنشأ الظل، وكذا الفيء من طلوع الشمس إلى غروبها، فاستخدمه الإنسان للوقاية من لفح الشمس وشديد حرارتها ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ ربك سكون ذلك الظل وثباته على حالة واحدة ﴿لَجَعَلَهُ﴾؛ أي: لجعل ذلك الظل ﴿سَاكِناً﴾؛ أي: ثابتاً على حالة واحدة، لا يتغير بالنقصان والزيادة، لكنه^(١) جعله متغيراً في ساعات النهار المختلفة، وفي الفصول المتعاقبة، ومن ثم اتخذ مقياساً للزمن منذ القدم، فاتخذ المصريون المسلات، وقاسوا بها أوقات النهار على أوضاع مختلفة، وطرق حكيمة متنوعة، واتخذ العرب المزاول لمعرفة أوقات الصلاة، فقالوا: يجب الظهر عند الزوال؛ أي: إذا تحول الظل إلى جانب المشرق، والعصر حين بلوغ ظل كل شيء مثله عند الأئمة عدا أبا حنيفة، فإنه قال: لا يجب إلا إذا بلغ ظل كل شيء مثليه.

والمعنى^(٢): ولو شاء الله سبحانه سكونه ودوامه لجعله ساكناً ثابتاً دائماً مستقراً، لا تنسخه الشمس. وقيل: المعنى: لو شاء لمنع الشمس من الطلوع. والأول أولى، والتعبير بالسكون عن الإقامة والاستقرار سائغ، ومنه قولهم: سكن فلان بلد كذا إذا أقام به واستقر فيه. وهذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، اعترض بها للتنبيه من أول الأمر على أنه لا مدخل فيما ذكر من المد للأسباب العادية، وإنما المؤثر فيه المشيئة والقدرة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ معطوف على قوله: ﴿مَدَّ الظِّلَّ﴾، داخل في حكمه ولم يقل: دالة؛ لأن المراد ضوء الشمس؛ أي: ثم جعلنا طلوع الشمس دليلاً على ظهور الظل، ومشاهدته للحس والعيان، والأشياء تستبين بأضدادها، فلو لا الشمس لما عرف الظل، ولو لا الظلمة ما عرف النور.

والمعنى^(٣): جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعاً حسبما نطقت به الشرطية المعترضة، وذلك لأن

(٣) روح البيان.

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

الظل يتبعها كما يتبع الدليل في الطريق من جهة أنه يزيد بها وينقص، ويمتد ويتقلص. والالتفات إلى نون العظمة؛ لما في جعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبىء عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة، وهو السر في إيراد كلمة التراخي ﴿ثُمَّ قَبَضَتْهُ﴾ معطوف أيضاً على ﴿مَدَّتْ﴾، داخل في حكمه. و﴿ثُمَّ﴾ للتراخي الزماني؛ أي: ثم أزلنا ذلك الظل الممدود بعدما أنشأناه ممتداً، ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيتنا عند إيقاع شعاع الشمس موقعه، من غير أن يكون له تأثير في ذلك أصلاً، وإنما عبر عنه بالقبض المنبىء عن جمع المنبسط وطيه؛ لما أنه قد عبر عن إحداثه بالمد الذي هو البسط طولاً، وقوله: ﴿إِلَيْنَا﴾ تنصيص على كون مرجعه إلى الله تعالى، كما أن حدوثه عنه عز وجل. وقيل: معنى ﴿إِلَيْنَا﴾: علينا؛ أي: ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ سهلاً علينا؛ أي: محواً يسيراً؛ أي: على مهل وتدرج قليلاً قليلاً بحسب ارتفاع دليله؛ أي: الشمس يعني أنه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب، فلو قبضه الله تعالى دفعة.. لتعطلت منافع الظل والشمس، فقبضه يسيراً يسيراً لتبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما.

والمعنى^(١): أي ثم أزلناه بضوء الشمس يسيراً يسيراً، ومحوناه على مهل جزءاً جزءاً بحسب سير الشمس.

وثاني الأدلة: ما ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: الله تعالى وحده ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ أيها العباد، ﴿الْإِلَّهَ لِبَاسًا﴾؛ أي: كاللباس يستركم بظلامه كما يستر اللباس لابس، فشبّه ظلامه باللباس في الستر، قال ابن جرير: وصف الليل باللباس تشبيهاً له من حيث إنه يستر الأشياء ويغشاها. واللام متعلق ب﴿جَعَلَ﴾.

فإن قلت^(٢): إذا كانت ظلمة الليل لباساً فلا حاجة إلى ستر العورة في صلاة الليل؟

(٢) روح البيان.

(١) المراغي.

قلتُ: لا اعتبار لستر الظلمة فإن ستر العورة باللباس ونحوه لحق الصلاة، وهو باق في الظلمة والضوء ﴿و﴾ جعل لكم ﴿النوم سباتاً﴾؛ أي: راحة لأبدانكم، وقطعاً لأعمالكم، والنوم: استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد، والسبت: قطع العمل، ويوم سبتهم: يوم قطعهم للعمل، وسمي يوم السبت لذلك، أو لانقطاع الأيام عنده؛ لأن الله تعالى ابتداءً بخلق السموات والأرض يوم الأحد، فخلقها في ستة أيام، فقطع عمله يوم السبت، كما في «المفردات».

والمعنى^(١): وجعل النوم الذي يقع في الليل غالباً راحة للأبدان بقطع المشاغل والأعمال المختصة بحال اليقظة، أو المعنى: جعل النوم موتاً، فعبر عن القطع بالسبات الذي هو الموت؛ لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع الحياة، وعليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ فالموت والنوم من جنس واحد، خلا أن الموت هو الانقطاع الكلي؛ أي: انقطاع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه، والنوم هو الانقطاع الناقص؛ أي: انقطاع ضوء الروح عن ظاهره دون باطنه، والمسبوت: الميت لانقطاع الحياة عنه، والمريض: المغشي عليه لزوال عقله وتمييزه، وعليه قولهم: مثل المبطون والمفلوج والمسبوت ينبغي أن لا يبادر إلى دفنه حتى يمضي يوم وليلة ليتحقق موتهم.

﴿وَجَعَلَ﴾ لكم ﴿النَّهَارَ سُجُورًا﴾ والنهار: الوقت الذي ينتشر فيه الضوء، وهو في الشرع ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وفي الأصل ما بين طلوع الشمس إلى غروبها. والنشور؛ إما من الانتشار؛ أي: وجعل النهار ذا نشور؛ أي: انتشار، ينتشر فيه الناس لطلب المعاش وابتغاء الرزق، كما قال: ﴿لَسْتُ كُفُؤًا فِيهِ وَلَيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أو من نشر الميت إذا عاد حياً؛ أي: وجعل النهار زمان بعث من ذلك السبات، والنوم كبعث الموتى، فهو على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه. وفيه إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور،

(١) روح البيان.

وعن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يا بني كما تنام فتوقظ، كذلك تموت فتنشئ. وفي الآية رخصة للنوم بقدر دفع الضرورة، وهو فتور البدن. قال بعضهم: النوم راحة للبدن، والمجاهدات اتعاب البدن، فيتضادان.

فائدة: والحكمة في النوم أن الروح القدسي، أو اللطيفة الربانية، أو النفس الناطقة غريبة جداً في هذا الجسم السفلي، مشغولة بإصلاحه وجلب منفعه، ودفع مضارّه، محبوسة فيه ما دام المرء يقظان، فإذا نام ذهب إلى مكانه الأصلي ومعدنه الذاتي، فيستريح بواسطة لقاء الأرواح ومعرفة المعاني والغيوب مما يتلقى في حين ذهابه إلى عالم الملكوت من المعاني التي يراها بالأمثلة في عالم الشهادة، وهو السر في تعبير الرؤيا كذا قال في «الروح» والله أعلم.

ومعنى الآية: أي^(١) ومن أثار قدرته وروائع رحمته الفائضة على خلقه أن جعل لنفعمكم الليل كاللباس، يستركم بظلامه كما يستركم اللباس، وجعل النوم كالموت؛ لتعطيله الحواس ووظائفها المختلفة، وجعل النهار زمان بعث من ذلك الموت.

وثالث الأدلة: ما ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ﴾؛ أي: الله سبحانه وحده الإله ﴿الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾؛ أي: أطلقها وبعثها حالة كونها ﴿بُشْرًا﴾ لكم؛ أي: مبشرات لكم بمجيء المطر؛ أي: أرسلها ﴿بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ﴾؛ أي: قدام رحمته ومطره سبحانه وتعالى؛ لأنه أولاً تكون ريح، ثم سحب، ثم مطر. والإرسال: التسخير. والريح معروفة؛ وهي فيما قيل: الهواء المتحرك، وقيل في الرحمة: رياح بلفظ الجمع؛ لأنها تجمع الجنوب والشمال والصبا، وقيل في العذاب: ريح؛ لأنها واحدة؛ وهي الدبور التي أهلكت عاداً، وهو عقيم لا يلقح، ولذا ورد في الحديث: «اللهم اجعلها لنا رياحاً، ولا تجعلها ريحاً». والمعنى؛ أي: والله الذي أرسل الرياح مبشرات بقدوم الأمطار.

(١) المراغي.

(٢) المراح.

وقرأ ابن كثير^(١): ﴿الريح﴾ بالإنفراد. وقرأ: ﴿نُشْرًا﴾ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم النون والشين؛ أي: ناشرات للسحاب. وقرأ ابن عامر بضم النون وسكون الشين. وقرأه حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر بمعنى اسم الفاعل؛ أي: متفرقة. وقرأه عاصم بالباء الموحدة المضمومة وسكون الشين؛ أي: مبشرات.

وقال ابن عطية^(٢): وقراءة الجمع أوجه؛ لأن عرف الريح متى وردت في القرآن مفردة فإنما هي للعذاب، ومتى كانت للمطر والرحمة، فإنما هي رياح؛ لأن ريح المطر تشعب وتتدأب وتتفرق، وتأتي لينة، وتأتي من ههنا وههنا، وشيئاً إثر شيء، وريح العذاب تخرج لا تتدأب، وإنما تأتي جسداً واحداً، ألا ترى أنها تحطم ما تجد وتهدمه، قال الرماني: جمعت رياح الرحمة؛ لأنها ثلاثة: لواقع الجنوب والصبأ والشمال. وأفردت ريح العذاب؛ لأنها واحدة لا تلقح؛ وهي الدبور انتهى. ولا يسوغ أن يقال: هذه القراءة أوجه؛ لأن كلاً من القراءتين متواترة.

﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ بعظمتنا. والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية بالإنزال؛ لأنه نتيجة إرسال الرياح ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾؛ أي: من جهة الفوق يعني: من السحاب ﴿مَاءً طَهُورًا﴾؛ أي: بليغاً في الطهارة، وهو الذي يكون طاهراً في نفسه، ومطهراً لغيره من الحدث والنجاسة. والطهور اسم لما يتطهر به كالوقود لما توقد به النار، والوضوء لما يتوضأ به؛ أي: وأنزلنا من السحاب ما تتطهرون به في غسل ملابسكم وأجسامكم، وتنتفعون به في طبخ مطاعمكم، وتشربونه عذباً فراتاً، روي أن النبي ﷺ قال في البحر: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته» أخرجه أبو داود والترمذي.

قال في «فتح الرحمن» الطهور: هو الباقي على أصل خلقته من ماء المطر والبحر والعيون والآبار، على أي صفة كان من عذوبة، وملوحة، وحرارة،

(١) البحر المحيط.

وبرودة، وغيرها، وما تغير بمكنه أو بطاهر لا يمكن صونه عنه كالتراب والطحلب وورق الشجر ونحوها.. فهو طاهر في نفسه، مطهر لغيره، يرفع الأحداث ويزيل الأنجاس بالاتفاق، فإن تغير عن أصل خلقته بطاهر يغلب على أوصافه يستغني الماء عنه غالباً.. لم يجز التطهير به عند الثلاثة، وجوز أبو حنيفة رحمه الله الوضوء بالماء المتغير بالزعفران ونحوه من الطاهرات، ما لم تزل رفته، وقال أيضاً: يجوز إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة كالخل وماء الورد ونحوهما، وخالفه الثلاثة ومحمد بن الحسن وزفر كما فصل في الفقه.

فإن قلت: لم^(١) وصف الماء بالطهور مع أن وصف الطهارة لا دخل له في ترتيب الأحياء والسقي على إنزال الماء؟

قلت: وصفه بالطهارة إشعاراً بزيادة النعمة؛ لأن وصف الطهارة نعمة زائدة على إنزال ذات الماء، وتتميماً للمنة المستفادة من قوله: ﴿لِنُخَيِّ بِهٖ﴾؛ ﴿وَشَقِیْمٌ﴾ فإن الماء الطهور أهناً وأنفع مما خالطه مما يزيل طهوريته، وتنبيهاً على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها كانت بواطنهم بذلك أولى؛ لأن باطن الشيء أولى بالحفظ عن التلوث من ظاهره، وذلك لأن نظر الحق جل جلاله إلى باطن الإنسان، لا ظاهره.

ثم ذكر سبحانه علة الإنزال، فقال ﴿لِنُخَيِّ بِهٖ﴾؛ أي: بما أنزلنا من السماء من الماء الطهور ﴿بَلَدَةً مَّيْتًا﴾؛ أي: أرضاً يابسة، لا أشجار فيها ولا ثمار ولا مرعى، وإحياؤها: بإنبات النبات من المكان الذي لا نبات فيه. والمراد بالبلدة؛ القطعة من الأرض، عامرة كانت أو غيرها. والتذكير حيث لم يقل: بلدة ميتة؛ لأنه بمعنى البلد، أو الموضع، أو المكان، ولأنه غير جار على الفعل بأن يكون على صيغة اسم الفاعل، أو المفعول، فأجري مجرى الجامد.

وقرأ عيسى وأبو جعفر ﴿مَيِّتًا﴾ بالتشديد ﴿وَشَقِیْمٌ﴾؛ أي: نسقي ذلك الماء

(١) روح البيان.

(٢) البحر.

الطهور عند جريانه في الأودية؛ أي: اجتماعه في الحياض، أو المنابع والآبار. وسقى وأسقى لغتان بمعنى، يقال: سقاه الله الغيث وأسقى، والاسم: السقيا كما سيأتي. وقرأ^(١) عبد الله وأبو مجلز وأبو رجاء والضحاك وأبو حيوة وابن أبي عبله والأعمش وعاصم وأبو عمرو في رواية عنهما ﴿وَنَسْقِيهِ﴾ بفتح النون، ورويت عن عمر بن الخطاب.

والمعنى: أي وأنزلناه لنحيي به أرضاً طال انتظارها للغيث، فهي هامة لا نبات فيها، وبذلك الماء يزدهر الشجر والنبات والأزهار، وذلك أشبه بالحياة للإنسان والحيوان، وأنزلناه ليشرب منه الحيوان والإنسان.

﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ متعلق بـ﴿نَسْقِيهِ﴾ ﴿أَنْعَمًا وَأَنْاسِيَّ كَثِيرًا﴾ بدل^(٢) من محل الجار والمجرور؛ أي: ولنسقي ذلك الماء بعض خلقنا من الأنعام والأناسي، ويجوز أن يكون ﴿أَنْعَمًا وَأَنْاسِيَّ﴾ مفعول ﴿نُسْقِيهِ﴾، و﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ متعلق بمحذوف حال من: ﴿أَنْعَمًا وَأَنْاسِيَّ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها؛ أي: ولنسقيه أنعاماً وأناسي كثيراً كائنات مما خلقنا. والأنعام: جمع نعم؛ وهي الأموال الراعية. والأناسي جمع إنسان كما سيأتي بسطه. و﴿كَثِيرًا﴾: صفة ﴿أناسي﴾؛ لأنه بمعنى بشر، والمراد بهم أهل البوادي الذين يعيشون بالمطر، ولذا نكر الأنعام والأناسي، يعني: أن التنكير للإفراد النوعي، وتخصيصهم بالذكر؛ لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار والمنابع، فلا يحتاجون إلى سقيا السماء، وسائر الحيوانات من الوحوش والطيور تبعد في طلب الماء، فلا يعوزها الشرب غالباً.

يقال: أعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه.

وخص الأنعام بالذكر^(٣)؛ لأنها قنية للإنسان؛ أي: يكتفيها ويتخذها لنفسه، لا لتجارة، وعامة منافعهم ومعاشهم منوطة بها، فلذا قدّم سقياها على سقيهم،

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

كما قدم على الأنعام إحياء الأرض، فإنه سبب لحياتها وتعيشها، فانظر يا أخي كيف رتب سبحانه ذكر ما هو رزق الإنسان ورزق رزقه، فإن الأنعام رزق الإنسان، والنبات رزق الأنعام، والمطر رزق النبات، فقدم ذكر المطر، ورتب عليه ذكر حياة الأرض بالنبات، ورتب عليه ذكر الأنعام.

وفي «المراح»: قوله: ﴿كَثِيرًا﴾ إما راجع للـ ﴿أُنَاسِي﴾، وذلك لأن أكثر الناس يجتمعون في البلاد القريبة من الأنهار وينابيع الماء، فهم في غنية في شرب الماء عن المطر، وكثير منهم نازلون في البوادي، فلا يجدون المياه للشرب إلا عند نزول المطر، وإما راجع إلى ﴿نَسْقِيهِ﴾، وذلك لأن الحيوان يحتاج الماء حالاً بعد حال ما دام حياً، وهو مخالف للنبات الذي يكفيه من الماء قدر معين، حتى لو زيد عليه بعض ذلك.. لكان أقرب إلى الضرر، اهـ. وقرأ يحيى بن الحارث الذماري وأبو مجلز والضحاك وأبو العالية وعاصم الجحدري^(١): ﴿وَأُنَاسِي﴾ بتخفيف الياء، ورويت عن الكسائي.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد كررنا هذا القول الذي هو إنشاء السحاب، وإنزال المطر لما مرّ من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية ﴿يُنَبِّئُهُمْ﴾؛ أي: بين الناس من المتقدمين والمتأخرين ﴿لِيَذْكُرُوا﴾؛ أي: ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك، ويقوموا بشكره حق القيام. وأصله: ﴿لِيَتَذَكَّرُوا﴾ من التذكر؛ وهو التفكير ﴿فَأَتَى﴾ وامتنع ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ ممن سلف وخلف ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أي: كفران النعمة وقلة المبالاة بشأنها، فإن حقها أن يتفكر فيها، ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته وإحسانه، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها، وأعظم الكفر جحود الوحداية، أو النبوة، أو الشريعة.

وأكثر المفسرين^(٢): على أن الضمير في ﴿صَرَّفْنَاهُ﴾ راجع إلى نفس الماء

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

الظهور الذي هو المطر، فالمعنى عليه؛ أي: وعزتي وجلالي ﴿لقد صرفناه﴾؛ أي: فرقنا المطر بينهم بإنزال له في بعض البلاد والأمكنة دون غيرها، أو في بعض الأوقات دون بعض، أو على صفة دون أخرى بجعله تارة وابلًا وهو المطر الشديد، وأخرى طلا وهو المطر الضعيف، ومرة ديمة وهو المطر الذي يدوم أياماً ﴿فَأَيُّ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ إلّا جحوداً للنعمة، وكفراً بالله تعالى بأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا؛ أي: بسقوط كوكب كذا، كما يقول المنجمون، فجعلهم الله سبحانه بذلك كافرين، حيث لم يذكروا صنع الله تعالى ورحمته، بل أسندوا مثل هذه النعمة إلى الأفلاك والكواكب، فمن لا يرى الأمطار إلّا من الأنواء فهو كافر بالله بخلاف من يرى أن الكل بخلق الله تعالى.

والأنواء أمارات بجعل الله تعالى، والأنواء النجوم التي يسقط واحد منها في جانب المغرب وقت طلوع الفجر، ويطلع رقبه في جانب المشرق من ساعته، والعرب كانت تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها، وقيل: إلى الطالع منها؛ لأنه في سلطانه. وقيل: الضمير راجع إلى القرآن، والمعنى: ولقد كررنا هذا القرآن بإنزال آياته بين الناس ليذكروا به، ويعتبروا بما فيه، فأبى أكثرهم إلّا كفوراً به. وقيل: راجع إلى الريح. وقرأ عكرمة^(١): ﴿صَرَفْنَاهُ﴾ مخففاً، وقرأ الباقر بالتثقيل. وقرأ حمزة والكسائي ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ مخففة الذال من الذكر، وقرأ الباقر بالتثقيل من التذكر.

ومعنى الآية: وعزتي وجلالي لقد صرفنا المطر بين الناس على أوضاع شتى، فلا تمر ساعة في ليل ولا نهار إلّا كان فيه دليل على آثار قدرتنا، فننزله على قوم ونحجبه عن آخرين، فنحن صرفناه بينهم، كما صرفنا الليل والنهار، فالشمس تجري من عند قوم، وتذهب إلى الآخرين ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ أي: إلّا أن الماء قد يكون جامداً يشبه الحجر، وسائلاً يشبه الزيت وسائر المائعات، وحيناً بخارياً يشبه الهواء، وهو أيضاً غاد ورائح في الجو، وفي

(١) الشوكاني.

الأنهار، وفي الغدران، وفي أجسام النبات والحيوان والإنسان؛ ليدكورا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيشكروا، ولكن أكثر الناس أبوا إلا جحوداً للنعمة، وكفراناً بخالقها.

ثم بين منته على رسوله، وأنه كلفه الأحمال الثقال من أعباء النبوة؛ ليزداد شرفاً ويعظم قدراً، فقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾؛ أي: ولو^(١) أردنا أن نرسل رسولاً إلى أهل كل قرية ﴿لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾؛ أي: لأرسلنا في كل مصر ومدينة نذيراً؛ أي: نبياً ينذر أهلها، وخفت عنك أعباء النبوة، ولكن بعثناك إلى القرى كلها، وحملناك ثقل النذارة؛ لتستوجب بصبرك ما أعدناه لك من الكرامة والمنزلة الرفيعة، فقابل ذلك بشكر النعمة، وبالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق، كما قال: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، وثبت في «الصحيحين»: «بعث إلى الأحمر والأسود»؛ أي: إلى العجم والعرب.

والخلاصة: أنا عظمناك بهذا الأمر، وجعلناك مثقلاً بأعبائه؛ لتحوز ما ادخر لك من عظيم جزائه وكبير مثوبته، فعليك بالمجاهدة والمصابرة، ولا عليك من تلقيهم الدعوة بالإعراض والمشاكسة ﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ﴾؛ أي: لا توافقهم فيما ندبوك إليه من عبادة الآلهة واتباع دين الآباء، وأغلظ عليهم ولا تدهانهم، واثبت على الدعوة وإظهار الحق ﴿وَجَاهِدْهُمْ﴾؛ أي: جادلهم ودافعهم عن الدين الحق ﴿بِهِ﴾؛ أي: بالقرآن؛ أي: بتلاوة ما في تضاعيفه من المواعظ وتذكير أحوال الأمم المكذبة لرسولها ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾؛ أي: عظيماً تاماً شديداً، لا يخالطه فتور، فإن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف. وإنما لم يحمل المجاهدة على القتال بالسيف؛ لأنه إنما ورد الإذن فيه بعد الهجرة بزمان، والسورة مكية، قال بعضهم: ويجوز أن يكون الجهاد بالالسنه بترك المدهانة في حقهم وإغراء الناس على دفع فسادهم، كما أن الجهاد بالأموال بالدفع إلى من يحاربهم ويستأصلهم.

(١) المراغي.

والمعنى: أي فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من موافقتهم على مذاهبهم وآرائهم، وجاهدهم بالشدة والعنف، لا بالملاينة والمداراة؛ لتكسب ودهم ومحبتهم، وعظمهم بما جاء به القرآن من المواعظ والزواجر، وذكرهم بأحوال الأمم المكذبة لرسالتها، وذلك منتهى الجهاد الذي لا يقادر قدره، ونحو الآية قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ جَهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾.

والخلاصة: أنك مبعوث إلى الناس كافة لتنذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم، فاجتهد في دعوتك، ولا تتوان فيها، ولا تحفل بوعيدهم، فإن الله ناصرك عليهم ومظهر دينك على الدين كله ولو كره المشركون.

ورابع الأدلة: ما ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى الإله ﴿الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾؛ أي: خلاهما^(١) وأرسلهما، وأجراهما في مجاريهما متلاصقين بحيث لا يتمازجان، ولا يلتبس أحدهما بالآخر.

وجملة قوله: ﴿هَذَا عَذَابٌ﴾ إما مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: كيف مرجهما؟ فقول: هذا عذب، وهذا ملح، أو في محل نصب على الحال من ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ بتقدير القول؛ أي: هو الذي مرج البحرين حال كونهما مقولاً في حقهما: ﴿هَذَا﴾؛ أي: أحدهما ﴿عَذْبٌ﴾؛ أي: حلو طيب ﴿قُرْأتُ﴾؛ أي: سائغ قاطع للعطش لغاية عذوبته صفة ﴿عَذْبٌ﴾ والتاء فيه أصلية وهذا أي: الآخر ﴿مِلْحٌ﴾؛ أي: مرّ ﴿أَلْجَاجٌ﴾؛ أي: زعاق بليغ الملوحة، صفة ﴿مِلْحٌ﴾، وقرأ طلحة وقتيبة عن الكسائي ﴿مِلْحٌ﴾ بفتح الميم وكسر اللام، وكذا في فاطر ﴿وَجَعَلَ﴾: عطف على الصلة ﴿يَنْتَهَمَا﴾؛ أي: بين البحرين العذب والملح ﴿بِرِزْقٍ﴾؛ أي: حاجزاً وحائلاً من قدرته سبحانه غير مرئي ﴿وَحِجْرًا﴾؛ أي: سترأ ﴿مَحْجُورًا﴾؛ أي: ممنوعاً به تغيير أحدهما طعم الآخر، وهو صفة مؤكدة لـ ﴿حِجْرًا﴾ كليل أليل ويوم أيوم. وقيل: هذه كلمة استفادة كما سبق في هذه السورة. والمعنى هنا على التشبيه؛ أي: تنافراً بليغاً، كأن كلاً منهما يتعوذ من الآخر

(١) روح البيان.

بتلك المقالة، ويقول: حراماً محرماً عليك أن تغلب عليّ، وتزِيل صفتي وكيفيتي.

واعلم: أن أكثر المفسرين حمل البحرين على بحري فارس والروم، فإنهما يلتقيان في البحر المحيط، وموضع التقائهما هو مجمع البحرين المذكور في الكهف، ولكن يلزم على هذا أن يكون البحر الأول عذباً، والثاني ملحاً، مع أنهم قالوا: لا وجود للبحر العذب هناك، وذلك لأنهما في الأصل خليجان من المحيط، وهو مرّ، والأوجه أن يمثل البحران بالنيل المبارك والبحر الأخضر، وهو بحر فارس الذي هو شعبة من البحر الهندي الذي يتصل بالبحر المحيط، وبحر فارس مرّ، وذلك أن بحر النيل يدخل في البحر الأخضر قبل أن يصل إلى بحيرة الزنج ويختلط به، وهو معنى المرج، ولولا اختلاطه بملوحته... لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته كما في «إنسان العيون».

والمعنى: أي^(١) ومن آثار نعمته على خلقه أن خلى البحرين متجاورين متلاصقين، وجعلهما لا يمتزجان، ومنع الملح من تغيير عذوبة العذب وإفساده إياه، وحجزه عنه بقدرته، فكأن بينهما حاجزاً يمنع أحدهما إفساد الآخر، وكأن بينهما ساتراً يجعله لا يبغي عليه.

والخلاصة^(٢): أنه تعالى جعل البحرين مختلطين في مرأى العين، منفصلين في التحقيق بقدرته تعالى بحيث لا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح، ولا يتغير طعم أحدهما بالآخر ولا يفسده، ونحو الآية قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) يَنْتَهِمَا بَرْزُخٌ لَا يَتَّبِعَانِ (٢٠) فَيَايَءَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١)﴾.

وخامس الأدلة: ما ذكره بقوله: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه وتعالى الأله ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ وأوجد ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾؛ أي^(٣): من ماء الذكر والأنثى؛ وهو النطفة، أو من الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام ﴿بَشَرًا﴾؛ أي: آدمياً، والبشرة ظاهر

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

(٣) روح البيان.

الجلد كما أن الأدمة - محرقة - باطنه الذي يلي اللحم، وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر بخلاف سائر الحيوانات التي عليها الصوف، أو الشعر أو الوبر، كالضأن والمعز والإبل. وخص في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر، واستوى فيه الواحد والجمع ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾؛ أي: البشر أو الماء ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾؛ أي: قسمه قسمين ذوي نسب، أي: ذكوراً ينسب إليهم، فيقال: فلان ابن فلان، ووفلانة بنت فلان، وذوات صهر؛ أي: إناثاً يصاهر بهن ويخالط. وقيل: النسب ما لا يحل تزويجه من القرابة. والصهر ما يحل التزويج من القرابة وغيرها. وقيل: النسب ما يوجب الحرمة، والصهر ما لا يوجبها. وقيل: النسب من القرابة، والصهر الخلطة التي تشبه القرابة؛ وهو السبب المحرم للنكاح، وقد حرم الله بالنسب سبعاً، وبالسبب سبعاً، وجمعها قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ الآية، وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في تفسير سورة النساء.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾؛ أي: مبالغاً في القدرة حيث قدر أن يخلق من مادة واحدة بشراً ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة عجيبة الصنع، بديع الخلق، كبير العقل، عظيم التفكير، سخر ما على ظاهر الأرض وباطنها لنفعه وفائدته ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾، وجعله قسمين متقابلين، وربما يخلق من مادة واحدة توءمين ذكرأ وأنثى.

الإعراب

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾.

﴿وَقَالَ﴾ الواو: استئنافية. ﴿قَالَ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول ومضاف إليه، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض بمعنى هلاً. ﴿أُنْزِلَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق به. ﴿الْمَلَكُوتُ﴾: نائب فاعل لـ ﴿أُنْزِلَ﴾، والجملة التحضيضية مقول ﴿قال﴾. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿نَرَىٰ رَبَّنَا﴾: فعل

ومفعول به، وفاعل مستتر يعود على المتكلمين، والجملة معطوفة على جملة ﴿أُنزِلَ﴾ على كونها مقول ﴿قال﴾. ﴿لَقَدْ﴾: اللام موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق: ﴿أَسْتَكَبرُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب القسم، لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة مسوقة لدرء شبهاتهم وتعتاتهم بعد قيام الحجة عليهم. ﴿فِي أَنْفُسِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَسْتَكَبرُوا﴾، بمعنى: أنهم لتكبرهم عدوا أنفسهم كبيرة الشأن، وأصله من استكبره إذا عدّه كبيراً، فنزله منزلة اللازم فعدها بـ ﴿فِي﴾. ﴿وَعَتَوْا عُنُوتًا كَبِيرًا﴾: فعل وفاعل ومفعول مطلق وصفة معطوفة على ﴿أَسْتَكَبرُوا﴾.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا نَحْجُورًا﴾ (٢٢) وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾.

﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف تقديره: اذكر لهم أهوال يوم يرون الملائكة، أو يمنعون البشري يوم يرون الملائكة، وليس متعلقاً بالبشري؛ لأن المصدر لا يعمل فيما قبله. ﴿يَوْمَ الْمَلَائِكَةِ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿يَوْمَ﴾. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل إن. ﴿بُشْرَى﴾: في محل نصب اسمها. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بالاستقرار الذي تعلق به خبر ﴿لَا﴾، أو تأكيد لفظي لـ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ على التقدير الثاني. ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر ﴿لَا﴾، وجملة ﴿لَا﴾ مقول لقول محذوف وقع حالاً من ﴿الْمَلَائِكَةِ﴾؛ أي: حالة كون الملائكة قائلين: لا بشري للمجرمين يومئذ. ﴿وَيَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَرَوْنَ﴾، فالضمير فيه للكفار. ﴿حَجْرًا﴾: منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف وجوباً تقديره: حجرتنا من شركم أيها الملائكة ومنعنا منه حجراً. ﴿نَحْجُورًا﴾: صفة مؤكدة لـ ﴿حَجْرًا﴾. ﴿وَقَدِمْنَا﴾: الواو: استئنافية. ﴿قدّمنا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَى مَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿قدّمنا﴾. ﴿عَمِلُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: عملوه. ﴿مِنْ عَمَلٍ﴾: جار ومجرور حال من ﴿مَا﴾ الموصولة، أو من العائد المحذوف. ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول

أول. ﴿هَبَاءٌ﴾: مفعول ثان. ﴿مُنْثَوْرًا﴾: صفة ﴿هَبَاءٌ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿قدمنا﴾.

﴿أَصْحَبُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ
وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾.

﴿أَصْحَبُ الْجَنَّةِ﴾: مبتدأ ومضاف إليه ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف مكان إلى مثله متعلق بـ ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل والجملة مستأنفة ﴿وَأَحْسَنُ﴾: معطوف على ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿مَقِيلًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب بـ ﴿أَحْسَنُ﴾. ﴿وَيَوْمَ﴾: منصوب بفعل محذوف تقديره: اذكر يوم، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل الجبر مضاف إليه لـ ﴿يَوْمَ﴾. ﴿بِالْغَمَمِ﴾: في هذه الباء ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها للسببية؛ أي: بسبب الغمام، يعني: بسبب طلوعه منها، ونحوه قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾، كأنه الذي تشقق به السماء، فيتعلق الجار والمجرور بـ ﴿تَشَقَّقُ﴾.

وثانيها: أنها للملابسة، فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال.

والثالث: أنها بمعنى عن؛ أي: عن الغمام كقوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ﴾، فتتعلق بـ ﴿تَشَقَّقُ﴾ أيضاً اهـ «سمين». ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿تَشَقَّقُ﴾. ﴿تَنْزِيلًا﴾: مفعول مطلق منصوب بـ ﴿نُزِّلَ﴾.

﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾.

﴿الْمَلَكُ﴾: مبتدأ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف مضاف لمثله متعلق بـ ﴿الْمَلَكُ﴾. ﴿الْحَقُّ﴾: صفة لـ ﴿الْمَلَكُ﴾. ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾: خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة. ﴿وَكَانَ﴾: الواو: عاطفة. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير يعود

على اليوم؛ أي: وكان ذلك اليوم. ﴿يَوْمًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: متعلق بـ﴿عَسِيرًا﴾. ﴿عَسِيرًا﴾: صفة ﴿يَوْمًا﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ معطوفة على الجملة التي قبلها عطف فعلية على اسمية؛ لأنها في الأصل جملة اسمية، أو مستأنفة. ﴿وَيَوْمَ﴾ الواو: عاطفة. ﴿يوم﴾: منصوب باذكر محذوف، وهو معطوف على قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾، وكذا قوله السابق: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ﴾. ﴿يَعُصُّ الظَّالِمُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الجبر مضاف إليه لـ﴿يوم﴾. ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿يَعُصُّ﴾. ﴿يَقُولُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿الظَّالِمُ﴾، والجملة في محل النصب حال من ﴿الظَّالِمُ﴾؛ أي: حالة كونه قائلاً، ﴿يَلْتَمِئَنِي﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يا﴾ حرف نداء، والمنادى محذوف تقديره: يا هؤلاء، أو يا قوم، وجملة المنادى في محل النصب مقول ﴿يَقُولُ﴾، أو الياء حرف تنبيه. ﴿ليتني﴾: ﴿ليت﴾: حرف تمن ونصب، والنون للوقاية، والياء ضمير المتكلم في محل النصب اسمها. ﴿أَتَّخَذْتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿مَعَ الرَّسُولِ﴾: ظرف ومضاف إليه في محل المفعول الثاني لـ﴿أَتَّخَذْتُ﴾. ﴿سَيِّلًا﴾: مفعول أول لـ﴿أَتَّخَذْتُ﴾، وجملة ﴿أَتَّخَذْتُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿ليت﴾، وجملة ﴿ليت﴾ في محل النصب مقول لـ﴿يَقُولُ﴾.

﴿يَتَوَلَّى لَيْتَى لَرَّ أَتَّخِذْ فَلَانَا خَلِيلًا﴾ (٢٨) لَقَدْ أَصْلَيْ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩).

﴿يَتَوَلَّى﴾ ﴿لَيْتَى﴾ ﴿يا﴾: حرف نداء. ﴿ويلتي﴾: منادى مضاف منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفاً للتخفيف، وياء المتكلم المنقلبة ألفاً للتخفيف في محل الجبر مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول القول. ﴿لَيْتَى﴾: ناصب واسمه ونون وقاية. ﴿لَرَّ﴾: حرف نفي وجزم. ﴿أَتَّخِذْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَرَّ﴾، وفاعله ضمير يعود على المتكلم. ﴿فَلَانَا﴾: مفعول أول. ﴿خَلِيلًا﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿ليت﴾، وجملة ﴿ليت﴾ في محل النصب مقول القول على كونها جواب النداء. ﴿لَقَدْ﴾: اللام موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿أَصْلَيْ﴾: فعل

ماض ونون وقاية، وفاعل مستتر يعود على ﴿فَلَا تَأْكُلُوا﴾ ومفعول به. ﴿عَنِ الذِّكْرِ﴾ متعلق به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم في محل نصب مقول القول على كونها معللة للتمني المذكور. ﴿بَعْدَ إِذْ﴾: ظرف مضاف لمثله متعلق بـ ﴿أَصْلَحْنِي﴾، أو حال من ﴿الذِّكْرِ﴾. ﴿جَاءَنِي﴾: فعل ماض ونون وقاية، وفاعل مستتر يعود إلى ﴿الذِّكْرِ﴾، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾: فعل ماض ناقص واسمه. ﴿لِلْإِنْسَانِ﴾: متعلق بـ ﴿خَذُولًا﴾. ﴿خَذُولًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ مستأنفة استثنافاً نحوياً؛ لأنه من كلام الرب سبحانه.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿٢٥﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿٢٦﴾.

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على جملة قوله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾. ﴿يَرْبِّ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّ قَوْمِي﴾: ناصب واسمه ومضاف إليه. ﴿اتَّخَذُوا﴾: فعل وفاعل ﴿هَذَا﴾: في محل نصب مفعول أول. ﴿الْقُرْآنَ﴾: بدل من اسم الإشارة ﴿مَهْجُورًا﴾: مفعول ثان، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَكَذَلِكَ﴾: الواو: استئنافية. ﴿كَذَلِكَ﴾: الكاف اسم بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف، ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه في محل المفعول الثاني. ﴿عَدُوًّا﴾: مفعول أول لـ ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾: صفة لـ ﴿عَدُوًّا﴾، والتقدير: وجعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين جعلاً مثل ذلك الجعل الذي جعلنا لك، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لتسلية رسول الله ﷺ. ﴿وَكَفَىٰ﴾: الواو: عاطفة. ﴿كَفَىٰ﴾: فعل ماض. ﴿بِرَبِّكَ﴾: فاعل ﴿كَفَىٰ﴾، والباء زائدة. ﴿هَادِيًا﴾: حال من ﴿رَبِّكَ﴾. ﴿وَنَصِيرًا﴾: معطوف عليه؛ أي: حالة كونه هادياً لك للطريق التي ستنتصر بها عليهم كالغزو. اهـ شيخنا، أو تمييز له، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿جَعَلْنَا﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾

وَرَوَّلْنَهُ تَرْيَلًا ﴿٣٢﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان شبهة منهم.
تتعلق بالقرآن. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿لَوْلَا﴾: تحضيضية بمعنى هلا. ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة، والجار والمجرور متعلق به.
﴿الْقُرْآنُ﴾: نائب فاعل. ﴿جُمْلَةً﴾: حال من القرآن؛ أي: مجتمعاً. ﴿وَنَجْدَةً﴾: صفة ﴿جُمْلَةً﴾، والجملة التحضيضية في محل النصب مقول ﴿قال﴾.
﴿كَذَلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف، والعالم فيه محذوف تقديره: نزلناه عليك تنزيلاً مثل ذلك التنزيل المرتل، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿لِنُثَبِّتَ﴾: اللام: حرف جر وتعليل، ﴿نُثَبِّتَ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وفاعله ضمير يعود على الله تقديره: نحن. ﴿بِهِ﴾: متعلق به ﴿فُوَادَكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور باللام، الجار والمجرور متعلق بالفعل المحذوف، والتقدير: نزلناه عليه تنزيلاً مثل ذلك التنزيل لتثبيت فؤادك به. ﴿وَرَوَّلْنَهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿تَرْيَلًا﴾: مفعول مطلق، والجملة معطوفة على الجملة المحذوفة.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ﴿٣٣﴾.

﴿وَلَا﴾: الواو: عاطفة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَأْتُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿بِمَثَلٍ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ من أعم الأحوال. ﴿جِئْنَاكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب حال من مفعول يأتونك؛ أي: ولا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا في حال إتياننا إياك بالحق وبما هو أحسن تفسيراً. ﴿وَأَحْسَنَ﴾: معطوف على ﴿الْحَقِّ﴾، مجرور بالفتحة؛ لأنه ممنوع من الصرف للوصفية ووزن الفعل. ﴿تَفْسِيرًا﴾: تمييز.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾

﴿٣٤﴾.

﴿الَّذِينَ﴾: مبتدأ أول. ﴿يُحْشَرُونَ﴾: فعل ونائب فاعل صلة الموصول،

ويجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف؛ أي: هم الذي يحشرون. ﴿عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من نائب فاعل ﴿يَحْشُرُونَ﴾؛ أي: حالة كونهم مقلوبين على وجوههم. ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾: متعلق بـ﴿يَحْشُرُونَ﴾. ﴿أُولَٰئِكَ﴾: مبتدأ ثان. ﴿شَرٌّ﴾: خبر له. ﴿مَكَانًا﴾: منصوب على التمييز. ﴿وَأَصْلُ﴾: معطوف على ﴿شَرٌّ﴾. ﴿سَبِيلًا﴾: تمييز، والجملة من المبتدأ الثاني وخبره في محل الرفع خبر للمبتدأ الأول، وجملة الأول مستأنفة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ۖ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَدْمِيرًا ۖ﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، واللام موطئة لقسم محذوف، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: فعل وفاعل ومفعولان، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة. ﴿وَجَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ءَاتَيْنَا﴾، والواو لا تفيد ترتيباً كما مر في مبحث التفسير. ﴿مَعَهُ﴾: متعلق بـ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿أَخَاهُ﴾: مفعول أول. ﴿هَارُونَ﴾: بدل من ﴿أَخَاهُ﴾: أو عطف بيان له. ﴿وَزِيْرًا﴾: مفعول ثان لـ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿فَقُلْنَا﴾: الفاء: عاطفة، ﴿قلنا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿أَذْهَبَا﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَى الْقَوْمِ﴾: متعلق به، والجملة في محل نصب مقول ﴿قلنا﴾. ﴿الَّذِينَ﴾: صفة لـ﴿الْقَوْمِ﴾. ﴿كَذَبُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول ﴿بِآيَاتِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿كَذَبُوا﴾. ﴿فَدَمْزَلْنَهُمْ﴾: الفاء: عاطفة على محذوف، ﴿دمرناهم﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿نَدْمِيرًا﴾: مفعول مطلق، والجملة معطوفة على جملة محذوفة تقديرها: فذهبوا إليهم، فكذبوهم، فدمرناهم تدميراً.

﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَاعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۖ﴾ ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرِّمِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۖ﴾.

﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ﴾: مفعول لفعل محذوف وجوباً يفسره ما بعده، فهو من باب الاشتغال تقديره: وأغرقنا قوم نوح، والجملة معطوفة على جملة ﴿ءَاتَيْنَا﴾، ولك أن تعطفه على الهاء في ﴿دمرناهم﴾؛ أي: ودمرنا قوم نوح. ﴿لَّمَّا﴾: حينية في

محل النصب على الظرفية متعلق بـ ﴿أَغْرَقْنَا﴾. ﴿كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿لَمَّا﴾. ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية جملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿لِلنَّاسِ﴾: حال من ﴿ءَايَةٍ﴾، لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿ءَايَةٍ﴾: مفعول ثانٍ لـ ﴿جَعَلْنَا﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾. ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: متعلق بـ ﴿أَعْتَدْنَا﴾. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول به. ﴿أَلِيمًا﴾: صفة ﴿عَذَابًا﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿جَعَلْنَا﴾، أو معترضة، وهذه الجملة تحتمل التخصيص، فيكون فيها وضع الظاهر موضع المضمَر، وتحتمل العموم، فتكون معترضة. ﴿وَعَادًا﴾: مفعول لفعل محذوف تقديره: وأهلكنا عاداً، أو دمرنا، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾. ﴿وَنُوحًا﴾: معطوف على ﴿عَادًا﴾، يصرف ولا يصرف كما مر. ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾: معطوف عليه أيضاً. ﴿وَقُرُونًا﴾: معطوف عليه أيضاً. ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾: ظرف ومضاف إليه صفة أولى لـ ﴿قُرُونًا﴾. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة ثانية له.

﴿وَكَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكَلَّا تَبَرَّأْنَا تَنْبِيْرًا﴾.

﴿وَكَلَّا﴾: الواو: عاطفة. ﴿كَلَّا﴾: منصوب على الاشتغال بفعل محذوف وجوباً يلاقي ﴿ضَرَبْنَا﴾ في المعنى تقديره: خوفنا كلاً، أو أنذرنا كلاً، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَعَادًا﴾. ﴿ضَرَبْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُ﴾: متعلق به. ﴿الْأَمْثَلُ﴾: مفعول به، والجملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. ﴿وَكَلَّا﴾: مفعول مقدم لـ ﴿تَبَرَّأْنَا﴾؛ لأنه فارغ له لم يشتغل بضميره. ﴿تَبَرَّأْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿تَنْبِيْرًا﴾: مفعول مطلق، والجملة معطوفة على جملة ﴿دمرنا﴾.

﴿وَلَقَدْ أَنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمِطِرَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شَوْكَ﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قَدْ﴾: حرف

تحقيق. ﴿أَتَوَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ﴾: متعلق به، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة ﴿الَّتِي﴾: صفة لـ ﴿الْقَرْيَةِ﴾ ﴿أُمْطِرَتْ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿مَطَرَ السَّوَّى﴾ مفعول مطلق لـ ﴿أُمْطِرَتْ﴾: بمعنى: إمطار السوء على حد ﴿وَاللَّهُ أَتَبَّكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (٧). ﴿أَفَكَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام التقريري المضمن للإنكار داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿لَمْ يَكُونُوا﴾: جازم وفعل ناقص، واسمه مجزوم بحذف النون. ﴿يَكُونُهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿يَكُونُوا﴾، وجملة ﴿يَكُونُوا﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة، والتقدير: ألم يكونوا ينظرون إليها، فلم يكونوا يرونها، والجملة المحذوفة جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿بَلَّ﴾: حرف إضراب. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَرْجُونَ شُورًا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ وجملة كان جملة إضرابية مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (١١).

﴿وَإِذَا﴾: الواو: استئنافية. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿رَأَوْكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل خفض بإضافة إذا إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أو. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿هُزُوًا﴾: مفعول ثانٍ لـ ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ مستأنفة.

فائدة: ويرد على هذا الجواب بأنه منفي بيان، والجواب المنفي يجب قرنه بالفاء؟ ويجاب بأن إذا اختصت من بين أدوات الشرط بأن جوابها المنفي لا يقترن بالفاء. اهـ، شيخنا، وفي «السمين»: واختصت إذا بأن جوابها إذا كان منفيًا بما، أو إن، أو لا يحتاج إلى الفاء، بخلاف غيرها من أدوات الشرط، اهـ.

﴿أَهَذَا﴾ : الهمزة : للاستفهام الإنكاري المضمن للتعجب . ﴿هَذَا﴾ : مبتدأ .
 ﴿الَّذِي﴾ : خبره . ﴿بَعَثَ اللَّهُ﴾ : فعل وفاعل صلة الموصول ، والعائد محذوف
 تقديره : بعثه الله . ﴿رَسُولًا﴾ : حال من الضمير المحذوف مؤكدة لعاملها ، والجملة
 الاسمية مقول لقول محذوف وقع حالاً من الواو في ﴿يَتَّخِذُونَكَ﴾ تقديره : إن
 يتخذونك إلا هزواً حال كونهم قائلين : أهذا الذي بعثه الله رسولاً .

﴿إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ
 يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا﴾ .

﴿إِنْ﴾ : مخففة من الثقيلة ، اسمها محذوف ؛ أي : إنه . ﴿كَادَ﴾ : فعل
 ماضٍ ناقص من أفعال المقاربة ، واسمها ضمير مستتر يعود على ﴿الرسول﴾ .
 ﴿لَيُضِلَّنَا﴾ : ﴿اللام﴾ : حرف ابتداء ، ﴿يُضِلَّنَا﴾ : فعل ومفعول ، وفاعل مستتر يعود
 على ﴿الرسول﴾ . ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ : جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿يُضِلَّنَا﴾ ،
 وجملة ﴿يُضِلَّنَا﴾ في محل نصب خبر ﴿كَادَ﴾ ، وجملة ﴿كَادَ﴾ في محل
 الرفع خبر ﴿إِنْ﴾ : المخففة ، وجملة ﴿إِنْ﴾ : المخففة في محل نصب ومن تنمة
 المقول للقول المحذوف . ﴿لَوْلَا﴾ : حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط .
 ﴿أَنَّ﴾ : حرف نصب ومصدر . ﴿صَبْرَنَا﴾ : فعل وفاعل في محل نصب بـ ﴿أَنَّ﴾ :
 المصدرية . ﴿عَلَيْهَا﴾ : متعلق بـ ﴿صَبْرَنَا﴾ ، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مرفوع
 على الابتداء ، والخبر محذوف وجوباً تقديره : لولا صبرنا عليها موجود . وجواب
 ﴿لَوْلَا﴾ : محذوف تقديره : لولا صبرنا موجود لصرفنا عنها ، وجملة ﴿لَوْلَا﴾ في
 محل نصب من تنمة المقول للقول المحذوف . ﴿وَسَوْفَ﴾ : الواو : استئنافية .
 ﴿سَوْفَ﴾ : حرف تنفيس واستقبال . ﴿يَعْلَمُونَ﴾ : فعل وفاعل ، والجملة مستأنفة
 مسوقة للرد عليهم من الله تعالى . ﴿حَيْثُ﴾ : ظرف زمان متعلق بـ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ .
 ﴿يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ : فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة في محل الجبر مضاف إليه .
 لـ ﴿حَيْثُ﴾ . ﴿مَنْ﴾ : اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ . ﴿أَضَلَّ﴾ : خبره .
 ﴿سَبِيلًا﴾ : تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل ، والجملة الاسمية في
 محل نصب سادة مسد مفعولي ﴿يَعْلَمُونَ﴾ التي علقت بالاستفهام عن العمل في
 لفظه .

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٤﴾.

﴿أَرَأَيْتَ﴾: الهمزة: للاستفهام الاستخباري، ﴿رَأَيْتَ﴾: فعل وفاعل بمعنى أخبرني. ﴿مَنِ﴾: اسم موصول في محل نصب مفعول أول لـ﴿رَأَيْتَ﴾. ﴿اتَّخَذَ﴾: فعل ماض ناسخ من أخوات ظن وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنِ﴾. ﴿إِلَٰهَهُ﴾: مفعول ثان لـ﴿اتَّخَذَ﴾: قدم على الأول اهتماماً به. ﴿هَوَاهُ﴾: مفعول به أول، وجملة ﴿اتَّخَذَ﴾ صلة ﴿مَنِ﴾ الموصولة. ﴿أَفَأَنْتَ﴾: الهمزة للاستفهام الإنكاري للتيئيس من إيمانهم، داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿أَنْتَ﴾: مبتدأ. ﴿تَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمها ضمير يعود على محمد. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بـ﴿وَكِيلًا﴾. ﴿وَكِيلًا﴾: خبر ﴿تَكُونُ﴾، وجملة تكون في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة المحذوفة تقديره: أنت تحرص على إيمانه فأنت تكون عليه وكيلاً، والجملة المحذوفة مع ما عطف عليها في محل نصب مفعول ثان لـ﴿رَأَيْتَ﴾. ﴿أَمْ﴾: منقطعة بمعنى بل الإضرابية وهمزة الاستفهام الإنكاري. ﴿تَحْسَبُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على محمد، وجملة ﴿تَحْسَبُ﴾: مستأنفة. ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿يَسْمَعُونَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾. ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾: معطوف على ﴿يَسْمَعُونَ﴾، وجملة ﴿أَنَّ﴾ في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿تَحْسَبُ﴾. ﴿إِنْ﴾: نافية ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿كَالْأَنْعَامِ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف وإضراب وابتداء. ﴿هُمْ أَضَلُّ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿سَبِيلًا﴾: تمييز محول عن المبتدأ منصوب باسم التفضيل، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ ﴿٤٥﴾.

﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام التقريري، ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وجزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر مجزوم بـ﴿لَمْ﴾. ﴿إِلَّا رَبِّكَ﴾: متعلق به،

ولكنه على حذف مضاف؛ أي: إلى صنع ربك. و﴿ترى﴾ هنا بصرية. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام في محل نصب على الحال من ﴿أَظِلَّ﴾. ﴿مَدَّ أَظِلَّ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة الفعلية سادة مسد مفعولي ﴿ترى﴾؛ لأنها معلقة عنها باسم الاستفهام؛ أي ألم تر إلى صنع ربك مد الظل في آية حال شاء، وجملة الرؤية مستأنفة مسوقة لبيان أدلة التوحيد ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حالية. ﴿لو﴾: حرف شرط. ﴿شَاءَ﴾: فعل ماض وفاعله مستتر، فعل شرط ل﴿لو﴾. ﴿لَجَعَلَهُ﴾: ﴿اللام﴾: رابطة الجواب، ﴿جعله﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿سَاكِنًا﴾: مفعول ثان، والجملة جواب ﴿لو﴾، وجملة ﴿لو﴾ في محل نصب على الحال من فاعل ﴿مَدَّ أَظِلَّ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف للتفاضل بين أوقات ظهور الظل، لا للتراخي الزمني؛ لأنه لا يصح هنا. ﴿جَعَلْنَا الشَّمْسَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿عَلَيْهِ﴾: حال من ﴿دَلِيلًا﴾. ﴿دَلِيلًا﴾: مفعول ثان، ل﴿جعل﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿مَدَّ﴾.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ (٤٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْيَلَّ لِيَّاسًا وَالتَّوَمَّ سُبَّانًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا وَنُشْفِيَهُ مِنَّا خَلْقًا نَافِلًا وَأَنَّا بَشِيرٌ كَثِيرٌ (٤٩).

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف للتفاضل بين الأمور الثلاثة، وهي: مد الظل وسكونه وقبضه، كأن الثاني أعظم من الأول، والثالث أعظم منهما. ﴿قَبَضْنَاهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿جَعَلْنَا﴾. ﴿إِلَيْنَا﴾: متعلق ب﴿قَبَضْنَاهُ﴾. ﴿قَبْضًا﴾: مفعول مطلق. ﴿يَسِيرًا﴾: صفة ﴿قَبْضًا﴾. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: استئنافية. ﴿هو﴾: مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾: خبره، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان دليل آخر من أدلة التوحيد. ﴿جَعَلَ﴾: فعل وفاعل مستتر صلة الموصول. ﴿لَكُمُ﴾: حال من ﴿يَّاسًا﴾. ﴿يَلَّ﴾: مفعول أول. ﴿يَّاسًا﴾: مفعول ثان. ﴿والتَّوَمَّ﴾: معطوف على ﴿يَلَّ﴾. ﴿سُبَّانًا﴾: مفعول ثان ل﴿جَعَلَ﴾. ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعولان، معطوف على ﴿جَعَلَ﴾ الأول. ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: مبتدأ وخبر معطوف على

جملة قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾. ﴿أَرْسَلَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر صلة الموصول. ﴿الرَّيْحَ﴾: مفعول به. ﴿بَشَّرَا﴾: حال من ﴿الرَّيْحَ﴾. ﴿بَيْنَ يَدَيَّ رَحْمَتِي﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَرْسَلَ﴾. ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَرْسَلَ﴾. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: متعلق بـ﴿أَنْزَلْنَا﴾. ﴿مَاءً﴾: مفعول به. ﴿طَهُورًا﴾: صفة ﴿مَاءً﴾. ﴿لِنُحْيِيَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿نُحْيِي﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر منصوب بأن مضمرة بعد لام كي. ﴿يَدِهِ﴾: متعلق به. ﴿بَلَدَةً﴾: مفعول به. ﴿مَيِّتًا﴾: صفة لـ﴿بَلَدَةً﴾ لأنه بمعنى مكانا، والجملة الفعلية صلة أن المضمرة، أن مع صلتها في تأويل مصدر مجرور باللام، الجار والمجرور متعلق بـ﴿أَنْزَلْنَا﴾؛ أي: أنزلنا من السماء ماء طهوراً لإحيائنا به بلدة ميتاً. ﴿وَشَقِيقُهُ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، معطوف على ﴿نُحْيِي﴾. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور حال من ﴿أَنْفَكَا وَأَنَابَيَ﴾. ﴿خَلَقْنَا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: خلقناه. ﴿أَنْفَكَا﴾: مفعول ثانٍ لـ﴿نَسْقِي﴾. ﴿وَأَنَابَيَ﴾: معطوف عليه. ﴿كَثِيرًا﴾: صفة لـ﴿أَنَابَيَ﴾؛ لأنه بمعنى بشراً كما مر.

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآيَ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٥٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ ﴿٥٦﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، واللام موطئة للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿صَرَفْنَاهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: متعلق بـ﴿صَرَفْنَا﴾، والجملة جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم مستأنفة. ﴿لِيَذْكُرُوا﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر وتعليل، ﴿يذكروا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام؛ أي: لتذكركم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿صَرَفْنَا﴾. ﴿فَآيَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أبَى أَكْثَرِ النَّاسِ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿صَرَفْنَا﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿كُفُورًا﴾: مفعول به. ﴿وَلَوْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لو﴾: حرف شرط. ﴿شِئْنَا﴾: فعل وفاعل فعل شرط لـ﴿لو﴾. ﴿لَبَعَثْنَا﴾: ﴿اللام﴾: رابطة لجواب ﴿لو﴾. ﴿بَعَثْنَا﴾: فعل وفاعل جواب ﴿لو﴾. ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾: جار ومجرور

ومضاف إليه متعلق بـ ﴿بِعَثْنَا﴾. ﴿نَذِيرًا﴾: مفعول به، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾.

﴿فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا يَلُحُّ أُلْجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزًا وَحِجْرًا تَحْجُورًا ﴿٥٧﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٨﴾.

﴿فَلَا تُطِيعِ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت أدلة التوحيد المذكورة، وبلغتها إليهم، فأبوا عليك، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لك: ﴿لا تطع﴾: ﴿لا﴾: ناهية جازمة، ﴿تطع﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به مجزوم بـ ﴿لا﴾ الناهية، والجملة في محل نصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿وَجَاهِدْهُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿تطع﴾. ﴿بِهِ﴾: متعلق بجاهد. ﴿جِهَادًا﴾: مفعول مطلق. ﴿كَبِيرًا﴾: صفة لـ ﴿جِهَادًا﴾. ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: مبتدأ وخبر، والجملة معطوفة على الجمل السابقة. ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به صلة الموصول. ﴿هَذَا عَذَبٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿فُرَاتٌ﴾: خبر ثان، والجملة في محل نصب مقول لقول محذوف وقع حالاً من ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾، تقديره: حالة كونهما مقولاً فيهما: هذا عذب فرات. ﴿وَهَذَا يَلُحُّ﴾: مبتدأ وخبر أول. ﴿أُلْجَاجٌ﴾: خبر ثان، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿هَذَا عَذَبٌ﴾. ﴿وَجَعَلَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر معطوف على ﴿مَرَجَ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾ على كونه مفعولاً ثانياً له. ﴿بَرْزًا﴾: مفعول أول لـ ﴿جَعَلَ﴾. ﴿وَحِجْرًا﴾: معطوف على ﴿بَرْزًا﴾. ﴿تَحْجُورًا﴾: صفة مؤكدة لـ ﴿حِجْرًا﴾. ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾: مبتدأ وخبر معطوف على الجمل السابقة. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر صلة الموصول. ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾: متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾. ﴿بَشَرًا﴾: مفعول به. ﴿فَجَعَلَهُ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿نَسَبًا﴾: مفعول ثان. ﴿وَصِهْرًا﴾: معطوف على ﴿نَسَبًا﴾، والجملة معطوفة على ﴿خَلَقَ﴾. ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة مستأنفة.

التصريف ومفردات اللغة

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾: أصل الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، وملاقاة الله عبارة عن القيامة، وعن المصير إليه تعالى بالبعث؛ أي: الرجوع إلى حيث لا حاكم ولا مالك سواه. وأصل اللقاء: مقابلة الشيء ومصادفته.

﴿لَقَدْ أَسْتَكْبَرُوا﴾: الاستكبار أن يشبع، فيظهر من نفسه ما ليس له. ذكره في «الروح».

﴿وَعَتَوْا عُنُوتًا﴾ وأصل العتو الغلو والنبو عن الطاعة. وأصل عتوا عتوا بواوين أولاهما مضمومة، فيقال: تحركت ﴿الواو﴾ وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، ثم حذفت الألف لبقاء دالها فصار عتوا، فالمحذوفة واو لام الكلمة، وأصل عتيا عتواً بوزن فعول بواوين الأولى ساكنة، فكسرت التاء، فيقال: سكنت ﴿الواو﴾ إثر كسرة فقلبت ياء فصار عتيو، ثم يقال: اجتمعت ﴿الواو﴾ والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت ﴿الواو﴾ ياء، وأدغمت الياء في الياء فصار عتيا. اهـ شيخنا. وأمّا أصل عتواً عتواً فكرهوا توالي المثليين، فأدغمت ﴿الواو﴾ في ﴿الواو﴾ فصار عتواً. والعتو هنا معناه: تجاوز الحد في الظلم تجاوزاً بلغ أقصى الغاية حيث كذبوا الرسول الذي جاء بالوحي، ولم يكثرثوا بالمعجزات التي أتاهم بها.

﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الحجر: مصدر حجره إذا منعه، والمحجور: الممنوع، وهو صفة ﴿حِجْرًا﴾ إرادة للتأكيد كيوم أيوم، وهي كلمة تقولها العرب عند لقاء عدو، أو هجوم نازلة هائلة يقصدون بها الاستعاذة من وقوع ذلك الخطب الذي يلحقهم، والمكروه الذي يلم بدارهم؛ أي: نسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً.

﴿وَقَدِمْنَا﴾ القدوم: عبارة عن مجيء المسافر بعد مدة كما مر.

﴿هَبَاءٌ﴾ والهباء: الغبار الذي يرى في شعاع الشمس، يطلع من الكوة من الهبوة؛ وهو الغبار، قال في «القاموس» و «تاج العروس» الهباء: الغبار ودقائق

التراب ساطعة ومنشورة على وجه الأرض، والقليلو العقول من الناس، وفعله هبا يهبو هبوا. وقال الزمخشري: والهباء: ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه الغبار، وفي أمثالهم: أقل من الهباء، قال: ولام الهباء واو بدليل الهبوة. والكوة - بفتح الكاف وضمها - الطاقة في الحائط.

﴿مَنْشُورًا﴾: صفته، بمعنى مفرقاً.

﴿مُسْتَقَرًّا﴾ المستقر: اسم مكان من استقر السداسي، والمستقر: المكان الذي يجلس فيه المرء في أكثر الأوقات للجلوس والمحادثة.

﴿مَقِيلًا﴾ المقييل: المكان الذي يؤوى إليه للاستمتاع بالأزواج والتمتع بحديثهن، سمي بذلك؛ لأن التمتع به يكون وقت القائلة غالباً، والمقييل أيضاً: موضع القيلولة، والقيلولة: الاستراحة نصف النهار في الحر، يقال: قلت قيلولة نمت نصف النهار، والمراد هنا المعنى الأول. وفي «السمين»: ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ في أفعل هنا قولان:

أحدهما: أنه على بابهِ من التفضيل، والمعنى: أن للمؤمنين في الآخرة مستقراً خيراً من مستقر الكفار وأحسن مقيلاً من مقييلهم، لو فرض أن يكون لهم ذلك، أو على أنهم خير في الآخرة منهم في الدنيا.

والثاني: أن يكون لمجرد الوصف من غير مفاضلة، اهـ.

﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَنَمِ﴾ أصله: تتشقق بتاءين، أولاهما تاء المضارعة والثانية تاء المطاوعة، فحذفوا إحدى التاءين كما في تلظى. والغمام هو السحاب، سمي به؛ لكونه ساتراً لضوء الشمس، والغم ستر الشيء؛ أي: بسبب طلوع الغمام منها؛ وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾.

﴿يَعَصُ الظَّالِمُ﴾ وفي «المصباح»: عضضت اللقمة، وبها، وعليها أمسكتها بالأسنان، وهو من باب تعب في الأكثر، لكن المصدر ساكن، ومن باب نفع لغة قليلة، وفي أفعال ابن القطاع: من باب ردّ، اهـ.

﴿يَوَلَّى﴾ ألفه عوض عن ياء المتكلم، أصله: يا ويلتي بكسر التاء وفتح الياء، ثم فتحت التاء فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فهذه الألف اسم لا حرف كما هو معلوم، ويسطت البحث عنها في رسالتي «هدية أولي الإنصاف في إعراب المنادى المضاف» فراجعها إن شئت. وفي «الروح»: والويل والويلة: الهلكة، ويا ويلتا: كلمة جزع وتحسر، وأصله: يا ويلتي بكسر التاء، فأبدلت الكسرة فتحة، وياء المتكلمة ألفاً فراراً من اجتماع الكسر مع الياء؛ أي: يا هلكتي تعالي واحضري فهذا أوان حضورك. والنداء وإن كان أصله لمن يتأتى منه الإقبال؛ وهم العقلاء، إلا أن العرب تتجوّز وتنادي ما لا يعقل إظهاراً للتحسر كما مرّ.

﴿خَذُلَا﴾ يقال: يخذله بوزن نصره ينصره، وهو في المعنى ضده، والمصدر الخذلان، وهو ترك النصر بعد الموالاة والمعاونة.

﴿مَهْجُورًا﴾؛ أي: متروكاً؛ أي: تركوه وصدّوا عن الإيمان به. وقيل: هو من هجر إذا هذى؛ أي: جعلوه مهجوراً فيه، فحذف الجار، وهو يحتمل بهذا المعنى وجهين:

أحدهما: أنهم زعموا أنه هذيان وباطل وأساطير الأولين.

وثانيهما: أنهم كانوا إذا سمعوه هجروا فيه، فهو إما من الهجر بالفتح؛ أي: ضد الوصل وإما من الهجر بالضم، وهو الهذيان وفحش القول، ثم المهجور إما اسم مفعول، وإما مصدر بمعنى الهجر، أطلق على القرآن على طريق التسمية بالمصدر كالمجلود والمعقول والميسور والمعسر بمعنى الجلد والعقل واليسر والإعسار.

﴿جُمْلَةً وَحِدَةً﴾؛ أي: دفعة واحدة. ﴿لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾؛ أي: لنقوي به قلبك. ﴿وَرَتَّلْنَاهُ﴾؛ أي: أتينا ببعضه إثر بعض على تودة ومهل لنيسر حفظه وفهمه، من قولهم: ثغر مرتل؛ أي: متفلج الأسنان.

﴿يَمْثِلُ﴾؛ أي: بنوع من الكلام، جار مجرى المثل في تنميقة وتحسينه،

ورشاقة لفظه وصدق معناه. ﴿تَقْسِيرًا﴾؛ أي: بياناً وإيضاحاً، والتفسير تفعليل من الفسر، وهو كشق ما غطي وإظهاره. ﴿وَزِيرًا﴾ وفي «القاموس»: الوزر - بالكسر - الثقل والحمل الثقيل، والوزير حياً الملك الذي يحمل ثقله، ويعينه برأيه، وحاله الوزارة بالكسر ويفتح. والجمع وزراء. والحبأ - محركة - جليس الملك وخاصته. وقال بعضهم: الوزير الذي يرجع إليه، ويتحصن برأيه، من الوزر - بالتحريك - وهو ما يلتجأ إليه ويعتصم به من الجبل، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝﴾؛ أي: لا ملجأ يوم القيامة. والوزر - بالكسر - الثقل تشبيهاً بوزر الجبل، ويعبر بذلك عن الإثم، كما يعبر عنه بالثقل لقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أُنْقَالَهُمْ وَأَتْقَالًا مَّعَ أُنْقَالِهِمْ﴾.

﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ التدمير: إدخال الهلاك على الشيء، والدمار الاستئصال بالهلاك، والدمور الدخول بالمكروه. ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ والإغراق والغرق الرسوب في الماء؛ أي: السفول فيه إلى قعره كما مر. ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي: هيأنا، أصله أعددنا، قلبت الدال الأولى تاء.

﴿وَأَصْحَابَ الرِّسِّ﴾ الرس: البئر، وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهو رس، كما قال في «الكشاف»: الرس: البئر الغير المطوية؛ أي: المبنية انتهى. وفي «القاموس»: «الرس: بئر كانت لبقية من ثمود، كذبوا نبينهم ورسوه في بئر» انتهى. أي: دسوه وأخفوه فيها، فنسبوا إلى فعلهم بنينهم، فالرس مصدر، وبنينهم هو حنظلة بن صفوان، كان قبل موسى على ما ذكره ابن كثير، وحين دسوه فيها غار ماؤها وعطشوا بعد ربيهم، ويبست أشجارهم وانقطعت ثمارهم، بعد أن كان ماؤها يرويههم ويكفي أرضهم جميعاً، وتبدلوا بعد الأنس الوحشة، وبعد الاجتماع الفرقة، لأنهم كانوا ممن يعبد الأصنام.

﴿وَكَلَّا تَبَرَّنَا﴾؛ أي: فتننا، من التبير، وهو التفتيت والتكسير والتقطيع. قال الزجاج: كل شيء كسرتة وفتنته فقد تبرته، ومنه التبر لفتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ، فإذا صيغا فهما ذهب وفضة.

﴿مَطَرُ السَّوَى﴾ مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في: أنبت الله نباتاً؛ أي: إمطار السوء. والسوء - بفتح السين وضمها - كل ما يسوء الإنسان ويغتمه من البلاء والآفة. وفي «القاموس»: «وساء سوءاً - بالفتح -: فعل به ما يكره، والسوء - بالضم - اسم منه» اهـ.

﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ شَوْراً﴾؛ أي: لا يتوقعون بعثاً للحساب والجزاء. وحقيقة الرجاء انتظار الخير، وظن حصول ما فيه مسرة، وليس النشور - أي: إحياء الميت - خيراً مؤدياً إلى المسرة في حق الكافر، فهو مجاز عن التوقع، والتوقع يستعمل في الخير والشر، فأمكن أن يتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ أي: لم تنظر ﴿إِلَّا زَيْلٌ﴾؛ أي: إلى صنعه ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾؛ أي: بسطه، أصل المد الجزء من المدة للوقت الممتد، والظل ما يحدث من مقابلة جسم كثيف كجبل، أو بناء، أو شجر للشمس من حين ابتداء طلوعها حتى غروبها. ﴿سَاكِناً﴾؛ أي: ثابتاً على حاله في الطول والامتداد بحيث لا يزول ولا تذهب الشمس. ﴿دَلِيلًا﴾؛ أي: علامة. ﴿قَبَضْنَهُ﴾؛ أي: محونا. ﴿يَسِيراً﴾؛ أي: على مهل قليلاً قليلاً بحسب سير الشمس في فلکها. ﴿لِيَأْسَا﴾ وأصل اللبس ستر الشيء؛ أي: ساتراً لكم بظلامه.

﴿وَالنَّوْمَ﴾ النوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد كما مر بسطه. ﴿سُبَاتًا﴾ والسبات: الموت لما في النوم من زوال الإحساس، وفي «المصباح»: والسبات - وزان غراب -: النوم الثقيل، وأصله الراحة، يقال منه: سبت يسبت من باب قتل، اهـ. وفي «القاموس»: أنه من بابي قتل وضرب، ثم قال: والسبات النوم، أو خفيفه، أو ابتداءه في الرأس حتى يبلغ القلب، اهـ. وسبت الرأس إذا حلقه، والسبت مصدر ويوم من أيام الأسبوع بين الجمعة والأحد، وجمعه أسبت وسبوت، والسبت أيضاً النّوَام، والفرس الجواد، والرجل الداهية.

﴿شَوْراً﴾؛ أي: ذا نشور؛ أي: انتشار، ينتشر الناس فيه للمعاش، اهـ.

«ببضائوي» والنشور: مصدر من باب قعد كما في «المصباح و «المختار».

﴿أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾؛ أي: المبشرات؛ وهي الصبا والجنوب والشمال، بخلاف الدبور؛ فإنها ربح العذاب التي أهلكت بها عاد، اهـ شيخنا. يقال: أرسلت الطائر، وأرسلت الكلب المعلم. وفي «الفردات»: قد يكون الإرسال للتسخير كإرسال الربح، والربح معروفة، وهي فيما قيل الهواء المتحرك. وفي «المصباح»: والربح أربع:

الأولى: الشمال وتأتي من ناحية الشام.

والثانية: الجنوب تقابلها وهي الربح اليمانية.

والثالثة: الصبا وتأتي من مطلع الشمس، وهي القبول أيضاً.

والرابعة: الدبور وتأتي من ناحية المغرب. والربح مؤنثة على الأكثر، فيقال: هي الربح، وقد تذكر على معنى الهواء، فيقال: هو الربح وهب الربح، نقله أبو زيد. وقال ابن الأنباري: «الربح مؤنثة لا علامة فيها، وكذلك سائر أسمائها إلا الإعصار فإنه مذكر.

﴿طَهُورًا﴾ الطهور له استعمالان في العربية: صفة واسم غير صفة، فالصفة قولك: ماء طهور كقولك: طاهر. والاسم قولك لما يتطهر به: طهور كالوضوء لما يتوضأ به، والوقود لما توقد به النار، كقولك: وضوءاً حسناً؛ ذكره سيويه.

﴿وَشَقِيئًا﴾ وسقى وأسقى لغتان بمعنى. قال الإمام الراغب: السقي والسقيا أن تعطيه ماء ليشربه، والإسقاء أن تعجل له ذلك حتى يتناوله كيف يشاء، والإسقاء أبلغ من السقي؛ لأن الإسقاء هو أن تجعل له ماء يستقي منه ويشرب، كقوله: أسقيته نهراً. فالمعنى: مكناهم من أن يشربوه ويسقوا منه أنعامهم.

﴿أَنْعَمًا﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل. وقال في «المغرب»: الأنعام: الأزواج الثمانية في قوله تعالى: ﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذِكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا

أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيْنِ نَتَوْنِي بِعِلْمِي إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٢﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ
وَمِنَ الْفَرِّ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالْكَافِرِينَ حَرَّمَ أَمْ أَلْأُنْثَيْنِ أَمْ أَلْأُنْثَيْنِ أَمْ
كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ
النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٣﴾.

﴿وَأَنَاسِي﴾: جمع إنسان عند سيبويه على أن أصله: أناسين، أبدلت النون ياءً وأدغمت فيها الياء التي قبلها. وقال الفراء والمبرد والزجاج: إنه جمع إنسي. وفيه نظر؛ لأن فعالتي إنما يكون جمعاً لما فيه ياء مشددة لا تدل على نسب نحو كراسي في جمع كرسي، فلو أريد بكرسي النسب لم يجز جمعه على كراسي، ويبعد أن يقال: إن الياء في إنسي ليست للنسب، وكان حقه أن يجمع على أناسية نحو مهالية في جمع المهلي، كذا في «حواشي ابن الشيخ». وقال الراغب: الإنسي منسوب إلى الأنس، يقال ذلك لمن كثر أنسه، ولكل ما يؤنس به، وجمع الإنسي أناسي. وقال في الكرسي: «إنه في الأصل منسوب إلى الكرسي؛ أي: التلبذ، ومنه الكراسية للمتلبذ من الأوراق»، انتهى.

قوله: ﴿كَثِيرًا﴾: صفة «أناسي»؛ لأنه بمعنى بشر كما سبق. ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ أصله: ليتذكروا، والتذكّر التفكير. ﴿فَأَنبِئْ﴾ الإنباء: شدة الامتناع، ورجل أبي ممتنع من تحمل الضيم. ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعاً كما في «المفردات»، والمعنى؛ أي: إلا كفرناً للنعمة، وإنكاراً لها. ﴿بَعَثْنَا﴾ قال الراغب: البعث: إثارة الشيء وتوجيهه.

﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ القرية: اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس. ﴿نَذِيرًا﴾؛ أي: منذراً، والإنذار: إخبار فيه تخويف. ﴿وَجَاهِدُهُمْ﴾ والجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو. ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ من مرج الدابة خلاها وأرسلها ترعى، ومرج أمرهم اختلط. والبحر: الماء الكثير الذي لا قعر له، عذباً كان أو ملحاً عند الأكثر. وأصله: المكان الواسع الجامع للماء الكثير كما في «المفردات». وفي «المصباح»: المرج: أرض ذات نبات ومرعى، والجمع

مروج، مثل فلس وفلوس، ومرجت الدابة مرجاً - من باب قتل - رعت في المرج، ومرّجتها مرجاً أرسلتها ترعى في المرج.

﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ عذب؛ أي: طيب حلو من عذب الماء - من باب ظرف - إذا حلا، ولم يكن ذا ملوحة. فرات؛ أي: شديد العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة. والتاء فيه أصلية لام الكلمة، ووزنه فعال كغراب، وبعض العرب يقف عليها هاء، ويقال: سمي الماء العذب فراتاً؛ لأنه يفرت العطش؛ أي: يشقه ويقطعه. وفي «المصباح»: الفرات: الماء العذب، يقال: فرت الماء فروته - وزان سهل سهولة - إذا عذب ولا يجمع إلا نادراً على فرتان كغربان. والفرات أيضاً: نهر عظيم بالكوفة، عذب طيب، مخرجه من أرمينية. وفي «الملوكوت»: أصله في قرية من جابلقا ينحدر إلى الكوفة، وآخر مصبّه بعضاً في دجلة، وبعضاً في بحر فارس، اه من الروح.

﴿مِلْحٌ﴾ قال الراغب: الملح الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد، ويقال: ملح إذا تغير طعمه وإن لم يتجمد، فيقال: ماء ملح، وقلما تقول العرب: ماء مالح.

﴿أَجَاغٌ﴾: بليغ الملوحة، صفة الملح. وقيل: البالغ في الحرارة. وقيل: البالغ في المرارة. وفي الأساس: وماء أجاج يحرق بملوحته. وفي «القاموس»: أج الماء يؤجّ صار أجاجاً؛ أي: ملحاً مرّاً.

قالوا: إن الله تعالى خلق ماء البحر مرّاً زعاقاً؛ أي: مرّاً غليظاً بحيث لا يطاق شربه، وأنزل من السماء ماء عذباً، فكل ماء عذب من بئر أو نهر أو عين فمن ذلك المنزل من السماء، وإذا اقتربت الساعة بعث الله ملكاً معه طست لا يعلم عظمه إلا الله تعالى، جمع تلك المياه، فردّها إلى الجنة.

واختلفوا في سبب ملوحة ماء البحر: فزعم قوم أنه لما طال مكثه وأحرقته الشمس صار مرّاً ملحاً، واجتذب الهواء ما لطف من أجزائه فهو بقية صفته الأرض من الرطوبة، فغلظ لذلك. وزعم آخرون أن في البحر عروقاً تغير ماء

البحر، ولذلك صار مرأً زعاقاً، اه من «روح البيان».

﴿بَرْزَخًا﴾؛ أي: حاجزاً خلفياً لا يحس، بل بمحض قدرة الله تعالى يمنع من اختلاط أحدهما بالآخر. ﴿وَحِجْرًا تَحْجُورًا﴾: تقدم تفسيرهما.

﴿نَسَبًا﴾ قال الإمام الراغب: النسب اشتراك من جهة الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول كالاشتراك بين الآباء والأبناء. ونسب بالعرض كالنسبة بين الإخوة وبني العم. وقيل: فلان نسيب فلان؛ أي: قريبه، انتهى.

﴿وَصِهْرًا﴾ الصهر - بالكسر - القرابة كما في «القاموس» والختن. وجمعه: أصهار. وفي «المصباح»: الصهر جمعه أصهار. قال الخليل: الصهر أهل بيت المرأة. وقال: ومن العرب من يجعل الأحماء والأختان جميعاً أصهاراً. وقال الأزهري: الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم وذوات المحارم، كالأبوين والإخوة وأولادهم والأعمام والأخوال والخالات، فهؤلاء أصهار زوج المرأة، ومن كان من قبل الزوج من ذوي قرابته المحارم فهم أصهار المرأة أيضاً. وقال ابن السكيت: كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمه فهم الأحماء، ومن كان من قبل المرأة فهم الأختان، ويجمع الصنفين الأصهار. وصاهرت إليهم، ولهم، وفيهم إذا تزوجت منهم.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبدیع:

فمنها: التحضيض في قوله: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ﴾؛ أي: هلاً أنزل علينا.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَعَتَوْا عَتَوًا﴾، وقوله: ﴿حِجْرًا تَحْجُورًا﴾.

ومنها: المبالغة بنفي الجنس في قوله: ﴿لَا بُشْرَ لِيَوْمٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ ومعناه: لا يبشر يومئذ المجرمون، وإنما عدل عنه للمبالغة.

ومنها: وضع الظاهر موضع المضمَر في قوله: ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾؛ لأن مقتضى السياق أن يقال لهم تسجيلاً عليهم بالإجرام مع ما هم عليه من الكفر.

ومنها: تكرير ﴿يَوْمٍ﴾؛ لتأكيد ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾؛ لأن الإجرام في الأصل قطع الثمرة من الشجرة، ثم استعير لاكتساب كل مكروه.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿جَبَرًا مَّخْجُورًا﴾؛ لأنه وصف الحجر بالمحجور؛ لقصد التأكيد كيوم أيوم.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿٣٣﴾ مثل سبحانه وتعالى حالهم وحال أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا من صلة رحم، وإغاثة ملهوف مثلاً بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه، فقصد إلى ما تحت أيديهم من الدور والعقار ونحوهما، فمزقها وأبطلها - اهـ «روح» بالكلية، ولم يبق لها أثر.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾؛ أي: كالغبار المنثور في الجو، شبه أعمالهم المحبطة بالغبار في الحقارة وعدم الجدوى، ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه، فحذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، فصار بليغاً.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ كنى بالمستقر عن أحاديث العشايا والبكر التي يتبادلونها، وهي أحاديث كانت في الدنيا تدور بين المترفين وأصحاب النعيم واليسار، وكنى بالمقيل وهو وقت استراحة نصف النهار عن قضائهم وقت الاستجمام، والاستراحة مع أزواجهم.

ومنها: الكناية اللطيفة في قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ فإنه كناية عن الندم والحسرة، كما أن لفظة فلان كناية عن الخليل الذي أضله.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَنَزَّلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا﴾.

ومنها: تقديم المعمول على عامله في قوله: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ لرعاية الفاصلة.

ومنها: تنزيل غير العاقل منزلة العاقل وندائه إظهاراً للتحسر والندامة.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَرَوَّلْنَاهُ تَرْيَلًا﴾.

ومنها: الإسناد المجازي في قوله: ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ لأنَّ الضلال لا ينسب إلى المكان، ولكن إلى أهله.

ومنها: قوة اللفظ لقوة المعنى في قوله: ﴿وَرَوَّلْنَاهُ تَرْيَلًا﴾؛ لأن: لفظة رتل على وزن فعل الدال على التكثير نظير قتل، ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة، وإنما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التآني والتدبر، وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثي لها حتى تنقل عنه إلى رباعي، وإنما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة الحسنة المخصوصة من القراءة، كذا في إعراب القرآن.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ شبه السؤال بالمثل بجامع البطلان في كل؛ لأن أكثر الأمثال أمور متخيلة.

ومنها: المجاز بالحذف في قوله: ﴿فَقُلْنَا أَذْهَبًا﴾ إلى قوله: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾؛ لأن تقدير الكلام: فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا، فذهب إليهم فكذبوهم، فدمرناهم تدميراً، وفيه أيضاً جناس الاشتقاق أعني في قوله: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْظَّالِمِينَ﴾. للتسجيل بظلمهم، والإيذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب.

ومنها: التجوز بالرجاء عن التوقع في قوله: ﴿لَا يَرْجُونَ سُورًا﴾؛ لأن حقيقة الرجاء انتظار الخير وما فيه سرور، والكفار ليس لهم خير في نشورهم فينتظرونه.

ومنها: الاستفهام للتهكم والاستهزاء والاستحقار، في قوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي

بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿١﴾.

ومنها: الاستفهام التعجيزي في قوله: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾، وفيه أيضاً تقديم المفعول الثاني على الأول اعتناءً بالأمر المتعجب منه، والأصل: اتخذ هواه إلهاً له.

ومنها: التمثيل في قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وهو أن يذكر الشيء ليكون مثالاً للمعنى المراد وإن كان معناه ولفظه غير المعنى المراد ولفظه، كأنهم لثبوتهم على الضلالة بمنزلة الأنعام والبهائم، بل أضل سبيلاً؛ لأن البهائم تنقاد لمن يتعهداها، وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها، أما هؤلاء فقد أسفوا إلى أبعد من هذا الدرك.

ومنها: التشبيه البليغ في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْيَتْلَ لِبَاسًا﴾ أي: كاللباس الذي يغطي البدن ويستره، حذف منه الأداة ووجه الشبه، فأصبح بليغاً.

ومنها: المقابلة اللطيفة بين الليل والنهار، والنوم والانتشار، في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْيَتْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ استعار اليدين لما يكون أمام الشيء وقدامه، كما تقول: بين يدي الموضوع أو السورة.

ومنها: الالتفات من الغيبة إلى التكلم للتعظيم في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ بعد قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾.

ومنها: المقابلة اللطيفة في قوله: ﴿هَذَا عَذَبٌ فَرَأَتْ وَهَذَا يَلُحُّ أَجَاجٌ﴾؛ أي: نهاية في الحلاوة، ونهاية في الملوحة.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أستعير فيها لفظة المشبه به، وهو البعد والتراخي للمشبه، وهو تفاضل الأمور.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ فقد شبه بهما المائين الكثيرين الواسعين.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٥٦ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَيَّ رِيبَهُ سَبِيلًا ٥٧ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بُدْءُ عِبَادِهِ خَيْرًا ٥٨ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْتَلِ بِهِ خَيْرًا ٥٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ٦٠ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ٦١ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ أَيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ٦٢ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ٦٧ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ٧١ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ٧٢ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ٧٣ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا ٧٤ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَنَاجِبَ وَسَلَامًا ٧٥ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٧٦ قُلْ مَا يَعْبُودُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ٧٧﴾

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما بسط^(١) أدلة التوحيد،

(١) المراغي.

وأرشد إلى ما في الكون من باهر الآيات وعظيم المشاهدات التي تدل على بديع قدرته وجليل حكمته.. أعاد الكرة مرة أخرى، وبيّن شناعة أقوالهم وقبيح أفعالهم؛ إذ هم مع كل ما يشاهدون لا يراعون عن غيهم، بل هم عن ذكر ربهم معرضون، فلا يعظمون إلا الأحجار والأوثان، وما لا نفع فيه إن عبد، وما لا ضرر فيه إن ترك، إلى أنهم يظاهرون أولياء الشيطان، ويناوئون أولياء الرحمن، وإن تعجب لشيء فاعجب لأمرهم، فقد بلغ من جهلهم أنهم يضارون من جاء لنفعهم؛ وهو الرسول الذي يشرهم بالخير العميم إذا هم أطاعوا ربهم، وينذرهم بالويل والثبور إذا هم عصوه، ثم هو على ذلك لا يبتغي أجراً، ثم أمر رسوله بأن لا يرهب وعيدهم، ولا يخشى بأسهم، بل يتوكل على ربه ويسبح بحمده، ويسبحه عما لا يليق به من صفات النقص كالشريك والولد، وهو الخبير بأفعال عباده، فيجازيهم بما يستحقون.

قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما^(١) وصف الكافرين بالإعراض عن عبادته، والنفور من طاعته، والسجود له سبحانه.. ذكر هنا أوصاف خلّص عباده المؤمنين، وبيّن ما لهم من فاضل الصفات وكامل الأخلاق التي لأجلها استحقوا جزيل الثواب من ربهم، وأكرم لأجلها مثواهم، وقد عدّ من ذلك تسع صفات مما تشرّب إليها أعناق العاملين، وتتطلع إليها نفوس الصالحين الذين يبتغون المثوبة، ونيل النعيم كفاء ما اتصفوا من كريم الخلال، وأتوا به من جليل الأعمال.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ...﴾ الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه الشيخان عن ابن مسعود قال^(٢): سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن

(٢) لباب القول.

(١) المراغي.

تجعل الله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾ الآية.

وأخرج الشيخان وغيرهما أيضاً عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أنا لما عملنا كفارة، فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، ونزل: ﴿قُلْ يَكْفِ يَدَيَّ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ...﴾ الآية، ولا مانع أن تكون الآية نزلت للسببين معاً، والله أعلم.

وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ...﴾ الآية، قال مشركوا مكة: قد قتلنا النفس بغير حق، ودعونا مع الله إلهاً آخر، وأتينا الفواحش، فنزلت: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ...﴾ الآية.

وأخرج البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال: أمرني عبد الرحمن بن أبزي قال: سئل ابن عباس عن هاتين الآيتين ما أمرهما؟ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ فسألت ابن عباس، فقال: لما أنزلت التي في الفرقان قال مشركوا أهل مكة: فقد قتلنا النفس التي حرم الله، ودعونا مع الله إلهاً آخر، وقد أتينا الفواحش، فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾، وأما التي في «النساء»: أن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائعه، ثم قتل فجزاؤه جهنم خالداً فيها، فذكرته لمجاهد، فقال: إلا من ندم.

التفسير وأوجه القراءة

ولما ذكر سبحانه وتعالى دلائل التوحيد عاد إلى ذكر قبائح الكفار وفضائح سيرتهم، فقال: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾؛ أي: ويعبد هؤلاء المشركون حالة كونهم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سبحانه؛ أي: متجاوزين عبادة الله تعالى: ﴿مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ في الدنيا، ولا

في الآخرة إن عبده، مفعول ﴿يَعْبُدُونَ﴾^(١). والنفع^(٢): ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير، والنفع الخير، وضده الضر ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾^(٣) فيهما إن لم يعبدوه، وما ليس من شأنه النفع والضر أصلاً وهو الأصنام وما في حكمها من المخلوقات؛ إذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر فلا فائدة في عبادته، والاعتماد عليه واتباعه.

والمعنى: أي^(٢) ويعبد هؤلاء المشركون من دون الله آلهة لا تنفعهم إذا هم عبدوها، ولا تضرهم إن تركوا عبادتها، فهم عبدوها لمجرد التشهي والهوى، وتركوا عبادة من أنعم عليهم بهذه النعم التي لا كفاء لأدناها، ومن ذلك ما ذكره قبل بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾ إلى آخر الآيات.

ثم ذكر لهم جرماً آخر، فقال: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾ بشركه وعدوانه للحق ﴿عَلَىٰ رَبِّهِ﴾ الذي رباه بنعمته، متعلق بقوله: ﴿ظَهَرَ﴾؛ أي: عوناً للشيطان، فالظهير بمعنى المظاهر؛ أي: المعين، والمظاهرة على الرب هي المظاهرة على رسوله أو على دينه، قال الزجاج: لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله تعالى؛ لأن عبادتهم للأصنام معاونة للشيطان. والمراد^(٣) بالكافر الجنس، أو أبو جهل، فإنه أعان الشيطان على الرحمن في إظهار المعاصي، والإصرار على عداوة الرسول، وتشجيع الناس على محاربته ونحوها. وقال أبو عبيدة: المعنى: وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً.

والمعنى: أي وكانوا مظاهرين للشيطان على معصية الرحمن، وذلك دأبهم وديندهم، فهم يعاونون المشركين، ويكونون أولياء لهم على رسوله، وعلى المؤمنين بمساعدتهم على الفجور وارتكاب الآثام، وخذلان المؤمنين إذا أرادوا منعها والتنفّر منها كما قال: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي ظَُلْمٍ﴾.

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) المراعي.

وقد يكون المعنى: وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً، لا قدر له ولا وزن له عنده، كما مر عن أبي عبيدة من قول العرب: ظهرت به؛ أي: جعلته خلف ظهره، ولم تلتفت إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَاهُ وَرَأَىٰ كُفْرًا ظَهْرًا﴾ وقول الفرزدق:

تَمِيمٌ أَبْنُ قَيْسٍ لَا تَكُونَنَّ حَاجَتِي بِظَهْرٍ فَلَا يَغِيَا عَلَيَّ جَوَابُهَا
قال ابن عباس: نزلت الآية في أبي الحكم بن هشام الذي سماه رسول الله ﷺ أبا جهل بن هشام.

ثم بين عظم حمقهم ونفورهم ممن جاء لجلب الخير لهم، ودفع الأذى عنهم فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد في حال من الأحوال ﴿إِلَّا﴾ حال كونك ﴿بَشِيرًا﴾ للمؤمنين بالجنة والرحمة. والتبشير: إخبار فيه سرور ﴿ونذيراً﴾ أي: منذراً ومخوفاً للكافرين بالنار والغضب. والإنذار: إخبار فيه تخويف.

والمعنى: أي كيف تطلبون العون على الله ورسوله، والله قد أرسل رسوله لنفعمكم؛ إذ قد بعثه ليبشركم على فعل الطاعات، وينذركم على فعل المعاصي، فتستحقوا الثواب، وتبتعدوا عن العقاب.

وخلاصة ذلك: لا جهل أعظم من جهل من استفرغ جهده في إيذاء من يرجو نفعه في دينه ودنياه، وفي هذا تسلية لرسوله حتى لا يحزن على عدم إيمانهم.

ثم أمر رسوله أن يبين لهم أنه مع كونه يريد نفعهم لا يبغى لنفسه نفعاً، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ﴾ أيها المشركون ﴿عَلَيْهِ﴾؛ أي: على تبليغ الرسالة التي ينشأ عنها الإرسال، أو على التبشير والإنذار، أو على القرآن، أقوال ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وجعل من جهتك، فتقولوا: إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه، فلا نتبعه، والأجر ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو آخروياً ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ﴾؛ أي: إلا فعل من يريد ﴿أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْنَا سَبِيلًا﴾؛ أي: أن يجعل لنفسه سبيلاً موصلاً إلى ربه؛ أي: يريد أن يتقرب إلى ربه ويطلب الزلفى عنده

بالإيمان والطاعة والإنفاق حسبما أدعوكم إليه، يعني^(١): إن أعطيتكم لي أجراً فأعطوني ذلك الفعل، فإني لا أسأل غيره.

والظاهر: أن الاستثناء منقطع، والمعنى عليه: لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي، لكن من شاء إنفاقه لوجه الله تعالى فليفعل، فإني لا أمنعه عنه. وقيل: هو متصل، والمعنى عليه: إلا من شاء أن يتقرب إليه سبحانه بالطاعة، وصور ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود الحصول.

وفي «الفتوحات المكية»: مذهبنا أن للواعظ أخذ الأجرة على وعظ الناس، وهو من أحل ما يأكل، وإن كان ترك ذلك أفضل. وإيضاح ذلك أن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الإجارة، فإن ما من نبي دعا إلى الله إلا قال: إن أجرى إلا على الله، فأثبت الأجر على الدعاء، ولكن اختار أن يأخذه من الله، لا من المخلوق انتهى.

وأفتى المتأخرون بصحة الأجرة للأذان والإقامة، والتذكير والتدريس والحج والغزو، وتعليم القرآن والفقه وقراءتهما؛ لفتور الرغبات اليوم، ولو كانت الإجارة على أمر واجب، كما إذا كان المعلم والإمام والمفتي واحداً، فإنها لا تصح إجماعاً كما في الكرمانى وغيره. وكذا إذا كان الغسال في القرية واحداً، فإنه يتعين عليه غسل الميت، ولا يجوز له طلب الأجرة.

والمعنى: أي^(٢) قل يا محمد لمن أرسلت إليهم: لا أسألكم على ما جئت به من عند ربي أجراً، فتقولوا إنما يدعونا ليأخذ أموالنا، ومن ثم لا نتبعه حتى لا يكون له في أموالنا مطمع ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْنَا سَبِيلًا﴾؛ أي: لكن من شاء منكم أن يتقرب إلى الله بالإنفاق في الجهاد وغيره، ويتخذ ذلك سبيلاً إلى رحمته ونيل ثوابه فليفعل.

وخلاصة ذلك: لا أسألكم عليه أجراً لنفسي، وأسألكم أن تطلبوا الأجر لأنفسكم باتخاذ السبيل إلى ربكم لنيل ثوابه ومغفرته.

(٢) المراغي.

(١) روح البيان.

ولما بين سبحانه أن الكفار متظاهرون على رسول الله، وأمره أن لا يطلب منهم أجراً البتة أمره أن يتوكل عليه في دفع المضار وجلب المنافع، فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ﴾؛ أي: واعتمد يا محمد في الاستكفاء عن شرورهم، والإغناء عن أجورهم ﴿عَلَى﴾ الإله ﴿الْحَيِّ﴾؛ أي: المتصف بالحياة الدائمة أزلاً وأبداً ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾؛ أي: لا يطرأ عليه الموت الذي هو ضد الحياة، فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين من شأنهم الموت، فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم.

وأصل التوكل^(١): أن يعلم العبد بأن الحادثات كلها صادرة من الله تعالى، ولا يقدر أحد على الإيجاد غيره تعالى، فيفوض أمره إلى الله تعالى فيما يحتاج إليه، وهذا القدر فرض، وهو من شرط الإيمان، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا﴾ إن كنتم مؤمنين. وما زاد على هذا القدر من سكون القلب وزوال الانزعاج والاضطراب فهي أحوال تلحق بالتوكل على وجه الكمال. كذا في «التأويلات النجمية».

والحاصل: أن معنى التوكل اعتماد العبد على الله في كل الأمور، والأسباب وسائط أمرنا باتباعها من غير اعتماد عليها، ومثل الآية قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

﴿وَسَبِّحْ﴾؛ أي: نزهه تعالى عن صفات النقصان، وعن كل ما يرد على الوهم والخيال حال كونك متلبساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾ تعالى؛ أي: مثنياً عليه بنعوت الكمال طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابقه، وفي الحديث: «من قال كل يوم: سبحان الله وبحمده مئة مرة غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»، وهما الكلمتان الخفيفتان على اللسان، الثقيلتان في الميزان. وقيل: معنى ﴿سَبِّحْ﴾ صلّ، والصلاة تسمى تسييحاً.

والمعنى: أي وتوكل على ربك الدائم الباقي رب كل شيء ومليكه، واجعله

(١) روح البيان.

ملجأك وذخرك، وفوض إليه أمرك، واستسلم له، واصبر على ما نابك فيه، فإنه كافيك وناصرك ومبلغك ما تريد، ونزّهه عما يقوله هؤلاء المشركون من الصاحبة والولد، فهو الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، كما تنزهه عن الأنداد والشركاء من الأصنام والأوثان، فهو لا كفء له ولا ند، ولم يكن له كفواً أحد.

وفي قوله: ﴿الْحَيَّ﴾ إيماء إلى أنه لا ينبغي أن يتوكل على من لم يتصف بالحياة من صنم أو وثن، ولا على من لا بقاء له ممن يموت؛ لأنه إذا مات ضاع من توكل عليه، وحكي عن بعض السلف أنه قرأ هذه الآية فقال: لا ينبغي لذي لب أن يثق بعدها بمخلوق.

ثم أنذرهم وحذّرهم بأن ربهم محص أعمالهم عليهم، ومجازيهم عليها يوم القيامة، فقال: ﴿وَكَفَىٰ بِهِ﴾ سبحانه. الباء زائدة للتأكيد؛ أي: حسبك الحي الذي لا يموت، وقوله: ﴿بِثُوبٍ عِبَادِهِ﴾ ما ظهر منها وما بطن متعلق بقوله: ﴿خَيْرًا﴾؛ أي: مطلعاً عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها، فيجزئهم جزاء وافيّاً، أراد أنه ليس إليه من أمور عباده شيء آمنوا أم كفروا، وأنه خبير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم.

والمعنى: أي وحسبك بالحي الذي لا يموت حالة كونه خبيراً بذنوب خلقه ما ظهر منها وما بطن، فهو لا يخفى عليه شيء منها، وهو محصياها عليهم، ومجازيهم عليها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فلا عليك إن آمنوا أو كفروا، وفي هذا تسليّة لرسوله ﷺ ووعيد لأولئك الكافرين على سوء أفعالهم وإعراضهم عن اتباع رسوله ومناصبته العداء، وكأنه قيل: إذا أقدمتم على مخالفة أمره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة، وفي «الأخبار»: كفى بك ظفراً أن يكون عدوك عاصياً. وهي كلمة يراد بها المبالغة، تقول: كفى بالعلم جمالاً، وكفى بالأدب مالاً؛ أي: هو حسبك لا تحتاج معه إلى غيره؛ لأنه خبير بأحوالهم، قادر على مكافأتهم.

ولما أمره بالتوكل والتسبيح، وذكر صفة الحياة الدائمة.. ذكر ما دل على القدرة التامة؛ وهو إيجاد هذا العالم، فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ محل

الموصول الجر على أنه صفة ثانية لـ ﴿الْحَيِّ﴾، ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقة بأن يتوكل عليه من حيث إنه الخالق للكل والمتصرف فيه، وتحريض على الثبات والثاني في الأمر، فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره في كل مراد خلق الأشياء على تودة وتدرج. ذكره «البيضاوي»؛ أي: وتوكل على الحي الذي أوجد السموات والأرض على غير مثال سابق ﴿وَمَا يَنْهَمَا﴾؛ أي: وأوجد ما بينهما من الأركان والمواليد. وقال: ﴿يَنْهَمَا﴾، ولم يقل: بينهما؛ لأنه أراد النوعين كما قال القطامي:

أَلَمْ يُخْزِنِكَ أَنَّ جِبَالَ قَيْنِسٍ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَتَا أَنْقِطَاعًا
﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾؛ أي^(١): في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا؛ لأنه لم يكن ثمة شمس ولا قمر، فخلق الأرض في يومي الأحد والاثنين، وما بينهما في يومي الثلاثاء والأربعاء، والسموات في يومي الخميس والجمعة، وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة، وذلك مع قدرته على خلقهن في أسرع لمحة؛ ليعلم العباد أن الثاني مستحب في الأمور.

فائدة: وأيام الأسبوع سبعة، وأسمائها الجارية على الألسنة تسمية إسلامية، وقد كان لها أسماء عند العرب؛ وهي الأحد: الأوْهَلُ، والاثنين: أوْهَنُ، والثلاثاء: جَبَّارُ، والأربعاء: دَبَّارُ، والخميس: مُؤَنَسُ، والجمعة: عَرُوبَةُ، والسبت: شَيَارُ.

﴿ثُمَّ﴾ بعد فراغه من خلق السموات والأرض وما بينهما ﴿أَسْتَوَى﴾ وارتفع سبحانه استواء يليق به، نشبه ونعتقه، لا نكيّفه ولا نمثله ﴿عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الذي هو أعظم المخلوقات. فإن قيل^(٢): يلزم من نظم القرآن أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات والأرض كما تفيدُهُ ﴿ثُمَّ﴾؟ يقال: إن كلمة ﴿ثُمَّ﴾ لم تدخل على خلق العرش، بل على استوائه سبحانه على العرش. والأولى أن يقال: إن ﴿ثُمَّ﴾ هنا لا تفيد الترتيب الزمني.

(٢) الشوكاني بتصرف.

(١) المراح.

﴿الرَّحْمَنُ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو الرحمن؛ أي: الذي خلق الأجرام العلوية والسفلية وما بينهما هو الرحمن، وهو تمهيد لما يأتي من قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾، وبيان أن المراد من الاستواء المذكور في الحقيقة تعيين مرتبة الرحمانية، فالوقف^(١) على العرش تام إن أعرب الرحمن على المدح خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو الرحمن الذي لا ينبغي السجود إلا له، وهو في الحقيقة صفة الثالثة لـ ﴿الْحَيَّ﴾، كما قرأ زيد بن علي بالجهر؛ لأن المنصوب، والمرفوع على سبيل المدح وإن خرجا عن التبعية لما قبلهما لفظاً، فهما تابعان له معنى، ولا يوقف على العرش إن أعرب ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بدلاً من الضمير المستكن في ﴿أَسْتَوَى﴾، فحينئذ فالوقف على ﴿الرَّحْمَنُ﴾؛ وهو وقف كاف. وفي «البيضاوي»: ﴿الرَّحْمَنُ﴾: خبر للذي خلق السموات إن جعلته مبتدأ، أو خبر لمحذوف إن جعلت الموصول صفة لـ ﴿الْحَيَّ﴾، أو بدل من المستكن في ﴿أَسْتَوَى﴾ انتهى. وفي «تنوير المقياس»: قوله: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾: فيه تقديم وتأخير؛ أي: ثم استوى الرحمن على العرش اهـ. قرأ زيد بن علي ﴿الرحمن﴾ بالجهر، والجمهور بالرفع.

﴿فَسَخَّلَ بِهِ﴾: متعلق بما بعده، وهو ﴿خَيْرًا﴾ كما في قوله: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ونظائره، والباء على معناه، والضمير في ﴿بِهِ﴾ يعود إلى ما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش؛ أي: فاسأل يا محمد خبيراً بما ذكر من الخلق والاستواء. والمراد بالخبير الله سبحانه؛ لأنه لا يعلم تفاصيل تلك المخلوقات إلا هو، كما قال: ﴿وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ وقيل: الباء بمعنى عن، متعلقة بالسؤال. والضمير أيضاً يعود إلى ما ذكر من الخلق والاستواء. أي^(٢): فاسأل يا محمد عما ذكر من الخلق والاستواء خبيراً يخبرك بحقيقته، وهو الله تعالى، أو جبريل، أو من وجده في الكتب المتقدمة؛ ليصدقك فيه.

وقيل: الضمير في ﴿بِهِ﴾ للرحمن، والباء بمعنى عن؛ أي: إن أنكر هؤلاء

(١) المراح.

(٢) البيضاوي.

المشركون إطلاق الرحمن على الله فاسأل عنه؛ أي: عن إطلاقه على الله خبيراً من أهل الكتاب يخبرك؛ ليعرفوا؛ أي المشركون، مجيء ما يرادفه في كتبهم؛ أي: أهل الكتاب، وعلى هذا يجوز أن يكون ﴿الرَّحْمَنُ﴾: مبتدأ، والخبر ما بعده، والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء؛ لتضمنه معنى الاعتناء.

قال ابن جرير: يجوز أن تكون الباء في ﴿يَهْ﴾ زائدة، والضمير للرحمن، و﴿خَيْرًا﴾ حال من الضمير؛ أي: فاسأل الرحمن عما ذكر من الخلق والاستواء حال كونه خبيراً بما ذكر. وقال الشوكاني: وأقرب هذه الوجوه الأول. وفي الصاوي: قوله: ﴿فَسْأَلْ يَهْ خَيْرًا﴾ ﴿يَهْ﴾: متعلق ب﴿خَيْرًا﴾، قدم^(١) لرعاية الفاصلة، والمعنى: اسأل يا محمد خبيراً بصفاته تعالى، وليس خبيراً بصفاته إلا هو سبحانه وتعالى. ويصح أن يكون الجار والمجرور متعلقاً ب﴿اسأل﴾، والباء بمعنى عن، والمعنى: اسأل عنه خبيراً؛ أي: عالماً بصفاته يطلعك على ما خفي عليك، والخبر حينئذ يختلف باختلاف السائل، فإن كان السائل النبي ﷺ فالخبر هو الله تعالى، وإن كان السائل أصحابه فالخبر هو النبي ﷺ، وإن كان السائل التابعين فالخبر هو الصحابة، وإن كان السائل العوام فالخبر هو العلماء، والمعنى: فاسأل يا محمد، أو فاسأل أيها الإنسان.

وخلاصة ذلك^(٢): توكلوا على من لا يموت؛ وهو رب كل شيء، وخالقه وخالق السموات السبع على ارتفاعها واتساعها، وما فيها من عوالم لا يعلم كنهها إلا هو، وخالق الأرضين السبع على ذلك الوضع البديع في ستة أيام، ثم استوى على العرش، يدبر الأمر ويقضي الحق ﴿فَسْأَلْ يَهْ خَيْرًا﴾؛ أي: فاسأل عن خلق ما ذكر خبيراً به يخبرك بحقيقته، وهو الله سبحانه؛ لأنه لا يعلم تفاصيل تلك المخلوقات إلا هو، فالأيام التي تم فيها الخلق إنما هي أطوار ستة، سار عليها طوراً بعد طور، وحالاً بعد حال، كما يرشد إلى ذلك قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ يَوْمًا

(١) الصاوي.

(٢) المراغي.

عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿١﴾ .

وفي «الفتوحات المكية»^(١) : لما كان الحق تعالى هو السلطان الأعظم ، ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه ، حتى يقصد بالحاجات مع أنه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة أن يخلق عرشاً ، ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه ، كل ذلك رحمة للعباد ، وتنزلاً لعقولهم ، ولولا ذلك لبقى العبد حائراً ، لا يدري أين يتوجه بقلبه ، وقد خلق الله تعالى القلب ذا جهة فلا يقبل إلا ما كان له جهة ، وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش ، وإحاطة بالجهات كلها بقوله : ﴿فَأَتَيْنَا تَوَلُّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ ويقول عليه السلام : «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا» ، ويقول : «إن الله في قبلة أحدكم» .

وحاصله : أن الله تعالى خلق الأمور كلها للمراتب ، لا للأعيان انتهى .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ ؛ أي : لهؤلاء المشركين ؛ أي : إذا قال لهم محمد ﷺ ﴿اسْجُدُوا﴾ ؛ أي : صلوا ، وعبر عن الصلاة بالسجدة ؛ لأنها من أعظم أركانها ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ الذي برحمته أوجد الموجودات ﴿قَالُوا﴾ ؛ أي : قال المشركون لمحمد ﷺ : ﴿وما الرحمن﴾ ؛ أي : أي شيء هو ، أو من هو ؟ ؛ لأن وضع ﴿ما﴾ أعم ، وهو سؤال عن المسمى بهذا الاسم ؛ لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله ، ولا يعرفون كونه تعالى مسمى بهذا الاسم ، وإن كان مذكوراً في الكتب المتقدمة أنه من أسمائه تعالى ، أو لأنهم كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى بهذا الاسم ، إلا أنهم يزعمون أنه قد يراد به غيره تعالى ؛ وهو مسيلمة الكذاب باليمامة ، فإنه يقال له : رحمان اليمامة ، وكان المشركون يكذبونه ، ولذلك غلطوا بذلك وقالوا : إن محمداً يأمرنا بعبادة رحمان اليمامة .

أي : وما نعرف الرحمان إلا مسيلمة الكذاب ؛ أي : فإنهم اعترفوا بالله لكنهم جهلوا أن هذا الاسم من أسماء الله تعالى ؛ أي : وإذا قيل لهؤلاء الذين

(١) روح البيان .

(٢) روح البيان .

يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم: اجعلوا خضوعكم وتعظيمكم للرحمن خالصاً دون الآلهة والأوثان.. قالوا على طريق التجاهل: وما الرحمن؟ أي: نحن لا نعرف الرحمن فنسجد له، ونحو هذا قول فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ حين قال له موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وهو قد كان عليماً به كما يؤذن بذلك قول موسى له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾.

ثم عجبوا أن يأمرهم بذلك، وأنكروه عليه بقوله: ﴿أَنسَجُدْ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾؛ أي: أنسجد للذي تأمرنا بالسجود له من غير أن نعرف أن المسجود له ماذا هو، وهو استفهام إنكاري؛ أي: لا نسجد للرحمن الذي تأمرنا بسجودنا له. وقرأ^(١) ابن مسعود والأسود بن يزيد وحمزة والكسائي «يأمرنا» بالياء من تحت؛ أي: يأمرنا محمد بالسجود له، وقرأ باقي السبعة بالتاء، خطاباً للرسول ﷺ.

ثم بين أنه كلما أمرهم بعبادته ازدادوا عناداً واستكباراً، فقال: ﴿وَزَادَهُمْ﴾؛ أي: وزاد أولئك المشركين هذا الأمر بالسجود للرحمن ﴿تَفُورًا﴾ وبعداً مما دعوا إليه من الإيمان، وقد كان من حقه أن يكون باعثاً لهم على القبول ثم الفعل. روى الضحاك أن أصحاب رسول الله ﷺ سجدوا، فلما رآهم المشركون يسجدون تباعدوا في ناحية المسجد مستهزئين.

فمن^(٢) جهل وجود الرحمن أو علم وجوده، وفعل فعلاً، أو قال قولاً لا يصدر إلا من كافر فكافر بالاتفاق، كما في «فتح الرحمن»، وذلك كما إذا سجد للصنم، أو ألقى المصحف في المزابل، أو تكلم بالكفر يكفر بلا خلاف لكونه علامة التكذيب.

فصل

وهذه السجدة من عزائم السجادات، فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

سماعها وقراءتها، وهي سنة عقب التلاوة فوراً، وإذا أخرت عن وقت القراءة تكون قضاء.

واختلفوا في سجود الشكر عند تجدد النعمة أو اندفاع النقمة، فقال: أبو حنيفة ومالك: يكره، فيقتصر على الحمد والشكر باللسان. وقال الشافعي وأحمد: يسن، وحكمه عندهما كسجود التلاوة، لكنه لا يفعل في الصلاة. كذا في «فتح الرحمن». قال الشافعي: فيكبر مستقبل القبلة، ويسجد فيحمد الله تعالى ويشكره ويسبح، ثم يكبر فيرفع رأسه، أما السجود بغير سبب فليس بقربة ولا مكروه؛ وأما ما يفعل عقب الصلاة فمكروه؛ لأن الجهال يعتقدونها سنة أو واجبة، وكل مباح يؤدي إليه فمكروه، انتهى.

قال السرخسي^(١): السجود لغير الله تعالى على وجه التعظيم كفر، وما يفعلونه من تقبيل الأرض بين يدي العلماء فحرام. وذكر الصدر الشهيد: لا يكفر بهذا السجود؛ لأنه يريد به التحية، انتهى. لكنه يلزم عليه أن لا يفعل ذلك؛ لأنه شريعة منسوخة، وهي شريعة يعقوب عليه السلام، فإن السجود في ذلك الزمان كان يجري مجرى التحية كالتكريمة بالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الناشئة في التعظيم والتوقير، ويدل عليه قوله تعالى في حق إخوة يوسف وأبيه: ﴿وَحَرُّوا لِمُوسَىٰ سُبُحًا﴾، وأما الانحناء للسلطان أو لغيره فمكروه؛ لأنه يشبه فعل اليهود، كما أن تقبيل يد نفسه بعد المصافحة فعل المجوس.

ثم ذكر سبحانه ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود للرحمن، فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾؛ أي: تكاثر خير الإله الفياض. قال في «برهان القرآن»: خص هذا الموضع بذكر ﴿تَبَارَكَ﴾ لأنه من عظام الأمور، حيث ذكر البروج والسيارات والشمس والقمر والليل والنهار، ولولاها ما وجد في الأرض حيوان ولا نبات ﴿جَعَلَ﴾ بقدرة الكاملة ﴿فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾؛ أي: منازل وطرقاً تسير فيها الكواكب السبعة السيارة المنظومة في قول بعضهم:

(١) روح البيان.

زُحَلْ شَرَى مَرِيخَهُ مِنْ شَمْسِهِ فَتَزَاهَرَتْ لِعُطَارِدِ الْأَقْمَارِ
وتلك البروج اثنا عشر برجاً منظومة في قول بعضهم:

حَمَلَ الثُّورُ جَوْزَةَ السَّرَطَانِ وَرَعَى أَلَيْثُ سُنْبُلَ الْمِيزَانِ
وَرَمَى عَقْرَبُ بِقُوسٍ لَجْدِي نَزَحَ الدَّلُوبُ رُكَّةَ الْحِيتَانِ
وسميت هذه المنازل بالبروج، وهي القصور العالية؛ لأنها للكواكب السيارة
كالمنازل الرفيعة لسكانها، واشتقاقها من التبرج؛ وهو الظهور وهذه البروج لكل
واحد منه منزلتان وثلاث منزلة من منازل القمر - وهي ثمانية وعشرون نجماً -
مجموعة في قول بعضهم:

أَوَّلَهَا الشَّرْطَيْنِ ثُمَّ الْبُطَيْنِ ثُمَّ الثُّرَيَّا الْوَاضِحُ الْمُسْتَبِينِ
وَذَبْرَانِ هَقْعَةٌ وَهَنْعَةٌ ذِرَاعُ نَثْرَةٍ وَطَرْفُ جَبْهَةٍ
وَالْخَرْتَانِ زُبْرَةٌ تُسَمَّى وَالصَّرْفَةُ الْعَوَا السَّمَاءُ ثَمَا
عَفْرُ زُبَانَا إِنْجِلِيلُ قَلْبُ بَغْدَةٍ وَشَوْلَةُ نَعَايِمُ وَبَلْدَةٌ
سَعْدٌ دَابِخُ سَعْدُ بَلْعَةٍ سَعْدُ سُعُودٍ سَعْدُ الْأَخْبِيَةِ
وَالْفَرْعُ ذُو التَّقْدِيمِ وَالْفَرْعُ الْأَخِيرُ وَبَطْنُ حُوتٍ وَالرُّشَا فِيهِ شَهِيرُ
وتستمر الشمس في كل منزلة من هذه المنازل ثلاثة عشر يوماً إلا الجبهة،
فتكون عنده أربعة عشر يوماً، كما هو مقرر في علم الميقات.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾؛ أي^(١): في تلك البروج، لا في السماء؛ لأن البروج أقرب
مذكور، فعود الضمير إليها أولى ﴿سِرْجًا﴾؛ أي: شمساً، ومثله قوله تعالى:
﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرْجًا﴾.

وقرأ الجمهور^(٢): ﴿سِرْجًا﴾ بالإنفراد؛ وهو الشمس. وقرأ عبد الله وعلقمة
والأعمش وحمزة والكسائي ﴿سُرْجًا﴾ - بضمتين بالجمع -: أي: النجوم العظام
الوقادة. ورجح القراءة الأولى أبو عبيد. قال الزجاج في تأويل قراءة حمزة

(٢) البحر المحيط.

(١) روح البيان.

والكسائي: أراد الشمس والكوكب. وقرأ الأعمش أيضاً والنخعي وابن وثاب كذلك بسكون الراء للتخفيف. وأصل السراج المصباح المضيء بفتيلة شبهت الشمس به في الإنارة والإشراق، كما سيأتي في مبحث المفردات.

﴿وَقَمَرًا﴾؛ أي: وجعل فيها كوكباً يسمى قمراً، وهو الهلال بعد ثلاث ليال سمي قمراً لبياضه كما في «المختار»، أو لابيضاض الأرض به، والأقمر: الأبيض كما في «كشف الأسرار». وقرأ الحسن والأعمش والنخعي وعصمة عن عاصم ﴿وَقَمَرًا﴾ - بضم القاف وسكون الميم - وهي قراءة ضعيفة شاذة، فالظاهر أنه لغة في القمر، كالرشد والرشد، والعرب والعرب ﴿مُنِيرًا﴾؛ أي: مضيئاً بالليل. قال في «نفائس المجالس»: في الآية دلالة على كمال قدرته تعالى، فإن هذه الأجرام العظام والنيرات من آثار قدرته سبحانه. ومعنى الآية؛ أي^(١): تقدس ربنا الذي جعل في السماء نجومًا كباراً، عدّها المتقدمون نحو ألف، وعدّها علماء العصر الحاضر بعد كشف آلات الرصد الحديث - التلسكوبات - أكثر من مئتي ألف ألف، ولا يزال البحث يكشف كل حين منها جديداً. وجعل فيها شمساً متوقدة وقمرًا مضيئاً.

ثم ذكر آية أخرى من آيات قدرته، وفيها الدليل على وحدانيته تعالى، فقال: ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه الإله ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ بحكمته التامة ﴿الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خَلْفَةً﴾ الخلفة^(٢): مصدر للنوع، فلا يصلح أن يكون مفعولاً ثانياً لـ ﴿جَعَلَ﴾، ولا حالاً من مفعوله، فلا بد من تقدير المضاف، ويستعمل بمعنى كان خليفته، أو بمعنى جاء بعده:

فالمعنى على الأول: جعلهما ذوي خلفه يخلف كل واحد منهما عن الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه، فمن فرط في عمل أحدهما قضاء الآخر، فيكون توسعة على العباد في نوافل العبادات والطاعات، ويؤيد هذا المعنى قول النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد فاتته قراءة القرآن: «يا أبن الخطاب لقد أنزل تعالى فيك آية قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

(٢) روح البیان.

(١) المراغي.

خَلْفَةً... ﴿الآية، ما فاتك من النوافل بالليل فاقضه في نهارك، وما فاتك في النهار فاقضه بالليل﴾.

والمعنى على الثاني: وهو الذي جعلهما ذوي اعتقاب يجيء الليل ويذهب النهار، ويجيء النهار ويذهب الليل، ولم يجعل نهاراً لا ليل له، وليلاً لا نهار له؛ ليعلم الناس عدد السنين والحساب، وليكون للانتشار في المعاش وقت معلوم، وللإستقرار والاستراحة وقت معلوم. وقيل: يتعاقبان في الضياء والظلام، والزيادة والنقصان، ففي الآية تذكير لنعمته، وتنبية على كمال حكمته وقدرته.

﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾؛ أي^(١): أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه، فيعلم أن لا بد له من صانع حكيم واجب بالذات، رحيم على العباد، فالمراد بـ﴿من﴾ هو الكافر. ثم أشار إلى المؤمن بقوله: ﴿أَوْ أَرَادَ شُكْرًا﴾ - بضم الشين - مصدر بمعنى الشكر؛ أي: أراد أن يشكر الله بطاعته على ما فيهما من النعم، فتكون ﴿أو﴾ على حالها، فتكون للتقسيم والتنويع، وهي مانعة خلو، فتجوز الجمع، اهـ شيخنا. ويجوز أن تكون بمعنى ﴿الواو﴾، فالمعنى: جعلناهما خلفه ليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين، من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخر، ووجه التعبير بـ (أو) التنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه مطلوباً من الجعل المذكور، ولو عطف بالواو؛ لتوهم أن المطلوب مجموع الأمرين. وقرأ النخعي وابن وثاب وزيد بن علي وطلحة وحمزة: ﴿يَذْكُرَ﴾ - خفيفة الذال، مضمومة الكاف - مضارع ذكر الثلاثي، وهو في معنى يتذكر.

واعلم: أن الشكر ثلاثة أضرب: شكر بالقلب وهو تصور النعمة، وشكر باللسان وهو الثناء على النعمة، وشكر سائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها.

والمعنى: أي وهو الذي جعل الليل والنهار متعاقبين، يخلف أحدهما الآخر، فيكون في ذلك عظة لمن أراد أن يتعظ باختلافهما، ويتذكر آلاء الله

(١) روح البيان.

فيهما، ويتفكر في صنعه، أو أراد أن يشكر نعمة ربه ليحني ثمار كل منهما؛ إذ لو جعل أحدهما دائماً لفاتت فوائد الآخر، ولحصلت السآمة والملل، وفتر العزم الذي يثبته دخول وقت الآخر إلى نحو أولئك من الحكم التي أحكمها العلي الكبير، وفي الحديث الصحيح: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»، وعن الحسن: من فاته عمل من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب، ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب. روي أن عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحى، فقيل له: صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه؟ فقال: إنه بقي عليّ من وردي شيء فأحببت أن أتمه، أو قال: أفضيه، وتلا هذه الآية ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...﴾ الخ.

ثم وصف الله سبحانه عباده المخلصين بصفات تسع:

الأولى: ما ذكره بقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ هذا كلام مستأنف مسوق لبيان صالحى عباد الله سبحانه، دون عباد الدنيا والشيطان والنفس والهوى، فإنهم وإن كانوا عباداً بالإيجاد، لكنهم ليسوا بأهل لإضافة التشريف والتفضيل من حيث عدم اتصافهم بالصفات الآتية التي هي آثار رحمته تعالى الخاصة المفاضة على خواص العباد، والمعنى: وعباد الرحمن المقبولون؛ وهو مبتدأ، خبره قوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَوُونَ﴾؛ أي: هم الذين يمشون ﴿عَلَى الْأَرْضِ﴾ التي هي غاية في الطمأنينة والسكون والتحمل، حال كونهم ﴿هَوَاتًا﴾؛ أي: هيتين لينى الجانب من غير فظاظة، أو يمشون مشياً هيناً على أنه مصدر وصف به، والمعنى: أنهم يمشون بسكينة وتواضع، لا بفخر وفرح ورياء وتجبر، ولا يضربون بأقدامهم الأرض، ولا يخفقون بنعالهم، وذلك لما طالعوا من عظمة الحق وهيبته، وشاهدوا من كبريائه وجلاله، فخشعت لذلك أرواحهم، وخضعت نفوسهم وأبدانهم.

والمعنى: أي^(١) وعباد الله الذين حق لهم الجزاء والمثوبة من ربهم هم الذين يمشون في سكينة ووقار، لا يضربون بأقدامهم، ولا يخفقون بنعالهم أشراً

(١) المراعى.

وبطراً. روي أن عمر رأى غلاماً يتبختر في مشيته، فقال: إن البختر مشية تكره
إلا في سبيل الله، وقد مدح الله أقواماً، فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ فاقصد في مشيتك. وقال ابن عباس: هم المؤمنون الذين يمشون
علماء حلماء ذوي وقار وعفة. وفي الحديث: إن النبي ﷺ قال: «أيها الناس
عليكم بالسكينة، فإن البر ليس في الإيضاع». السير السريع. وفي صفته ﷺ: (أنه
إذا زال.. زال تقلعاً، ويخطو تكفوفاً، ويمشي هوناً ذريع المشية، إذا مشى كأنما
ينحط من صلب).

التقلع رفع الرجل بقوة، والتكفو الميل إلى سنن القصد، والهون الرفق
والوقار، والذريع الواسع الخطا؛ أي: أنه كان يرفع رجله بسرعة في مشيه، ويمد
خطوه خلاف مشية المختال، وكل ذلك برفق وثبت دون عجلة، ومن ثم قيل:
كأنما ينحط من صلب، قاله القاضي عياض في «الشفاء». وكان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يسرع في مشيه جبلة لا تكلفاً.

وخلاصة هذا: أنهم لا يتكبرون، ولا يتجبرون، ولا يريدون علواً في
الأرض ولا فساداً.

وثاني الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾؛ أي: وإذا كلمهم
السفهاء مواجهة بالكلام القبيح ﴿فَالْوَأ﴾ في جوابهم قولاً ﴿سَلَمًا﴾؛ أي: سداداً
يسلمون فيه من الأذى والإثم، فسلاماً صفة لمصدر محذوف، وعليه أكثر
المفسرين، ذكر سبحانه أنهم يتحملون ما يرد عليهم من أذى أهل الجهل والسفه،
فلا يجهلون مع من يجهل، ولا يسافهون أهل السفه، أو منصوب بفعل مضمر
كما في «المفردات». أي: نطلب منكم سلامة، أو إنا سلمنا من إثمكم، وأنتم
سلمتم من شرنا كما في «إحياء العلوم». والمعنى؛ أي: وإذا سفه عليهم السفهاء
بالقول السيئ لم يقابلوهم بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيراً،
وكان رسول الله ﷺ لا تزيد شدة الجاهل عليه إلا حلماء. وعن الحسن البصري:
هم حلماء لا يجهلون، وإن جهل عليهم حلموا ولم يسفهوا، هذا نهارهم فكيف
ليلهم؟ خير ليل، صفوا أقدامهم، وأجروا دموعهم، يطلبون إلى الله جل ثناؤه

فكاف رقابهم. قال النحاس: ليس هذا السلام من التسليم، إنما هو من التسلم، تقول العرب: سلاماً؛ أي: تسلماً منك؛ أي: براءة منك. ولما ذكر تعالى ما بينهم وبين الخلق.. ذكر ما بينهم وبينه.

وثالث الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَسْتَوُونَ﴾ عطف على الموصول الأول ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ لا لحظ أنفسهم، وهو متعلق بما بعده، والتقديم للتخصيص مع مراعاة الفاصلة ﴿سُجَّدًا﴾ جمع ساجد؛ أي: ساجدين على وجوههم. وقرأ أبو البرهشيم: ﴿سجوداً﴾ على وزن قعود ﴿وَقِيَمًا﴾ جمع^(١) قائم مثل نيام ونائم، أو مصدر أجري مجراه؛ أي: قائمين على أقدامهم. وتقديم السجود على القيام مع أنه مؤخر طبعاً لرعاية الفواصل، وليعلم أن القيام في الصلاة مقدّم مع أن السجدة أحق بالتقديم لما ورد: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»، والكفرة يستكبرون عنها، حتى قال بعضهم: لا أفعلها لأنني لا أحب أن تعلق رأسي أستي. والمعنى: والذين يكونون في الليل ساجدين لربهم على وجوههم، وقائمين على أقدامهم طلباً لرضاه سبحانه؛ أي: يحيون الليل كلاً أو بعضاً بالصلاة، كما قال في حق المتقين: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (٧).

وتخصيص البيوتة؛ لأن العبادة بالليل أشق وأبعد من الرياء، وهو بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم، ووصف ليلهم بعد وصف نهارهم. قال ابن عباس: من صلى بعد العشاء الأخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجداً وقائماً. وروى مسلم عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة».

فإن قلت: ما معنى هذا الحديث، فإنه يرفع مؤنة قيام الليل؟

قلت: هذا الحديث ترغيب في الجماعة، وبيان للرخصة وتأثير النية، فإن من نوى وقت العشاء أن يقيم الفجر بجماعة كان كمن انتظرها في المسجد، فرب همة عالية تسبق الأقدام، ولكن العمل مع النية أفضل من النية المجردة، والعزيمة

(١) روح البيان.

ومن حرم قيام الليل كسلاً وفتوراً في العزيمة، أو تهاوناً بقلّة الاعتداد بذلك، أو اغتراراً بحاله.. فليبك عليه، فقد قطع عليه طريق كثير من الخير، والذي يخل بقيام الليل كثرة الاهتمام بأمور الدنيا، وكثرة أشغال الدنيا، وإتاع الجوارح، والامتلاء من الطعام، وكثرة الحديث واللهو واللغظ، وإهمال القيلولة، والموفق من يغتنم وقته، ويعرف داءه ودواءه، ولا يهمل فيهمل، واعلم أن الأصل في كل عمل هو تحقيق النية وتصحيح الإخلاص، وجهنا الله وإياكم إلى وجهه.

ورابع الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في أعقاب صلواتهم وأدبارها، أو في عامة أوقاتهم ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ﴾ واررد ﴿عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ وشديد آلامها ﴿إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾؛ أي: شراً دائماً، وهلاكاً لازماً غير مفارق لمن عذب به من الكفار، والعذاب الإيجاع الشديد. قال محمد بن كعب القرظي: إن الله سبحانه سأل الكفار شكر نعمته فلم يؤدوها إليه فأغرقهم، فأدخلهم النار، وقال: كل غريم مفارق غريمه إلا جهنم؛ أي: والذين يدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم وشديد آلامها.

وقوله: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾^(١) تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في أنفسها إثر تعليله بسوء حال عذابها، فهو من تمام كلامهم، ويجوز أن يكون من كلامه تعالى. وانتصاب^(١) ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ على الحال، أو التمييز، قيل: هما مترادفان، وإنما عطف أحدهما لاختلاف لفظيهما. وقيل: بل هما مختلفان معنى، فالمستقر للعصاة، فإنهم يخرجون، والمقام للكفار، فإنهم يخلدون فيها. وساءت من أفعال الذم بمعنى: بثست. والضمير^(٢) فيها لا يعود إلى اسم ﴿إِنَّ﴾ وهو جهنم، ولا إلى شيء آخر بعينه، بل هو ضمير مبهم يفسره ما بعده من التمييز، وهو ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾، وذلك لأن فاعل أفعال الذم يجب أن

(٢) روح البيان.

(١) الشوكاني.

يكون معرفاً باللام، أو مضافاً إلى المعرف، أو مضمراً مميزاً بنكرة منصوبة، والمعنى: إن جهنم بثست هي من جهة كونها موضع قرار وإقامة لهم، والمخصوص بالذم هي.

وقرأ الجمهور^(١): ﴿مَقَامًا﴾ بضم الميم، وقرأت فرقة بفتحها وفي «السمين»: يجوز أن يكون ﴿سَاءَتْ﴾ بمعنى: أحزنت، فتكون متصرفة ناصبة للمفعول، وهو هنا محذوف؛ أي: أنها؛ أي: جهنم أحزنت أصحابها وداخلها حالة كونها مستقرّاً ومقاماً لهم، أو من جهة كونها مستقرّاً ومقاماً لهم. وفي الآية إيذان بأنهم مع حسن معاملتهم من الخلق، واجتهادهم في عبادة الخالق وحده لا شريك له يخافون عذابه، ويبتهلون إليه في صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم كما قال في شأنهم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

يعني يجتهدون غاية الجهد، ويستفرغون نهاية الوسع، ثم عند السؤال ينزلون منزلة العصاة، ويقفون موقف أهل الاعتذار، ويخاطبون بلسان التذلل كما قيل:

وَمَا رُمْتُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ حَلَلْتُ مَجَلَّةَ الْعَبْدِ الدَّلِيلِ
وذلك لعدم اعتدادهم بأعمالهم، ووثوقهم على استمرار أحوالهم. قال^(٢) ابن نجيد: لا يضاف لأحد قدم في العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء، وأحواله كلها دعاوى. وقال النهر جوري: من علامة من تولاه الله أن يشهد التقصير في إخلاصه، والغفلة في أذكاره، والنقصان في صدقه، والفتور في مجاهدته، وقلة المراعاة في فقره، فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية، ويزداد فقراً إلى الله تعالى في فقره ويسره حتى يفنى عن كل ما دونه. ودلت الآية على مشروعية الدعاء مطلقاً، خصوصاً في أعقاب الصلوات، وهو مخ العباداة، فليدع المصلي منفرداً، وفي الجماعة، إماماً كان أو مأموماً.

وخامس الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا﴾ أموالهم على أنفسهم

(٢) روح البيان.

(١) البحر المحيط.

وعلى أهاليهم، أو في جميع مصارف الخير ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾؛ أي: لم يجاوزوا الحد المشروع في ذلك الإنفاق ﴿وَلَمْ يَقْتَرُوا﴾؛ أي: ولم يضيّقوا تضيق الشحيح. وقرأ^(١) الحسن وطلحة والأعمش وحمزة والكسائي وعاصم: ﴿ولم يقتروا﴾ بفتح الياء وضم التاء، وقرأ مجاهد وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء وكسر التاء، وقرأ نافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء مشددة، وكلها لغات في التضيق، وأنكر أبو حاتم لغة ﴿أقتر﴾ رباعياً هنا، وقال: أقتر إذا افتقر، ومنه ﴿وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرٌ﴾، وغاب عنه ما حكاه الأصمعي وغيره من أقتر بمعنى ضيق.

﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم^(٢) المدلول عليه بقوله: أنفقوا كائناً ﴿يَبْتَكَ ذَلِكَ﴾؛ أي: بين ما ذكر من الإسراف والتقتير، وهو خبر ﴿كان﴾ كما قدرنا، وقوله: ﴿قَوَامًا﴾ خبر بعد خبر، أو هو الخبر، و﴿بين ذلك﴾ ظرف لغو لـ ﴿كان﴾ على رأي من يرى إعمالها في الظرف؛ أي: وسطاً عدلاً، سمي به لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لا ترجح لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه لكونه وسطاً بينهما كمرکز الدائرة، فإنه يكون نسبة جميع الدائرة إليه على السواء. وقرأ^(٣) حسان بن عبد الرحمن: ﴿قواماً﴾ بكسر القاف، وقرأ الباقر بفتحها، فقليل: هما بمعنى، وقيل: القوام بالكسر ما يدوم عليه الشيء ويستقر، وبالفتح العدل والاستقامة، قاله ثعلب، وقيل: بالفتح العدل بين الشئتين، وبالكسر ما يقام به الشيء، لا يفضل عنه ولا ينقص، وقيل: بالكسر السداد والمبلغ.

والمعنى: أي^(٤) والذين هم ليسوا بالمبذرين في إنفاقهم، فلا ينفقون فوق الحاجة، ولا يبخلاء على أنفسهم وأهليهم، فيقصرّون فيما يجب نحوهم، بل ينفقون عدلاً وسطاً، وخير الأمور أوسطها. وقد قيل:

وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَأَقْتَصِدْ كِلَا طَرَفَيْ قَضِ الْأُمُورِ دَوِيمُ
وقد قيل:

(٣) الشوكاني.

(١) البحر المحيط.

(٤) المراغي.

(٢) روح البيان.

إِذَا الْمَرْءُ أُعْطِيَ نَفْسَهُ كُلَّ مَا أَشْتَهَتْ وَلَمْ يَنْتَهَها تَأَقَّتْ إِلَى كُلِّ بَاطِلٍ
وَسَاقَتْ إِلَيْهِ الْإِثْمَ وَالْعَارَ بِالَّذِي دَعَّاهُ إِلَيْهِ مِنْ حَلَاوَةِ عَاجِلٍ
قال يزيد بن أبي حبيب: أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاماً
للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثياباً للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد
عنهم الجوع، ويقويهم على عبادة ربهم، ومن اللباس ما يستر عوراتهم، ويقيهم
من الحرّ والبرد. وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته
فاطمة: ما نفقتك؟ قال عمر: الحسنة بين سيئتين، ثم تلا هذه الآية. وقال لابنه
عاصم: يا بني كل في نصف بطنك، ولا تطرح ثوباً حتى تستخلقه، ولا تكن من
قوم يجعلون ما رزقهم الله تعالى في بطونهم، وعلى ظهورهم. قال عمر بن
الخطاب: كفى سرفاً أن لا يشتهي شيئاً إلا اشتراه فأكله.

وسادس الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ ولا يعبدون ﴿مَعَ
اللَّهِ﴾ سبحانه ﴿إِلَّهًا آخَرَ﴾ كالممنم فيجعلونه شريكاً له تعالى؛ أي: والذين لا
يعبدون مع الله سبحانه إلهاً آخر، فيشركون في عبادتهم إياه، بل يخلصون له
العبادة، ويفردونه بالطاعة.

يقال: الشرك ثلاثة^(١):

أولها: أن يعبد غيره تعالى.

والثاني: أن يطيع مخلوقاً بما يأمره من المعصية.

والثالث: أن يعمل لغير وجه الله تعالى. فالأول كفر، والآخران معصية.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني لا يرفعون حوائجهم إلى الأغيار، ولا
يتوهمون منهم المسارّ والمضارّ، وأيضاً لا يشوبون أعمالهم بالرياء والسمعة، ولا
يطلبون مع الله مطلوباً، ولا يحبون معه محبوباً، بل يطلبون الله من الله، ويحبونه
به.

(١) روح البيان.

﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي^(١): حرّم قتلها. فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة في التحريم، والمراد نفس المؤمن والمعاهد ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ المبيح لقتلها؛ أي: لا يقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها، كما إذا قتل أحدا فيقتص به، أو زنى وهو محصن فيرجم، أو ارتد أو سعى في الأرض بالفساد فيقتل ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾؛ أي: ولا يطؤون في قبل المرأة بغير عقد شرعي أو ملك يمين، وكذا اللواط وإتيان البهيمة.

وقد نفى^(٢) عنهم هذه القبائح مع أن وصفهم بالصفات السالفة من حسن معاملتهم للناس، ومزيد خوفهم من الله، وإحياء الليل يقتضي نفيها عنهم تعريضاً بما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم، وتنبيهاً إلى الفرق بين سيرة المؤمنين وسيرة المشركين، فكأنه قيل: وعباد الرحمن الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر وأنتم تدعون، ولا يقتلون وأنتم تقتلون الموءودة، ولا يزنون وأنتم تزنون.

ثم توعده سبحانه من يفعل مثل هذه الأفعال بشديد العقاب، فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾؛ أي: ما ذكر من الثلاثة كما هو دأب الكفرة المذكورين؛ أي: فعل شيئاً من الأفعال الثلاثة: عبادة غير الله تعالى، والقتل، والزنا ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾؛ أي^(٣): جزاء إثمه وعقوبته، والأثام كالوبال والنكال وزناً ومعنى، يقال: أثمه يأثمه أثاماً جازاه على ذنبه وعاقبه عليه. وفي «القاموس»: الأثام كسحاب، واد في جنهم، والعقوبة. وقال أبو مسلم: الأثام الإثم والذنب. ومعناه: يلقي جزاء أثامه، فأطلق اسم الشيء على جزائه.

وقرىء^(٤): ﴿يُلْقَ﴾ بضم الياء وفتح اللام والقاف المشددة، وقرأ ابن مسعود وأبو رجاء ﴿يلقى﴾ بألف، كأنه نوى حذف الضمة المقدرة على الألف فأقر الألف، وقرأ ابن مسعود ﴿أياماً﴾ جمع يوم يعني شدائد، يقال: يوم ذو أيام لليوم العصيب.

(١) روح البيان.

(٣) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٤) البحر المحيط.

﴿يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾؛ أي: يزداد له العذاب يوم القيامة بقدر معاصيه، وذلك لانضمام المعاصي إلى الكفر، فلا يعارض قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٣٦)، أو المعنى: يتزايد عذابه وقتاً بعد وقت، فهو كناية عن كونه مؤبداً. وفي «التأويلات النجمية»: يكون معذباً بعدابين، على كل ذنب عذاب دركات النيران، وعذاب فوات درجات الجنان، وقربات الرحمن. والضعف تركب قدرين متساويين كما سيأتي في مبحث المفردات، والجملة بدل من ﴿يَلْقَى﴾ لاتحادهما في المعنى؛ لأن مضاعفة العذاب نفس لقي الآثام فلذلك جزمت، كما قال الشاعر:

مَتَى تَأْتِنَا تُلِمْمِ بِنَا فِي دِيَارِنَا تَجِدُ حَطْباً جَزْلاً وَنَاراً تَأْجِجَا
لأن الإلمام هو نفس الإتيان، فجزم تلمم؛ لأنه بمعنى تأتي.

والضمير في قوله: ﴿وَيُخْلَدُ فِيهِ﴾ عائد إلى العذاب المضاعف؛ أي: يخلد في العذاب المضاعف حالة كونه ﴿مُكَنَّأً﴾؛ أي: ذليلاً حقيراً، جامعاً للعذاب الجسماني والروحاني لا يغاث. وقرأ^(١) نافع وابن عامر وحزمة والكسائي: ﴿يُضَعَفُ لَهُ الْعَذَابُ﴾ مبنياً للمفعول وبألف ﴿وَيُخْلَدُ﴾ مبنياً للفاعل. وقرأ الحسن وأبو جعفر وابن كثير كذلك، إلا أنهم شددوا العين، وطحوا الألف، وقرأ أبو جعفر أيضاً وشيبة وطلحة بن مصرف ﴿يُضَاعَفُ﴾ بالياء مبنياً للفاعل ﴿العذاب﴾ بالنصب وقرأ طلحة بن سليمان ﴿نُضَعَفُ﴾ بضم النون والعين المشددة بالجزم ﴿وتخلد﴾ بناء الخطاب على الالتفات مرفوعاً؛ أي: وتخلد أيها الكافر، وقرأ أبو حية ﴿ويخلد﴾ مبنياً للمفعول مشدد اللام مجزوماً، ورويت عن أبي عمرو، وعنه كذلك مخففاً، وقرأ أبو بكر عن عاصم ﴿يُضَاعَفُ وَيُخْلَدُ﴾ بالرفع فيهما، وكذا ابن عامر، والمفضل عن عاصم ﴿يُضَاعَفُ وَيُخْلَدُ﴾ مبنياً للمفعول مرفوعاً مخففاً، وقرأ الأعمش بضم الياء مبنياً للمفعول مشدداً مرفوعاً، فالرفع على الاستئناف،

(١) البحر المحيط.

كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: مَا لَقِيَ الْآثَامَ؟ فَقِيلَ: يَضَاعَفُ لِلْإِثْمِ الْعَذَابُ. أَوْ عَلَى الْحَالِ،
وَالْجَزْمُ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ ﴿يَلْقَى﴾، وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَحَفْصٌ: ﴿فِيهِ مِهَانًا﴾ بِإِشْبَاعِ
كَسْرَةِ الْيَاءِ، وَوَصَلَهَا بِالْيَاءِ فِي الْوَصْلِ.

وَالْمَعْنَى^(١): وَمَنْ يَفْعَلُ خَصْلَةً مِنْ خِصَالِ الْفُجُورِ السَّالِفَةِ يَلْقَى فِي الْآخِرَةِ
جَزَاءَ إِثْمِهِ وَذَنْبِهِ الَّذِي ارْتَكَبَهُ، بَلْ يَضَاعَفُ لَهُ رَبُّهُ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَجْعَلُهُ
خَالِدًا أَبَدًا فِي النَّارِ مَعَ الْمِهَانَةِ وَالْإِحْقَارِ، فَيَجْتَمِعُ لَهُ الْعَذَابُ الْجَسْمِيُّ وَالْعَذَابُ
الرُّوحِيُّ.

وَبَعْدَ أَنْ أَتَمَّ تَهْدِيدَ الْفُجَارِ عَلَى هَذِهِ الْأَوْزَارِ أَتْبَعَهُ بِتَرْغِيبِ الْأَبْرَارِ فِي التَّوْبَةِ
وَالرَّجُوعِ إِلَى حَظِيرَةِ الْمُتَّقِينَ، فَيَفُوزُونَ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ، فَقَالَ: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ مِنْ
الشُّرْكِ وَالْقَتْلِ وَالزَّوْنِ ﴿وَأَمَّنْ﴾؛ أَيُّ: صَدَّقَ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرِسَالَةِ
رَسُولِهِ ﷺ: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ ذَكَرَ^(٢) الْمُوصُوفُ هُنَا مَعَ جَرِيَانِ الصَّالِحِ
وَالصَّالِحَاتِ مَجْرَى الْأَسْمِ لِلْإِعْتِنَاءِ بِهِ، وَلِلتَّنْصِيفِ عَلَى مَغَايِرَتِهِ لِلْأَعْمَالِ السَّابِقَةِ.
وَالِاسْتِثْنَاءِ مِنَ الْجِنْسِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ الْإِخْبَارَ بِأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَحُلُّ بِهِ مَا
ذَكَرَ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ، وَأَمَّا إِصَابَةُ أَصْلِ الْعَذَابِ وَعَدَمُهَا فَلَا تَعْرُضُ لَهَا فِي الْآيَةِ.
﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ الْمُوصُوفُونَ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ ﴿يُدِّلُ اللَّهُ﴾ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾ الثَّلَاثَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الدُّنْيَا ﴿حَسَنَاتٍ﴾؛ أَيُّ: يَبْدِلُهُمُ الْإِيمَانُ
عَنِ الشُّرْكِ، وَقَتْلِ الْكَافِرِينَ عَنْ قَتْلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْعَفَةِ وَالْإِحْصَانِ عَنِ الزَّوْنِ، أَوْ^(٣)
يُوقِفُهُمُ لِلْمَحَاسَنِ بَعْدَ الْقَبَائِحِ، أَوْ يَمْحُوها بِالتَّوْبَةِ، وَيُثَبِّتُ مَكَانَهَا الْحَسَنَاتِ
الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَلَمْ يَرُدَّ بِهِ أَنَّ السَّيِّئَةَ بَعَيْنَهَا تَكُونُ حَسَنَةً، وَلَكِنْ الْمُرَادُ مَا
ذَكَرْنَا.

قَالَ الزَّجَاجُ: لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ السَّيِّئَةَ بَعَيْنَهَا تَصِيرُ حَسَنَةً، وَلَكِنْ الْمُرَادُ أَنَّ
السَّيِّئَةَ تَمْحَى بِالتَّوْبَةِ، وَتَكْتُبُ الْحَسَنَةُ مَعَ التَّوْبَةِ. انْتَهَى. وَعِبَارَةٌ «أَبِي السَّعُودِ»:

(٣) النَّسْفِي.

(١) الْمُرَاغِي.

(٢) رُوحُ الْبَيَانِ.

قوله: ﴿يُدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة، ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم، أو يبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكة الطاعة، بأن يزيل الأولى ويأتي بالثانية مكانها. وقيل: يبدل بالشرك إيماناً، ويقتل المؤمن قتل الكافر، وبالزنا عفة وإحصاناً. اهـ. فعلى هذا يكون التبديل في الدنيا.

وفي «القرطبي» قال النحاس: من أحسن ما قيل في التبديل أنه يكتب موضع كافر مؤمن، وموضع عاص مطيع، قال الحسن: وقوم يقولون: التبديل في الآخرة. وليس كذلك، إنما التبديل في الدنيا، يبدلهم الله إيماناً من الشرك، وإخلاصاً من الشك، وإحصاناً من الفجور. وقيل: التبديل عبارة عن الغفران؛ أي: يغفر الله لهم تلك السيئات، لا أنه يبدلها حسنات. قلت: ولا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة، وقد قال ﷺ لمعاذ: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»، اهـ. وقرأ^(١) البرجمي ﴿يُدِّلُ﴾ مخففاً.

﴿وَكَاثَ اللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى: ﴿غَفُورًا﴾ لمن تاب من الشرك والمعاصي، ولذلك بدل السيئات حسنات، ﴿رَحِيمًا﴾ له، ولذلك أثنى على الحسنات، وهذه الجملة مقررة لما قبلها من التبديل.

﴿وَمَنْ تَابَ﴾؛ أي رجع عن المعاصي مطلقاً بتركها بالكلية والندم عليها ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بتدارك به ما فرط منه، أو المعنى: ومن تاب؛ أي: خرج عن المعاصي، وعمل صالحاً؛ أي: دخل في الطاعات ﴿فَإِنَّهُ﴾ بما فعل ﴿يَتُوبُ﴾ ويرجع ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى بعد الموت ﴿مَتَابًا﴾؛ أي: رجوعاً حسناً، عظيم الشأن، مرضياً عنده تعالى، ماحياً للعقاب، محضلاً للثواب، فلا يتحد الشرط والجزاء؛ لأن في الجزاء معنى زائداً على ما في الشرط، فإن الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصي، والجزاء هو الرجوع إلى الله تعالى بعد

(١) النسفي.

الموت رجوعاً مرضياً، وهذا تعميم بعد التخصيص؛ لأن متعلق التوبة في الآية الأولى الشرك والقتل والزنا فقط، وههنا مطلق المعاصي.

والتوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط، والعزيمة على ترك المعاودة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربع فقد كملت شرائط التوبة، قال ابن عطاء: التوبة الرجوع من كل خلق مذموم، والدخول في كل خلق محمود، وهي توبة الخواص. وقال بعضهم: التوبة أن يتوب من كل شيء سوى الله تعالى، وهي توبة الأخص، فعليكم أيها الإخوان بالتوبة والاستغفار، فإنها صابون الأوزار.

والمعنى: أي ومن تاب عن المعاصي التي فعلها، وندم على ما فرط منه، وزكى نفسه بصلاح الأعمال، فإنه يتوب إلى الله توبة نصوحاً مقبولة لديه، ماحية للعقاب، محصلة لجزيل الثواب، إلى أنه ينير قلبه بنور من عنده يهديه إلى سواء السبيل، ويوفقه للخير، ويبعده عن الضير، وفي هذا تعميم لقبول التوبة من جميع المعاصي بعد أن ذكر قبولها من أمهاتها، نسأل الله تعالى توبة نصوحاً ومن آثار رحمته فيضاً ونوالاً وفتوحاً.

وسابع الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾؛ أي^(١): لا يحضرون مواضع الكذب، فإن حضور مجامع الفساق مشاركة لهم في تلك المعصية، ولأن النظر إليها دليل الرضا بها. وقيل: معنى ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ لا يشهدون^(٢) أعياد المشركين واليهود والنصاي. وقيل: لا يشهدون مواضع النوح والندب. وقيل: لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم. وقيل: لا يشهدون مواضع اللهو واللعب والغناء. قال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع. والأولى التعميم، فيقال: لا يشهدون مواضع المعاصي كلها، أيأ كانت. أو المعنى: لا يشهدون الشهادة الكاذبة.

والحاصل: أنَّ ﴿يَشْهَدُونَ﴾ إن كان من الشهادة بمعنى الإخبار.. ففي

(٢) الخازن.

(١) المراح.

الكلام حذف مضاف؛ أي: لا يشهدون شهادة الزور، وإن كان من الشهود بمعنى الحضور، كما ذهب إليه الجمهور.. فقد اختلفوا في معناه على الأقوال التي ذكرناها أولاً.

واختلف الأئمة في عقوبة شاهد الزور^(١): فقال أبو حنيفة: لا يعزّر، بل يوقف في قومه، ويقال لهم: إنه شاهد زور. وقال الثلاثة: يعزّر ويوقف في قومه، ويعرفون أنه شاهد زور. وقال مالك: يشهر في الجوامع والأسواق والمجامع. وقال أحمد: يطاف به في المواضع التي يشتهر فيها، فيقال: إنا وجدنا هذا شاهد زور فاجتنبوه. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخّم وجهه - أي: يطلّيه بمادة سوداء - ويحلق رأسه، ويطوف به في الأسواق كما في «كشف الأسرار». وعن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين - وكان متكئاً فجلس، فقال -: ألا وقول الزور، أو شهادة الزور»، فما زال يكررها، حتى قلنا: ليته سكت. متفق عليه.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾؛ أي: بمجالس اللغو واللهو والباطل ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾؛ أي: مروا بها معرضين عنها، مسرعين مكرمين أنفسهم بترك الالتفات إليها، منزّهين لها عن هذه المجالس السيئة، يقال: فلان يكرم نفسه عما يشينه؛ أي: يتنزّه عن الدخول في اللغو والاختلاط بأهله. واللغو: كل ساقط من قول أو فعل. قال الحسن: اللغو المعاصي كلها. والمعنى: مروا معرضين عنه، مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه، والخوض فيه، ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش، والصفح عن الذنوب، والكناية عما يستهجن التصريح به.

وحاصل معنى الآية: أي والذين لا يؤدّون الشهادات الكاذبة، ولا يساعدون أهل الباطل على باطلهم، ويكرمون أنفسهم عن سماع اللغو وما لا خير فيه كاللغو في القرآن، وشم الرسول، والخوض فيما لا ينبغي. ونحو الآية قوله:

(١) روح البيان.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (٥٥).

وثامن الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا﴾؛ أي: وعظوا ﴿بِقَائِتِ رَبِّهِمْ﴾ المشتملة على المواعظ والأحكام ﴿لَمْ يَحْزُوا عَلَيْهَا﴾؛ أي: (١) لم يسقطوا، ولم يقفوا ولم يقفوا عليها حالة كونهم ﴿صُمًّا﴾ عن استماعها وإصغائها. جمع أصم وهو فاقد حاسة السمع وبه يشبه من لا يصغي إلى الحق ولا يقبله ﴿و﴾ حالة كونهم ﴿عَمِيَانَا﴾ عن رؤية تاليها. جمع أعمى؛ وهو فاقد حاسة البصر.

والمعنى: أي (٢) والذين إذا وعظوا بالآيات المشتملة على الأحكام والمواعظ أكبوا على تلك الآيات حرصاً على استماعها، وأقبلوا على المذكر بها، وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية، وانتفعوا بها، لا كالذين يظهرون الحرص الشديد على استماعها، وهم كالصم والعيان كالمنافقين والكفرة كأبي جهل والأخنس بن شريق، فالمراد من النفي نفي الصم والعمى، لا نفي الخور وإن دخلت الأداة عليه، فالنفي متوجه إلى القيد الذي هو ﴿صُمًّا وَعُمِيَانَا﴾، لا إلى المقيد الذي هو الخور الداخل عليه. وفي هذا تعريض بما عليه الكفرة والمنافقون الذي إذا سمعوا كلام الله لم يتأثروا به، ولم يتحولوا عما كانوا عليه، بل يستمرون على كفرهم وعصيانهم وجهلهم وضلالهم، فكانهم صم لا يسمعون، وعمى لا يبصرون.

وتاسع الصفات: ما ذكره بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ في دعائهم لربهم ﴿رَبَّنَا﴾ وبما مالك أمرنا ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾؛ أي: بتوفيقهم للطاعة وحياسة الفضائل؛ أي: اجعل لنا ما يحصل به سرور أعين من أزواجنا وأولادنا بأن نراهم صالحين مطيعين لله. وعن محمد بن كعب: ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده يطيعون الله تعالى. وقرة العين

(٢) المراح.

(١) الخازن.

سرورها، والمراد به ما يحصل به السرور، ف﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ إما^(١) بيانية كما فسرنا، كأنه قيل: هب لنا قرة أعين، ثم بينت القرة وفسرت بقوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾، أو ابتدائية على معنى: هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح، وإنما قيل: ﴿أَعْيُنٍ﴾ على وزن القلة، دون عيون؛ لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالنسبة إلى عيون غيرهم، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾، ويجوز أن يقال في تنكير أعين: إنها أعين خاصة وهي أعين المتقين. والمعنى أنهم سألوا ربهم أن يرزقهم أزواجاً وأعقاباً علماء لله تعالى، يسرون بمكانهم، وتقرّ بهم عيونهم.

﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾؛ أي: اجعلنا أئمة لهم بحيث يقتدون بنا في إقامة مراسم الدين بإفاضة العلم علينا، وبالتوفيق للعمل الصالح. ولفظ ﴿إِمَام﴾ يستوي فيه الجمع وغيره، فالمطابقة حاصلة. اهـ شيخنا.

وفي «البيضاوي»^(٢): وتوحيد ﴿إِمَامًا﴾ لدلالته على الجنس وعدم اللبس، كقوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾، أو لأنه مصدر في أصله، أو لأن المراد: واجعل كل واحد منا إماماً، أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم. وقيل: جمع أئم كصائم وصيام، فيكون من المقلوب، والمعنى: واجعل المتقين لنا إماماً، واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم. قال بعضهم: وفي هذا دليل على أن الرئاسة في الدين مطلوبة مرغوب فيها. والمعنى؛ أي^(٣): والذين يسألون الله أن يخرج من أصلاهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له، وصادق الإيمان إذا رأى أهله قد شاركوه في الطاعة قرت بهم عينه، وسر قلبه، وتوقع نفعهم له في الدنيا حياً وميتاً، وكانوا من اللاحقين به في الآخرة، ويسألون أيضاً أن يجعلهم أئمة يقتدى بهم في إقامة مراسم الدين بما يفيض عليهم من واسع العلم، وبما يوفقهم إليه من صالح العمل. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

(١) النسفي.

(٣) المراغي.

(٢) البيضاوي.

رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به من بعده، وصدقة جارية».

والخلاصة: أنهم طلبوا من ربهم أمرين: أن يكون لهم من أزواجهم وذرياتهم من يعبدونه، فتقرّ بهم أعينهم في الدنيا والآخرة، وأن يكونوا هداة مهتدين، دعاة إلى الخير، أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.

وقرأ ابن عامر وابن كثير ونافع وحفص عن عاصم^(١): ﴿وَذَرَيْنَا﴾ على الجمع، وقرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي وأبو بكر وطلحة: ﴿وَذَرَيْنَا﴾: على الأفراد، وقرأ ابن مسعود وأبو حيوة وأبو الدرداء وأبو هريرة: ﴿قُرَاتٍ﴾: على الجمع، والجمهور على الأفراد.

تنبيه^(٢): وإعادة الموصول في المواضع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حدته، له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل، ولا يجعل شيء من ذلك تنمة لذلك، وتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي.

ولما بين سبحانه صفات المتقين المخلصين.. ذكر إحسانه إليهم بقوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بالصفات الثمانية السابقة، والمستجمعون لتلك الخصال الفاضلة ﴿يُحْزَنُ لِّلْفُرْقَةِ﴾؛ أي: يثابون أعلى منازل الجنة، والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والغرفة: الدرجة العالية من كل بناء مرتفع، وهي اسم جنس أريد به الجمع، كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ﴾، ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾؛ أي: بسبب صبرهم على مشاق التكاليف، وقمع الشهوات، وتحمل المجاهدات. ف﴿مَا﴾ مصدرية، و﴿الباء﴾: سببية ﴿وَيُلْقَوْنَ فِيهَا﴾؛ أي: في الغرفة من جهة الملائكة؛ أي: يستقبلون فيها، ويجدون من الملائكة ﴿حَيَّةً﴾؛ أي: دعاء بطول حياة ﴿وَسَلَامًا﴾؛ أي: دعاء بسلامة من

(٢) روح البيان.

(١) البحر المحيط.

الآفات؛ أي: يستقبلون فيها بالتحية وبالسلاَم؛ أي: تحييمهم الملائكة، ويدعون لهم بطول الحياة، والسلاَمة من الآفات، فإن التحية هي الدعاء بالتعمير، والسلاَم هو الدعاء بالسلاَمة.

وقال شيخ الإسلام: جمع بين التحية والسلاَم مع أنهما بمعنى واحد لقوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾، ولخبر: «تحية أهل الجنة في الجنة السلاَم»؛ لأن المراد هنا بالتحية سلاَم بعضهم على بعض، أو سلاَم الملائكة عليهم، وبالسلاَم سلاَم الله عليهم لقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (٥٨)، أو المراد بالتحية إكرام الله لهم بالهدايا والتحف، وبالسلاَم سلاَمه عليهم بالقول، ولو سلم أنهما بمعنى واحد لساغ الجمع بينهما لاختلافهما لفظاً «فتح الرحمن».

حالة كونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: في تلك الغرفة لا يموتون ولا يخرجون منها ﴿حَسُنَتْ﴾ تلك الغرفة من جهة كونها ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ لهم؛ أي: موضع قرار ودوام وإقامة واستراحة لهم، وهو مقابل قوله في جهنم: ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ معنى، ومثله إعراباً. فعلى العاقل أن يتهيأ لمثل هذه الغرفة العالية الحسنة بما سبق من الأعمال الفاضلة المستحسنة، ولا يقع في مجرد الأمانى والآمال، فإن الأمانة كالموت بلا إشكال:

يَقْدِرُ الْكَدُّ تَكْتَسِبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَا سَهَرَ اللَّيَالِي
والمعنى: أي^(١) أولئك المتصفون بصفات الكمال، الموسومون بفضائل الأخلاق والآداب، يجزون المنازل الرفيعة والدرجات العالية بصبرهم على فعل الطاعات، واجتنابهم للمنكرات، ويتدرون فيها بالتحية والإكرام، ويلقون التوقير والاحترام، فلهم السلاَم وعليهم السلاَم، ونحو الآية: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٣٣)، ثم بين أن هذا النعيم دائم لهم لا ينقطع، فقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٦٦)؛ أي: مقيمين فيها، لا يظعنون، ولا يموتون، حسنت منظراً وطابت مقيلاً ومنزلاً.

(١) المراغي.

وقرأ^(١) ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وحفص عن عاصم، والحسن وشيبة وأبو جعفر وأبو بكر ﴿يَلْقُونَ﴾ بضم الياء وفتح اللام والقاف المشددة، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم وطلحة ومحمد اليماني ﴿يَلْقُونَ﴾ بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف.

ولما شرح صفات المتقين وأثنى عليهم.. أمر رسوله أن يقول لهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس كافة ﴿مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي﴾ و﴿مَا﴾: إما استفهامية محلها النصب على المصدر؛ أي^(٢): ما يصنع بأجسامكم، وما يفعل بصوركم ربي، أو أي وزن ومقدار لكم عنده ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾؛ أي: لولا عبادتكم إياه، كقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣). وقيل: لولا إيمانكم. وقيل: لولا دعاؤه إياكم إلى الإيمان، فإذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر، وإما نافية؛ أي: لا يبالي بكم ربي لولا دعاؤكم واستغاثتكم إياه في الشدائد، فقوله: ﴿لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ بيان لحال المؤمنين، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ معلوم مما قبله، تقديره: لولا دعاؤكم لم يعبأ بكم. والمعنى^(٣) على الاستفهامية: أي عبء يعبأ بكم ربي، وأي مبالة يبالي بكم ربي، وأي اعتبار يعتبركم ربي، وأي اعتناء يعتني بشأنكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم له تعالى؟ فإن شرف الإنسان وكرامته عند الله تعالى بالمعرفة والطاعة، وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء، هذا وفي الآية معان أخر، والأظهر عند المحققين ما ذكرناه.

وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ بيان لحال الكفرة من الناس؛ أي: فقد كذبتهم أيها الكفرة بما أخبرتكم به حيث خالفتموه وخرجتم عن أن يكون لكم عند الله اعتناء بشأنكم واعتبار، أو وزن ومقدار ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ جزاء تكذيبكم ﴿لِرِزْقًا﴾؛ أي: لازماً لكم يحق بكم لا محالة، حتى يكبكم في النار؛ أي: يصركم على وجوهكم في النار، كما يعرف عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها،

(٣) روح البيان.

(١) البحر المحيط.

(٢) الخازن بزيادة.

وإنما أضمر اسم ﴿يَكُونُ﴾ من غير ذكر للإيذان بغاية ظهوره وتهويل أمره، للتنبيه على أنه مما لا يكتننه الوصف والبيان، وعن بعضهم: أن المراد بالجزاء جزاء الدنيا، وهو ما وقع يوم بدر، قتل منهم سبعون، وأسر منهم سبعون، ثم اتصل به عذاب الآخرة لازماً لهم.

وقال الزمخشري في هذه الآية^(١): لما وصف الله سبحانه عبادة العباد، وعدد صالحاتهم وحسناتهم، وأثنى عليهم من أجلها، ووعدهم رفع الدرجات... أتبع ذلك ببيان أنه إنما اكثر بأولئك، وعبا بهم، وأعلى ذكرهم لأجل عبادتهم، فأمر رسوله بأن يقول لهم: إن الاكتراث بهم عند ربهم إنما هو لأجل عبادتهم وحدها، لا لمعنى آخر، ولولا عبادتهم لم يكثر بهم البتة، ولم يعتد بهم، ولم يكونوا عنده شيئاً يبالى به اهـ «كشاف».

وقال زاده: أي إن مبالاة الله تعالى واعتناؤه بشأنهم حيث خلق السموات والأرض وما بينهما إرادة للانتظام إنما هو ليعرفوا حق المنعم، ويطيعوه فيما كلفهم به اهـ.

ومعنى الآية: أي^(٢) قل لهؤلاء الذين أرسلت إليهم: إن الفائزين بتلك النعم الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون إنما نالوها بما ذكر من تلك المحاسن، ولولاها لم يعتد بهم ربهم، ومن ثم لا يعبا بكم إذا لم تعبدوه، فما خلق الإنسان إلا ليعبد ربه، ويطيعه وحده لا شريك له، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١)، ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أما أنتم إذ خالفتم حكمي، وعصيتم أمري، ولم تعملوا عمل أولئك الذين ذكروا من قبل، وكذبتم رسولي... فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم، وهو العقاب الذي لا مناص منه، فاستعدوا له، وتهيؤوا لذلك اليوم، فكل آت قريب.

وخلاصة ذلك: لا يعتد بكم ربي لولا عبادتكم إياه، أما الكافرون منكم

(٢) المراغي.

(١) الكشاف.

الذين قصرُوا في العبادة فسيكون تكذيبهم مفضياً لعذابهم وهلاكهم في الدنيا والآخرة.

وقال أبو حيان^(١): والذي يظهر أن قوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي﴾ خطاب لكفار قريش القائلين: أنسجد لما تأمرنا؟ أي: لا يحفل بكم ربي لولا تضرعكم إليه واستغاثتكم إياه عند الشدائد، فقد كذبتُم بما جاء به الرسول ﷺ، فتستحقون العقاب، فسوف يكون العقاب لازماً؛ أي: لازماً لكم لا تنفكون منه، ونفس لهم في حلوله بلفظة ﴿فَسَوْفَ﴾، وقرأ عبد الله وابن عباس وابن الزبير: ﴿فقد كذب الكافرون﴾ فهو محمول على أنه تفسير لا قرآن، وفي هذه القراءة دليل^(٢) بين على أن الخطاب لجميع الناس.

وقرأ ابن جريج ﴿فسوف تكون﴾ بقاء التأنيث؛ أي: فسوف تكون العاقبة، وقرأ الجمهور: ﴿لِزَامًا﴾ بكسر اللام، وقرأ^(٣) المنهال وأبان بن تغلب وأبو السماك بفتحها مصدراً، تقول: لزم لزوماً ولزماً مثل ثبت ثبوتاً وثباتاً، وأنشد أبو عبيدة على كسر اللام لصخر الغي:

فإِذَا يَنْجُ مِنْ حَتْفِ أَرْضٍ فَقَدْ لَقِيََا حُتُوفَهُمَا لِزَامَا
ونقل ابن خالويه عن أبي السماك أنه قرأ: ﴿لزام﴾ على وزن حذام، جعله مصدراً معدولاً عن اللزمة، كفجار معدول عن الفجرة.

فائدة: قال الإمام الراغب^(٤): الإنسان في هذه الدار الدنيا كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الناس سفر، والدار دار ممر، لا دار مقر، وبطن أمه مبدأ سفره، والآخرة مقصده، وزمان حياته مقدار مسافته، وسنوه منازل، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطاه، ويسار به سير السفينة براكبها، كما قال الشاعر:

رَأَيْتُ أَخَا الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ ثَاوِيَا أَخَا سَفَرٍ يُسْرَى بِهِ وَهُوَ لَا يَذْرِئِي

(٣) البحر المحيط.

(٤) روح البيان.

(١) البحر المحيط.

(٢) الشوكاني.

وقد دعي إلى دار السلام، لكن لما كان الطريق إليها مشكلة مظلمة جعل الله لنا من العقل الذي ركبه فينا، وكتبه التي أنزلها علينا نوراً هادياً، ومن عبادته التي كتبها علينا، وأمرنا بها حصناً واقياً، فمن قال: هذه الطاعات جعلها الله عذاباً علينا من غير تأويل فقد كفر، فإن أول مراده بالتعب فلا يكفر، ولو قال: لو لم يفرض الله تعالى علينا كان خيراً لنا بلا تأويل فقد كفر؛ لأن الخير فمياً اختاره الله، إلا أن يُؤوّل ويريد بالخير الأهون والأسهل. نسأل الله تعالى أن يسهلها علينا في الباطن والظاهر، والأول والآخر بمنه وكرمه، وجوده وإحسانه، إنه خير مسؤول وأفضل مأمول.

الإعراب

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ (٥٥).

﴿وَيَعْبُدُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبائح المشركين.
 ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، متعلقان بـ﴿يعبدون﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل نصب مفعول به. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنْفَعُهُمْ﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَا﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾: فعل ومفعول وفاعل مستتر يعود على ﴿مَا﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿يَنْفَعُهُمْ﴾.
 ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿عَلَىٰ رَبِّهِ﴾: متعلق بـ﴿ظهيراً﴾. ﴿ظَهِيراً﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ معطوفة على جملة ﴿يَعْبُدُونَ﴾.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (٥٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْنَا نَبِيّاً سَبِيلاً (٥٧).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾: ﴿الواو﴾: استثنائية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حال رسوله ﷺ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ من أعم الأحوال. ﴿مُبَشِّراً﴾: حال من ضمير المفعول. ﴿وَنَذِيراً﴾: معطوف عليه، والتقدير: أي: وما أرسلناك في حال من الأحوال إلا حال كونك

مبشراً ونذيراً. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على محمد ومفعول أول. ﴿عَلَيْهِ﴾: حال من ﴿أَجْرٍ﴾؛ لأنه كان في الأصل صفة لـ ﴿أَجْرٍ﴾ قدمت عليه. ﴿مِنْ﴾: زائدة ﴿أَجْرٍ﴾: مفعول ثان لسأل، وجملة سأل في محل نصب مقول القول. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل نصب على الاستثناء من ضمير المخاطبين. ﴿شَاءَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب. ﴿يَتَّخِذَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿إِلَّا رِيَّهَ﴾: في محل المفعول الثاني لـ ﴿يَتَّخِذَ﴾. ﴿سَيِّلاً﴾: مفعول أول له، وجملة ﴿يَتَّخِذَ﴾ في تأويل منصوب على المفعولية لـ ﴿شَاءَ﴾، تقديره: إلا من شاء اتخاذه سبيلاً إلى ربه.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْهِجَى الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ يَذُنُّوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا

﴿٥٨﴾.

﴿وَتَوَكَّلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ﴾، وهذه الجملة متصلة في المعنى بقوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رِيَّهَ ظَهيراً﴾. ﴿عَلَى الْهِجَى﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَوَكَّلْ﴾. ﴿الَّذِي﴾: صفة أولى لـ ﴿الْهِجَى﴾. ﴿لَا يَمُوتُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿وَسَيَحْيِي﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة معطوفة على جملة ﴿تَوَكَّلْ﴾. ﴿بِحَمْدِهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿سبح﴾؛ أي: حالة كونك متلبساً بحمده. ﴿وَكَفَى﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿كفى﴾: فعل ماض. ﴿بِهِ﴾: الباء زائدة في فاعل ﴿كفى﴾، والهاء ضمير للمفرد المنزه عن الذكورة والأنوثة والغيبة، مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل ﴿كفى﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿تَوَكَّلْ﴾، أو مستأنفة. ﴿يَذُنُّوبِ عِبَادِهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿خَيْرًا﴾. ﴿خَيْرًا﴾: تمييز لفاعل ﴿كفى﴾، أو حال منه.

﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ ﴿٦٥﴾.

﴿الَّذِي﴾: صفة ثانية لـ ﴿الْحَيِّ﴾، أو نعت، أو بدل من قوله: ﴿بِهِ﴾، أو مبتدأ خبره ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الآتي. ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿وَالْأَرْضَ﴾: معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿وَمَا﴾: في محل نصب معطوف على ﴿السَّمَوَاتِ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾ ظرف ومضاف إليه صلة ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وترتيب. ﴿اسْتَوَىٰ﴾: فعل ماضٍ وفاعل مستتر يعود على الموصول معطوف على ﴿خَلَقَ﴾. ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾: متعلق بـ ﴿اسْتَوَىٰ﴾. ﴿الرَّحْمَنُ﴾: بالرفع، في إعرابه أوجه: أحدها أنه خبر ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو الرحمن، أو بدل من الضمير في ﴿اسْتَوَىٰ﴾، أو مبتدأ خبره جملة قوله: ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ على رأي الأخفش، أو صفة لـ ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ إذا قلنا إنه مرفوع، وأما على قراءة زيد بن علي بالجبر، فيتعين أن يكون نعتاً لـ ﴿الْحَيِّ﴾. ﴿فَسَلِّ﴾: الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما ذكرته من الخلق والاستواء، وأردت بيان تفاصيله.. فأقول لك: ﴿اسأل﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد. ﴿بِهِ﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر بمعنى عن، ﴿والهاء﴾: ضمير الغائب عائد على ما ذكر من الخلق والاستواء، ولكنه على تقدير مضاف، تقديره: فاسأل عن تفاصيل ما ذكر متعلق بـ ﴿اسأل﴾ على كونه مفعولاً ثانياً لـ ﴿اسأل﴾. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول أول لـ ﴿اسأل﴾؛ أي: فاسأل رباً خبيراً عن تفاصيله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة، وفي المقام أوجه آخر من الإعراب على اختلاف تفاسيره، فأجر عليه تلك الأوجه بحسب المعنى، والله أعلم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾

﴿٦٦﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾: الواو: استثنائية. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مضمن معنى الشرط. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَسْجُدُوا﴾: فعل أمر وفاعل ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل الرفع نائب فاعل لـ ﴿قِيلَ﴾ على كونها مقولاً له، وجملة ﴿قِيلَ﴾ في محل خفض بإضافة إذا إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل جواب إذا لا محل لها من الإعراب، وجملة إذا مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: الواو: زائدة. ﴿مَا﴾: اسم استفهام في محل الرفع خبر مقدم. ﴿الرَّحْمَنُ﴾: مبتدأ مؤخر، أو بالعكس، والجملة الاستفهامية في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿أَسْجُدْ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري ﴿نَسْجُدْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على المتكلمين ﴿لَمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿نَسْجُدْ﴾ والجملة الفعلية في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿تَأْمُرُنَا﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على محمد و ﴿نَا﴾: مفعول به، والجملة صلة ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: لما تأمرنا السجود له، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية؛ أي: نسجد لأجل أمرك إيانا. ﴿وَرَادَهُمْ ثُغُورًا﴾: فعل ماضٍ ومفعولان، وفاعله ضمير يعود على القول المذكور، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿قَالُوا﴾ على كونها جواب إذا لا محل لها من الإعراب.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ﴿١٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَبۜدُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿١٧﴾.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماضٍ بمعنى أوجد، يتعدى لمفعول واحد، وفاعله ضمير مستتر يعود على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿فِي السَّمَاءِ﴾: متعلق بـ ﴿جَعَلَ﴾. ﴿بُُرُوجًا﴾: مفعول به. ﴿وَجَعَلَ﴾: معطوف على ﴿جَعَلَ﴾ الأول. ﴿فِيهَا﴾: متعلق به. ﴿سِرَاجًا﴾: مفعول ﴿جَعَلَ﴾. ﴿وَقَمَرًا﴾: معطوف على ﴿سِرَاجًا﴾. ﴿مُنِيرًا﴾: صفة ﴿قمرًا﴾. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: عاطفة. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾: خبر، والجملة معطوفة على جملة ﴿تَبَارَكَ﴾. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماضٍ وفاعل مستتر، والجملة صلة

الموصول. ﴿الَّذِلَّ﴾: مفعول أول.. ﴿وَالْتَهَارَ﴾: معطوف على ﴿الَّذِلَّ﴾. ﴿خِلْفَةً﴾: مفعول ثانٍ لـ ﴿جَعَلَ﴾ إن كان بمعنى صير، أو حال من المفعول به إن كان بمعنى خلق، وأفرده لأن المعنى: يخلف أحدهما الآخر، فلا يتحقق هذا إلا منهما. قيل: ولا بد من تقدير مضاف؛ أي: ذوي خلفه. ﴿لِمَنْ﴾: جار ومجرور صفة لـ ﴿خِلْفَةً﴾. ﴿أَرَادَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿أَنْ يَذْكُرَ﴾: ناصب وفعل مضارع وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ ﴿أَرَادَ﴾؛ أي: لمن أراد تذكراً. ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿أَرَادَ﴾ الأول.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (١٣) ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ (١٤) ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (١٥) ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (١٦).

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿الَّذِينَ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة مسوقة لبيان الأوصاف التي تميز بها عباد الرحمن المخلصون. ﴿يَمْشُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿عَلَى الْأَرْضِ﴾: متعلق بـ ﴿يَمْشُونَ﴾. ﴿هَوْنًا﴾: إما مصدر واقع موقع الحال من فاعل ﴿يَمْشُونَ﴾؛ أي: حالة كونهم هينين لينين، أو منصوب على المفعولية المطلقة؛ أي: مشياً مطلقاً. ﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾: فعل ومفعول به وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿سَلَامًا﴾: منصوب على المفعولية المطلقة؛ لأنه صفة لمصدر محذوف؛ أي: قولاً سلاماً، وجملة ﴿إِذَا﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿يَمْشُونَ﴾ على كونها صلة الموصول. ﴿وَالَّذِينَ﴾: معطوف على الموصول الأول على كونه خبر المبتدأ. ﴿يَبِيتُونَ﴾: فعل مضارع ناقص، والواو: اسمها. ﴿لِرَبِّهِمْ﴾: متعلق بـ ﴿سُجَّدًا﴾. ﴿سُجَّدًا﴾: خبر ﴿يَبِيتُونَ﴾، والجملة

صلة الموصول. ﴿وَقِيَمًا﴾: معطوف على ﴿سُجَّدًا﴾. ﴿وَالَّذِينَ﴾: معطوف على الموصول الأول أيضاً. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل نصب مقول يقولون: ﴿أَصْرِفْ﴾: فعل دعاء، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله. ﴿عَنَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَصْرِفْ﴾. ﴿عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجمله الفعلية في محل نصب مقول القول على كونها جواب النداء. ﴿إِنَّكَ عَذَابُهَا﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانَ﴾: فعل ناقص، واسمها ضمير يعود على العذاب، وجمله ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّكَ﴾، وجمله ﴿إِنَّكَ﴾ في محل نصب مقول القول على كونها معللة لقولهم: ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾. ﴿إِنَّهَا﴾: ناصب واسمه. ﴿سَاءَتْ﴾: فعل ماض من أفعال الذم، وفاعله ضمير مستتر مبهم مفسر بنكرة. ﴿مُستَقَرًّا﴾: تمييز لفاعل ﴿سَاءَتْ﴾. ﴿وَمُقَامًا﴾: معطوف عليه، والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هي، وهو مبتدأ، خبره جملة ﴿سَاءَتْ﴾، والجمله الاسمية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّكَ﴾، وجمله ﴿إِنَّكَ﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنَّكَ﴾ الأولى، ويجوز أن تكون ﴿سَاءَتْ﴾ بمعنى أحزنت، فلا تكون حينئذ من أفعال الذم، كما مر في مبحث التفسير.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٧).

﴿وَالَّذِينَ﴾: في محل الرفع معطوف على الموصول الأول. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿أَنْفَقُوا﴾: فعل وفاعل، والجمله في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب. ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، والجمله جواب ﴿إِذَا﴾، وجمله ﴿إِذَا﴾ صلة الموصول. ﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾: جازم وفعل وفاعل معطوف على قوله: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾. ﴿وَكَانَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، أو حالية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمها ضمير يعود على الإنفاق. ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من ﴿قَوَامًا﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿قَوَامًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾؛ أي: وكان انفاقهم قواماً كائناً بين ذلك. قال الزمخشري: ويجوز أن

يكون المنصوبان خبرين لـ ﴿كَانَ﴾، أعني ﴿يَبْتَكَ ذَلِكَ﴾ و﴿قَوَامًا﴾، وأن يكون ﴿يَبْتَكَ ذَلِكَ﴾: ظرفاً لغواً متعلق بـ ﴿كَانَ﴾، و﴿قَوَامًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، وأن يكون الظرف خبراً، و﴿قَوَامًا﴾: حالاً مؤكدة، وجملة ﴿كَانَ﴾ إما معطوفة على جملة الصلة، أو حال من واو ﴿يُسْتَرْفَوُا﴾.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿١٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْمَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيُخْلَدُ فِيهِ مِهْنًا ﴿١٩﴾.

وَالَّذِينَ: اسم موصول في محل الرفع معطوف على الموصول الأول.
﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿مَعَ اللَّهِ﴾: متعلق بـ ﴿يَدْعُونَ﴾. ﴿إِلَهًا﴾: مفعول به. ﴿آخَرَ﴾: صفة له. ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿يَدْعُونَ﴾. ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول في محل النصب صفة لـ ﴿النَّفْسِ﴾. ﴿حَرَّمَ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: حرّمها الله. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلق بـ ﴿يَقْتُلُونَ﴾، أو بمحذوف حال، فالاستثناء من أعم الأحوال؛ أي: إلا متلبسين بالحق. ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَقْتُلُونَ﴾. ﴿وَمَنْ﴾: ﴿الواو﴾: اعتراضية ﴿من﴾: اسم شرط جازم في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به مجزوم بـ ﴿من﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿يَلْقَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر مجزوم بـ ﴿من﴾ الشرطية على كونه جواب شرط لها. ﴿أَثَامًا﴾: مفعول به، وجملة ﴿من﴾ الشرطية جملة معترضة لا محل لها من الإعراب. ﴿يُضَاعَفْ﴾: فعل مضارع مغير الصيغة بدل من ﴿يَلْقَ﴾ بدل كل من كل؛ لأن مضاعفة العذاب نفس لقي الآثام. ﴿لَهُ﴾: متعلق بـ ﴿يُضَاعَفْ﴾. ﴿الْمَذَابُ﴾: نائب فاعل. ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: ظرف متعلق بـ ﴿يُضَاعَفْ﴾ أيضاً. ﴿وَيُخْلَدُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿من﴾ معطوف على ﴿يُضَاعَفْ﴾. ﴿فِيهِ﴾: متعلق بـ ﴿يُخْلَدُ﴾. ﴿مِهْنًا﴾: حال من فاعل ﴿يُخْلَدُ﴾.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٥﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٦﴾ .

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل نصب على الاستثناء، فهو مستثنى متصل من فاعل ﴿يَلْقَى﴾. ﴿تَابَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿وَأَمَنَ وَعَمِلَ﴾: معطوفان على ﴿تَابَ﴾. ﴿عَمَلًا﴾: مفعول مطلق أو مفعول به. ﴿صَالِحًا﴾: صفة له. ﴿فَأُولَئِكَ﴾: الفاء: تعليلية جرياً على القاعدة المطردة من أن الفاء بعد الاستثناء للتعليل. ﴿أُولَئِكَ﴾: مبتدأ. ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿حَسَنَاتٍ﴾: مفعول ثانٍ، أو منصوب بنزع الخافض، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل الجر بلام التعليل المقدرة المدلول عليها بالفاء التعليلية، وتلك اللام متعلقة بمفعول محذوف، تقديره: وإنما قلنا: إلا من تاب لتبديل الله سيئاتهم إلخ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره. ﴿رَحِيمًا﴾: خبر ثانٍ له، وجملة ﴿كَانَ﴾ معترضة، أو مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿وَمَنْ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية، أو اعتراضية. ﴿مَنْ﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب. ﴿تَابَ﴾: فعل ماضٍ وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾ في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، أو مطلق معطوف على ﴿تَابَ﴾. ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ الفاء رابطة الجواب ﴿إِنَّ﴾ ناصب واسمه. ﴿يَتُوبُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر. ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ متعلق به. ﴿مَتَابًا﴾: مفعول مطلق لأنه مصدر ميمي، وجملة يتوب في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل الجزم بمن الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية معترضة أو مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ٧٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ٧٧﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ

أَزْوَاجَنَا وَذُرِّيَّتَنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٦﴾.

﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول في محل الرفع، معطوف على الموصول الأول.
 ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به صلة الموصول. ﴿وَإِذَا﴾:
 ﴿الْوَاوِ﴾: عاطفة. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿مُرَّوْا﴾: فعل وفاعل.
 ﴿بِالْقُوَّةِ﴾: متعلق بـ﴿مُرَّوْا﴾، والجملة في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على
 كونها فعل شرط لها. ﴿مُرَّوْا﴾: فعل وفاعل. ﴿كِرَامًا﴾: حال من فاعل
 ﴿مُرَّوْا﴾، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ معطوفة
 على جملة الصلة. ﴿وَالَّذِينَ﴾: معطوف على الموصول الأول. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما
 يستقبل من الزمان. ﴿ذُكِّرُوا﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿بِإِيَّائِ رَبِّهِنَّ﴾: جار
 ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿ذُكِّرُوا﴾، والجملة في محل الخفض بإضافة
 ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿لَمْ يَخْرُوْا﴾: فعل وفاعل مجزوم
 بـ﴿لَمْ﴾. ﴿عَلَيْهِنَّ﴾: متعلق به. ﴿صُتًا وَعُمِّيَانًا﴾: حالان من فاعل ﴿يَخْرُوْا﴾،
 جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿وَالَّذِينَ﴾: معطوف على الموصول
 الأول. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى مضاف حذف
 منه حرف النداء، وجملة النداء في محل النصب مقول لـ﴿يَقُولُونَ﴾. ﴿هَبْ﴾:
 فعل دعاء وفاعل مستتر. ﴿لَنَا﴾: متعلق به، والجملة الفعلية في محل النصب
 مقول لـ﴿يَقُولُونَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾: جار ومجرور حال
 من ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿وَذُرِّيَّتِنَا﴾: معطوف على
 ﴿أَزْوَاجِنَا﴾. ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: مفعول به لـ﴿هَبْ﴾. ﴿وَاجْعَلْنَا﴾: فعل وفاعل
 مستتر ومفعول أول. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: حال من ﴿إِمَامًا﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت
 عليها. ﴿إِمَامًا﴾: مفعول ثان لـ﴿اجْعَلْنَا﴾، وجملة ﴿اجْعَلْنَا﴾ معطوفة على جملة
 ﴿هَبْ لَنَا﴾.

﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٧﴾﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾: مبتدأ. ﴿يُجْزَوْنَ﴾: فعل مغير ونائب فاعل. ﴿الْغُرَّةَ﴾:
 مفعول ثان لـ﴿يُجْزَوْنَ﴾. ﴿بِمَا﴾: حرف جر وسبب ﴿مَا﴾: مصدرية،

وجملة ﴿صَبَرُوا﴾ صلة ﴿مَا﴾ المصدرية؛ أي: بسبب صبرهم، الجار والمجرور متعلق بـ﴿صَبَرُوا﴾، وجملة ﴿يُحْزَنُ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة استئنافاً بيانياً، أو الجملة خبر ﴿عَبْدُ الرَّحْمَنِ﴾ كما مرت الإشارة إليه. ﴿وَيُلْقَوْنَ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿يُحْزَنُ﴾. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور حال من ما بعده. ﴿نَحِيَّةً﴾: مفعول ثانٍ لـ﴿يُلْقَوْنَ﴾. ﴿وَسَلَامًا﴾: معطوف عليه.

﴿خَلِيلِينَ فِيهَا حَسُنْتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (٧١) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٢﴾.

﴿خَلِيلِينَ﴾: حال من واو ﴿يُحْزَنُ﴾. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ﴿خَلِيلِينَ﴾. ﴿حَسُنْتَ﴾: فعل ماضٍ من أفعال المدح، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً مبهم مفسر بما بعده. ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: تمييز لفاعل ﴿حَسُنَ﴾. ﴿وَمُقَامًا﴾: معطوف عليه، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: هي يعود على الغرفة، وهو مبتدأ خبره جملة ﴿حَسُنْتَ﴾، والجملة الاسمية جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة مستأنفة. ﴿مَا﴾: اسم استفهام في محل نصب على المفعولية المطلقة. ﴿يَعْبَأُ﴾: فعل مضارع. ﴿بِكُمْ﴾: متعلق به. ﴿رَبِّي﴾: فاعل؛ أي: أي عبء يعبأ بكم ربي، أو ﴿مَا﴾ نافية، والجملة الفعلية في محل نصب مقول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿لَوْلَا﴾: حرف امتناع لوجود. ﴿دُعَاؤُكُمْ﴾: مبتدأ ومضاف إليه، والخبر محذوف وجوباً تقديره: لولا دعاؤكم موجود، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ معلوم مما قبلها تقديره: لولا دعاؤكم موجود ما يعبأ بكم ربي، وجملة ﴿لَوْلَا﴾ في محل نصب مقول لـ﴿قُلْ﴾. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: عاطفة لمحذوف تقديره: فكيف يعبأ بكم ربي وقد كذبتُم، والجملة المحذوفة معطوفة على جملة قوله: ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قُلْ﴾، وصح عطفها؛ لأنها بمعنى النفي؛ لأن الاستفهام فيها إنكاري. ﴿فَقَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿كَذَّبْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل نصب حال من ضمير المخاطبين في قوله: فكيف يعبأ بكم، أو الفاء عاطفة على جملة ﴿مَا يَعْبَأُ﴾

يَكُونُ، أو الفاء فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أنه لا يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم، وأردتم بيان حالكم ومآل أمركم.. فأقول لكم: ﴿قَدْ كَذَبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِرَآئِكُمْ﴾، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قُلْ﴾. ﴿فَسَوْفَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿سَوْفَ﴾: حرف تنفيس. ﴿يَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه ضمير يعود على العذاب. ﴿لِرَآئِكُمْ﴾: خبر ﴿يَكُونُ﴾، وجملة ﴿يَكُونُ﴾ معطوفة على جملة ﴿كَذَبْتُمْ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿ظَهَرَ﴾ الظهير والمظاهر: المعاون، فهو يعاون الشيطان على ربه؛ أي: على رسوله وإطفاء نوره بالعداوة، أو المعنى: هيناً مهيناً، لا وقع له عند الله ولا قدر، من قولهم: ظهرت به إذا نبذته خلف ظهره، فيكون كقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، اهـ «بيضاوي». ومنه قوله: ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾؛ أي: هيناً. وقيل: إن المعنى: وكان الكافر على ربه الذي يعبد - وهو الصنم - قوياً غالباً يعمل به ما يشاء؛ لأن الجماد لا قدرة له على دفع ولا نفع، ويجوز أن يكون الظهير جمعاً كقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ والمعنى: أن بعض الكفرة مظاهر لبعض على رسول الله ﷺ، أو على دينه. والمراد بالكافر الجنس، ولا ينافيه كون سبب النزول كافراً معيناً كما قيل: إنه أبو جهل، اهـ «شوكاني».

﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾: من التبشير، والتبشير: إخبار فيه سرور. ﴿وَنَذِيرًا﴾ والإنذار: إخبار فيه تخويف، واقتصر على صيغة المبالغة في الإنذار لتخصسه بالكافرين إذ الكلام فيهم، والإنذار الكامل لهم، ولو قيل: إن المبالغة باعتبار الكم لشموله للعصاة جاز، اهـ «شهاب» باختصار.

﴿مَنْ أَجْرٍ﴾ والأجر: ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو آخروياً. ﴿وَسَيِّئٌ يَحْتَدِرُ﴾؛ أي: نزهه عن صفات النقصان مثنياً عليه بأوصاف الكمال، طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابغه، اهـ «بيضاوي».

﴿وَكَلَّمَ يَدَهُ﴾ يقال: كفى بالعلم جمالاً؛ أي: حسبك فلا تحتاج معه إلى

غيره.

﴿خَيْرًا﴾ والخير بالشيء: العليم بظاهره وباطنه وبكل ما يتصل به. ﴿وَرَادَهُمْ نُفُورًا﴾ والنفور: الإنزعاج عن الشيء والتباعد عنه. ﴿بُرُوجًا﴾؛ أي: طرقاتاً ومنازل للسبعة السيارة، سميت بروجاً؛ لاستنارتها وحسنها وضوئها، والأبرج الواسع ما بين الحاجبين. ﴿سِرْجًا﴾ قال الراغب: السراج الزاهر بفتيلة، ويعبر به عن كل شيء مضيء، والمراد به ههنا الشمس لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرْجًا﴾ شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسرج والمصابيح، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ في الإنارة والإشراق ﴿قمرًا﴾ سمي قمرًا؛ لبياضه كما في «المختار».

﴿خَلْفَةً﴾؛ أي: يخلف كل واحد منهما الآخر، فالخلفة مصدر هيئة. وعبارة «القرطبي»: قال أبو عبيدة: الخلفة كل شيء بعد شيء، فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه، ويقال للمبطون: أصابه خلفه؛ أي: قيام وقعود يخلف هذا ذاك، ومنه خلفه النبات وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصعيد. وقال مجاهد: خلفه من الخلاف، هذا أبيض وهذا أسود، والأول أقوى. وقيل: يتعاقبان في الضياء والظلام، والزيادة والنقصان. ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ المشي: الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة.

﴿هَوْنًا﴾ والهون: الرفق والسكينة والوقار، كما في «القاموس»، وهو مصدر وضع موضع الصفة للمبالغة، وتذلل الإنسان في نفسه بما لا يلحق به غضاظة، كما في «المفردات». وهين لين، وقد يخففان.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ الجاهل: خلو النفس من العلم، واعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه، وفعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً، اهـ «روح».

﴿يَمْشُونَ﴾: من بات بيت بيتوته، والبيتوته خلاف الظلول، وهي أن

يدركك الليل نمت أو لم تنم، ولذلك يقال: بات فلان قلقاً؛ أي: مضطرباً.

﴿سُجِّدًا﴾: جمع ساجد، كركع جمع رакع. ﴿وَقِيَمًا﴾: جمع قائم كصيام جمع صائم. غراماً: أي: هلاكاً وخسراناً وعذاباً لازماً. وفي «المختار»: الغرام: الشر الدائم والعذاب، قال بشر بن أبي خازم:

وَيَوْمَ النَّسَارِ وَيَوْمَ الْفَجَا رِ كَانَا عَذَاباً وَكَانَا غَرَامَا
والنصار ماء لبني عامر، والفجار ماء لبني تميم، وقد جرت فيهما هاتان الواقعتان، وكانتا عذاباً على أهلهما وهلاكاً دائماً. قال الراغب: مأخوذ من قولهم: هو مغرم بالنساء؛ أي: يلازمهن ملازمة الغريم؛ أي: ملازمة من له الدين لغريمه؛ أي: من عليه الدين، فكلاهما غريم.

﴿لَمْ يُسْرِفُوا﴾ الإسراف: مجاوزة الحد في الإنفاق.

﴿وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ من الإقتار، والقتل والتقتل والإقتار هو التضييق الذي هو ضد الإسراف، وفي «المختار»: وقتر على عياله؛ أي: ضيق عليهم في النفقة، وبابه ضرب ودخل، وقتر تقتيراً وأقتر أيضاً ثلاث لغات.

﴿قَوَّامًا﴾ - بفتح القاف وكسرهما - وقد قرئ بهما، والقوام - بالفتح - العدل بين الشئتين لاستقامة الطرفين، ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء، والقوام - بالكسر - ما يقام به الشيء يقال: أنت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة لا يزيد عنها ولا ينقص.

﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ الزنا: وطء المرأة من غير عقد شرعي، أو ملك يمين كما مر، اه روح.

﴿أَنَامًا﴾ الآثام كالوبال والنكال وزناً ومعنى، وجزاء الإثم الذي هو الذنب نفسه، قال الشاعر:

جَزَى أَلَّهُ أَبْنَ عُرْوَةَ حَيْثُ أَمْسَى عُقُوقاً وَالْعُقُوقُ لَهُ أُنَامُ

وفي «المختار»: أئمه الله في كذا بالقصر يأثمه بضم الثاء وكسرهما أئاماً عده عليه إثمأً فهو مأثوم. وقال الفراء: أئمه الله يأثمه إثمأً وأئاماً جازاه جزاء الإثم فهو مأثوم؛ أي: مجزى جزاء إثمه.

﴿يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ قال الراغب: التبديل جعل الشيء مكان آخر، وهو أعم من العوض، فإن العوض أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل يقال للتغيير وإن لم تأت ببده، اهـ «روح».

﴿مَتَابًا﴾ قال الراغب: متاباً مصدر ميمي؛ أي: التوبة التامة، وهي الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل، اهـ.

﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ والزور: الكذب، وأصله تمويه الباطل بما يوهم أنه حق. وقال الراغب: الأزور المائل الزور؛ أي: الصدر. وقيل للكذب زور؛ لكونه مائلاً عن جهته.

﴿بِاللَّغْوِ﴾ وقال الراغب: اللغو من الكلام ما لا يعتد به، هو يعد ذلاقه روية وفكر فيجري مجرى اللغا، وهو صوت العصافير نحوها من الطيور ﴿كَرَامًا﴾: جمع كريم، يقال: تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه. قال الراغب: الكرم إذا وصف الله به فهو اسم لإحسانه وإنعامه المتظاهر، وإذا وصف به الإنسان فهو اسم للأخلاق والأفعال المحمودة التي تظهر منه، ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه.

﴿لَمْ يَخْرُؤْ عَلَيْهَا﴾ يقال: خر إذا سقط سقوطاً يسمع منه خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو. ﴿صُتًا﴾: جمع أصم، وهو فاقد حاسة السمع. ﴿وَعُمَيَّاتًا﴾: جمع أعمى، وهو فاقد حاسة البصر. ﴿هَبْ لَنَا﴾: وهو أمر من وهب يهب وهباً وهبة، والهبة ضابطها أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض، ويوصف الله بالواهب والوهاب بمعنى أنه يعطي كلاً على قدر استحقاقه.

﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾: جمع زوج، يقال لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج، وأما زوجة فلغة رديئة كما في «المفردات».

﴿وَدَّرَيْنَا﴾: جمع ذرية، أصلها صغار الأولاد، ثم صار عرفاً في الكبار أيضاً. قال في «القاموس»: ذراً الشيء كثره، ومنه الذرية - مثله - لنسل الثقلين.

﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ منصوب على أنه مفعول ﴿هَبْ﴾، وهي إما من القرار ومعناه أن يصادف قلبه من يرضاه، فتقر عينه عن النظر إلى غيره، ولا تطمح إلى ما فوقه، وإما من القر بالضم؛ وهو البرد، والعرب تتأذى من الحر، وتستريح إلى البرد، فقرور العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فإن دمع العين عند السرور بارد، وعند الحزن حار، فالمراد بالقرور المسؤول تفضيلهم بالفضائل الدينية، لا بالمال والجاه والجمال ونحوها، اهـ «روح».

﴿لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ والإمام المؤتم به إنساناً كان يقتدى بقوله وفعله، أو كتاباً، أو غير ذلك، محققاً كان أو مبطلاً، كما في «المفردات» وفي صيغته أربعة أوجه:

الأول: أنه مصدر مثل قيام وصيام، فلم يجمع لذلك، والتقدير هنا: ذوي إمام.

والثاني: أنه جمع إمامة مثل قلادة وقلاد.

والثالث: أنه جمع أم من أم يؤم.

والرابع: أنه واحد أكتفي به عن أئمة، كما قال تعالى: ﴿تُخْرِجُكُمْ أَطْفَالًا﴾، اهـ «إعراب القرآن».

﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ قال القرطبي: الغرفة الدرجة الرفيعة؛ وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها، كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا، حكاه ابن شجرة. وقال الضحاك: الغرفة الجنة، اهـ. والغرف: رفع الشيء أو تناوله، يقال: غرفت الماء والمرق، وهي هنا اسم جنس أريد به الجمع؛ أي: يثابون أعلى منازل الجنة.

﴿وَلَقِّنَهُمْ﴾ يقرأ بالتشديد، ومعناه يعطون، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقِّنَهُمْ نَصْرَهُ وَشُرُوكًا﴾، وبالتخفيف، ومعناه: يجدون ويصادفون، ففي «المصباح»: لقيته ألقاه، من باب تعب لقياء، والأصل فعول، ولقي بالضم مع القصر، ولقياً بالكسر مع المد والقصر، وكل شيء استقبل شيئاً أو صادفه فقد لقيه، اهـ.

﴿فَحَيَّهٖ وَسَلَّمًا﴾ والفرق بين التحية والسلام أن التحية الدعاء بالتعمير، والسلام الدعاء بالسلامة من الآفات، اهـ «زكريا». وعبرة «الشهاب»: قوله: الدعاء بالتعمير؛ أي: طول العمر والبقاء؛ لأن التحية أصل معناها قول حيأك الله وأبقاك، وهي مشتقة من الحياة، والمراد من الدعاء به التكريم وإلقاء السرور، وإلا فهو متحقق لهم، اهـ. وعبرة «أبي السعود»: معنى يلقون فيها تحية وسلاماً؛ أي: تحييه الملائكة، ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات، اهـ.

﴿مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّي﴾ وفي المختار: عبأ الطيب والمتاع هيأه، وبابه قطع، وعبأه تعبئة مثله، والعبء - بالكسر - الحمل، وجمعه أعباء، وما عبأ به؛ أي: ما بالى به، وبابه قطع، اهـ.

﴿لِزَامًا﴾ مصدر لازم الرباعي كقاتل قتالاً، والمراد به هنا اسم الفاعل، فهو مصدر أقيم مقام الفاعل، كما أقيم العدل مقام العادل.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرورياً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: طباق السلب في قوله: ﴿مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾.

ومنها: الحصر في قوله: ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

ومنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وسماها القدامي استعارة تخيلية، فالمستعار الاستواء، والمستعار منه كل جسم مستو، والمستعار له الحق عز وجل ليتخيل السامع عند سماع هذه اللفظة ملكاً فرغ من ترتيب

ممالكه، وتشيد ملكه، وجميع ما تحتاج إليه رعاياه، وجنده من عمارة بلاده، وتدير أحوال عباده، استوى على سرير ملكه استيلاء عظمة، فيقيس السامع ما غاب عن حسه من أمر الإلهية على ما هو متخيله من أمر المملكة الدنيوية عند سماع هذا الكلام، ولهذا لا يقع ذكر الاستواء على العرش إلا بعد الإخبار بالفراغ من خلق السموات والأرض وما بينهما، وإن لم يكن ثم سرير منصوب، ولا جلوس محسوس، ولا استواء معقول لنا.

فائدة: في الاستواء مذهبان:

أحدهما: مذهب السلف، وهو لا يفسر الاستواء، بل يقول: إنه استواء يليق به سبحانه، لا نكيفه، ولا نمثله، وهو الأسلم الأعلم.

وثانيهما: مذهب الخلف، وهو يفسره بالاستيلاء عليه بالتصرف فيه، وفي سائر المخلوقات.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿بُرُوجًا﴾؛ لأنها في الأصل القصور العالية، استعيرت لمنازل الكواكب السيارة بجامع الارتفاع في كل.

ومنها: الإضافة للتشريف في قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾.

ومنها: تقديم السجود على القيام في قوله: ﴿سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾؛ لرعاية الفاصلة مع أن السجود مؤخر عنه طبعاً، وليعلم أن القيام في الصلاة مقدم مع أن السجدة أحق بالتقديم.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾؛ لإفادة التهويل.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا﴾، وفي قوله: ﴿فَإِنَّهُ يَنْتَوِي إِلَى اللَّهِ مَكَابًا﴾.

ومنها: الاستعارة البديعة في قوله: ﴿لَمْ يَخْرُؤْ عَلَيْهَا صَمًا وَعُمَيَانًا﴾؛ لأن

المراد أنهم لم يتغافلوا من قوارع النذر حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر، وهذا من أحسن الاستعارات. وفيها التقرير والتعريض للكافرين بأنهم صم عمي، لا ينتفعون بما يقرؤون، ولا يعتبرون بما يشاهدون، ولا يتجاوز آذانهم ما يسمعون.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ فإنه كناية عن الفرحه والمسرة، كما أن ﴿أَلْفُرْقَةَ﴾ كناية عن الدرجات العالية في الجنة، وفيها أيضاً نكتتان: الأولى: تنكير ﴿أَعْيُنٍ﴾، وإنما جنح إلى تنكيره لأجل تنكير ﴿قُرَّةَ﴾، والمضاف لا يمكن تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه؛ ليكون السرور غير متناه ولا محدود.

الثانية: تقليل ﴿أَعْيُنٍ﴾؛ أي: جمعها جمع قلة، وإنما قللها؛ لأن أعين المتقين قليلة بالنسبة إلى غيرهم، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

ومنها: المقابلة اللطيفة بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار في قوله: ﴿حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ مقابل قوله في أهل النار ﴿سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

خلاصة ما اشتملت عليه السورة الكريمة من الأحكام

اشتملت هذه السورة على عدة مقاصد:

١. إثبات النبوة والوحدانية والنعي على عبدة الأوثان والأصنام، وإثبات البعث والنشور وجزاء المكذبين بذلك، مع ذكر شبهاتهم التي قالوها في النبي ﷺ وفي القرآن، ثم تفنيدها.

٢. قصص بعض الأنبياء السالفين، وتكذيب أممهم لهم ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

٣. العجائب الكونية من مد الظل، وجعل الليل لباساً، وجعل النهار معاشاً، وإرسال الرياح مبشرات بالأمطار، ومروج البحرين العذب الفرات والملح الأجاج، وجعل البروج في السماء، وجعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكوراً.

٤. الأخلاق والآداب من قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ...﴾ إلى آخر السورة^(١).

والله سبحانه وتعالى أعلم

(١) وقد تم تفسير سورة الفرقان بحمده وعونه في الساعة الخامسة من ليلة الجمعة المباركة من شهر سنة ١٤١٣/٢/٢٣ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

سورة الشعراء

سورة الشعراء مكية كلها عند الجمهور، إلا أربع آيات من آخرها نزلت بالمدينة؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾ ﴿٣٣﴾ إلى آخر السورة.

وهي ^(١) مئتان وسبع وعشرون آية، وألف ومئتان وتسع وسبعون كلمة، وخمسة آلاف وخمسة مئة واثنان وأربعون حرفاً.

التسمية: واسمها سورة الشعراء، سميت باسم بعضها على عادته سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أنه يسمي كل سورة ببعض ما فيها من الكلمات.

فضلها: وورد في فضلها أحاديث ^(٢):

منها: ما أخرجه القرطبي في تفسيره عن البراء - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المئين مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل، ما قرأهن نبي قبلي».

وأخرج أيضاً عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «أعطيت السورة التي تذكر فيها البقرة من الذكر الأول، وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش، وأعطيت المفصل نافلة». قال ابن كثير في تفسيره: ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها بسورة الجمعة.

وعن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الشعراء ^(٣).. كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب، وهود، وصالح، وشعيب، وإبراهيم، وبعدد من كذب بعيسى، وصدق بمحمد» صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين. ولكنه ضعيف.

(٣) البيضاوي.

(١) الخازن.

(٢) الشوكاني.

المناسبة: ومناسبتها لما قبلها من وجوه^(١):

١. أن فيها بسطاً وتفصيلاً لبعض ما ذكر في موضوعات سالفاتها.

٢. أن كليهما قد بدئت بمدح الكتاب الكريم.

٣. أن كليهما ختمت بإيعاد المكذبين.

وقال أبو حيان^(٢): ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها: أنه تعالى قال في آخر السابقة: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ ففيه إيعاد المكذبين، وقال في أول هذه إثر إخباره بتكذيبهم: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣)، وفيه أيضاً إيعاد الكفرة المكذبين.

الناسخ والمنسوخ: وقال أبو عبد الله محمد بن حزم - رحمه الله - في كتابه: «الناسخ والمنسوخ»: جميع^(٣) هذه السورة محكم إلا قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾^(١٢٨) إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾^(١٢٩)، ثم نسخ في شعراء المسلمين، فاستثناهم بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(١٣٠) الآية، فصارت ناسخة للآيات التي قبلها، ومن الذكر ههنا الشعر في الطاعة انتهى.

والله أعلم

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط بتصرف.

(٣) الناسخ والمنسوخ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓ﴾ ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ تُنْشِكُ آلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٣ إِنْ تَشَأْ
نَزَّلْ عَلَيْهِمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَظُلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَمَّا خَصَّيْنِ ٤ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُجَدِّدًا إِلَّا
كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٥ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٦ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ
كَمْ أَهْلَكْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٧ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٩ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ١١ قَالَ
رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَبْدُلُ لِسَانِي فَأُرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ١٣ وَلَهُمْ عَلَى
ذُنُوبٍ قَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّا فَإِذْ هَبَا بَيَاتِنَاتًا ١٥ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ١٦ فَأَيُّا فِرْعَوْنَ فَقُولَا
إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٧ أَدْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ١٨ قَالَ أَلَمْ تُرَبِّكُنَا فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ
عُمُرِكَ سِنِينَ ١٩ وَقَعَلْتَ فَعَلْتَنَا الْآتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٢٠ قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ
الضَّالِّينَ ٢١ فَفَرَّقْتَ بَيْنَكُمْ لَمَّا خِفْتُمْكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢٢ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنَّهَا
عَلَى أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ٢٣ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ٢٤ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢٥ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ٢٦ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٢٧
قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ٢٨ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ
٢٩ قَالَ لِمَنْ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِجَعَلْتَنكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ٣٠ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ٣١
قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٣٢ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ٣٣ وَرَزَقَ يَدُهُ إِذَا هِيَ
بِيَضَاءٍ لِلنَّظِيرِينَ ٣٤ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ٣٥ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ٣٦ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الدُّنْيَا حَشِيرِينَ ٣٧ بَأْتُوكَ بِكُلِّ
سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿طٓ﴾ .

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر سوء حال المشركين، وشدة عنادهم، وقبيح

لجأهم.. سَلَّى رسولهُ ﷺ على ذلك بأن قومه ليسوا ببدع في الأمم، وأنه ليس بالأوحد في الأنبياء المكذبين، فقد كَذَّب موسى من قبلك على ما أتى به من باهر الآيات وعظيم المعجزات، ولم تغن الآيات والنذر، فحاق بالمكذبين ما كانوا به يستهزئون، وأخذهم الله بذنوبهم، وأغرقهم في اليم جزاء اجتراحهم للسيئات، وتكذيبهم بعد ظهور المعجزات ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلْمٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

التفسير وأوجه القراءة

﴿طَسَّرَ﴾ الحروف المقطعة^(١) في أوائل السور يجمعها قولك: سر حصين قطع كلامه، وأول ما قال أهل التفسير في حق هذه الحروف: الله أعلم بمراده؛ لأنها من الأسرار الغامضة كما قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: إن لكل كتاب سرّاً، وسرّ القرآن في المقطعات.

في «رياض الأذكار»: والمعاني المتعلقة بالأسرار والحقائق لا يعلمها إلا الله ومن أطلع الله عليها من الراسخين في العلم، وهم العلماء بالله، فلا معنى للبحث عن مرتبة ليس للسان حظُّ منها، ولا للقلم نصيب، وقيل: أقسم الله تعالى به.

وقال أهل الإشارة^(٢): هو إشارة إلى طاء طَوَّله تعالى في كمال عظمته، وإلى سين سلامته عن كل عيب ونقص، وهو منفرد في تنزهه عنه، وإلى ميم مجده في عزة كرم لا نهاية لها، وإشارة أيضاً إلى طاء طهارة قلب نبيه محمد ﷺ عن تعلقات الكونين، وإلى سين سيادته على الأنبياء والمرسلين، وإلى ميم مشاهدته لجمال رب العالمين، وإشارة أيضاً إلى طاء طيران الطائرين بالله، وإلى سين سير السائرين إلى الله، وإلى ميم مشي الماشين لله مشي العبودية، لا مشي التفخر والتكبر.

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

ومحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف إن كان اسماً للسورة كما ذهب إليه الأكثر، أو على أنه مبتدأ خبره محذوف، ويجوز أن يكون في محل نصب بتقدير: اذكر، أو اقرأ. وأما إن كان مسروداً على نمط التعديد بطريق التحدي فلا محل له من الإعراب.

وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وأبو بكر والمفضل وحمزة والكسائي وخلف وأبان^(١): ﴿طَسَّ ١١﴾ و﴿طس﴾ النمل بإمالة الطاء فيهما، وقرأ نافع وأبو جعفر وشيبة والزهري بين اللفطين، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم، وقرأ الباقون بفتح الطاء مشبعا، وقرأ المدنيون وأبو عمرو وعاصم والكسائي بإدغام النون من هجاء سين ﴿طَسَّ ١١﴾ في الميم، وقرأ الأعمش وحمزة بإظهارها، قال الثعلبي: الإدغام اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، قال النحاس: وحكى الزجاج في كتابه فيما يجري وما لا يجري: أنه يجوز أن يقال: ﴿طاسين ميم﴾ بفتح النون وضم الميم، كما يقال: هذا معدي كرب، وقرأ عيسى ويروى عن نافع بكسر الميم على البناء، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: ﴿ط س م﴾ هكذا حروفاً مقطعة، فيوقف على كل حرف وقفة يتميز بها عن غيره، وكذلك قرأ أبو جعفر.

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، والإشارة به إلى السورة ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ خبر المبتدأ؛ أي^(٢): هذه السورة التي نحن بصددھا آیات القرآن الظاهر إعجازه، وصحة أنه كلام الله سبحانه، ولو لم يكن كذلك لقدروا على الإتيان بمثله، ولما عجزوا عن المعارضة، فهو من أبان بمعنى بان أو ظهر، أو المبين للأحكام الشرعية وما يتعلق بها؛ أي: هذه آیات القرآن البين الواضح الذي يفصل بين الحق والباطل، والغبي والرشاد.

و﴿لعل﴾ في قوله: ﴿لَمَّا بَلَغَ نَقْصُكَ﴾ للاستفهام^(٣) الذي يراد به الإنكار؛

(٣) المراغي.

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

أي: أقاتل أنت نفسك يا محمد أسفاً وحزناً على ﴿أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ بهذا الكتاب المبين. وقال العسكري: إنها للنهي، والمعنى على هذا: لا تبخع نفسك يا محمد ولا تهلكها أسى وحسرة على عدم إيمانهم.

وقيل: إنها على معناها الأصلي؛ أي: للإشفاق؛ أي: الخوف، والله تعالى منزّه عنه، فهو بالنسبة إلى النبي ﷺ، ولكن الإشفاق هنا بمعنى الأمر. والبخع في الأصل أن يبلغ بالذبح النخاع - بالنون كما في «القاموس» - وهو عرق مستبطن في فقار القفا، والمعنى عليه: أشفق يا محمد على نفسك، وخف أن تقتلها بالحزن بلا فائدة، وهو حث على ترك التأسف، وتصبير وتسليّة له ﷺ.

وقوله: ﴿أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ مفعول له بحذف المضاف؛ أي: خيفة أن لا يؤمن قريش بذلك الكتاب المبين، فإن الخوف والحزن لا ينفع في إيمان من سبق حكم الله بعدم إيمانه، كما أن الكتاب المبين لم ينفع في إيمانه، فلا تهتمّ فقد بلغت. والمعنى: لعلك قاتل نفسك لتركهم الإيمان؛ لأنه كان حريصاً على إيمان قومه، شديد الأسف لما يراه من إعراضهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى تأديب النبي ﷺ؛ لئلا يكون مفرطاً في الرحمة والشفقة على الأمة، فإنه يؤدي إلى الركون إليهم، وأن التفريط في ذلك يؤدي إلى الفظاظة وغلظ القلب، بل يكون مع الله مع المقبل والمدير.

وقرأ قتادة وزيد بن علي^(١): ﴿باخع نفسك﴾ على الإضافة، وقرأ الباقر بالقطع. ونحو الآية قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ﴾، وقوله: ﴿فَلَمَّا كَبِخَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ إِن لَّوْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.

ثم بيّن^(٢): أن إيمانهم ليس مما تعلق به مشيئة الله تعالى، فقال: ﴿إِنْ شَاءَ﴾ إيمانهم، أي: لو شئنا إيمانهم، وتعلق به إرادتنا أولاً ﴿نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على مشركي قومك ﴿مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ دالة على كمال قدرتنا، ملجئة لهم إلى الإيمان كإنزال الملائكة، أو بليّة قاسرة عليه كآية من آيات القيامة، ولكن سبق

(٢) روح البيان.

(١) البحر المحيط.

القضاء بآنا لا ننزل ذلك ﴿فَطَلَّتْ﴾؛ أي: فصارت؛ أي: فتظل ﴿أَعْنَقُهُمْ﴾؛ أي: رقابهم ﴿لَمَّا﴾؛ أي: لتلك الآية ﴿خَضِعِينَ﴾؛ أي: منقادين، فلا يكون أحد منهم يميل عنقه إلى معصية الله تعالى، ولكن لم نفعل؛ لأنه لا عبرة بالإيمان المبني على القسر والإلجاء كالإيمان يوم القيامة. وأصله: فظلوا لها خاضعين، فإن الخضوع صفة أصحاب الأعناق حقيقة، فأقحمت الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع، وترك الخبر على حاله. وفيه بيان أن الإيمان والمعرفة موهبة خاصة خارجة عن اكتساب الخلق في الحقيقة، فإذا حصلت الموهبة نفع الإنذار والتبشير، وإلا فلا، فليكن على نفسه من جبل على الشقاوة.

وقرأ أبو رزين وأبو المتوكل وأبو عمرو في رواية هارون عنه^(١): ﴿إِنْ يَشَأْ يُنْزِلْ﴾ على الغيبة؛ أي: إن يشأ الله ينزل، وفي بعض المصاحف: ﴿لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا﴾ وقرأ الجمهور: ﴿فَطَلَّتْ﴾ ماضياً بمعنى المستقبل؛ لأنه معطوف على ﴿تُنْزَلُ﴾ وقرأ طلحة ﴿فتظلل﴾.

وقال مجاهد وابن زيد والأخفش: معنى ﴿أَعْنَقُهُمْ﴾: جماعاتهم، يقال: جاءني عنق من الناس؛ أي: جماعة، وقيل: أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالأعناق، وقيل: أريد به الجارحة، فقال ابن عيسى: هو حيثنذ على حذف مضاف؛ أي: أصحاب الأعناق حيث قال: ﴿خَضِعِينَ﴾، ولم يقل: خاضعة، وقرأ عيسى وابن أبي عبله: ﴿خاضعة﴾.

ومعنى الآية: أي لو شئنا أن ننزل عليهم من السماء آية تلجئهم إلى الإيمان وتقسرهم عليه، كما نتقنا الجبل فوق قوم موسى حتى صار كالظلة فصار جماعاتهم خاضعين منقادين لها كرها.. لفعلنا، ولكن جرت سنتنا أن يكون الإيمان اختيارياً لا قسرياً، كما قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩).

ومن ثم نفذ قدرنا، ومضت حكمتنا، وقامت حاجتنا على الخلق بإرسال

(١) البحر المحيط وزاد المسير.

الرسول إليهم، وإنزال الكتب عليهم.

والخلاصة: أن القرآن، وإن بلغ في البيان الغاية، غير موصل لهم إلى الإيمان، فلا يتبالغ في الأسى والحزن، فإنك إن فعلت ذلك كنت كمن يقتل نفسه، ثم لا ينتفع بذلك، فكما أن الكتاب على وضوحه لم يفدهم شيئاً فحزنك عليهم لا يجدي نفعاً، وقد كان في مقدورنا أن نلجئهم إلى الإيمان إلجاء، ولكن جرت سنتنا أن يكون الإيمان طوعاً لا كرهاً، ومن جرّاء هذا أرسلنا رسلنا بالعظات والزواجر، وأنزلنا الكتب لتهدّيهم إلى سواء السبيل، لكنهم ضلوا وأضلوا، وما ربك بظلام للعبيد.

ثم بين شدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما هم عليه من الكفر والضلال بغير الآيات الملجئة تأكيداً لصرف رسول الله ﷺ عن الحرص على إسلامهم، فقال: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾؛ أي: أهل مكة وما يجيئهم ﴿مِنْ ذِكْرٍ﴾: ﴿مِنْ﴾: زائدة لتأكيد العموم، وفي قوله: ﴿مَنْ الرَّحْمَنِ﴾ ابتدائية؛ أي: بوحيه إلى نبيه، دل^(١) هذا الاسم الجليل على أن إتيان الذكر من آثار رحمة الله تعالى على عباده؛ أي: وما يأتي أهل مكة تذكير وموعظة من المواعظ القرآنية مبتدأ مجيئه من الرحمن ﴿مُحَمَّدٌ﴾؛ أي: مجدّد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير، فلا يلزم حدوث القرآن؛ أي: فهو محدث التنزيل، وكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول، ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾؛ أي: إلّا جدّدوا إعراضاً عن ذلك الذكر، وعن الإيمان به، وإصراراً على ما كانوا عليه؛ أي^(٢): وما يجدد الله سبحانه لهم بوحيه موعظة وتذكيراً إلّا جدّدوا إعراضاً عنه، وكفراً به. والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال، محله النصب على الحالية من مفعول ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ بإضمار قد، وبدونه على الخلاف المشهور في محله؛ أي: ما يأتيهم من ذكر في حال من الأحوال إلّا حال كونهم معرضين عنه.

وقد سبق نظير هذه الآية في سورة الأنبياء. فإن قلت: لم قال هناك ﴿مِنْ﴾

(٢) النسفي.

(١) روح البيان.

ذَكَرَ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ، وقال هنا ﴿مَنْ ذَكَرَ مِنَ الرَّحْمَنِ يُحَدِّثْ﴾؟

قلت: غاير بينهما ليوافق كل ما في سياقه؛ لأنه ذكر هناك: ﴿مَنْ رَبِّهِمْ﴾ لموافقة قوله بعد ذلك: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾، وقال هنا: ﴿مَنْ الرَّحْمَنِ﴾ ليوافق قوله فيما بعد: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْ أَعَزُّهُ الرَّحِيمُ﴾؛ لأن الرحمن والرحيم من مادة واحدة، فهما أخوان، اهـ من «فتح الرحمن» بتصرف.

والمعنى: أي^(١) وما يجيء هؤلاء المشركون الذين يكذبونك، ويجحدون ما أتيتهم به ذكر من عند ربك لتذكرهم به إلا أعرضوا عن استماعه، وتركوا أعمال الفكر فيه، ولم يوجهوا همهم إلى تدبره وفهم أسرارهم ومغازيه، وما كان أحراهم بذلك، وهم أهل الذكن والفتنة، ولكن طمس الله على قلوبهم فأكثرهم لا يعقلون، وخلاصة ذلك أنه لا يجدد لهم موعظة وتذكيراً إلا جددوا ما هو نقيض ذلك من إعراض وتكذيب واستهزاء.

ثم أكد إعراضهم بقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ بالذكر عقب الإعراض، فالفاء للإفصاح؛ أي: جعلوه تارة سحراً، وأخرى شعراً، ومرة أساطير الأولين؛ أي^(٢): فقد كذبوا بالذكر الذي جاءهم تكذيباً صريحاً، ولم يكتفوا بمجرد الإعراض. وقيل: إن الإعراض بمعنى التكذيب؛ لأن من أعرض عن شيء ولم يقبله فقد كذبه، وعلى هذا فيكون ذكر التكذيب للدلالة على صدور ذلك منهم على وجه التصريح، والأول أولى، فالإعراض عن الشيء عذم الالتفات إليه، ثم انتقلوا عن هذا إلى ما هو أشد منه؛ وهو الاستهزاء، ثم انتقلوا عن التكذيب إلى ما هو أشد منه؛ وهو الاستهزاء، كما يدل عليه قوله: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ البتة من غير تخلف أصلاً، والفاء للتفريع؛ أي: لإعراضهم المؤدي إلى التكذيب المؤدي إلى الاستهزاء يأتيهم ﴿أَنْبَأُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾؛ أي: أخبار^(٣) الذكر الذي كانوا يستهزئون به، ومآله وعواقبه من العقوبات العاجلة والآجلة التي بمشاهدتها يقفون

(٣) روح البيان.

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

على حقيقة حال القرآن بأنه كان حقاً أو باطلاً، وكان حقيقاً بأن يصدق ويعظم قدره، أو يكذب فيستخف أمره، كما يقفون على الأحوال الخافية عنهم باستماع الأنبياء، وفيه تهويل له؛ لأن النبا لا يطلق إلا على خبر خطير له وقع عظيم.

أي: فقد كذب هؤلاء المشركون بالذكر الذي أتاهم من عند الله تعالى، ثم انتقلوا من التكذيب إلى الاستهزاء، وسيحل بهم عاجل العذاب وآجله في الدنيا والآخرة، كما قال ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ﴾، وقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، ونحو الآية قوله: ﴿يَحْضَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، وقصارى ذلك أنهم كذبوا بما جنتهم به من الحق، وأنه سيأتيهم لا محالة صدق ما كانوا يستهزئون به من قبل، بلا تدبر ولا تفكير في العاقبة.

وبعد أن بين أنهم أعرضوا عن الآيات المنزلة من عند ربهم.. ذكر أنهم أعرضوا عن الآيات التي يشاهدونها في الآفاق، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الهمزة^(١) فيه للإنكار التوبيخي، داخل على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف؛ أي: أفعال المكذبون من قريش ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾؛ أي: إلى عجائبها الزاجرة عما فعلوا، الداعية إلى الإقبال إلى ما أعرضوا ﴿كَرَّ أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ بعد أن لم يكن فيها نبات ﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾؛ أي: جنس ونوع وصنف ﴿كَرِيمٍ﴾؛ أي: حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام.

قال أهل التفسير: ﴿كَرَّ﴾: خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية، والجمع بينها وبين ﴿كُلِّ﴾؛ لأن ﴿كُلِّ﴾ للإحاطة بجميع أزواج النبات، و﴿كَرَّ﴾ لكثرة المحاط به من الأزواج. و﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾؛ أي: صنف تمييز، والكريم كل شيء مرضيه ومحموده، والمعنى: كثيراً من كل صنف مرضي كثير المنافع أنبتنا فيها، وتخصيص النبات النافع بالذكر دون ما عداه من أصناف الضار، وإن

(١) روح البيان.

كان كل نبت متضمناً لفائدة وحكمة؛ لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معاً.

واعلم: أنه سبحانه كما أنبت من أرض الظاهر كل صنف ونوع من النبات الحسن الكريم، كذلك أنبت في أرض قلوب العارفين كل نبت من الإيمان والتوكل واليقين والإخلاص والأخلاق الكريمة، كما قال عليه السلام: «لا إله إلا الله ينبت الإيمان كما ينبت البقل»، قال أبو بكر بن طاهر: أكرم زوج من نبات الأرض آدم وحواء، فإنهما كانا سبباً في إظهار الرسل والأنبياء والأولياء والعارفين. اهـ. وقال الشعبي: الناس من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

والمعنى: أغفل هؤلاء المشركون وأصروا على ما هم عليه من الكفر بالله، وتكذيب رسوله، ولم يتأملوا في الأرض وكثرة ما فيها من أصناف النبات المختلفة الأشكال والألوان مما يدل على باهر القدرة وعظيم سلطان ذلك العلي الكبير؟!

والخلاصة: كيف اجتروا على مخالفة الرسول وتكذيب كتابه، وإلهه هو الذي خلق الأرض، وأنبت فيها الزرع والشمار والكروم على ضروب شتى وأشكال مختلفة تبهر الناظرين، وتسترعي أنظار الغافلين.

ثم بين أنهم قوم فقدوا وسائل الفكر، وعدموا التأمل والنظر في الأكوان، ومن ثم فهم جاحدون، فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإنبات المذكور، أو في كل واحد من تلك الأصناف ﴿لَايَةً﴾ عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها، وغاية وفور علمه، ونهاية سعة رحمته، موجبة للإيمان، زاجرة عن الكفر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أكثر قوم النبي ﷺ ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ مع ذلك؛ لغاية تماديهم في الكفر والضلال وانهماكهم في الغي والجهالة.

و﴿كَانَ﴾^(١) صلة عند سيبويه؛ لأنه لو حمل على معنى ما كان أكثرهم في

(١) روح البيان.

علم الله وقضائه لتوهم كونهم معذورين في الكفر بحسب الظاهر، وبيان موجبات الإيمان من جهته تعالى يخالف ذلك.

قال بعضهم: قوله تعالى: ﴿إِنْ شَأْنُ نَزْلِ عَلَيْنَا...﴾ الآية، ونظائره يدل على المعنى الثاني، ولا يلزم من ذلك المعذورية؛ لأنهم صرفوا اختياراً إلى جانب الكفر والمعصية، وكانوا في العلم الأزلي غير مؤمنين بحسب اختيارهم ونسبة عدم الإيمان إلى أكثرهم؛ لأن منهم من سيؤمن.

والمعنى^(١): أن في ذلك الإنبات على هذه الأوضاع البديعة لدلالات لأولي الألباب على قدرة خالقه على البعث والنشور، فإن من أنبت الأرض بعد جذبها، وجعل فيها الحقائق الغناء والأشجار الفيحاء لن يعجزه أن ينشر فيها الخلائق من قبورهم، ويعيدهم سيرتهم الأولى، ولكن أكثر الناس غفلوا عن هذا، فوجدوا بها وكذبوا بالله ورسله وكتبه، وخالفوا أوامره، واجتروا معاصيه، والله درّ القائل:

تَأْمَلْ فِي رِيَاضِ الْوَرْدِ وَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ
عُيُونُ مَنْ لَجِينَ شَاخِصَاتٍ عَلَى أَهْدَابِهَا ذَهَبُ سَبِينُ
عَلَى قُضْبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٍ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

والخلاصة: أن في هذا وأمثاله آية عظيمة، وعبرة جليلة دالة على ما يجب الإيمان به، ولكن ما آمن أكثرهم مع موجبات الإيمان، بل تمادوا في الكفر والضلالة، وانهمكوا في الغي والضلالة، وفي هذا ما لا يخفى من تقبيح حالهم، وبيان سوء مآلهم.

ثم بشره بنصره وتأييده وغلبته لأعدائه، وإظهاره عليهم، فقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب القادر على الانتقام من الكفرة ﴿الرَّحِيمُ﴾ المبالغ في الرحمة، ولذلك يمهلهم، ولا يأخذهم بغتة. وقال في «كشف الأسرار»: يرحم المؤمنين الذين هم الأقل بعد الأكثر. وفي «التأويلات النجمية»: بعزته قهر الأعداء العتاة، وبرحمته ولطفه أدرك أولياءه بجذبات العناية. اهـ.

(١) المراغي.

والمعنى: أي وإن ربك أيها الرسول الكريم لهو الغالب على أمره، والقادر على كل ما يريد وسينتقم لك من هؤلاء المكذبين على تكذيبهم بك، وإشراكهم بي، وعبادتهم للأوثان والأصنام، وهو ذو الرحمة الواسعة بمن تاب من كفره ومعصيته، فلا يعاقبه على ما سلف من جرمه بعد توبته، بل يغفر له حوبته.

والخلاصة: أن ربك عزَّ كل شيء وقهره، ورحم خلقه، فلا يعجل بعقاب من عصاه، بل يؤجله وينظره لعله يرعوي عن غيه، فإن تمادى أخذه أخذ عزيز مقتدر.

وهذه الآية كررها^(١) في ثمانية مواضع: أولها في قصة موسى، ثم إبراهيم، ثم نوح، ثم هود، ثم صالح، ثم لوط، ثم شعيب، ثم في ذكر نبينا ﷺ، وإن لم يذكر صريحاً إشارة إلى أنه منتقم من أعدائه، ورحيم بأوليائه في كل زمان، وفي كل أمة من الأمم السالفة واللاحقة.

قصص موسى عليه السلام

وجملة قوله: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ...﴾ إلخ مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من الإعراض والتكذيب والاستهزاء، والعامل في الطرف محذوف تقديره: واذكر يا محمد لقومك قصة وقت ندائه تعالى وكلامه موسى؛ أي: ليلة رأي الشجرة والنار حين رجع من مدين، وذكرهم يا محمد بما جرى مع قوم فرعون بسبب تكذيبهم إياه، وحذَّهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم.

و﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن آتَى﴾ مفسرة بمعنى: أي، والإتيان^(٢): المجيء بسهولة، والمعنى: وإذ قال ربك يا موسى آتِ ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر والمعاصي، واستعباد بني إسرائيل وذبح آبائهم، وكان بنو إسرائيل في ذلك الوقت ست مئة ألف وثلاثين ألفاً، ومدة استعبادهم أربع مئة سنة ﴿قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ بدل من ﴿الْقَوْمِ﴾، أو عطف بيان له، والاقتصار على القوم؛ للإيدان بشهرة أن

(١) فتح الرحمن.

(٢) روح البیان.

فرعون أول داخل في الحكم.

والمعنى^(١): واذكر يا محمد لأولئك المعرضين المكذبين وقت نداءه تعالى موسى عليه السلام من جانب الطور الأيمن، وأمره له بالذهاب إلى أولئك القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي، والظالمين لبني إسرائيل باستعبادهم وذبح أبنائهم، قوم فرعون ذي الجبروت والطغيان والعتو والبهتان؛ ليكون لهم في ذلك عبرة، لو تذكروا فيرعووا عن غيهم، ويشوبوا إلى رشدهم حتى لا يحيق بهم ما حاق بأولئك المكذبين من قبلهم؛ إذ ابتلعهم اليم، وأغرقوا جميعاً، ولا شك أن الأمر بذكر الوقت إنما هو ذكر لما جرى فيه من القصة كما أشرنا إليه آنفاً.

ثم اتبع ذكر إرساله عليه السلام بإنذارهم وتسجيل الظلم عليهم، وتعجيب موسى من حالهم التي بلغت غاية الشناعة، ومن أمنهم العواقب، وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله تعالى، فقال: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾؛ أي: قال الله سبحانه لموسى: ألا يتقي هؤلاء القوم ربهم، ويحذرون عاقبة بغيهم وكفرهم به. وهذا^(٢) استئناف لا محل له من الإعراب. و﴿أَلَا﴾: حرف تحضيض على الفعل؛ أعني: التقوى، أتبعه إرساله إليهم إنذاراً لهم، وتعجيباً من غلوهم في الظلم وإفراطهم في العدوان؛ أي: ألا يخافون الله، ويصرفون عن أنفسهم عقابهم بالإيمان والطاعة. وقيل: المعنى: قل لهم: ألا تتقون. وجاء بالياء التحتية؛ لأنهم غيب وقت الخطاب.

وقرأ الجمهور^(٣): ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ بالياء على الغيبة، وقرأ عبد الله بن مسلم بن يسار وشقيق بن سلمة وحماد بن سلمة وأبو قلابة وعبيد بن عمير وأبو حازم بتاء الخطاب على طريقة الالتفات إليهم إنكاراً وغضباً عليهم وإن لم يكونوا حاضرين؛ لأنه مبلغهم ذلك ومكافحهم، قال ابن عطية: معناه: قل لهم، فجمع في هذه العبارة من المعاني نفي التقوى عنهم، وأمرهم بالتقوى اهـ.

(١) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

﴿قَالَ﴾؛ أي: موسى إظهاراً لعجزه، وطلباً للمعونة، وهذا^(١) استئناف بياني، كأنه قيل: فماذا قال موسى؟ فقيل: قال موسى تضرعاً إلى الله تعالى يا ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ﴾ والخوف توقع مكروه عن أماره مظنونة أو معلومة ﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾؛ أي: أن ينكروا نبوتي وما أقول من أول الأمر. قال بعضهم: خوفه كان شفقة عليهم، وأصله يكذبوني، فحذفت ياء المتكلم استغناء بكسر نون الوقاية، ومثلها^(٢): ﴿أَنْ يَقْتُلُونِ﴾، ﴿سَيِّدِينَ﴾، ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨]، ﴿وَسَقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩]، ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، ﴿ثُمَّ يُخَيِّبِينَ﴾، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٨]، ﴿كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: ١١٧]، فهذه ثمان آيات أثبت الياء في جميعها يعقوب في الحاليين.

﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ معطوفان على ﴿أَخَافُ﴾؛ أي: يضيق صدري لتكذيبهم إياي، ولا ينطلق لساني بتأدية الرسالة، واللسان: الجارحة وقوتها. قال تعالى: ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾^(٣) يعني من قوة لساني، فإن العقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوتها التي هي النطق بها كما في «المفردات»، والمراد هنا القوة التي هي النطق.

وقرأ الجمهور^(٣): ﴿وَيَضِيقُ﴾ و﴿لَا يَنْطَلِقُ﴾ بالرفع فيهما عطفاً على ﴿أَخَافُ﴾، فالمعنى: أنه يفيد ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، أو على الاستئناف، وقرأ الأعرج وطلحة وعيسى وزيد بن علي وأبو حيوة وزائدة عن الأعمش ويعقوب بنصبهما عطفاً على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾، فيكون التكذيب وما بعده يتعلق بالخوف، قال الفراء: كلا القراءتين له وجه، قال النحاس: الوجه الرفع؛ لأن النصب عطف على ﴿يُكَذِّبُونِ﴾، وهذا بعيد اهـ. وحكى أبو عمرو الداني عن الأعرج أنه قرأ بنصب ﴿وَيَضِيقُ﴾ ورفع ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ﴾، وعدم انطلاق اللسان هو بما يحصل من الخوف وضيق الصدر؛ لأن اللسان إذ

(٣) البحر المحيط.

(١) روح البيان.

(٢) زاد المسير.

ذاك يتلجلج، ولا يكاد يبين عن مقصود الإنسان. وقال ابن عطية: وقد يكون عدم انطلاق اللسان بالقول لغموض المعاني التي تطلب لها ألفاظ محررة، فإذا كان هذا في وقت ضيق الصدر لم ينطلق اللسان.

ومعنى الآية: أي^(١) قال موسى: رب إنني أخاف تكذيبهم إياي، فيضيق صدري تأثراً منه، ولا ينطلق لساني بأداء الرسالة، بل يتلجلج بسبب ذلك كما يرى كثيراً من ذوي اللسان والبلاغة إذا اشتد بهم الغم، وضاق منهم الصدر. تلجلجت ألسنتهم حتى لا تكاد تبين عن مقصدهم.

وفي هذا^(٢): تمهيد العذر في استدعاء عون له على الامتثال وإقامة الدعوة على أتم وجه، فإن ما ذكر ربما أوجب الإخلال بالدعوة، وعدم إلزام الحجة، ومن ثم قال: ﴿فَأَرْسِلْ جَبْرِيْلَ إِلَى أَخِي هَارُونَ﴾ ليكون رسولاً مصاحباً لي في دعوة فرعون وقومه، فإنه أفصح مني لساناً، وكان هارون إذ ذاك بمصر، وموسى في المناجاة في الطور.

ثم ذكر سبباً آخر في الحاجة إلى طلب العون، وهو خوفه أن يقتل قبل تبليغ الرسالة، فقال: ﴿وَلَكُمْ﴾؛ أي: لقوم فرعون ﴿عَلَى﴾؛ أي: بذمتي ﴿ذَنْبٌ﴾؛ أي: جزاء ذنب وموجه، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، والمراد به: قتل القبطي الذي هو خبّاز فرعون بالوكزة التي وكزها دفعاً عن القبطي، وإنما سماه ذنباً على زعمهم ﴿فَأَخَافُ﴾ إن أتيتهم وحدي ﴿أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغي، فيفوت المقصود من الرسالة، وأما هارون فليس له هذا الذنب، وفيه دليل على أن الخوف قد يحصل مع الأنبياء فضلاً عن الفضلاء.

قال بعضهم^(٣): ليس بعجب طريان خوف الطبيعة وصفات البشرية على الأنبياء، فالقلب ثابت على المعرفة. واعلم أن هذا وما قبله ليس تعللاً وتوقفاً من جانب موسى، وتركاً للمسارعة إلى الامتثال، بل هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل

(٣) روح البيان.

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

وقوعها، واستظهار في أمر الدعوة، وحقيقته: أن موسى عليه السلام أظهر التلويح من نفسه ليجد التمكين من ربه وقد آمنه الله، وأزال عنه كل كلفة حيث ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ارتدع عما تظن يا موسى، فإنهم لا يقدرون على قتلك به؛ لأنني لا أسلطهم عليك، بل أسطك عليهم ﴿فَاذْهَبَا﴾؛ أي: اذهب أنت والذي طلبت وهو هارون، فالخطاب إليهما على تغليب الحاضر، وفي ضمن هذا الجواب دليل على إجابة موسى إلى ما طلبه من ضم أخيه إليه؛ أي: اذهبا ولا تخافا من القبط حال كونكما متلبسين ﴿بِأَيِّتَيْنَا﴾ التسع التي هي دلائل القدرة، وحجة النبوة، وهو رمز إلى دفع ما يخافه ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ تعليل للردع عن الخوف، ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة، وأجراهما مجرى الجمع حيث قال: ﴿مَعَكُمْ﴾؛ لكون الاثنين أقل الجمع على ما ذهب إليه بعض الأئمة، أو لكونه أراد موسى وهارون وفرعون وقومه، فمع موسى وهارون بالنصر والعون، ومع فرعون بالقهر والكسر، أو لكون المراد هما مع بني إسرائيل. و﴿مَعَكُمْ﴾ خبر أول ﴿إِنْ﴾ ﴿مُسْتَمْعُونَ﴾؛ خبر ثان لها، أو هو الخبر وحده، و﴿مَعَكُمْ﴾ ظرف لغو متعلق به، وحقيقة الاستماع طلب السمع بالإصغاء، وهو تعالى منزّه عن ذلك، فاستعير للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات من غير إصغاء.

والمعنى: سامعون لما يجري بينكما وبينه، فأظهر كما عليه. مثل حاله سبحانه بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم؛ ليمد الأولياء منهم، ويظهرهم على الأعداء مبالغة في الوعد بالإعانة، وجعل الكلام استعارة تمثيلية؛ لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة أمور، كما سيأتي في مبحث البلاغة.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: فأت أنت وأخوك هارون فرعون اللعين؛ وهو^(١) الوليد بن مصعب، وكنيته أبو العباس. وقيل: اسمه مغيث، وكنيته أبو مرة. قيل: إنه عاش أربع مئة وستين سنة. وقيل فوق ذلك ﴿فَقُولَا لَهُ﴾؛ أي: لفرعون ﴿إِنَّا﴾؛ أي: إن كل واحد منا ﴿رَسُولٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك وإلى قومك. وإفراد الرسول لاتحادهما بسبب الأخوة واتفاقهما على شريعة واحدة، أو لأن المعنى:

(١) روح البيان.

أن كل واحد منا رسول رب العالمين. وعبارة «النسفي» هنا^(١): ولم يثن الرسول هنا كما ثنى في قوله: ﴿إِنَّا رُسُلَا رَبِّكَ﴾؛ لأن الرسول يكون بمعنى المرسل، وبمعنى الرسالة، فجعل ثمة بمعنى المرسل، فلم يكن بد من تثنيته، وجعل هنا بمعنى الرسالة، فيستوي في الوصف به الواحد والثنية والجمع، كقول الشاعر:

لَقَدْ كَذَبَ الْوَأَشُونَ مَا فَهَتْ عَنْهُمْ بِسِرٍّ وَلَا أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولٍ
أي: برسالة، ولكن لا بد من تقدير مضاف على هذا التأويل، والتقدير: إننا ذووا رسالة رب العالمين، أو لأنهما لاتحادهما واتفاقهما على شريعة واحدة كأنهما رسول واحد، أو أريد أن كل واحد منا. اءانتهت بزيادة من «البيضاوي».

و﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن أَرْسَلَ مَعَايَ إِسْرَءِيلَ﴾ مفسرة بمعنى: أي؛ لتضمن^(٢) الإرسال المفهوم من الرسول معنى القول، والإرسال هنا التخلية والإطلاق، أي: أطلقهم وخلّ سبيلهم حتى يسيروا معنا إلى فلسطين، وكانت مسكن آبائهم، وكان فرعون استعبدهم أربع مئة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ست مئة وثلاثين ألفاً، فانطلق موسى من محل المناجاة جبل الطور إلى مصر، وهارون كان بها، فلما تلاقيا ذهبا إلى باب فرعون ليلاً، ودقّ موسى الباب بعصاه، ففزع البوابون، وقالوا: من بالباب؟ فقال موسى: أنا رسول رب العالمين، فذهب البواب إلى فرعون، فقال: إن مجنوناً بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين، فأذن له في الدخول من ساعته - كما قاله السدي - أو ترك حتى أصبح ثم دعاهما، فدخلوا عليه، وأدّيا رسالة رب العالمين.

وقال قتادة: إنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة، حتى قال البواب: ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال: ائذن له حتى نضحك منه، فأدّيا إليه الرسالة.

وروى وهب وغيره^(٣): أنهما لما دخلا على فرعون وجداه وقد أخرج

(٣) القرطبي.

(١) النسفي.

(٢) روح البيان.

سباعاً من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها، فخاف سؤاسها أن تبطش بموسى وهارون، فأسرعوا إليها، وأسرعت السباع إلى موسى وهارون، فأقبلت تلحس أقدامهما، وتُبصِصُ إليهما بأذناهما، وتلصق خدودها بفخذيهما، فعجب فرعون من ذلك. فقال: من أنتما؟ قالوا: إنا رسول رب العالمين، فعرف موسى؛ لأنه نشأ في بيته، فشمته، فعند ذلك ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى على سبيل الامتنان: ﴿أَلَمْ تُرِكَ فِتَا﴾؛ أي: في منازلنا وحجرنا حالة كونك ﴿وَلِيدًا﴾؛ أي: طفلاً صغيراً، سمي الصبي وليداً لقربه من الولادة، وهو فعيل بمعنى مفعول، والاستفهام فيه للتقرير؛ أي: ألم تكن صغيراً، فربيناك في منازلنا وبيوتنا، ولم نقتلك في جملة من قتلنا ﴿وَلَيْثًا﴾؛ أي: جلست ﴿فِتَا﴾؛ أي: بيوتنا ﴿مِنْ عُمُرِكَ﴾ حال من ﴿سِنِينَ﴾؛ أي: جلست في بيوتنا سنين من عمرك وحياتك، وأنعمنا عليك ردحاً من الزمن، ثم تقابل الإحسان بكفران النعمة، وتواجهنا بمثل تلك المقالة، فمتى هذا الذي تدعيه.

روي^(١): أنه لبث فيهم ثماني عشرة سنة، وقيل: ثلاثين سنة، ثم خرج إلى مدين وأقام بها عشر سنين، ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله تعالى ثلاثين سنة، ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة، فيكون عمر موسى مئة وعشرين سنة. قال الراغب: العمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة قليلة أو كثيرة كما سيأتي.

وقرأ أبو عمرو في رواية: ﴿مِنْ عُمُرِكَ﴾ بإسكان الميم.

ثم قرر بقتل القبطي، فقال: ﴿وَفَعَلْتَ﴾ يا موسى ﴿فَعَلَّتْكَ﴾ القبيحة ﴿الَّتِي فَعَلْتَ﴾ ببعض خواصي. والفعله - بالفتح - المرة الواحدة. يعني: قتل القبطي الذي كان خباز فرعون، واسمه: فاتون.

وبعدما عدد نعمته عليه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال.. نبه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظمه. قال ابن الشيخ: تعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها الخاص، فإن تنكير الشيء وإبهامه قد يقصد به التعظيم، وقوله:

(١) روح البيان.

﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ حال من إحدى التاءين؛ أي: والحال أنك من المنكرين
لنعمتي، والجاحدين لحق تربيتي، حيث عمدت إلى رجل من خواصي، والمعنى:
فجازيتنا على أن ربيناك أن كفرت نعمتنا، وقتلت منا نفساً.

وقرأ الجمهور^(١): ﴿فَعَلَّكَ﴾ - بفتح الفاء؛ - إذ كانت وكزة واحدة، وقرأ
الشعبي بكسر الفاء يريد الهيئة؛ لأن الوكزة نوع من القتل.

وخلاصة ما سلف^(٢): أنه عدد نعماءه عليه أولاً من تربيته وإبلاغه مبلغ
الرجال، ثم بتوبيخه بما جرى على يديه من قتل خبازه، وهو من خواصه، وهو
بهذا أيضاً يكون قد كفر نعمته وجحد فضله، فأجاب موسى عن الأمر الثاني،
وترك أمر التربية؛ لأنها معلومة مشهورة، ولا دخل لها في توجيه الرسالة، فإن
الرسول إذا كان معه حجة ظاهرة على رسالته تقدم بها إلى المرسل إليهم سواء
أكانوا أنعموا عليه أم لم ينعموا ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَعَلَّهَا﴾؛ أي: تلك الفعلة ﴿إِذَا﴾؛
أي: حين فعلت، وهو حرف جواب فقط؛ لأن ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة؛
أي: قال موسى مجيباً لفرعون: فعلت هذه الفعلة التي ذكرت، وهي قتل القبطي
وأنا إذ ذاك ﴿مِنَ الضَّالِّينَ﴾؛ أي: من الجاهلين بأن وكزتي تأتي على نفسه، فإني
إنما تعمدت الوكز للتأديب، لا القتل، فأدى ذلك إلى القتل. وقيل: ﴿مِنَ
الضَّالِّينَ﴾ عن طريق الصواب، وقيل: من المخطئين.

وقرئ^(٣): ﴿مِنَ الجاهلين﴾ والمعنى: من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه،
أو من المخطئين؛ لأنه لم يتعمد قتله، أو من الذاهلين عما يؤول إليه الوكز؛ لأنه أراد به
التأديب، أو الناسين، نظير قوله: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾. وقيل: المعنى: من الضالين
عما أتاني الله بعدها من العلم والرسالة، ورباً بمحل النبوة عن تلك الصفة التي أطلقها
عليه فرعون، وهي قوله له: ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، فقال: ﴿مِنَ الضَّالِّينَ﴾؛ أي: من
المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل.

(٣) البضاوي.

(١) البحر المحيط.

(٢) المراغي.

﴿فَقَرَّرْتُ﴾؛ أي: ذهبت من بيتكم هارباً ﴿مِنْكُمْ﴾ إلى مدين حذراً على نفسي ﴿لَمَّا خَفْتُكُمْ﴾ أن تصيبوني بمضرة، وتؤاخذوني بما لا أستحقه بجنايتي من العقاب؛ لأنني قتل القاتل خطأ، وأنا ابن اثنتي عشرة سنة مع كونه كافراً، وروي عن حمزة: ﴿لما خفتكم﴾ - بكسر اللام، وبما المصدرية - أي: لتخوفي منكم، وقرأ الجمهور بتشديد الميم ظرفاً بمعنى حين.

﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي﴾ حين رجعت من مدين ﴿حُكْمًا﴾؛ أي: علماً وفهماً، أو نبوة، وقال الزجاج: المراد بالحكم تعليمه التوراة التي فيها حكم الله ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ إليكم بعد تلك الفعل. وفي «فتح الرحمن» ﴿حُكْمًا﴾؛ أي: نبوة، ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ درجة ثانية للنبوة، رب نبي ليس برسول، وقرأ عيسى: ﴿حُكْمًا﴾ - بضم الكاف - والجمهور بالإسكان، والحكم: النبوة.

والمعنى: أي فخرجت هارباً منكم حين توقعت مكروهاً يصيبني حين قيل لي: ﴿إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتُمُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ فوهب لي ربي علماً بالأشياء على وجه الصواب، وجعلني من المرسلين من قبله لهداية عباده، وإرشادهم إلى النجاة من العذاب.

وخلاصة ما قال^(١): إن القتل الذي توبخني به لم يكن مقصوداً لي، بل كنت أريد بوكزه التأديب فحسب، فلا أستحق التخويف الذي أوجب فراري، وإن أنتم أسأتم إلي فقد أحسن إلي ربي فوهب لي فهم الأمور على حقائقها، وجعلني من زمرة عباده المخلصين.

ثم بين له أنه وإن أسدى النعمة إليه فقد أساء إلى شعبه عامة، فقال: ﴿وَتِلْكَ﴾؛ أي: التربية المدلول عليها بقوله: ﴿الَّذِي تَرَىٰ فِيكَ﴾ ﴿بِعَمَّةٍ تَشْهَدُ عَلَيَّ﴾؛ أي: تمن بها علي ظاهراً، وهي في الحقيقة ﴿أَنَّ عَبْدَتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾؛ أي: وسبب^(٢) تلك النعمة في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل، وقصدك إياهم بذبح آبائهم؛ أي: فإن السبب في وقوعي عندك، وحصولي في تربيتك تعبيدك بني إسرائيل، يعني:

(٢) روح البيان.

(١) المراغي.

لو لم يفعل فرعون ذلك؛ أي: قهر بني إسرائيل وذبح أبناءهم.. لتكفلت أم موسى بتربيته، ولما قذفته في اليم، حتى يصل إلى فرعون، ويربى بتربيته، فكيف يمتن عليه بما كان بلاؤه سبباً له، فقلوه: ﴿تِلْكَ﴾: مبتدأ، و﴿نِعْمَةٌ﴾: خبرها، و﴿تَشْهَأُ عَلَيَّ﴾: صفة، و﴿أَنْ عَبْدْتُ﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: وهي في الحقيقة تعبيد قومي، يقال: عبده إذا أخذته وقهرته وذلته.

رد موسى عليه السلام أولاً ما وبخه فرعون قدحاً في نبوته، ثم يرجع إلى ما عده عليه نعمة، ولم يصرح برده حيث كان صدقاً غير قادح في دعواه، بل نبه على أن ذلك كان في الحقيقة نقمة لكونه مسبباً عنها، وهي تعبيد بني إسرائيل وذبح أبنائهم.

وقرأ الضحاك^(١): ﴿وتلك نعمة ما لك أن تمنها﴾، وهذه قراءة تؤيد هذا التأويل، وهذا التأويل فيه مخالفة لفرعون، ونقض كلامه كله. وقيل: هذا الكلام إقرار من موسى عليه السلام بالنعمة، كأنه يقول: وتربيتك لي نعمة علي من حيث أن عبدت غيري، وتركتني واتخذتني ولداً، ولكن لا يدفع ذلك رسالتي، وإلى هذا التأويل ذهب السدي والطبري. وقيل: الكلام على تقدير^(٢) همزة الاستفهام الإنكاري، والمعنى: أتمن علي أن ربيتني، وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة، أو يريد: كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي، ومن أهين قومه فقد ذل، فتعبيد بني إسرائيل قد أحبط حسناتك إلي؛ ولو لم تستعبدهم، ولم تقتل أولادهم.. لم أرفع إليك حتى تربيني وتكفلني، ولكان من أهلي من يربيني، ولم يلقوني في اليم.

وخلاصة ذلك^(٣): أفي إحسانك إلى رجل منهم بما أسألت به إلى مجموعهم؟ فهو ليس بشيء إذا قيس بما فعلته بالشعب أجمع، وكأنه قال: إن هذا ليس بنعمة؛ لأن الواجب عليك أن لا تقتلهم، ولا تستعبدهم، فإنهم قومي،

(٣) المراغي.

(١) البحر المحيط.

(٢) البضاوي.

فكيف تذكر إحسانك إليّ على الخصوص، وتنسى استعباد الشعب كله.

ولما دخل موسى وهارون على فرعون، وقالوا له: إنا رسولا رب العالمين، أرسلنا إليك لهدايتك إلى الحق، وإرشادك إلى طريق الرشد، وغلباه بالحجة.. . رجع فرعون إلى معارضة موسى في قوله: ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كما بينه سبحانه بقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسى: إنك تدعي أنك رسول رب العالمين ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿مَا﴾: استفهامية؛ أي: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله، وما حقيقته الخاصة، ومن أي جنس هو؟ منكرأ لأن يكون للعالمين رب سواه؛ إذ كان قد قال لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾، ولم يقل فرعون: ومن رب العالمين؛ لأنه كان منكرأ لوجود الرب، فلا ينكر عليه التعبير بـ﴿مَا﴾؛ أي^(١): يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه، وهو سؤال عن جنس الشيء، والله تعالى منزّه عن الجنسية والماهية، فلهذا عدل موسى عن جوابه، وأجابه بذكر أفعاله وآثار قدرته التي تعجز الخلائق عن الإتيان بمثلها، كما بينه سبحانه بقوله: ﴿قَالَ﴾ موسى مجيباً له بما يصح في وصفه تعالى رب العالمين الذي أرسلني هو سبحانه ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: وما بين النوعين من الهواء؛ أي: هو خالق العالم العلوي، وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات والعالم السفلي، وما فيه من بحار وقفار، وجبال وأشجار، وحيوان ونبات، وما بين ذلك من هواء وطير ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أنه خالقهما، فاعرفوا أنه لا يمكن تعريفه إلا بما ذكرته لكم، فإن أيقنتم بذلك لزمكم أن تقطعوا أنه لا جواب لكم عن هذا السؤال إلا ما ذكرته من الجواب.

والإيقان^(٢): العلم الذي يستفاد بالاستدلال، ولذا لا يقال: الله موقن، فمعنى العلم بالله العلم به من حيث الارتباط بينه وبين الخلق، وإنشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية؛ إذ منه ما لا توفيه الطاقة البشرية، وهو ما وقع فيه الكمل في ورطة الحيرة، وأقروا بالعجز عن حق المعرفة. فإن قلت: كيف علق كونه رب

(٢) النسفي.

(١) الخازن.

السموات والأرض بكون فرعون وقومه موقنين، مع أن هذا الشرط متنفذ والربوبية ثابتة؟

قلت: معناه: إن كنتم موقنين أن السموات والأرض موجودات، وهذا الشرط موجود. أو المعنى^(١): إن كنتم موقنين بالأشياء المحققين لها بالنظر الصحيح الذي يؤدي إلى الإيقان.. علمتم أن العالم عبارة عن كل ما يعلم به الصانع من السموات والأرض وما بينهما، وأن ربها هو الذي خلقها، ورزق من فيها، ودبر أمورها، فهذا تعريفه، وجواب سؤالكم لا غير، والخطاب في ﴿كُنْتُمْ﴾ لفرعون وأشراف قومه الحاضرين؛ وهم القبط.

فلما قال ذلك موسى عجب فرعون من كلام موسى، والتفت إلى الملائكة حوله معجباً لهم من ذلك المقال، ومتحيراً فيه، كما بيّنه سبحانه بقوله: ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه القبطيين، قال ابن عباس: كانوا خمس مئة رجل، عليهم الأساور التي لا يلبسها إلا السلاطين ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ما يقول في جوابه، فقد سألته عن حقيقته، وهو يذكر أفعاله وآثاره، أو^(٢) لأنهم يزعمون قدمهما، وينكرون حدوثهما، وأن لهما رباً، فاحتاج موسى إلى أن يستدل بما شاهدوا حدوثه وفناءه، فاستدل به ف﴿قَالَ﴾ موسى - زيادة في البيان، وحطاً له عن مرتبة الربوبية إلى مرتبة المربوبية؛ لأنه كان يدعي الربوبية -: رب العالمين هو ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: خالقكم وخالق آبائكم الأولين. قيل^(٣): إن فرعون كان يدعي الربوبية على أهل عصره وزمانه، فلم يدع ذلك على من كان قبله، فبين بهذه الآية أن المستحق للربوبية هو رب كل عصر وزمان.

وقد انتقل^(٤) بهم موسى من النظر في الآفاق وما فيها من باهر الأدلة إلى النظر في الأنفس وما فيها من عجيب الصنع، فإن التناسل المستمر في النبات

(١) روح البيان.

(٢) النسفي.

(٣) روح البيان.

(٤) المراغي.

والحيوان والإنسان وما فيها من العجائب لأوضح دلالة من النظر في الآفاق.

ولما لم يستطع رداً لما جاء به، وخاف من قومه تأثراً بما يقول موسى أورد ما يشكك قومه في حسن تقديره للأمر، وفهمه لما يقول، ﴿قَالَ﴾؛ أي: فرعون من سفاهته، وصرفاً لقومه عن قبول الحق، مخاطباً لخاصة قومه، وعليهم أقبية الديباج مخوصة بالذهب: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾؛ أي: لا عقل له؛ إذ يقول قولاً لا نعرفه ولا نفهمه، فهو يدعي أن ثمة إلهاً غيري، وسماء رسولاً على السخرية، وأضافه إلى مخاطبيه ترفعاً من أن يكون مرسلًا إلى نفسه.

وقرأ مجاهد وحמיד الأعرج: ﴿أرسل إليكم﴾ بالبناء للفاعل؛ أي: أرسله ربه إليكم.

ثم وصف موسى الإله بأنه خالق الأكوان، ورب الزمان والمكان حيث ﴿قَالَ﴾؛ أي: موسى: رب العالمين هو ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾؛ أي: هو خالق موضع طلوع الشمس وغروبها ووقتتهما وما بينهما، فتشاهدون في كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق إلى المغرب على وجه نافع، تنتظم به أمور الكائنات، وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة إلى محدث قادر عليم حكيم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ شيئاً من الأشياء، أو من جملة من له عقل وتمييز.. علمتم أن الأمر كما قلته، وأن لا جواب فوقه، واستدللت بالأثر على المؤثر، وفيه تلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل، متصفون بما رموه به عليه السلام من الجنون، فمن كمال ضدية موسى وفرعون، وكذا القلب والنفس، يعد كل منهما ما يصدر من الآخر من الجنون، والمعنى: إن كنت يا فرعون أنت ومن معك من العقلاء.. عرفت وعرفوا أنه لا جواب لسؤالك إلا ما ذكرت لك.

وقرأ عبد الله وأصحابه والأعمش: ﴿رب المشارق والمغارب﴾ على الجمع فيهما.

فإن قلت^(١): ذكر السموات والأرض مستوعب جميع المخلوقات، فما

(١) فتح الرحمن.

فائدة قوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، وقوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾؟

قلت: فائدتهما تمييزهما في الاستدلال على وجود الصانع، أما الأول: فإن أقرب ما للإنسان نفسه وما يشاهده من تغييراته وانتقاله من ابتداء ولادته، وأما الثاني: فلما تضمنه ذكر المشرق والمغرب وما بينهما من بديع الحكمة في تصريف الليل والنهار واختلافهما، وتغيير الفصول بطلوع الشمس من المشرق، وغروبها في المغرب على تقدير مستقيم في فصول السنة.

فإن قلت^(١): لم قال أولاً: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾، وقال ثانياً: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾؟

قلت: لاطفهم أولاً بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾، فلما رأى عنادهم وشدة شكيمتهم خاشنهم وأغلظ عليهم في الرد، وعارضهم بمثل مقالهم بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾؛ لأنه أوفق بما قبله من رد نسبة الجنون إليه في قول فرعون: ﴿إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَّذِي أَرْسِلَ إِلَيْكُمُ لَمَجْنُونٌ﴾.

ولما قامت الحجة على فرعون.. عدل إلى القهر واستعمال القوة، فتوعده بالسجن، ولم يقل: ما دليلك على أن هذا الإله أرسلك؛ لأن فيه اعترافاً بأن ثم إلهاً غيره، كما بينه سبحانه بقوله: ﴿قَالَ﴾ فرعون لشدة تمرده، وميلاً إلى العقوبة كما يفعله الجبابة، وعدولاً إلى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع، وغيظاً على نسبة الربوبية إلى غيره، ولعله^(٢) كان دهرياً، أعتقد أن من ملك قطراً، وتولى أمره بقوة طالع.. استحق العبادة من أهله، فبالوهيتي وربوبيتي ﴿لَئِنْ أَخَذْتُ﴾ وجعلت لنفسك ﴿إِلَٰهًا غَيْرِي﴾؛ أي: معبوداً غيري كما تدعيه ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ اللام فيه للعهد؛ أي: لأجعلنك من الذين عرفت أحوالهم في سجوني، فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا، ولذلك لم يقل: لأسجنك. وعبرة شيخ الإسلام هنا^(٣): فإن قلت: لم عدل إلى هذه العبارة عن قوله: لأسجنك، مع أنه

(١) فتح الرحمن.

(٢) فتح الرحمن.

(٣) روح البیان.

أخصر منه؟

قلتُ: عدل إليه لإرادة تعريف العهد؛ أي: لأجعلنك ممن عرفت حالهم في سجنى، وكان إذا سجن إنساناً طرحه في هوة عميقة مظلمة، لا يبصر فيها ولا يسمع، انتهت.

والمعنى: أي: قال له: لأجعلنك في زمرة الذين في سجونى على ما تعلم من فظاعة أحوالها وشديد أهوالها، وكانت سجونى أشد من القتل؛ لأنه إذا سجن أحداً لم يخرج به حتى يموت، وكان يطرحه في هوة عميقة تحت الأرض وحده، وفي توعده بالسجن ضعف منه؛ لما يروى أنه كان يفزع من موسى فزعاً شديداً، حتى كان اللعين لا يمسك بوله بعد ذلك.

وحينئذ اضطر موسى أن يترك الأدلة العقلية وراءه ظهيراً، ويلجأ إلى المعجزات وخوارق العادات ف﴿قَالَ﴾؛ أي: موسى لفرعون حين توعده بالسجن ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخله على محذوف، والواو للحال؛ أي: أتفعل بي ذلك السجن، ولو جئت بك بشيء موضح لصدق دعواي، يعني: المعجزة، فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع، والدلالة على صدق مدعى نبوته؛ أي: أتفعل بي ذلك حالة كونى آتياً بشيء مبين. وجعلها بعضهم للعطف على فعل محذوف؛ أي: أتفعل بي ذلك لو لم أجيء بشيء مبين، ولو جئت بك به؛ أي: أتفعل به على كل حال من عدم المجيء والمجيء، وتقدم لنا الكلام على هذه ﴿الواو﴾ الداخلية على لو في مثل هذا السياق في قوله: ﴿أَوَلَوْ كَانَتْ آبَاؤُهُمْ لَا يَمُوتُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ فأغنى عن بسطه.

وقال الحوفي^(١): واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام للتقرير، والمعنى: أتسجنني حتى في هذه الحالة التي لا تناسب أن أسجن وأنا ملتبس بها، اه والمعنى؛ أي: أتفعل هذا ولو جئت بك بحجة بينة واضحة على صدق دعواي، وهي المعجزة الدالة على وجود الإله القادر وحكمته، وعلى صدق

(١) البحر المحيط.

دعوى من ظهرت على يديه .

ولما سمع فرعون هذا من موسى . . طمع أن يجد موضع معارضة من موسى ﴿قَالَ﴾ ؛ أي: فرعون لموسى ﴿قَالَ يَمُوزُ﴾ ؛ أي: بذلك الشيء ﴿إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعوى الرسالة، وأن لك برهاناً عليها، وكان^(١) في يد موسى عصاً من شجر الآس من الجنة، وكان آدم جاء بها من الجنة، فلما مات قبضها جبريل، ودفعتها إلى موسى وقت الرسالة، فقال موسى لفرعون: ما هذه التي بيدي؟ قال فرعون: هذه عصا ﴿قَالَ لَنْ﴾ موسى من يده ﴿عَصَا﴾ قال ابن عباس: عصا موسى اسمها ماشا. وقيل: نبعة؛ أي: طرح موسى عصاه من يده ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ ؛ أي: تلك العصا ﴿ثُعْبَانٌ﴾ ؛ أي: حية عظيمة صفراء ذكر ﴿ثُمَّ يَنْ﴾ ؛ أي: ظاهر الثعبانية للناظرين بحركاته، وبسائر العلامات، وليس بتمويه كما يفعله السحرة.

وروي: أنها لما صارت حية ارتفعت في السماء قدر ميل، ثم انحطت مقبلة إلى فرعون، فقال: بالذي أرسلك إلا أخذتها، فأخذها موسى، فعادت عصاً كما كانت، ولا تناقض بين قوله هنا: ﴿ثُعْبَانٌ﴾، وبين قوله في موضع آخر: ﴿كَانَتْهَا جَانٌّ﴾، وهو الصغير من الحيات؛ لأن خلقها خلق الثعبان العظيم، وحركتها وخفتها كالجان، والحية جنس يشمل الصغير والكبير، كما في قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ سَعَى﴾.

وروي: أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال: فهل لك غيرها؟ فأخرج موسى يده، فقال لفرعون. ما هذه؟ قال فرعون: هذه يدك فما فيها؟ فأدخلها في إبطه، ثم نزعها ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ ؛ أي: تلك اليد ﴿بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِينَ﴾ إليها؛ ذات بياض من غير برص، تضيء الوادي من شدة بياضها، لها شعاع كشعاع الشمس، كاد يغشي الأبصار وسد الأفق، تعجب الناظرين إليها.

(١) روح البيان.

ولما رأى فرعون هذه الحجج بادر بالتكذيب والعناد، وذكر لأشرف قومه أموراً ثلاثة:

١. ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَأِ﴾؛ أي: لأشرف قومه حال كونه مستقرين ﴿حَوْلَهُ﴾ فهو ظرف وضع موضع الحال، وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه وينقلب كما سيأتي ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الرجل يعني موسى ﴿لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾؛ أي: فائق في علم السحر، والسحر تخيلات لا حقيقة لها، فالساحر المحتال المخيل بما لا حقيقة له.

فإن قلت: أسند القول هنا إلى فرعون حيث قال: ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ وأسند في سورة الأعراف إلى الملأ حيث قال: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ فبين الآيتين معارضة، فما وجه الجمع بينهما؟

قلت: وجه الجمع بينهما أن فرعون قاله للحاضرين عنده، والحاضرون قالوه للغائبين عنه، فنظر هنا إلى قوله للحاضرين، وهناك إلى قول الحاضرين للغائبين، فبهذا يزول الإشكال. كما في «كشف الأسرار».

والمعنى: أي قال فرعون لرؤساء دولته وأشرف قومه الذين حوله ليروج عليهم بطلان ما يدعيه موسى: إن هذا الرجل لبارع في السحر، حاذق في الشعوذة، ومراده من هذا: أن ما ظهر على يديه إنما هو من قبيل السحر، لا من وادي المعجزات، ثم هيجهم وحرصهم على مخالفته، والكفر به، والتنفير منه بقوله:

٢. ﴿يُرِيدُ أَنْ يُنْزِلَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾؛ أي: من أرض مصر، ويتغلب عليكم ﴿بِسِحْرِهِ﴾؛ أي: يريد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا السحر، فيكثر أعوانه وأتباعه، ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم.

٣. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾؛ أي: فماذا تشيرون به علي في دفعه ومنعه، أو فأي شيء تأمرونني به في شأنه؟ قهره سلطان المعجزة، وحيره حتى حطه عن دعوى الربوبية إلى مقام مشاورة عبده بعدما كان مستقلاً بالرأي والتدبير، وأظهر

استشعار الخوف من استيلائه على ملكه. ونسبة الإخراج والأرض إليهم لأجل تنفيرهم عن موسى ﴿قَالُوا﴾؛ أي: الملائكة لفرعون ﴿أَرَبَّةٌ وَأَخَاهُ﴾؛ أي: آخر أمر موسى وأخيه هارون حتى تنظر، ولا تعجل بقتلهما قبل أن يظهر كذبهما، حتى لا يسيء عبيدك الظن بك، وتصير معذوراً في القتل. من أرجأته إذا أخرته. وقيل: المعنى: احبسهما.

وقرأ قالون: ﴿أَرَبَّةٌ﴾ بغير همز، وباختلاس كسر الهاء، وورش والكسائي بإشباع كسرة الهاء، وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة وبصلة الهاء المضمومة، أبو عمرو بضم الهاء مع الاختلاس، وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء مع الاختلاس، وعاصم وحمة بغير همز وإسكان الهاء.

﴿وَأَبْعَثْ﴾؛ أي: وأرسل ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾؛ أي: في الأمصار والبلدان وأقطار مملكتكم، وفي «فتح الرحمن»: هي مدائن الصعيد من نواحي مصر ﴿حَشِيرِينَ﴾؛ أي: شُرطاً يحشرون الناس، ويجمعونهم إليك. ف﴿حَشِيرِينَ﴾: صفة لموصوف محذوف هو مفعول ﴿أَبْعَثْ﴾ كما قدرنا. والشُرط - بضم أوله وفتح ثانيه - جمع شُرطة - بالضم وسكون الراء وفتحها، - وهم طائفة من أعوان الولاة معروفة كما في «القاموس»، والشُرط - بالفتح - العلامة، ومنه سمى الشرط، لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها.

وذلك لظنهم أن السحرة إذا كثرت غلبوا موسى عليه السلام وكشفوا حاله ﴿يَأْتُوكَ﴾؛ أي: الحاشرون ﴿يَكْشُرُونَ سَحَابًا﴾؛ أي: بليغ في صناعة السحر ﴿عَلِيمٌ﴾؛ أي: فائق في معرفتها، يعارضوا موسى بمثل سحره، بل يفضلوا عليه، ويتضح للعامة كذبه، فتقتله حينئذ، وهذا تدبير النفس وإلقاء الشيطان في دفع الحق الصريح، وكل تدبير هكذا في كل عصر فصاحبه مدمر البتة، وإنما يجيء خبث القول والفعل لمن خبث النفس؛ إذ كل إناء يترشح بما فيه، ولو ترك فرعون وقومه التدبير في أمر موسى، وقابلوه بالقبول.. لسلموا من كل آفة، لكن منعهم حب الجاه عن الانتباه، وحبك الشيء يعمي ويصم.

وقرأ الأعمش وعاصم في رواية: ﴿بِكُلِّ سَاحِرٍ﴾، وأمال ﴿سَحَارٍ﴾ ابن

عامر والكسائي وأبو عمرو.

ومعنى الآية: أي^(١) قالوا له: أخر البت في أمرهما، ولا تعاجلهما بالعقوبة، حتى تجمع لهما من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحار عليم، ثم تقابلهم به وجهاً لوجه، ويأتون من ضروب السحر ما يستطيعون به التغلب عليه، فتكون قد قابلت الحجة بالحجة، وقرعت الدليل بمثله، ويكون لك النصر والتأييد عليه، وتجتذب قلوب الشعب إليك.

وقد كان هذا من تسخير الله تعالى له؛ ليجتمع الناس في صعيد واحد، وتظهر آيات الله تعالى وحججه للناس في وضوح الهار جهرة. روي أن فرعون أراد قتله، فقال له الملاء: لا تفعل فإنك إن قتلته أدخلت على الناس شبهة في أمره، وأشاروا عليه بإنفاذ حاشرين يجمعون له كل سحار عليم ظناً منهم أنهم إذا كثروا غلبوه على أمره، وتم لفرعون الغلب فأخذ بمشورتهم وأجابهم إلى طلبتهم.

الإعراب

﴿طَسَمَ ١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ ﴿لَمَّا بَلَغَ نَقَسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٣﴾
إِنْ نَشَأْ نُذِرْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٤ ﴿

﴿طَسَمَ ١﴾: خبر لمبتدأ محذوف إن قلنا: إنه علم للسورة، تقديره: هذه طَسَمَ؛ أي: سورة اسمها طَسَمَ، والخبر مرفوع بالمبتدأ، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الأخير، منع من ظهورها اشتغال المحل بسكون الوقف، والجملة مستأنفة استئنافية نحويًا لا محل لها من الإعراب، وتقدمت فيه أوجه أخرى في مبحث التفسير فراجعها. ﴿تِلْكَ ٢﴾ مبتدأ. ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ ٣﴾: خبر ومضاف إليه. ﴿الْمُبِينِ ٤﴾: صفة لـ ﴿الْكِتَابِ ٣﴾، والجملة مستأنفة استئنافية بيانياً. ﴿لَمَّا بَلَغَ ٥﴾: لعل حرف نصب

(١) المراغي.

وترج وإشفاق، و﴿الكاف﴾: ضمير المخاطب في محل نصب اسمها. ﴿يَبِغْ﴾: خبرها. ﴿نَفْسَكَ﴾: مفعول به ل﴿يَبِغْ﴾، وجملة ﴿لعل﴾ مستأنفة. ﴿أَلَا﴾: ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَكُونُوا﴾: فعل ناقص، واسمه منصوب ب﴿أَنْ﴾ المصدرية. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: خبره، وجملة يكون مع ﴿أَنْ﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بإضافة المصدر المحذوف إليه المنصوب على أنه مفعول لأجله، تقديره: لعلك باخع نفسك خيفة عدم إيمانهم بهذا الكاتب، وبما جئت به من ربك. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿ثُمَّ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الله مجزوم ب﴿إِنْ﴾ على كونه فعل شرط لها، ومفعول المشيئة محذوف تقديره: إيمانهم. ﴿نَزَّلَ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الله مجزوم ب﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونه جواباً لها. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق ب﴿نَزَّلَ﴾. ﴿وَمِنَ السَّمَاءِ﴾: حال من ﴿مَاءٍ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿مَاءٍ﴾: مفعول به ل﴿نَزَّلَ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية مستأنفة مسوقة لتعليل الأمر بإشفاقه على نفسه من الاسترسال في التحسر والغم على عدم إيمانهم. ﴿فَظَلَّتْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿ظَلَّتْ﴾: فعل ماضٍ ناقص من أخوات كان. ﴿أَعْنَقَهُمْ﴾: اسمها. ﴿لَمَّا﴾: متعلق ب﴿خَضِعِينَ﴾، و﴿خَضِعِينَ﴾: خبر ﴿ظَلَّتْ﴾، وجملة ﴿ظَلَّتْ﴾ معطوفة على جملة ﴿نَزَّلَ﴾، وهي بمعنى فتظل أعناقهم.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَاءَ لَهُمْ
أَنْتَبَهُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: فعل مضارع ومفعول به. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿ذِكْرٍ﴾: فاعل مرفوع بضممة مقدرة. ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾: جار ومجرور صفة أولى ل﴿ذِكْرٍ﴾. ﴿مُحْدَثٍ﴾: صفة ثانية له، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية، أو مستأنفة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ من أعم الأحوال. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿عَنْهُ﴾: متعلق ب﴿مُعْرِضِينَ﴾. ﴿مُعْرِضِينَ﴾: خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ في محل نصب حال من مفعول ﴿يَأْتِيهِمْ﴾، والتقدير: وما يأتيهم من ذكر من الرحمن في حال من الأحوال إلا

حالة كونهم معرضين عنه. ﴿فَقَدْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصح عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت إعراضهم عن الذكر، وأردت بيان موقفهم بعد الإعراض.. فأقول لك. ﴿قد كذبوا﴾: ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿كَذَبُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة مستأنفة. ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾: ﴿الفاء﴾ حرف عطف وتعقيب، و﴿السين﴾: حرف تنفيس، ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: فعل ومفعول ﴿أَتَبُّوا مَا﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿كَذَبُوا﴾ ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿يَهُ﴾: متعلق ب﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾. ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب خبر ﴿كان﴾، وجملة ﴿كان﴾ صلة ﴿مَا﴾ الموصولة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَّ أَتَيْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري المضمّن للتعجب، داخل على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿لم﴾: حرف نفي وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: فعل مضارع وفاعل، من رأى البصرية، مجزوم ب﴿لم﴾. ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾: متعلق ب﴿يَرَوْا﴾، وهو في محل المفعول، والجملة الفعلية معطوفة على تلك المحذوفة، والتقدير: أفعّل المكذبون من أهل مكة ما فعلوا، ولم يروا إلى الأرض، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿كَرَّ﴾: خبرية بمعنى عدد كثير في محل النصب مفعول مقدم ل﴿أَتَيْنَا﴾. ﴿أَتَيْنَا﴾: فعل وفاعل، ﴿أُنْبِتْ﴾: فعل ماض مبني على السكون. ﴿فِيهَا﴾: متعلق ب﴿أَتَيْنَا﴾. ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾: تمييز ل﴿كَرَّ﴾ الخبرية، و﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿كَرِيمٍ﴾: صفة ﴿زَوْجٍ﴾، وجملة ﴿أَتَيْنَا﴾ في محل النصب حال من ﴿الْأَرْضِ﴾، والتقدير: ألم يروا إلى الأرض حالة كونها أتينا فيها كثيراً من كل زوج كريم. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِي ذَلِكَ﴾ جار ومجرور خبر مقدم ل﴿إِنَّ﴾. ﴿لَآيَةً﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿آيَةً﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿وَمَا﴾ ﴿الواو﴾: حالية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، وجملة ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل النصب حال من واو ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾،

وقيل ﴿كَانَ﴾ زائدة عند سيبويه كما مر. ﴿وَإِنْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إِنْ﴾ ربك: ناصب واسمه. ﴿لَهُوَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿الْعَزِيزُ﴾: خبر ﴿إِنْ﴾. ﴿الرَّحِيمُ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنْ﴾ مستأنفة.

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٢﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۖ أَلَا يَنْقُوتُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٣﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَايَ فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ ﴿١٤﴾ وَلَمْ يَكُنْ لِي دُونُ هَارُونَ إِذْ يَنْفَعُ الْغُلَامَ ﴿١٥﴾

﴿وَإِذْ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى متعلق بمحذوف تقديره: واذكر إذ نادى، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿نَادَىٰ رَبُّكَ﴾: فعل وفاعل. ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾ ﴿أَن﴾: مفسرة بمعنى أي، ويجوز أن تكون مصدرية؛ أي: بأن. ﴿أَنْتَ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾، مبني على حذف حرف العلة. ﴿الْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿الظَّالِمِينَ﴾: صفة لـ ﴿الْقَوْمَ﴾، والجملة الفعلية جملة مفسرة لـ ﴿نَادَىٰ﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾: بدل من ﴿الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، أو عطف بيان منه، ولعله أولى؛ لأنهما عبارتان تمتعبان على مدلول واحد، ولما كان القوم الظالمين يوهم الاشتراك.. أتى بعطف البيان لإزالته. ﴿أَلَا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التعجبي. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنْقُوتُونَ﴾: فعل وفاعل، ومفعول ﴿يَنْقُوتُونَ﴾: محذوف؛ أي: ألا يتقون عقاب الله، والجملة مستأنفة. وقيل: ﴿أَلَا﴾: حرف تحضيض. وقيل: حرف عرض. وقيل: حرف تنبيه. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿رَبِّ﴾ منادى مضاف حذف منه حرف النداء للتخفيف، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، وجملة ﴿أَخَافُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿أَن﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿يُكَذِّبُونَ﴾: فعل وفاعل منصوب بـ ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون، والنون نون الوقاية، وياء المتكلم المحذوفة لرعاية الفواصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية، تقديره: إني أخاف تكذيبهم إياي. ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾:

فعل وفاعل، والجمله معطوفة على جملة ﴿أَخَافُ﴾، فهو مرفوع مثله، ويجوز عطفه على ﴿يُكَذِّبُونَ﴾، فهو منصوب مثله، وقد قرئ به، والفرق بين المعنيين أن الرفع يفيد فيه ثلاث علل أو معاذير، وهو خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان، وأما النصب فيفيد أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة. ﴿وَلَا يَطْلُقُ لِسَانِي﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَخَافُ﴾، أو على ﴿يُكَذِّبُونَ﴾. ﴿فَأَرْسِلْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا سمعت اعتذاري إليك، وأردت فعل ما هو الأصلح لهم.. فأقول لك. ﴿أَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾: ﴿أَرْسِلْ﴾ فعل أمر معناه الالتماس، وفاعله ضمير يعود على الله ﴿إِلَى هَارُونَ﴾: متعلق بـ﴿أَرْسِلْ﴾، والجمله في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجمله إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، ﴿وَلَقَدْ﴾ ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَهُمْ﴾ خبر مقدم. ﴿عَلَى﴾: حال من ﴿ذُنُوبٍ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت. ﴿ذُنُوبٍ﴾: مبتدأ مؤخر، والجمله معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ على كونها مقولا لـ﴿قَالَ﴾. ﴿فَأَخَافُ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر. ﴿أَنْ يَقْتُلُونِ﴾: ناصب وفعل وفاعل ونون وقاية، وياء المتكلم المحذوفة لرعاية الفواصل في محل النصب مفعول به، والجمله في تأويل مصدر منصوب على المفعولية؛ أي: فأخاف قتلهم إياي، وجمله ﴿أَخَافُ﴾ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها مفرّعة عليها.

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِإِيتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ. ﴿كَلَّا﴾: حرف ردع وزجر نابت عن الفعل، وهو ارتدع يا موسى، ولذلك عطف عليها بالفاء في قوله: ﴿فَاذْهَبَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والألف ضمير التثنية في محل الرفع فاعل، والجمله معطوفة على الجملة التي دلت عليها حرف الردع، كأنه قيل: ارتدع عما تظن يا موسى فاذهب أنت وأخوك، وجمله ارتدع مستأنفة. ﴿بِإِيتِنَا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿اذْهَبَا﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿مَعَكُمْ﴾: حال من اسم ﴿إِن﴾،

أو متعلق بـ ﴿مُسْتَمْعُونَ﴾، أو خبر ثانٍ لـ ﴿إِنْ﴾ ﴿مُسْتَمْعُونَ﴾: خبر ﴿إِنْ﴾، ومفعول ﴿مُسْتَمْعُونَ﴾ محذوف تقديره: مستمعون ما يدور بينكما وبين فرعون وقومه، وجملة ﴿إِنْ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها. ﴿فَأْتِيَا﴾: الفاء: عاطفة، ﴿أْتِيَا﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَذْهَبَا﴾. ﴿فَقُولَا﴾: الفاء: عاطفة. ﴿قُولَا﴾: فعل أمر وفاعل معطوف على ﴿أْتِيَا﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خبره ومضاف إليه، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل النصب مقول لـ ﴿قُولَا﴾. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿أَرْسِلْ﴾: فعل أمر في محل النصب بـ ﴿أَنْ﴾ المصدرية، وفاعله ضمير يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، ويجوز أن تكون ﴿أَنْ﴾ مفسرة. ﴿مَعَنَا﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ ﴿أَرْسِلْ﴾. ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية صلة ﴿أَنْ﴾ المصدرية، ﴿أَنْ﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف تقديره: فقولا: إِنَّا رسول رب العالمين بإرسالك معنا بني إسرائيل.

﴿قَالَ أَلَمْ تُرْيِكْ فِينَا وَلِيدًا وَلَيْسَتْ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سَيْنٌ ۖ﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٠﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: للاستفهام التقريري، ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وجزم. ﴿تُرْيِكْ﴾: فعل مضارع ومفعول به مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وفاعله ضمير مستتر تقديره: نحن، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فِينَا﴾: متعلق بـ ﴿تُرْيِكْ﴾. ﴿وَلِيدًا﴾: حال من مفعول ﴿تُرْيِكْ﴾. ﴿وَلَيْسَتْ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِينَا﴾: متعلق بـ ﴿لَيْسَتْ﴾. ﴿مِنْ عُمَرِكَ﴾: حال من ﴿سَيْنٌ﴾. و﴿سَيْنٌ﴾: ظرف متعلق بـ ﴿لَيْسَتْ﴾ أيضاً، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة الاستفهام على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَفَعَلْتَ﴾: فعل وفاعل معطوف على الجملة التي قبلها. ﴿فَعَلْتَكِ﴾: مفعول به ومضاف إليه، أو مفعول مطلق. ﴿الَّتِي﴾: صفة لـ ﴿فَعَلْتَكِ﴾، وجملة ﴿فَعَلْتَ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: فعلتها. ﴿وَأَنْتَ﴾: مبتدأ. ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: خبر، والجملة في محل النصب حال من فاعل

﴿فَعَلْتُ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿مَوْسَى﴾، والجملة مستأنفة. ﴿فَعَلْنَهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِذَا﴾: حرف جواب مهمل لا عمل لها. ﴿وَأَنَا﴾: مبتدأ. ﴿مِنْ أَضْيَافِ﴾: خبر، والجملة في محل نصب حال من فاعل ﴿فَعَلْنَهَا﴾؛ أي: من الضالين عما أتاني الله بعدها من الرسالة والعلم.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَنُنَّاهُ عَلَىٰ أَن عِبَدْتَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ﴿١٢﴾.

﴿فَفَرَرْتُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿فررت﴾: فعل وفاعل. ﴿مِنْكُمْ﴾: متعلق بـ ﴿فررت﴾، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿فَعَلْنَهَا﴾. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى حين في محل نصب مبني على السكون، والظرف متعلق بـ ﴿فررت﴾، وقال سيويه: إنها رابطة. ﴿خِفْتُكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿لَمَّا﴾. ﴿فَوَهَبَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿وَهَبَ﴾: فعل ماضٍ. ﴿لِي﴾: متعلق به. ﴿رَبِّي﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿حُكْمًا﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿فررت﴾. ﴿وَجَعَلَنِي﴾: فعل وفاعل مستتر ونون وقاية ومفعول به أول معطوف على ﴿وَهَبَ﴾. ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ ﴿جَعَلَنِي﴾. ﴿وَتِلْكَ﴾: مبتدأ. ﴿نِعْمَةٌ﴾: خبر، والجملة مستأنفة. ﴿تَنُنَّاهُ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ ومفعول به. ﴿عَلَىٰ﴾: متعلق به، والجملة في محل الرفع صفة لـ ﴿نِعْمَةٌ﴾. ﴿أَنَ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿عِبَدْتَ﴾: فعل وفاعل في محل نصب بـ ﴿أَنَ﴾ المصدرية. ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مرفوع على كونه خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: سببها تعبيدك بني إسرائيل، والجملة من المبتدأ المحذوف وخبره في محل الرفع صفة ثانية لـ ﴿نِعْمَةٌ﴾ و﴿تَمَنُّ﴾ يتعدى بالباء، فقيل: هي محذوفة؛ أي: تمنُّ بها، وقيل: ضَمَّنْ تمنُّ فمعنى تذكر كما في «السمين».

وفي «السمين»: قوله: ﴿أَنَ عِبَدْتَ﴾ فيه سبعة أوجه:

أحدها: أنه في محل رفع عطف بيان لـ ﴿تِلْكَ﴾، موضح له، فتلك إشارة إلى

شيء مبهم، وقد وضح وبين بقوله: ﴿أَنْ عَبَدْتُ﴾، نظير قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنْ دَائِرَ هَتُولَاءٍ﴾.

والثاني: أنه في محل نصب مفعولاً من أجله.

والثالث: أنه بدل من ﴿يَعْمَةُ﴾.

والرابع: أنه بدل من الهاء في ﴿تَسْتَهَا﴾.

والخامس: أنه مجرور بباء مقدرة؛ أي: بأن عبَدْتُ.

والسادس: أنه خبر مبتدأ مضمرة؛ أي: هي.

والسابع: أنه منصوب بإضمار أعني.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة تعطف قول فرعون على قول موسى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، أو زائدة، أو استئنافية. ﴿مَا﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ. ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾: خبر ومضاف إليه، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾، وإنما عبر بما؛ لأنه سأل عن صفاته وأفعاله، ولو أراد عينه.. لقال: ومن رب العالمين. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَى﴾، والجملة مستأنفة. ﴿رَبِّ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو رب السموات، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿السَّمَوَاتِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف عليه. ﴿وَمَا﴾: معطوفة على ﴿السَّمَوَاتِ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف ومضاف إليه صلة لـ ﴿مَا﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ على كونه فعل شرط لها، وجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية محذوف، تقديره: إن كنتم موقنين هذا الجواب، فهو كاف لكم في جواب سؤالكم، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧٥) قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَدَىٰ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٧٧﴾ .

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة.
 ﴿لِمَنْ﴾: جارٍ ومجرور متعلق بـ﴿قَالَ﴾. ﴿حَوْلَهُ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة ﴿أَلَا﴾: الهمزة: للاستفهام التعجبي، ﴿لَا﴾: نافية، أو ﴿أَلَا﴾: حرف عرض، أو تحضيض. ﴿تَسْمَعُونَ﴾: فعل وفاعل ومفعول محذوف تقديره: جوابه الذي لا يطابق السؤال، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَى﴾، والجملة مستأنفة. ﴿رَبُّكُمْ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو ربكم، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.
 ﴿وَرَبُّ﴾: معطوف على ﴿رَبُّكُمْ﴾. ﴿آبَائِكُمْ﴾: مضاف إليه. ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: صفة لـ﴿آبَائِكُمْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿إِنْ رَسُولُكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿أَلَدَىٰ﴾: صفة لـ﴿رَسُولُكُمْ﴾. ﴿أُرْسِلَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة، ونائب فاعل ضمير يعود على الموصول. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: متعلق به، والجملة صلة الموصول. ﴿لَمَجْنُونٌ﴾: اللام: حرف ابتداء زحلت إلى خبر ﴿إِنْ﴾ ﴿مَجْنُونٌ﴾: خبر ﴿إِنْ﴾، والجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ (٧٨) قَالَ لَيْنِ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرَ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٧٩﴾ .

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَى﴾، والجملة مستأنفة.
 ﴿رَبِّ﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو رب، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿الْمَشْرِقِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَالْمَغْرِبِ﴾: معطوف على ﴿الْمَشْرِقِ﴾. ﴿وَمَا﴾: معطوف على ﴿الْمَشْرِقِ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف ومضاف إليه صلة لـ﴿مَا﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿كُنْتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ على كونه فعل شرط لها، وجملة ﴿تَقُولُونَ﴾ خبر كان، وجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية محذوف تقديره: إن كنتم تعقلون علمتم أن الأمر كما قلته، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل نصب

مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿لَئِنْ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿أَتَّخَذْتُ﴾: فعل وفاعل في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿إِلَهَآ﴾: مفعول به. ﴿غَيْرِ﴾: صفة له، أو ﴿غَيْرِ﴾: مفعول أول ﴿إِلَهَآ﴾: مفعول ثانٍ قدّمه اعتناءً به، والتقدير: لئن اتخذت غيري إلهاً. ﴿لَأَجْعَلَكَ﴾ ﴿اللام﴾: موطئة للقسم مؤكدة للأولى، ﴿أَجْعَلَكَ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول أول، ونون توكيد في محل الرفع لتجرده من الناصب والجازم مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. ﴿مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لجعل، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، وجواب الشرط محذوف تقديره: أسجنك، وجملة الشرط في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معترضة بين القسم وجوابه.

﴿قَالَ أُولُو جِنَّتِكَ يَشْتَوِ مُبِينٌ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَى﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أُولُو﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري، داخلة على محذوف تقديره: أتفعل ذلك. والواو: حالية، ﴿لَوْ﴾: حرف شرط. ﴿جِنَّتِكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول. ﴿يَشْتَوِ﴾: متعلق بـ﴿جِنَّتِكَ﴾. ﴿مُبِينٌ﴾: صفة، وجواب ﴿لَوْ﴾ الشرطية محذوف تقديره: ولو جنتك بشيء مبين تسجنني، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية في محل النصب حال من مفعول الفعل المحذوف الداخل عليه همزة الاستفهام، والتقدير: أتسجنني حالة كوني جانياً بشيء مبين على صدقي، والجملة المحذوفة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿فَأَتِ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصح من جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت توعدني لك بالسجن، وأردت بيان ما هو المخلص لك.. فأقول لك:

أثت. ﴿أثت﴾: فعل أمر، فاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَى﴾ مبني على حذف حرف العلة. ﴿يَدُ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿كُنْتُ﴾: فعل ناقص واسمه، في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿مِنْ الصَّادِقِينَ﴾: خبر كان، وجواب الشرط محذوف تقديره: إن كنت من الصادقين فأتت به، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ قَتْلَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (٣٢) وَرَزَّ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾.

﴿قَالَ قَتْلَى﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفت ما قاله فرعون لموسى، وأردت بيان ما فعله موسى فأقول لك: ألقى عصاه. ﴿ألقى﴾: فعل ماض، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَى﴾. ﴿عَصَاهُ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿فَإِذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿إِذَا﴾: فجائية، حرف لا محل لها من الإعراب. ﴿هِيَ ثُعْبَانٌ﴾: مبتدأ وخبر ﴿مُبِينٌ﴾: صفة ﴿ثُعْبَانٌ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿ألقى﴾. ﴿وَرَزَّ يَدُهُ﴾: فعل ومفعول وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَى﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿ألقى﴾. ﴿فَإِذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿إِذَا﴾: فجائية. ﴿هِيَ بَيْضَاءُ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾: جار ومجرور صفة لـ﴿بَيْضَاءُ﴾، تقديره: بيضاء معجبة للناظرين، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿وَرَزَّ يَدُهُ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿لِلْمَلَأِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿قَالَ﴾. ﴿حَوْلَهُ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من ﴿المَلَأِ﴾؛ أي: حالة كونهم كائنين حوله. ﴿إِنَّ هَذَا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَسَاحِرٌ﴾: اللام: حرف ابتداء. ﴿لَسَاحِرٌ﴾: خبر ﴿إِنْ﴾. ﴿عَلِيمٌ﴾: صفة لـ﴿ساحر﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (٢٥).

﴿يُرِيدُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَى﴾، والجملة في محل الرفع صفة ثانية لـ ﴿ساحر﴾. ﴿أَنْ يُخْرِجَكُمْ﴾: ناصب وفعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَى﴾ ومفعول به. ﴿مِنْ أَرْضِكُمْ﴾: متعلق بـ ﴿يُخْرِجَكُمْ﴾. ﴿بِسِحْرِهِ﴾: متعلق به أيضاً، والجملة الفعلية في تأويل مصدر منصوب على المفعولية تقديره: يريد إخراجه إياكم من أرضكم بسحره، وهذه الجملة بيت كامل من مجزوء الرجز، وليس شعراً لانتفاء القصد. ﴿فَمَاذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿مَا﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ، ﴿ذَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي في محل الرفع خبر. ﴿تَأْمُرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: فما الذي تأمرونني به، والجملة من المبتدأ والخبر في محل النصب معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ على كونها مقولاً لـ ﴿قَالَ﴾، أو ﴿فَمَاذَا﴾ اسم استفهام مركب في محل النصب مفعول لـ ﴿تَأْمُرُونَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿إِنَّ هَذَا﴾.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَقِمْ فِي الدَّائِنِ حَشِيرِينَ﴾ (٢٦) يَا تُؤَكُّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ

﴿٣٧﴾.

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَرْجِهْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ ومفعول به مبني على حذف حرف العلة؛ وهي الياء، والكسرة قبلها دليل عليها؛ لأنه من أرجيت. ﴿وَأَخَاهُ﴾: معطوف على ضمير المفعول، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿وَأَقِمْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ معطوف على ﴿أَرْجِهْ﴾. ﴿فِي الدَّائِنِ﴾: متعلق بـ ﴿وَأَقِمْ﴾. ﴿حَشِيرِينَ﴾: مفعول به. ﴿يَا تُؤَكُّ﴾: فعل وفاعل ومفعول به مجزوم بالطلب السابق، وعلامة جزمه حذف النون. ﴿بِكُلِّ سَحَابٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿يَا تُؤَكُّ﴾. ﴿عَلِيمٍ﴾: صفة ﴿سَحَابٍ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿لَمَّا كَانَ بَيْخٌ نَفْسَكَ﴾ لعل هنا للاستفهام الذي يراد به الإنكار، وقال العسكري: إنها للنهي، ﴿بَيْخٌ نَفْسَكَ﴾؛ أي: مهلكها من شدة الحزن، قال ذو الرمة.

أَلَا أَيُّهَا الْبَاخِعُ الْوُجِدِ نَفْسَهُ لِشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِيرُ
وأصل البخع: أن يبلغ بالذبح البخاع، وذلك أقصى حد الذبح، والبخاع - بكسر الباء -: عرق في الصلب غير النخاع - بالنون مثله، - فإنه الخيط الذي في جوف الفقار، ينحدر من الدماغ، ويتشعب منه شعب في الجسم. وفي «المصباح»: وبخع نفسه بخعا من باب نفع قتلها من وجد أو غيظ، وبخع لي بالحق بخوعاً انقاد وبذله.

﴿أَعَنَقَهُمْ﴾ والأعناق: الجماعة، يقال: جاءت أعناق الناس؛ أي: جماعة منهم. ﴿ذَكَرَ﴾؛ أي: موعظة. ﴿أَبْتَوَا﴾ والمراد بالأنبياء: ما سيحل بهم من العذاب. ﴿مِنْ كُلِّ رَجٍّ كَرِيمٍ﴾ والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده، يقال: وجه كريم؛ أي: مرضي في حسنه وجماله، وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده، وفارس كريم مرضي في شجاعته وبأسه.

﴿وَلَاذِ نَادَى رَنَّاكَ مُسَوِّجٌ﴾ والمناداة والنداء: رفع الصوت، وأصله من الندى؛ وهو الرطوبة، واستعارته للصوت من حيث إن من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق. ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ أمر من الأتيان، والإتيان: المجيء بسهولة. ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ والخوف: توقع مكروه عن أماراة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أماراة مظنونة أو معلومة.

﴿مُسْتَمِعُونَ﴾؛ أي: سامعون، والفرق بين السماع والاستماع أن السماع وكذا السمع مطلق إدراك الحروف والأصوات، فيوصف به سبحانه، والاستماع طلب السمع بالإصغاء بالأذن، وهو محال عليه تعالى؛ لأن سمعه ليس بالجارحة.

﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَا بَنِيَ إِسْرَءِيلَ﴾ ٧٧ والإرسال ههنا: التخلية والإطلاق، كما تقول: أرسلت الكلب إلى الصيد؛ أي: خلّهم وشأنهم ليذهبوا إلى أرض الشام مسكن آبائهم.

﴿مِنْ عُمْرِكَ﴾ والعمر - بضمّتين - مصدر عمر؛ أي: عاش وحيي، قال الراغب: العمر: اسم لمدة عمارة البدن بالحياة، قليلة كانت أو كثيرة.

﴿فَعَلَّكَ﴾ الفعلة - بالفتح -: المرة الواحدة، والفِعْلة - بالكسر - الهيئة، كما قال ابن مالك:

لِمَرَّةٍ فَعْلَةٌ، وَفَعْلَةٌ وَضَعُوا لِهَيْئَةٍ غَالِبًا، كَمِشْيَةِ الْخَيْلِ
﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ يقال: ضل فلان الطريق أخطأه؛ أي: ضللت طريق الصواب وأخطأته من غير تعمّد، كمن رمى سهماً إلى طائر وأصاب آدمياً، وذلك لأن مراد موسى كان تأديبه، لا قتله.

﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ﴾؛ أي: ذهبت من بينكم إلى مدين، وهو من المضاعف اللازم، يجب كسر عين مضارعة، كما قال ابن مالك:

ذَا أَلَوَا وَفَاءَ أَوْ أَلِيَا عَيْنًا أَوْ كَأْتَى كَذَا الْمُضَاعَفُ لِأَزْمًا كَحَنَّ طَلًا
تقول: فرّ فراراً، ودبّ يدبّ ديباً، وحنّ يحنّ حنياً.

﴿أَنْ عَبَدْتُ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ﴾ يقال: عبّته إذا أخذته عبداً وقهرته وذللته.

﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ والرب: المربي والمتكفل لمصلحة الموجودات، والعالم اسم لما سوى الله تعالى من الجواهر والأعراض، سمّي عالماً؛ لأنه علامة على وجود صانعه وخالقه.

﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ والجنون: مرض حائل بين النفس والعقل، كما في «المفردات».

﴿مِنْ الْمَسْجُونِينَ﴾؛ أي: من المحبوسين عندي، وفي «المصباح»: سجنته

سجناً - من باب قتل - حبسته، والسِجن - بالكسر -: الحبس، والجمع سجون مثل حمل وحمول، اهـ.

﴿قَالَ لَقَىٰ عَصَاهُ﴾ والإلقاء: طرح الشيء حيث تلقاه وتراه، ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح.

﴿تُعْبَانُ مَيِّنٌ﴾؛ أي: ظاهر الثعبانية حقيقة، لا متخيلاً بالسحر، كما تفعله السحرة، والثعبان أعظم الحيات، وهو مشتق من ثعب بمعنى جرى لجريه بسرعة من غير رجل، كأنه ماء سائل، وأما كونه من ثعبت الماء فانشعب إذا فجرته فانفجر، وإن كان مآله ذلك فليس بمراد، اهـ «شهاب»، والثعبان يطلق على الذكر والأنثى، ويجمع على ثعابين. ﴿يَبْضَأُ﴾؛ أي: ذات بياض ونور من غير برص. ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ وحول الشيء: جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه وينقلب، والملا جماعة يجتمعون على رأي يملؤون العيون رواء، والنفوس جلاله وبهاء. ﴿لَسَاحِرٌ﴾ والسحر: تخيلات لا حقيقة لها، فالساحر المحتال المخيل بما لا حقيقة له. ﴿فَكَادَا تَأْمُرُونَ﴾: من المؤامرة، لا من الأمر؛ وهي المشاورة، وقيل للتشاور: ائتمار؛ لقبول بعضهم أمر بعض فيما أشار به.

﴿أَرْجَمَ وَأَخَاهُ﴾ يقال: أرجأته وأرجيته إذا أخرته، ومنه المرجئة، وهما لغتان، أي آخر أمرهما، ولا تباغتهما بالقتل خيفة الفتنة قبل أن يظهر كذبهما. ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾: جمع مدينة؛ أي: في الأمصار والبلدان، وأقطار مملكتك. ﴿حَشَرِينَ﴾؛ أي: شرطاً يحشرون الناس ويجمعونهم.

﴿يَكْلُ سَحَارٍ عَلِيمٍ﴾ ولما قال فرعون أولاً: إن هذا لساحر عليم عارضوا بقولهم: بكل سحار عليم، فجاء بكلمة الاستغراق والبناء الذي للمبالغة؛ لينفوسوا عنه بعض ما لحقه من الكرب، ذكره أبو حيان.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبدیع:

فمنها: الكناية اللطيفة في قوله: ﴿فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَمَّا خَضِعِينَ﴾؛ لأنه كناية عن الذل والهوان الذي يلحقهم بعد العز والكبرياء.

ومنها: المجاز العقلي في إسناد الخضوع للأعناق، فقد يقال: كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق، والخضوع من خصائص العقلاء، وقد كان أصل الكلام: فظلوا لها خاضعين؟ والسر في ذلك أنه لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء.. قيل: خاضعين، كما تقدم في قوله: ﴿لِي سَجِدِينَ﴾، وههنا أقوال أخرى أوصلها علماء البيان إلى سبعة تلخصها فيما يلي:

١. المراد الرؤساء، كما قيل: لهم وجوه وصدور، يقال لهم: أعناق.
٢. أنه على حذف مضاف؛ أي: فظل أصحاب الأعناق، ثم حذف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل الحذف مراعاة للمحذوف.
٣. أنه لما أضيف إلى العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم، كما يكتسب التأنيث بالإضافة.
٤. أن الأعناق جمع عنق من الناس؛ وهم الجماعة، يقال: جاءنا عنق من الناس؛ أي: فوج، وليس المراد الجارحة المعلومة.
٥. إقحام الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكلام على أصله.
٦. ما ذكرناه من أنها عوملت معاملة العقلاء لما أسند إليها ما يكون عادة من أفعال العقلاء على طريق المجاز العقلي.
٧. أنه لما أضاف الأعناق إلى المذكورين، وكانت الأعناق متصلة بهم في الخلقة والتكوين.. أجرى عليها حكمهم.

ومنها: التتميم في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَّتْ بَيْنَ يَدَيْهَا مِن كُلِّ فَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ حيث جمع بين ﴿كَرَّتْ﴾ و﴿كُلِّ﴾، مع إغناء أحدهما عن الآخر، وضابط التتميم أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت من الكلام نقص معناه في ذاته أو في

صفاته، ولفظه تام، والمقصود من الآية آحاد الأزواج، ولو أسقطت ﴿كَلَّا﴾، فقلت: انظروا إلى الأرض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلاني.. لكنت مكنياً عن آحاد ذلك الصنف المشار إليه، فإذا أدخلت كلاً فقد أديت بذكره آحاد كل صنف، وفائدة الجمع بين ﴿كُلِّ﴾ و﴿كَمْ﴾ أن ﴿كَلَّا﴾ إنما دخلت للإحاطة بأزواج النبات، و﴿كَمْ﴾ دلت على أن هذا المحاط مفرط بالكثرة، وفي ذلك تنبيه على تمام القدرة وكمالها، وهذا هو مقتضى التتميم الذي تقدمت الإشارة إليه.

ومنها: الوعيد والتهديد في قوله: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

ومنها: التوبيخ والإنكار في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾؛ لأن الاستفهام فيه للتوبيخ على تركهم النظر بعين الاعتبار.

ومنها: الاستعارة في قوله: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾؛ لأن النداء رفع الصوت مأخوذ من الندى؛ وهو الرطوبة، فاستعيرت للصوت من حيث إن من تكثر رطوبة فمه حسن كلامه، ولهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق، ذكره في «روح البيان».

ومنها: المقابلة اللطيفة بين قوله: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾.

ومنها: الاستعارة التمثيلية في قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ﴾ حيث استعار الاستماع الذي هو طلب السمع بالإصغاء بالأذن للسمع الذي هو مطلق إدراك الحروف والأصوات من غير إصغاء. والمعنى: إنا سامعون لما يجري بينكما وبينه، فأظهركما عليه. مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم، ليمد الأولياء منهم، ويظهرهم على الأعداء مبالغة في الوعد بالإعانة، وجعل الكلام استعارة تمثيلية؛ لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة أمور اهـ «روح».

ومنها: جناس الاشتقاق بين ﴿رَسُولٌ﴾ و﴿أَرْسِلْ﴾.

ومنها: الإيهام في قوله: ﴿فَعَلَّكَ الْآتِيَ فَعَلْتَ﴾ يعني: قتل القبطي؛ لإفادة التعظيم والتفخيم، فإن في عدم التصريح باسمها الخاص تعظيم تلك الفعلة، فإن قوله: ﴿الَّتِي فَعَلْتَ﴾ يذهب فيها الوهم كل مذهب، ويحتمل الكثير من المعاني، وهو كثير شائع في القرآن الكريم.

ومنها: الجنس الناقص بين ﴿فَعَلْتَ﴾ و: ﴿فَعَلَّكَ﴾ فقد اتفقت الحروف فيهما، واختلف الشكل، فصار جناساً غير تام.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿أَلَمْ نُرِيكَ فِيْنَا وَلِيدًا﴾ دل على هذا الحذف السياق، تقديره: فأتيا فرعون فقولا له ذلك، فقال لموسى: ﴿أَلَمْ نُرِيكَ فِيْنَا وَلِيدًا﴾.

ومنها: إفادة التعجيب في قوله: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾، فكأنه قال: استمعوا ما يقول، وتعجبوا منه.

ومنها: التخصيص في قوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ بعد التعميم في قوله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فإنه استوعب به الخلائق كلها، ثم عاد إلى التخصيص بذكرهم وذكر آبائهم.

ومنها: التأكيد بـ ﴿إِنْ﴾ واللام واسمية الجملة في قوله: ﴿إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾؛ لأن السامع متشكك ومتردد.

ومنها: الطباق بين ﴿الْمَشْرِقِ﴾ و﴿الْمَغْرِبِ﴾ في قوله: ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

ومنها: لام العهد في قوله: ﴿لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ﴾؛ أي: لأجعلنك من الذين عرفت أحوالهم في سجونني، فإنه كان يطرحهم في هوة عميقة، ويتركهم حتى يموتوا، ولم يقل: لأسجنك للإشارة إلى أن ذلك ديدنه وعادته.

ومنها: الاستغراق والمبالغة في قوله: ﴿يَكْلِ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾؛ لأن كلمة ﴿كل﴾ تفيد الإحاطة والاستغراق، وكلمتي ﴿سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾ يفيدان المبالغة؛

لأنهما من أوزان المبالغة.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا :

﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لَيْلَةَ يَوْمِ مَعْلُومٍ ٢٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ٢٩ لَعَلَّنا نَنْجُو السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْفَٰلِقِينَ ٣٠ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَجْعَلُ لَكَ خِزْيًا إِنَّ كُنَّا نَعْمَ وَإِنَّكُمُ إِذَا لَمِنَ الْمَقْرِبِينَ ٣١ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ٣٢ فَأَلْقَوْا حِجَالَهُم وَعَصِيَّتَهُمْ وَقَالُوا يِعْزُّوْا فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ٣٣ فَالْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ٣٤ فَالْقَىٰ السَّحَرَةُ سِحْرَ مُوسَىٰ ٣٥ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٦ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ٣٧ قَالَ آمَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣٨ لَا تُطِيعُنَّ آيَاتِيكُمْ وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ ٣٩ قَالُوا لَا ضَرَّ لَنَا إِلَهُا إِنْ رَأَيْنَا مُنْقِلُونَ ٤٠ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ٤١ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِيَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ٤٢ فَارْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَلَأَيْنِ خَشِيرَتِهِ ٤٣ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ٤٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَايِطُونَ ٤٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ٤٦ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٤٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ٤٨ كَذَلِكَ وَأَوْزَيْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ٤٩ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ٥٠ فَلَمَّا تَرَاكَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُورُونَ ٥١ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ٥٢ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ٥٣ وَأَزَلَّانَا نَمَ الْآخِرِينَ ٥٤ وَأَضَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ٥٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ٥٦ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ٥٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٥٨ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ٥٩ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ٦٠ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا عَنْكُمُ ٦١ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ٦٢ أَوْ يَبْهَتُونَكَ أَوْ يَبْصُرُونَ ٦٣ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ٦٤ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ٦٥ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ٦٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ٦٧ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ٦٨ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ٦٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٧٠ وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُحْيِي ٧١ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ٧٢﴾

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ٥٩...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما ذكر في أول السورة شدة حزنه ﷺ على كفر قومه

وعدم استجابتهم دعوته، ثم ذكر قصص موسى عليه السلام ليكون في ذلك تسلية له، وليعلم أنه ليس ببدع في الرسل، وأن قومه ليسوا بأول الأمم عناداً واستكباراً، فقد أتى موسى بياهر المعجزات وعظيم الآيات، ولم يؤمن به من قومه إلا القليل، ولم يؤمن به من المصريين إلا النذر اليسير.. أردف ذلك بقصص إبراهيم أبي الأنبياء، وخليل الرحمن؛ ليعلم أن حزنه لكفران قومه كان أشد، وآلامه كانت أَمْضَى، فهو كان يرى أن أباه وقومه صاثرون إلى النار، وهو ليس بمستطيع إنقاذهم، وقد أكثر حجاجهم حتى حجهم، ولم يجد ذلك فيهم شيئاً، بل ركنوا إلى التقليد بما ورثوه عن الآباء والأجداد، وقد أبان لهم أثناء حجاجه أن أصنامهم لا تغني عنهم شيئاً، فهي لا تسمع دعاءهم ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّنُوءُ الدُّعَاءَ﴾، ولو سمعت لم تغن عنهم شيئاً، ثم ذكر لهم صفات الرب الذي ينبغي أن يعبد، وفصلها أتم التفصيل.

التفسير وأوجه القراءة

﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ﴾؛ أي: بعث فرعون الشرط في المدائن لجمع السحرة، فجمعوا وهم اثنان وسبعون، أو سبعون ألفاً كما يدل عليه كثرة الحبال والعصي التي خيلوها، وكان اجتماعهم بالإسكندرية على ما رواه الطبري. ﴿لِيَقْتُلَ﴾ وميعاد ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ عندهم. والميقات^(١): الوقت المضروب للشيء؛ أي: اجتمعت السحرة في الوقت الذي وقت به موسى، وعين لهم من ساعات يوم معين، وذلك الوقت وقت الضحى من يوم الزينة، وهو يوم عيد لهم، كانوا يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة، روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه وافق يوم السبت في أول يوم من السنة؛ وهو يوم النيروز، وهو أول يوم من فرودين ماه، ومعنى نيروز بلغة القبط: طلع الماء؛ أي: علا ماء النيل، وبلغة العجم نوروز؛ أي: اليوم الجديد، وهو أول السنة المستأنفة عندهم.

وإنما وقت لهم موسى وقت الضحى من يوم الزينة في قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ

(١) روح البيان.

يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ﴾، ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد، ويشيع ذلك في الأفطار، واختاره فرعون أيضاً، ليظهر كذب موسى بمحضر الجمع العظيم، فكان ما كان.

﴿وَقِيلَ﴾ من طرف فرعون ﴿لِلنَّاسِ﴾؛ أي: لأهل مصر وغيرهم ممن يمكن حضوره ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ لتنظروا ما يفعل الفريقان، ولمن تكون له الغلبة، وليس المراد بـ﴿هَلْ﴾ حقيقة الاستفهام بقرينة عدم الجواب، بل المراد بالاستفهام الحث على المبادرة إلى الاجتماع والترجي للغلبة، لا لاتباع السحرة؛ لأنه مقطوع به. والمعنى؛ أي^(١): احضروا لتشهدوا ما يكون من الجانبين ﴿لَعَلَّنا نَنْجُو السَّحَرَةَ﴾ في دينهم ﴿إِنْ كَانُوا هُمْ الْقَلِيلِينَ﴾ لموسى، لا لموسى؛ أي: فإننا نرجو أن تكون الغلبة للسحرة، فتتبعهم في دينهم، لا نتبع موسى. قال ابن جرير: ﴿لعل﴾ هنا بمعنى كي. والمراد^(٢) باتباع السحرة في دينهم: هو البقاء على ما كانوا عليه؛ لأن دين السحرة إذ ذاك هو دينهم، والمقصود المخالفة لما دعاهم إليه موسى. وقيل^(٣): أرادوا بالسحرة موسى وهارون، وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء.

والمعنى: ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةُ...﴾ إلخ؛ أي^(٤): إن الملاء بعد أن أشاروا على فرعون بتأخير البت في أمر موسى، وبأن من الخير له أن يجمع السحرة؛ ليظهر عند حضورهم فساد قوله.. رضي بما أشاروا به واستقروا عليه، وأحب أن تقع المناظرة في يوم عيد لهم؛ لتكون بمحضر الجَمِّ الغفير من الناس، ويتم الله نوره، ويظهر الحق على الباطل بلطفه وفضله ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ حثاً لهم على المبادرة إلى الاجتماع، ومشاهدة ما يكون من الجانبين ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ في ذلك الميقات لتروا ما سيكون في ذلك اليوم المشهود، وكان ذلك ثقة من فرعون بالظهور، وقد طلب أن يكون بمجمع من الناس؛ لئلا يؤمن بموسى أحد منهم، فوقع من موسى الموقع الذي يريده؛ لأنه يعلم أن حجة الله هي الغالبة، وحجة الكافرين هي

(٣) الخازن.

(٤) المراغي.

(١) المراح.

(٢) الشوكاني.

الداخضة، وفي ظهور حجة الله بمجمع من الناس زيادة في الاستظهار للمحققين، وقهر للمبطلين ﴿لَمَّا نَبَّحَ السَّحَرَةُ إِنَّ كَانُوا هُمُ الْفَٰلِغِينَ﴾ (٤١)؛ أي: إنا نرجوا أن يكون لهم الغلبة فنتبعهم ونستمر على دينهم، ولا نتبع دين موسى ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ فرعون ﴿قَالُوا﴾؛ أي: السحرة ﴿لِفِرْعَوْنَ أَينَ لَنَا لَأَجْرًا﴾؛ أي: جعلاً عظيماً، أو لجزاء تجزيينا به من مال أو جاه، وقيل: أرادوا إن لنا ثواباً عظيماً، ثم قيدوا ذلك بظهور غلبتهم لموسى، فقالوا: ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَٰلِغِينَ﴾ لا موسى، ووافقهم فرعون على ذلك، و﴿قَالَ نَعَمْ﴾ نعم ذلك عندي. وقرأ^(١) الكسائي ﴿نعم﴾ بكسر العين، وهما لغتان. اهـ «بيضاوي». ﴿وَلَكُمْ﴾ مع ذلك ﴿إِذَا﴾؛ أي: إذا غلبتم ﴿لَمِنَ الْمُفَرِّغِينَ﴾ عندي، تكونون أول من يدخل علي، وآخر من يخرج من عندي. وكان^(٢) ذلك من أعظم المراتب عندهم، وهكذا حال أرباب الدنيا في حب قرينة السلطان ونحوه، وهو من أعظم المصائب عند العقلاء.

فلما تقابلوا مع موسى ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ أَلْقُوا﴾؛ أي: اطرحوا ﴿مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾؛ أي: ما أنتم تريدون إلقاءه، لم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه؛ لأن ذلك غير جائز، بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلاً به إلى إظهار الحق وإبطال الباطل، قال في «كشف الأسرار»: ظاهر الكلام أمر، ومعناه التهاون في الأمر، وترك المبالاة بهم وبأفعالهم، وتهديد لهم. وعبارة «الكرخي»: هذا^(٣) جواب سؤال صورته: كيف يجوز على النبي المعصوم الأمر بالكفر؟

وحاصل الجواب: أن صيغة الأمر ليست على حقيقتها، بل هي مجاز عن الإذن، فإن قيل: الإذن يستلزم الرضا فيعود الإشكال؟ فالجواب: أن الممتنع هو الرضا في حال كونه مستحسنًا، ولا يلزم ذلك هنا، بل اللازم هو الرضا به للتوسل إلى إبطاله، وهذا عين استقبحه، فليس فيه محذور، اهـ.

(٣) الفتوحات.

(١) البيضاوي.

(٢) روح البيان.

فإن قلت: إن ما هنا يدل على أن البادىء بالكلام هو موسى عليه السلام، وفي سورة طه: ﴿قَالُوا يَمْشِيْ اِيْمًا اَنْ تُلْقَى وَاِيْمًا اَنْ تُكُوْنَ اَوَّلَ مَنْ اَلْقَى﴾ (٦٥)، فيدل على أن البادىء هم السحرة، فبين الآيتين معارضة في تعيين البادىء، فبين وجه الجمع بينهما؟

قلت: يجمع بينهما بحمل ما هنا على أنه قال لهم: ألقوا، بعد أن قالوا هذا القول، فحينئذ البادىء بالكلام هم السحرة.

﴿ف﴾ بعد أن قال لهم موسى ألقوا ﴿أَلْقُوا حِبَالَهُمْ﴾: جمع حبل ﴿وَعَصِيَّتَهُمْ﴾: جمع عصا، اثنين وسبعين ألف حبل، واثنين وسبعين ألف عصا ﴿وَقَالُوا﴾ عند الإلقاء حالفين ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ وعظمته ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ على موسى وهارون. أقسموا^(١) بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم وإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى من السحر، والقسم بغير الله من إيمان الجاهلية، وفي الحديث: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطواغيت، ولا تحلفوا إلا بالله إلا وأنتم صادقون».

وقال الشوكاني: قولهم: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ يحتمل وجهين:

الأول: أنه قسم، وجوابه: ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾.

والثاني: أنه متعلق بمحذوف، والباء للسببية؛ أي: تغلب بسبب عزته. قال بعضهم^(٢): رأوا كثرة تمويهاتهم وقلة العصا، فنظروا إليها بنظر الحقارة، وظنوا غلبة الكثير على القليل، وما علموا أن القليل من الحق يبطل الكثير من الباطل، كما أن قليلاً من النور يمحو كثيراً من الظلمة، اهـ.

قال أبو حيان^(٣): وعدلوا عن الخطاب إلى اسم الغيبة، في قولهم: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ تعظيماً له، كما يقال للملوك: أمروا بكذا، فيخبر عنه إخبار الغائب، وهذا من نوع إيمان الجاهلية، وقد سلك كثير من المسلمين في الإيمان ما هو

(٣) البحر المحيط.

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

أشنع من أيمان الجاهلية، لا يرضون بالقسم بالله، ولا يعتدون به، حتى يحلف أحدهم بنعمة السلطان، وبإغاثة شيخه، وبرأس المحلف، فحينئذ يستوثق منه. وقال ابن عطية: بعد أن ذكر أنه قسم قال: والأحسن أن يكون على جهة التعظيم والتبرك باسمه إذ كانوا يعبدونه، كما تقول إذا ابتدأت بعمل شيء: بسم الله وعلى بركة الله، ونحو هذا.

والمعنى: أي^(١) قال لهم موسى: ألقوا ما تريدون إلقاءه مما يكون حجة لكم على إبطال ما أدعيه من المعجزات، فألقوا ما معهم من الحبال والعصي، وقد كانت مطلية بالزئبق، والعصي مجوفة مملوءة به، وقالوا: بقوة فرعون وجبروته إنا لنحن الغالبون، فلما حميت حرارة الشمس اشتدت حركتها، وصارت كأنها حيات تدب من كل جانب، وسحروا أعين الناس واسترهبوهم، وجاؤوا بسحر عظيم، وجاء في سورة طه: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿١٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى ﴿١٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿١٨﴾﴾، وقد استفرغوا الوسع، وقاموا بما ظنوا أن فيه الكفاية، بل ما فوقها، وأن النصر قد كتب لهم ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾ بالأمر الإلهي ﴿فَإِذَا هِيَ﴾؛ أي: عصاه ﴿تَلْقَفُ﴾؛ أي: تبتلع بسرعة. وقرأ حفص: ﴿تَلْقَفُ﴾ بالتخفيف، اهـ. «بيضاوي» ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾؛ أي: ما يقلبونه؛ أي: وحين ألقى موسى عصاه ابتلعت ما كانوا يقلبون ويغيرون صورته وحاله الأولى من الجمادية بتمويههم وتخيل الحبال والعصي أنها حيات تسعى، وجاء في آية أخرى: ﴿فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَيَطْلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

والمأخوذ عند بعض المحققين^(٢): أنها التفتت صور الحيات من حبال السحرة وعصيتهم، حتى بدت للناس حبالاً وعصياً كما هي في نفس الأمر، كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه، فيظهر بطلانها، لا نفس الحبال والعصي كما هو عند الجمهور، وإلا لدخل على السحرة الشبهة في عصا موسى، والتبس عليهم الأمر، فكانوا لم يؤمنوا، وكان الذي جاء به موسى حينئذ من قبيل ما

(٢) روح البيان.

(١) المراغي.

جاءت به السحرة، إلا أنه أقوى منهم سحراً، ويدل على ما قلنا قوله تعالى: ﴿تَلَقَّفْ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا﴾، وما أفكوا الحبال وما صنعوا العصي بسحرهم، وإنما صنعوا وأفكوا في أعين الناظرين صور الحيات، وهي التي تلقفته عصا موسى، ذكره الإمام الشعراني في «الكبريت الأحمر».

﴿قَالَتِ السَّحَرَةُ﴾ على وجوههم حالة كونهم ﴿سَاجِدِينَ﴾ لله تعالى؛ أي: ألقوا إثر ما شاهدوا ذلك من غير تردد غير متمالكين، كأن ملقياً ألقاهم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر، وأنه أمر إلهي قد ظهر على يده لتصديقه.

قال الزمخشري^(١): فإن قلت: فاعل الإلقاء ما هو لو صرّح به؟

قلت: هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق وإيمانهم، أو بما عاينوا من المعجزة الباهرة، انتهى.

وفي هذا^(٢): دليل على أن التبحر في كل فن نافع، فإن السحرة ما تيقنوا بأن ما فعل موسى معجزهم إلا بمهارتهم في فن السحر، وعلى أن منتهى السحر تمويه وتزوير وتخيل شيء لا حقيقة له، وجه الدلالة أن حقيقة الشيء لو انقلبت إلى حقيقة شيء آخر بالسحر.. لما عدوا انقلاب العصا حية من قبيل المعجزة الخارجة عن حد السحر، ولما خروا ساجدين عند مشاهدته، وقد سبق تفصيل السحر في سورة طه.

قال بعضهم: السحر: مأخوذ من السَّحَر، وهو ما بين الفجر الأول والفجر الثاني، وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة، فما هو بديل لما خالطه من ضوء الصبح، ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس للأبصار، فكذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون عدماً، فإن العين أدركت أمراً لا تشك فيه، وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه، فإنه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي. قال الشعراني بعدما نقله: هو كلام نفيس ما سمعنا مثله قط.

(٢) روح البيان.

(١) الكشاف.

والمعنى: أي فخروا سجداً لله؛ لأنهم قد علموا أن هذا الذي فعلوه هو منتهى التخيل السحري، فلما ابتلعت الحية ما زوروه أيقنوا أن هذا من قدرة فوق ما عرفوا، وما هو إلا من قوة آتية من السماء لتأييد موسى، وحينئذ خروا سجداً لله القوي القاهر فوق عباده.

وفي التعبير بالإلقاء إشارة إلى أنهم لم يتمالكوا أنفسهم من الدهش حتى كأنهم أخذوا فطرحوا، ثم فاهوا بما يجيش في صدورهم، وتنطوي عليه جوانحهم ﴿قَالُوا﴾؛ أي: السحرة، بدل اشتمال من ﴿قَالُوا﴾، فلذلك لم يتخلل بينهما عاطف، أو^(١) حال بإضمار قد ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي دعا إليه موسى أول ما تكلم مع فرعون، انظر كيف أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء مسلمين مؤمنين، فالمغرور من اعتمد على شيء من أعماله وأقواله وأحواله، وقوله: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ بدل من^(٢) ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ لدفع توهم إرادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك، ولو وقفوا على رب العالمين.. لقال فرعون: أنا رب العالمين؛ إياي عنوا، فزادوا ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾، فارتفع الإشكال، وفي هذا إيماء إلى عزل فرعون عن الربوبية، وأن سبب إيمانهم ما أجراه الله تعالى على يدي موسى وهارون من المعجزات، وأضافوه سبحانه إليهما؛ لأنهما القائمان بالدعوة في تلك الحال، وفيه تبيكت لفرعون بأنه ليس برب، وأن الرب في الحقيقة هو هذا.

وبعد أن حصحص الحق، ووضح الصبح لذي عينين.. لجأ فرعون إلى العناد والمكابرة، وشرع يهدد ويتوعد، ولكن ذلك لم يجد في السحرة شيئاً، ولم يزدهم إلا إيماناً وتسليماً إذ كان حجاب الكفرة قد انكشف، واستبان لهم نور الحق وعلمهم ما جهل قومهم، وأن القوة التي تؤيد موسى قوة غيبية، قد أيد الله بها وجعلها دليلاً على صدق ما يدعي.

فلما سمع فرعون ذلك منهم، ورأى سجودهم لله.. ﴿قَالَ﴾؛ أي: فرعون

(٢) روح البيان.

(١) بياضوي.

للسحرة ﴿ءَامَنُتُمْ لَكُمُ﴾؛ أي: لموسى، وصدقتم به بصيغة الخبر، ويجوز تقدير همزة الاستفهام كما في الأعراف. وقرأ^(١) حمزة والكسائي وأبو بكر وروح: ﴿أَأَمَنُتُمْ﴾ بهمزتين أولاهما للاستفهام التقريري المضمن للتهديد ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾؛ أي^(٢): بغير إذن لكم من جانبي، كما في قوله تعالى: ﴿لَتَنفَذَ أَوَّحَثْنَاهُ قَبْلَ أَنْ تَقُولَ كَلِمَتٍ رَّبِّي﴾ لا أن إذن الإيمان ممكن أو متوقع، ثم قال مغالطاً للسحرة الذين آمنوا، وموهماً للناس أن فعل موسى سحر من جنس ذلك السحر ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: إن موسى ﴿لَكَبِيرُكُمُ﴾؛ أي: لعالمكم وأستاذكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ النَّجْمَ﴾ فعلمكم شيئاً دون شيء، ولذلك غلبكم أو فوadcكم على ما فعلتم وتواطأتم عليه قبل أن تخرجوا إلى هذا الموضع، كما قال في الأعراف: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ أراد بذلك التلبس على قومه كيلا يعتقدوا أنهم آمنوا على بصيرة وظهور حق. وإنما^(٣) اعترف له بكونه كبيرهم مع كونه لا يحب الاعتراف بشيء يرتفع به شأن موسى؛ لأنه قد علم كل من حضر أن ما جاء به موسى أبهر مما جاء به السحرة، فأراد أن يشكك على الناس بأن هذا الذي شاهدتم وإن كان قد فاق على ما فعله هؤلاء السحرة.. فهو فعل كبيرهم ومن هو أستاذهم الذي أخذوا عنه هذه الصناعة، فلا تظنوا أنه فعل لا يقدر عليه البشر، وأنه من فعل الرب الذي يدعو إليه موسى، ثم توعد أولئك السحرة الذين آمنوا بالله لما قهرتهم حجة الله، فقال: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ أي: وبال ما فعلتم، واللام^(٤) للتأكيد، لا للقسم، ولا للحال، فلذلك اجتمعت بحرف الاستقبال أجمل ما أوعدهم أولاً للتهويل، ثم فصله، فقال: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾؛ أي: أقسمت لكم بقهري وسلطاني لأقطعن منكم أكفكم وأقدامكم حالة كونها من خلاف؛ أي: متخالفات من كل شق طرفاً، وهو أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، وذلك زمارة من جانبي البدن، كما في «كشف الأسرار». وهو أول من قطع من خلاف وصلب كما في «فتح الرحمن».

(١) البضاوي.

(٣) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٤) روح البيان.

وصيغة التفعيل وهو التقطيع لكثرة الأيدي والأرجل، كما تقول: فتحت الباب، وفتحت الأبواب. وقال بعضهم: من للتعليل؛ أي: من أجل^(١) خلاف ظهر منكم، وذلك^(٢) لأن القطع المذكور لكونه تخفيفاً للعقوبة، واحترازاً عن تفويت منفعة البطش على الجاني لا يناسب حال فرعون ولما هو بصدده، إلا أن يحمل على حمقه حيث أوعدهم في موضع التغليظ بما وضع للتخفيف، انتهى. وذلك وهم محض؛ لأنه يدفعه قوله: ﴿وَأَصْلَبَكُمْ﴾ على شاطئ البحر كلكم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ قال في «الكشف»؛ أي: أجمع عليكم التقطيع والصلب، روي أنه علقهم على جذوع النخل حتى ماتوا، ولكن ليس في الآية ما يدل على أن فرعون فعل ذلك أو لم يفعل، وفي الأعراف ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَكُمْ﴾ فأوقع المهلة؛ ليكون هذا التصليب بعذابهم أشد. ويجمع بين ما في الموضعين بجعل ﴿الواو﴾ هنا بمعنى ثم؛ لأن المهلة أغلظ في التعذيب.

وحاصل معنى الآية: ﴿قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَّيَّ﴾؛ أي^(٣): قال لهم فرعون: أنؤمنون به قبل أن تستأذنوني، وقد كان ينبغي أن تفعلوا ذلك، وأن لا تفتاتوا علي، فإني أنا الحاكم المطاع، ثم التمس لايمانهم عذراً آخر غير انبلاج الحق؛ ليعمي على العامة، ويصرفهم عن وجه الحق، فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَكَيْدُكُمْ أَلَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾، فأنتم فعلتم ذلك عن مواطأة بينكم وبينه، ولا شك أن هذا تضليل لقومه، ومكابرة ظاهرة البطلان، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون هو كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر، ثم نوعدهم، فقال: ﴿فَلَسَوْفَ نَقَامُكُمْ﴾ وبأل ما فعلتم، وسوء عاقبة ما اجتريحتم، ثم بين ذلك بقوله: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ الخ؛ أي: لأقطعن اليد اليمنى من كل منكم، والرجل اليسرى، ثم لأصلبنكم أجمعين بعد ذلك.

فأجابه غير مكثرين بقوله، ولا عابئين بتهديده بأمرين كل منهما دليل على

(٣) المراغي.

(١) النسفي.

(٢) روح البيان.

اطمئنان النفس وبرد اليقين:

١. ﴿قَالُوا﴾؛ أي: السحرة المؤمنون ﴿لَا ضَيْرٌ﴾؛ أي: لا ضرر علينا في تنفيذ وعيدك، ولا نبالي به؛ لأن كل حي لا محالة ميت:

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَعَدَّدَتْ الْأَسْبَابُ وَالْمَوْتُ وَاحِدٌ ونحو ذلك قول علي - كرم الله وجهه -: لا أبالي أوقعت على الموت، أم وقع الموت علي ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾؛ أي: راجعون فيثيبنا بالصبر على ما فعلت، ويجازينا على الثبات على التوحيد، وفي الآية دلالة على أن للإنسان أن يظهر الحق وإن خاف القتل.

والمعنى: أي^(١) لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا، فإن ذلك يزول ويذهب، وننقلب بعده إلى ربنا فيعطينا من النعيم الدائم ما لا يحد ولا يوصف، قال الهروي: لا ضير، ولا ضرر، ولا ضرر بمعنى واحد، وأنشد أبو عبيدة:

فَإِنَّكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ حَوْلٍ أَظْبِي كَانَ أُمُّكَ أَمْ جِمَارُ قال الجوهري: ضاره يضره ويضيره ضيراً وضوراً؛ أي: ضره، قال الكسائي: سمعت بعضهم يقول: لا ينفعني ذلك ولا يضرني.

٢. ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ ورجوا ﴿أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا﴾ السالفة من الشرك وغيره، ثم عللوا هذا بقولهم: ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بفتح همزة ﴿أَنْ﴾، والجملة في المعنى تعليل ثان لنفي الضير، أو تعليل للعلة المتقدمة كما في «البيضاوي»؛ أي: لأن كنا أول المؤمنين بموسى من أتباع فرعون، أو من أهل المشهد بعد ظهور الآية. وقال الفراء: أول مؤمني زمانهم. وأنكره الزجاج وقال: قد روي أنه آمن معهم ست مئة ألف وسبعون ألفاً؛ وهم الشذمة القليلون الذين عناهم فرعون بقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾، وأجاز الفراء والكسائي كسر همزة إن على أن يكون مجازاة، والمعنى؛ أي: ولأننا نأمل أن يغفر لنا ربنا ما فعلنا من

(١) الشوكاني.

السحر، واعتقدناه من الكفر من أجل أن كنا أول من آمن من الجماعة الذين شهدوا هذا الموقف انقياداً للحق، وإعراضاً عن زخرف الدنيا وزينتها.

وقرأ الجمهور^(١): ﴿أَنْ كُنَّا﴾ بفتح الهمزة، وفيه الجزم بإيمانهم، وقرأ أبان بن تغلب وأبو معاذ ﴿إِنْ كُنَّا﴾ - بكسر الهمزة - قال صاحب «اللوامح»: على الشرط، وجاز حذف الفاء من الجواب؛ لأنه متقدم، وتقديره: إن كنا أول المؤمنين فإننا نطمع، وحسن الشرط لأنهم لم يتحققوا مآلهم عند الله تعالى من قبول الإيمان. انتهى وهذا التخريج على مذهب الكوفيين وأبي زيد والمبرد حيث يجيزون تقديم جواب الشرط عليه، ومذهب جمهور البصريين أن ذلك لا يجوز، وجواب مثل هذا الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه. وقال البيضاوي^(٢): وقرئ ﴿إِنْ كُنَّا﴾: على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة، أو على طريقة المدل بأمره: إن أحسنت إليك فلا تنس حقي اهـ.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرٌ لَّنَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ قاله هنا بحذف^(٣) لام التأكيد، وفي الزخرف قاله بإثباتها ﴿لَمُنْقَلِبُونَ﴾ فإن قلت: فما الفرق بين الموضعين؟

قلت: لأن ما هنا كلام السحرة حين آمنوا، ولا عموم فيه، فناسب عدم التأكيد، وما في الزخرف عام لمن ركب سفينة أو دابة فناسبه التأكيد.

قال ابن عطاء^(٤): من اتصلت مشاهدته بالحقيقة احتمل معها كل وارد عليه من محبوب أو مكروه، ألا ترى أن السحرة لما صحت مشاهدتهم كيف قالوا: ﴿لَا ضَيْرٌ﴾.

وكان جعفر ابن عم النبي ﷺ أخذ اللواء في بعض الغزوات يمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضده حتى قتل، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة،

(٣) فتح الرحمن.

(١) البحر المحيط.

(٤) روح البيان.

(٢) البيضاوي.

فأثابه الله تعالى بذلك جناحين في الجنة، يطير بهما حيث شاء، ولذلك قيل له: جعفر الطيار، وهكذا شأن من هو صادق في دعواه فليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله تعالى هو المبتلي، لكن هذا العلم إذا لم يكن من مرتبة المشاهدات لا يحصل التخفيف التام، فحال السحرة كانت حال الشهود والجذبة، وكان حال عمر - رضي الله عنه - حين الإيمان كحال السحرة، وبالجملة أن الإيمان وسيلة الإحسان، فمن سعى في إصلاح حاله في باب الأعمال أوصله الله تعالى إلى ما أوصل إليه أرباب الأحوال، كما قال عليه السلام: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾ بعد ثلاثين سنة ﴿أَنۢ أَسْرِ بِعِبَادِيۜ إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ أي: بمن آمن معك من بني إسرائيل، والإيحاء: إعلام في خفاء، ويقال: سرى يسري سرى إذا سار ليلاً، كما سيأتي في مبحث التصريف، وسماهم عباده؛ لأنهم آمنوا بموسى وبما جاء به، والمعنى^(١): وقلنا لموسى بطريق الوحي: يا موسى اذهب ببني إسرائيل بالليل، وسر بهم حتى تنتهي إلى بحر القلزم، فيأتيك هناك أمري فتعمل به، وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق، ويظهر لهم الآيات، فلم يزيدوا إلا عتواً وفساداً وعلم الانتهاء إلى البحر من الوحي؛ إذ من البعيد أن يؤمر بالمسير ليلاً وهو لا يعرف جهة الطريق، ومن قول جبريل حين خرجوا من مصر: موعد ما بيني وبينك يا موسى البحر؛ أي: شط بحر القلزم. تقدم^(٢) الخلاف في ﴿أَسْرِ﴾، وأنه قرء بوصل الهمزة، وبقطعها في سورة هود، وقرأ اليماني: ﴿أَنۢ أَسَر﴾ أمر من سار يسير. وجملة قوله: ﴿إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾؛ أي: يتبعكم فرعون وجنوده تعليل للأمر بالإسراء؛ أي: أسر بهم حتى إذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر، بل يكونون على أثركم حين تدخلون البحر، فيدخلون مداخلكم، فأطبقه عليهم فأغرقهم.

(٢) البحر المحيط.

(١) روح البيان.

ثم^(١) إن قوم موسى قالوا لقوم فرعون: إن لنا في هذه الليلة عيداً، ثم استعاروا منهم حليهم وحللهم بهذا السبب، ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر. قال القرطبي: فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل سحراً، فترك الطريق إلى الشام على يساره، وتوجه نحو البحر، فكان الرجل من بني إسرائيل يقول له في ترك الطريق، فيقول: هكذا أمرت، فلما أصبح فرعون، وعلم بسري موسى ببني إسرائيل خرج في أثرهم، وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه العساكر، وقوى نفسه ونفس أصحابه بأن وصف قوم موسى بوصفين من أوصاف الذم، ووصف قوم نفسه بصفة المدح، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ حِينَ أَخْبَرَ بِمَسِيرِهِمْ فِي اللَّيْلِ ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾؛ أَي: فِي مَدَائِنِ مِصْرَ وَبِلْدَانِهَا ﴿حَشِيرِينَ﴾؛ أَي: شَرْطاً جَامِعِينَ لِلْعَسَاكِرِ لِيَتَّبِعُوهُمْ. قِيلَ: كَانَ لَهُ أَلْفُ مَدِينَةٍ وَاثْنَا عَشَرَ أَلْفَ قَرْيَةٍ، وَقَالَ لَهُمْ حِينَ جَمَعَ عَسَاكِرَ الْمَدَائِنِ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾؛ أَي: بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿لِئَرْزُمَهُ قَلِيلُونَ﴾؛ أَي: لَطَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ، وَكَانُوا سِتْ مِئَةَ أَلْفٍ مُقَاتِلٍ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنْ دُونَ عِشْرِينَ سَنَةً، وَلَا مِنْ يَبْلُغُ سِتِّينَ سِوَى الْحِشْمِ، وَفِرْعَوْنُ يَقْلِلُهُمْ؛ إِذْ رَوَى أَنَّهُ أَرْسَلَ فِي أَثَرِهِمْ أَلْفَ أَلْفٍ مُلْكٍ وَخَمْسَةَ آلَافٍ مُلْكٍ إلخ. وَخَمْسُ مِئَةِ أَلْفٍ مُلْكٍ مُسَوَّرٌ، وَمَعَ كُلِّ مُلْكٍ أَلْفٌ، وَخَرَجَ فِرْعَوْنُ فِي جَمْعٍ عَظِيمٍ، وَكَانَتْ مُقَدِّمَتُهُ سَبْعُ مِئَةِ أَلْفٍ رَجُلٍ عَلَى حِصَانٍ وَعَلَى رَأْسِهِ بَيْضَةٌ.

وعن ابن عباس: خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث. وروى أن فرعون خرج على حصان أدهم، وفي عسكره على لون فرسه ثلاث مئة ألف، والشردمة الطائفة القليلة. وقال: قليلون دون قليلة باعتبار أنهم أسباط، كل سبط منهم سبط قليل ﴿وَأَنَّهُمْ﴾؛ أَي: وَإِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿لَنَا لَعَّاطُونَ﴾؛ أَي: لِفَاعِلُونَ مَا يَغِظُنَا وَيَغْضِبُنَا بِمُخَالَفَتِهِمْ دِينَنَا، وَذَهَابِهِمْ بِأَمْوَالِنَا الَّتِي اسْتَعَارَوْهَا أَنْ لَهُمْ عِيداً فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِنَا بِغَيْرِ إِذْنِ مَنْ، وَهُمْ مُنْخَرَطُونَ فِي سَلَكِ عِبَادِنَا ﴿وَلَنَا لَجَمِيعٍ حَذِرُونَ﴾^(٥٦)؛ أَي: لَجَمَاعَةٍ مُتَقِظُونَ غَيْرَ مُغْفَلِينَ، يَسْتَعْمَلُونَ الْحِزْمَ وَالاحتياط في الأمور.

(١) المراح.

يريد أن بني إسرائيل لقلتهم وحقارتهم لا يبالي بهم، ولا يتوقع علوهم وغلبتهم، ولكنهم يفعلون أفعالاً تغيظنا وتضيق بها صدورنا، ونحن جمع وقوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى إطفاء نائرة فساد، قاله فرعون لأهل المدائن؛ لئلا يظن به أنه خاف من بني إسرائيل.

وقيل: معنى ﴿حَذِرُونَ﴾؛ أي: خائفون من شرهم. وقيل: ذووا قوة وأداة، شاكون السلاح؛ أي: متسلحون.

وقرأ الكوفيون وابن ذكوان وزيد بن علي ﴿حَذِرُونَ﴾ بالالف بعد الحاء؛ أي: شاكون السلاح، وقرأ باقي السبعة ﴿حذرون﴾ بغير ألف؛ أي: متيقظون. وقال الزجاج: مؤدون؛ أي: متسلحون، وقرأ سميث بن عجلان وابن أبي عمار وابن السميع: ﴿حادرون﴾ بالبدال المهملة؛ أي: أقوياء أشداء.

فصل في بيان كيفية خروجهم من مصر

وقد جاء في سفر الخروج من التوراة في الإصحاح الحادي عشر: إن الرب أمر أن يطلب كل رجل من صاحبه، وكل امرأة من صاحبها أمتعة ذهب وأمتعة فضة، وأن الله سبحانه سيميت كل بكرٍ في أرض مصر من الإنسان والحيوان، وأمرهم أن يذبح أهل كل بيت شاة في اليوم الرابع عشر من شهر الخروج، وأن يلطخوا القائمتين والعتبة العليا من الدار بالدم، وأن يأكلوا اللحم تلك الليلة مشوياً بالنار مع فطير، وأمرهم أن يأكلوا بعجلة، ويأكلوا الرأس مع الأكارع والجوف، وهذا هو فصيح الرب، وهذا الدم علامة على بيوت بني إسرائيل حتى يحفظ كل بكر معهم، ويتخطاهم إلى أبكار المصريين، ويكون أكل الفطير سبعة أيام، ويكون هذا فريضة أبدية تذكراً بالخروج من مصر من يوم (١٤) من شهر أبيب إلى (٢١) من هذا الشهر كل سنة، وهكذا أمر موسى قومه بذلك، ففعلوا كل هذا، ونجا أولادهم، وصار ذلك سنة أبدية، ولما مات الأبكار من الإنسان والحيوان في جميع بلاد مصر في نصف الليل اشتغل الناس بالأموات، وأخذ بنوا

إسرائيل غنمهم وبقرهم وعجينهم قبل أن يختمر، ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم، وفعلوا ما أمرهم به الرب، فارتحلوا من رَعْمَسِيس إلى سكوت، وكانوا ست مئة ألف ماضٍ من الرجال ما عدا الأولاد، وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملة، فطيراً، اهـ.

وكانت^(١) إقامة بني إسرائيل في مصر (٤٣٠) سنة، وليلة الخروج هي عيد الفصح عندهم إلى الأبد، فلما أسرى بهم موسى، وأخبر فرعون بما صنعوا أرسل في مدائن مصر رجالاً من حرسه ليجمعوا الجند، فيتبعوهم ويردوهم إلى مصر، ويعذبوهم أشد التعذيب على ما فعلوا، ثم قوى فرعون جنده في اقتفاء آثارهم بأمور:

١. ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝﴾ فيسهل اقتفاؤهم وإرجاعهم، وكبح جماحهم في الزمن الوجيز.

٢. ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَآئِطُونَ ۝﴾؛ أي: وإنهم بين آونة وأخرى يصدر منهم ما يخل بالأمن، فيحدثون الشغب والاضطراب في البلاد، إلى أنهم ذهبوا بأموالنا التي استعاروها.

٣. ﴿وَأَنَّا لَجَمِيعٌ خَدِرُونَ ۝﴾؛ أي: وإن لنا أن نحذر عاقبة أمرهم قبل أن يستفحل خطبهم، ويصعب رأب صدعهم، ونحن قوم من دأبنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور.

وخلاصة مقاله: أنَّ هَؤُلَاءِ عدد لا يعبأ به، وأن في مقدورنا أن نبيدهم بأهون الوسائل، ولا خوف منهم إذا نحن اتبعنا آثارهم، ورددناهم على أعقابهم خاسئين، حتى لا يعودوا كرة أخرى إلى الإخلال بالأمن والهرج والمرج والاضطراب في البلاد، وهذا ما يقتضيه الحزم واليقظة في الأمور.

والذي نقول به ونجزم: أن بني إسرائيل كانوا أقل من جند فرعون، لكننا لا

(١) المراغي.

نجزم بعدد معين، وما في كتب التاريخ والتوراة مبالغات يصعب تصديقها كما ذكرنا، ولا ينبغي التعويل عليها، فخير لنا أن لا نشغل أنفسنا باستقصاء تفاصيلها، وقد فند ابن خلدون في مقدمة تاريخه هذه الروايات، وأبان ما فيها من مغالاة لا يقبلها العقل، ولا تثبت أمام البحث العلمي الصحيح.

وقد جازى الله فرعون وجنوده بما أرادوا أن يجازوا به بني إسرائيل، فأهلكوا جميعاً، كما قال سبحانه: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾؛ أي: ^(١) فأخرجنا فرعون وقومه بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب، فحملتهم عليه، يعني أنهم وإن خرجوا باختيارهم إلا أنه أسند الإخراج إليه تعالى من حيث الخلق المذكور ﴿مِنْ جَنَّتٍ﴾؛ أي: من بساتين كانت ممتدة على حافتي النيل من أسوان إلى رشيد ﴿وَعَيْنٍ﴾ وأنهار جارية من الماء ﴿وَكُنُوزٍ﴾؛ أي: وأموال ظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما. سمّاها كنزاً؛ لأن ما لا يؤدي منه حق الله تعالى فهو كنز، وإن كان ظاهراً على وجه الأرض، وما أدي منه فليس بكنز، وإن كان تحت سبع أرضين، والكنز: المال المجموع المحفوظ.

فائدة: والفرق بين الكنز والركاز والمعدن أن الركاز: المال المركوز؛ أي: المدفون في الأرض مخلوقاً كان أو موضوعاً. والمعدن: ما كان مخلوقاً. والكنز: ما كان موضوعاً. قال في «خريدة العجائب»: وفي أرض مصر كنوز كثيرة، ويقال: إن غالب أرضها ذهب مدفون حتى قيل: إنه ما فيها موضع إلا وهو مشغول من الدفائن.

﴿وَمَقَامِرَ كَرِيمٍ﴾؛ أي: مجلس حسن. قيل ^(٢): أراد مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت لهم. قيل: إنه إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلاث مئة كرسي من ذهب، يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء، وعليهم أقبية الديباج مخصصة بالذهب. وقيل: أراد به المنازل الحسنة، وهذا أظهر، ومن ذلك قول الشاعر:

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنٌ وَجُوهُهَا وَأُنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

(٢) الخازن.

(١) روح البيان.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ إما^(١) مصدر تشبيهي لـ ﴿أَخْرَجْنَا﴾؛ أي: أخرجناهم مثل ذلك الإخراج الذي وصفناه، فهو في محل نصب، أو في محل جر صفة لـ ﴿مَقَامٍ﴾؛ أي: مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم، أو في محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: إخراجنا كذلك؛ أي: كما وصفنا فيهم، أو الأمر كذلك، وقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ معطوف على ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾؛ أي: ملكنا تلك الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم بني إسرائيل على طريقة تمليك مال المورث للوارث، كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها قبل أن يقبضوها ويتسلموها. والمعنى: جعلناهم ممتلكين لتلك النعيم بعد هلاك فرعون وقومه. وقيل: المعنى؛ أي: وملكنا بني إسرائيل جنات وعيوناً مماثلة لها في أرض الميعاد التي ساروا إليها، وفي هذا بيان أن حالهم تحول من الاستعباد والرق إلى الشرف والنعيم والعيون والمقام الكريم.

والمعنى: أي^(٢) فأخرجناهم من النعيم إلى الجحيم، وتركوا المنازل العالية، والبساتين والأنهار والأموال والملك والجاه العظيم الذي لم يسمع بمثله، وأورثنا تلك الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم بني إسرائيل ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾؛ أي: لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه حالة كون فرعون وقومه ﴿مُشْرِقِينَ﴾؛ أي: داخلين في وقت شروق الشمس وطلوعها، أو حالة كون موسى وأصحابه داخلين في الشروق، فهو حال إما من الفاعل، أو من المفعول، أو منهما جميعاً؛ لأن الدخول المذكور قائم بهم جميعاً، والمعنى: فجعلوا أنفسهم تابعة لبني إسرائيل وقت شروق الشمس وطلوعها.

وقرأ الجمهور: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ بقطع الهمزة؛ أي: جعلوا أنفسهم تابعة. وقرأ الحسن والحارث الديناري بوصلها وتشديد التاء؛ أي: لحقوهم.

والخلاصة: أي فخرجوا من مصر في حفل عظيم وجمع كثير من أولي الحل والعقد من الأمراء والوزراء والرؤساء والجند، فوصلوا إليهم حين شروق

(٢) المراغي.

(١) مراج.

ثم ذكر ما عَزَا بني إسرائيل من الخوف حين رؤيتهم فرعون وقومه، فقال: ﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانِ﴾؛ أي: فلما رأى كل من الفريقين صاحبه. وقرأ الجمهور: ﴿تَرَاهُ﴾ بتخفيف الهمزة مثل تراعى، وقرأ ابن وثاب والأعمش: ﴿تراي الجمعان﴾ بغير همز على مذهب التخفيف، وقرأ حمزة: ﴿تريء﴾ بكسر الراء وبمد ثم همز، وروى مثله عن عاصم، وقرئ: ﴿تراءت الفتان﴾، والصواب قراءة الجمهور؛ لأنه من باب تفاعل؛ أي: فلما رأى أحد الفريقين الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُونٌ﴾؛ أي: ملحقون، قالوا ذلك حين رأوا العدو القوي وراءهم والبحر أمامهم، وساءت ظنونهم؛ أي: إنا لملحقون من ورائنا، ولا طاقة لنا بقوم فرعون، وهذا البحر أمامنا، لا منفذ لنا فيه. قرأ الجمهور^(١): ﴿إِنَّا لَمَذْكُونٌ﴾ بإسكان الدال اسم مفعول من أدرك، ومنه ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرَقُ﴾، وقرأ الأعرج وعبيد بن عمير بفتح الدال مشددة وكسر الراء على وزن مفتعلون، وهو لازم بمعنى الفناء، والاضمحلال، يقال منه: أدرك الشيء بنفسه إذا فني تتابعاً، ولذلك كسرت الراء على هذه القراءة. وقال الزمخشري: إن معنى هذه القراءة: إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد، وقال الفراء: معناهما؛ أي: معنى القراءتين واحد.

والخلاصة: أنا لمتابعون، وسنهلك على أيديهم، حتى لا يبقى منا أحد؛ لأننا قد انتهى بنا المسير إلى سيف البحر - ساحله -، وقد أدركنا فرعون وجنوده، فأجابهم موسى وطمأنهم وقوى نفوسهم حيث ﴿قَالَ﴾ موسى عليه السلام ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ارتدعوا وانزجروا عن ذلك المقال، فإنهم لا يدركونكم فإن الله تعالى وعدكم الخلاص منهم ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بالحفظ والنصر والرعاية والعناية ﴿سَيَهْدِينِ﴾؛ أي: سيدلني إلى طريق النجاة منهم البتة.

أي: قال موسى لهم: إنه لن يصلحكم شيء مما تحذرون، فإن الله هو الذي

أمرني أن أسير بكم إلى هنا، وهو تعالى لا يخلف وعده، فهو سيهدين إلى طريق النجاة والخلاص وسينصروني عليهم ويتكفل بمعونتي.

روي^(١): أن رجلاً مؤمناً من آل فرعون يكتنم إيمانه كان بين يدي موسى عليه السلام، فقال: يا كليم الله أين أمرت؟ قال ههنا، فحرك فرسه بلجامه حتى طار الزيد من شدقه، ثم أقحمه البحر، فارتسب في الماء، وذهب القوم يصنعون مثل ذلك، فلم يقدرُوا، فأوحى الله إليه بضرب البحر بعصاه، فإذا الرجل واقف على فرسه، ولم يتل سرجه، ولا لبده، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾؛ أي: قلنا له يا موسى اضرب بعصاك البحر. ف﴿أَنْ﴾ مفسرة بمعنى أي، و﴿الْبَحْرُ﴾^(٢): هو بحر القلزم؛ وهو طرف من بحر فارس، والقلزم - بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي -: بليدة كانت على ساحل البحر من جهة مصر، بينها وبين مصر نحو ثلاثة أيام، وقد خربت، ويعرف موضعها اليوم بالسويس تجاه عجرود، منزل ينزله الحاج المتوجه من مصر إلى مكة، وبالقرب منها غرق فرعون، وبحر القلزم بحر مظلم وحش، لا خير فيه ظاهراً وباطناً، وعلى ساحل هذا البحر مدينة مدين؛ وهي خراب، وبها البئر التي سقى موسى عليه السلام منها غنم شعيب، وهي معطلة الآن.

و﴿الفاء﴾: في قوله: ﴿فَانْفَلَقَ﴾ عاطفة على محذوف تقديره: فضربه موسى فانفلق ماء البحر؛ أي: انشق فصار اثني عشر فرقاً بعدد الأسباط بينهن مسالك ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾؛ أي: كل جزء تفرق منه وتقطع ﴿كَالطُّورِ الْعَظِيمِ﴾؛ أي: كالجبل المرتفع في السماء الثابت في مقره، فدخلوا في شعاب تلك الفرق، كل سبط في شعب منها، فقال كل سبط: قتل أصحابنا، فعند ذلك دعا موسى ربه، فجعل في تلك الجدران المائية مناظرة كالكوى حتى نظر بعضهم إلى بعض على أرض يابسة.

قال الراغب: الطود: الجبل العظيم، ووصفه بالعظم؛ لكونه فيما بين

(٢) روح البيان.

(١) المراح.

الأطواد عظيمًا، لا لكونه عظيمًا فيما بين سائر الجبال. وحكى^(١) يعقوب عن بعض القراءة أنه قرأ: ﴿كل فلق﴾ باللام عوض الراء.

قيل: لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاجت الرياح، فصار البحر يرمي بموج كالجبال، قال يوشع: يا كليم الله أين أمرت فقد غشنا فرعون من خلفنا، والبحر أمامنا؟ قال موسى: ههنا، فخاض يوشع الماء لا يوارى حافر دابته، وقال الذي يكتم إيمانه من آل فرعون: يا كليم الله أين أمرت؟ قال: ههنا، فكبح فرسه، فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه، ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء إلى آخر ما تقدم أنفأ. قيل: دخلوا البحر بالطول وخرجوا في الصفة التي دخلوا منها بعد مسافة، وكان بين موضع الدخول وموضع الخروج أوعار وجبال لا تسلك.

﴿وَأَزَلَقْنَا﴾؛ أي: قربنا ﴿ثُمَّ﴾؛ أي: هناك؛ أي: في موضع انفلاق البحر ﴿الْآخَرِينَ﴾؛ أي: فرعون وقومه حتى دخلوا عقب قوم موسى مداخلهم. وعن^(٢) عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وبين قوم فرعون، يقول لبني إسرائيل: ليلحق آخركم بأولكم، ويقول للقبط: رويدكم ليلحق آخركم أولكم، فكان بنو إسرائيل يقولون: ما رأينا أحسن سياقة من هذا الرجل، وكان قوم فرعون يقولون: ما رأينا أحسن دعة من هذا الرجل.

وقيل المعنى: وقربناهم إلى الموت؛ لأنهم قربوا من أجلهم في ذلك الوقت. وقيل: المعنى: وحبسنا فرعون وقومه في الضبابية عند طلبهم موسى بأن أظلمنا عليهم الدنيا بسحابة وقفت عليهم، فوقفوا حيارى.

وقرأ الحسن وأبو حيوة^(٣): ﴿وزلفنا﴾: بلا ألف ثلاثياً، وقرأ أبي وابن عباس وعبد الله بن الحارث: ﴿وأزلقنا﴾ بالقاف بدل الفاء؛ أي: أزللنا وأهلكنا من قولهم: أزلقت الفرس إذا ألقت ولدها.

(١) البحر المحيط.

(٢) الخازن.

والمعنى: أي^(١) وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضرب فانفلق، فكان كل قطعة من الماء كالجبل العالي، وصار فيه اثنا عشر طريقاً، لكل سبط منهم طريق، وصار فيه طاقات ينظر منها بعضهم إلى بعض، وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته، فصار يبساً كوجه الأرض، كما قال في آية أخرى: ﴿فَأَضْرَبَ لَهمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾. ﴿وَأَزَلَفْنَا لَهمُ الْآخِرِينَ﴾ ١٤؛ أي: وقربنا فرعون وجنوده من البحر، وأدبناهم منه.

وقوله: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ١٥ قبله محذوف تقديره: ودخل موسى وبنو إسرائيل البحر، وأنجيناهم ومن اتبعهم على دينهم كلهم أجمعين، فلم يهلك منهم أحد؛ أي: أنجيناهم من الغرق بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا إلى البر ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ ١٦؛ أي: فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم، ولم نبق منهم أحداً.

والخلاصة: أنه لما خرج أصحاب موسى، وتنام أصحاب فرعون... انطبق عليهم البحر، فأغرقهم جميعاً.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾؛ أي: إن في جميع ما فصل من قصة موسى وفرعون خصوصاً في الإنجاء والغرق ﴿لَايَةً﴾؛ أي: لعبرة عظيمة للمعتبرين، وسطوة باهرة من أدل العلامات على قدرة الله سبحانه، وعظيم سلطانه؛ أي: إن في الذي حدث في البحر لعبرة دالة على قدرته تعالى، وعلى صدق موسى عليه السلام من حيث كونه معجزة له، وتحذيراً من الإقدام على مخالفة أمر الله، وأمر رسوله ﷺ، ثم بين أنهم لم تجدهم الآيات والنذر شيئاً، فقال: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهمُ﴾؛ أي: أكثر المصريين وهم قوم فرعون؛ أي: ما كان أكثر هؤلاء الذين مع فرعون ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ فإنه لم يؤمن منهم فيما بعد إلا القليل كحزقيل وابنته وآسية امرأة فرعون والعجوز التي دلت على قبر يوسف عليه السلام حين الخروج من مصر، واسمها مريم بنت ناموشا، وليس المراد أكثر من كان مع فرعون عند لحاقه بموسى، فإنهم هلكوا

(١) المراغي.

في البحر جميعاً، بل المراد من كان معه من الأصل، ومن كان متابعاً له ومتسبباً إليه، هذا غاية ما يمكن أن يقال. وقال سيبويه: إن ﴿كَانَ﴾ زائدة، وإن المراد الإخبار عن المشركين بعدما سمعوا الموعظة.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾؛ أي: الغالب المنتقم من أعدائه كفرعون وقومه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه كموسى وبني إسرائيل. قال بعضهم: هذا التأويل هو الذي يقتضيه ظاهر السياق، فإن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ...﴾ الخ. ذكر في هذه السورة في ثمانية مواضع: أولها في ذكر النبي عليه السلام وقومه كما سبق، وذكر النبي عليه السلام وإن لم يتقدم صريحاً فقد تقدم كناية. والثاني في قصة موسى، ثم إبراهيم، ثم نوح، ثم هود، ثم صالح، ثم لوط، ثم شعيب، عليهم الصلاة والسلام، فتعقيب القول المذكور بكل قصة من هذه القصص يدل على أن المراد بالأكثر هو من لم يؤمن من قوم كل نبي من الأنبياء المذكورين، وقد ثبت في غير هذه المواضع أيضاً أن أكثر الناس من كل أمة هم الكافرون، فكون كل قصة آية وعبرة إنما يعتبر بالنسبة إلى من شاهد الواقعة، ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة، فيدخل فيهم قريش؛ لأنهم سمعوا قصة موسى وفرعون مثلاً من لسان النبي ﷺ، فكانت آية لهم مع أن بيانها من غير أن يسمعها من أحد آية أخرى موجبة للإيمان، حيث دل على أنه ما كان إلا بطريق الوحي الصادق.

وقد رجَّح بعضهم رجوع ضمير ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ إلى قومه ﷺ، فيكون المعنى أن في ذلك المذكور لآية لأهل الاعتبار، كما في المذكور في أول السورة آية أيضاً، وما كان أكثر هؤلاء الذين يسمعون قصة موسى وفرعون - وهم أهل مكة - مؤمنين لعدم تدبرهم واعتبارهم، فليحذروا عن أن يصيبهم مثل ما أصاب آل فرعون، وإن ربك لهو العزيز الغالب على ما أراد من انتقام المكذبين، الرحيم البالغ في الرحمة، ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم إيمانهم بعد مشاهدة هذه الآيات العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك.

وفي الآية^(١): تسلياً لرسول الله ﷺ؛ لأنه كان يغتم قلبه المنير بتكذيب قومه

(١) روح البيان.

مع ظهور المعجزات على يديه، فنبهه بذكر أمثال هذه القصص على أنه له أسوة بموسى وسائر الأنبياء عليهم السلام، فإن ما ظهر على يد موسى من المعجزات التي تبهر العقول لم يمنع من تكذيب القبط له، وكفرهم به مع ما شاهدوه في البحر وغيره، وتكذيب بني إسرائيل، فإنهم بعد أن نجوا عبدوا العجل، وقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة؛ ليقنتدي بهم في الصبر على عناد قومه، وفي انتظار الفرج والنصر، كما قيل: اصبروا تظفروا كما ظفروا. وفي قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١﴾ بشارة عظيمة لنبينا ﷺ بأن النصر سيكتب له، والظفر سيكون حليفه، كما قال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾.

فائدة: وأخرج^(١) الفريابي بسنده عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال: «إن موسى لما أراد أن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق، فقال لبني إسرائيل: ما هذا؟ فقال له علماء بني إسرائيل: إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقاً أن لا نخرج من مصر حتى ننقل تابوته معنا، فقال لهم موسى: أيكم يدري أين قبره؟ فقالوا: ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز لبني إسرائيل عاشت من العمر نحو سبع مئة سنة، فأرسل إليها موسى، فقال: لدينا على قبر يوسف، فقالت: لا والله حتى تعطيني حكمي، قال: وما حكمك؟ قالت: أن أكون معك في الجنة، فكأنه ثقل عليه ذلك، فقيل له: أعطها حكمها، فأعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقعة ماء، فقالت لهم: انضبوا عنها الماء، ففعلوا، قالت: احفروا، فحفروا، فاستخرجوا قبر يوسف، فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار.

قصص إبراهيم عليه السلام

قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: واقراً يا محمد على مشركي العرب، وأخبر أهل مكة ﴿بَنَّا إِبْرَاهِيمَ﴾ عليه السلام؛ أي: خبره العظيم الشأن، معطوف على العامل في قوله: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ وهو (اذكر) المقدر، وقوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾ إبراهيم منصوب بـ ﴿بَنَّا إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: واقراً عليهم خبر إبراهيم الخليل وقصته

(١) الشوكاني.

وقت قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ آزر، وهو تارخ ﴿وَقَوْمَهُ﴾ أهل بابل، وهو كصاحب موضع بالعراق، وإليه ينسب السحر ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: أي شيء تعبدونه؟ والاستفهام فيه للتقرير المضمن للتوبيخ، سألهم وقد علم أنهم عبدة الأوثان؛ لينبهم على ضلالهم، ويريههم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة، ويلزمهم الحجة.

فإن قلت^(١): لم قال إبراهيم هنا في السؤال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، وقال في الصافات: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ بزيادة (ذا)، فما الفرق بين الموضعين؟

قلت: الفرق بينهما أنه لما وقع الجواب منهم هنا بقولهم: ﴿تَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ سألهم بـ ﴿مَا﴾ الموضوع لمجرد الاستفهام، وهناك لما لم يجيبوه سألهم بـ ﴿مَاذَا﴾ مبالغة في توبيخهم، ولهذا زاد هناك في التوبيخ، فقال: ﴿أَفَنُكَا إِلَهَهُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿فَمَا ظَنُّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ فذكر في كل سورة ما يناسب ما ذكر فيها، والله أعلم بأسرار كلامه.

والمعنى: أي^(٢) واتل يا محمد على أمتك أخبار إبراهيم الخليل إمام الحنفاء؛ ليقنوا به في الإخلاص والتوكل على الله وعبادته وحده لا شريك له، والتبري من الشرك، وقد أوتي الرشد من صغره، فهو من حين نشأ وترعرع أنكر على قومه عبادة الأوثان، فقال لأبيه وقومه: ماذا تعبدون؟ وهو مشاهد راء له ليعلمهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة في شرع ولا عقل، روي أن أصنامهم كانت من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب، فأجابوه إجابة المفتخر بما يفعل المزهو بجميل ما يصنع، كما ذكره بقوله سبحانه: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال أبوه وقومه ﴿تَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ وهي اثنان وسبعون صنماً، جمع صنم، والصنم: ما كان على صورة ابن آدم من حجر أو غيره، كما في «فتح الرحمن» ﴿فَنَظَّلْنَا عَذَابَنَا﴾؛ أي: فنقيم على عبادتها طول النهار، وإنما قالوا: ﴿فَنَظَّلْنَا﴾؛ لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل، أو معناه الدوام، وإنما لم يقتصروا على قولهم: ﴿أَصْنَامًا﴾ بل أطنبوا في الجواب بإظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنافهم ابتهاجاً

(٢) المراغي.

(١) فتح الرحمن بتصرف.

وافتحاراً بذلك، وصلة العكوف كلمة على، وإيراد اللام لإفادة معنى زائد، كأنهم قالوا: فنظل لأجلها مقبلين على عبادتها، ومستديرين حولها.

وقال أبو الليث: إن إبراهيم عليه السلام ولدته أمه في الغار، فلما خرج وكبر دخل المصر، وأراد أن يعلم على أي مذهب هم، وهكذا ينبغي للعاقل إذا دخل بلدة أن يسألهم عن مذهبهم، فإن وجدهم على الاستقامة دخل معهم، وإن وجدهم على غير الاستقامة أنكر عليهم.

فلما قال إبراهيم: ما تعبدون، وقالوا: نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين، وأراد أن يبين عيب فعلهم ﴿قَالَ﴾ إبراهيم، استئناف بياني ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾؛ أي: هل يسمعون دعاءكم؛ أي: هل تسمع تلك الأصنام دعاءكم، فهو على حذف المضاف، فإن ﴿كم﴾ ليس من قبيل المسموعات، والتعبير عنها بالواو بحسب زعمهم، فإنهم كانوا يجرون الأصنام مجرى العقلاء، وقرأ الجمهور: ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ بفتح الياء من سمع الثلاثي، وقرأ قتادة ويحيى بن يعمر بضم الياء وكسر الميم من أسمع الرباعي؛ أي: هل يسمعونكم أصواتهم في الاستجابة لكم ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾؛ أي: وقت دعائكم إياهم لحوائجكم فيستجيبون لكم، وقرئ بإظهار ذال ﴿إِذْ﴾، وإدغامها في تاء ﴿تَدْعُونَ﴾ ﴿أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ﴾ في معاشكم بسبب عبادتكم لها ﴿أَوْ يَصْرُونَكُمْ﴾ في معاشكم بتركك لعبادتها؛ إذ لا بد للعبادة من جلب نفع أو دفع ضرر.

﴿قَالُوا﴾ ما رأينا منهم ذلك السمع أو النفع أو الضر ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ﴾: منصوب بقوله: ﴿يَفْعَلُونَ﴾ وهو مفعول ثانٍ لـ ﴿وَجَدْنَا﴾؛ أي: وجدناهم يعبدون مثل عبادتنا، فافتدينا بهم، اعترفوا بأنها بمعزل من السمع والمنفعة والمضرة بالكلية، واضطروا إلى إظهار أن لا سند لهم سوى التقليد.

والاستفهام في قوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ للتقرير؛ أي: فإنها إذا كانت لا تسمع ولا تنفع ولا تضر فلا وجه لعبادتها، فإذا قالوا: نعم هي كذلك أقروا بأن عبادتهم لها من باب اللعب والعبث، وعند ذلك تقوم الحجة عليهم، فلما أورد عليهم الخليل هذه الحجة الباهرة لم يجدوا لها جواباً إلا رجوعهم إلى التقليد

البحث، وهو أنهم وجدوا آباءهم كذلك؛ أي: يفعلون هذه العبادة لهذه الأصنام مع كونها بهذه الصفة التي هي سلب السمع والنفع والضرر عنها، وهذا الجواب هو العصي التي يتوكأ عليها كل عاجز، ويمشي بها كل أعرج، ويغتر بها كل مغرور، وينخدع لها كل مخدوع.

وفي الآية: دليل على إبطال التقليد في الدين وذمه، ومدح الأخذ بالاستدلال ﴿قَالَ﴾ إبراهيم متبرئاً من الأصنام ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ والهمزة فيه للاستفهام التوبيخي المضمن للإنكار، داخله على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف. ورأى؛ إما بصرية تتعدى لمفعول واحد، أو علمية بمعنى عرف تتعدى لمفعول واحد أيضاً، والتقدير: أنظرتهم فأبصرتم، أو تأملتكم فعلمتم ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ أَأَلْقَمُونَ﴾ (٧١)؛ أي: الأولون حق الإبصار، أو حق العلم، فإن الباطل لا ينقلب حقاً بكثرة فاعليه، وكونه دأباً قديماً، و﴿مَا﴾ موصولة عبارة عن الأصنام، و﴿الفاء﴾ في: ﴿فَأَنْتُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ تعليلية؛ أي: فأنا لا أعبدها؛ لأنها عدو لي؛ أي: هل تأملتكم ما كنتم تعبدونه أنتم وآباؤكم، فعلمتم أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تستحق العبادة، وأنا لا أعبدها معكم؛ لأنها عدو لي إلا رب العالمين. وقيل: أرأيتم بمعنى أخبروني؛ أي: أخبروني عن حال ما كنتم تعبدون هل هي تنفع، أو تضر، أم لا، أو أخبروني ما كنتم تعبدون هل هو حقيق بالعبادة أم لا، وهذا استهزاء بعبدة الأوثان.

أي: لم تنظروا ولم تفقوا على حالها أنها لا تنفع ولا تضر، ولو وقفتم على حالها ما عبدتموها، فاعلموا أن الأصنام أعداء لعابديهم؛ لما أنهم يتضررون بهم يوم القيامة فوق ما يتضرر الرجل من عدوه، فسمى الأصنام أعداء، وهي جمادات على سبيل الاستعارة، وصور الأمر في نفسه حيث قال: ﴿عَدُوٌّ لِّي﴾ لا لكم تعريضاً لهم، فإنه أنفع في النصيح من التصريح، وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول. وقال الفراء: هو من المقلوب، ومعناه: فإني عدو لهم، فإن من عاديته عاداك، وأفرد العدو؛ لأنه يطلق بلفظه كالصديق على المفرد والمثنى والجمع والمذكر؛ لأنه في الأصل مصدر، أو بمعنى النسب؛ أي: ذؤوا

عداوة كنامر لذي تمر.

والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: إما^(١) منقطع، فالمعنى عليه: فاعلموا أن معبوداتكم عدو لي، لا أعبدوها، لكن رب العالمين ليس كذلك، بل هو وليي في الدنيا والآخرة، لا يزال يتفضل عليّ بمنافعهما فأعبدته، أو متصل، فالمعنى عليه: فإن كل معبود عدو لي إلا رب العالمين، فإنه ليس بعدوي بل هو وليي ومعبودي.

والحاصل: أن إبراهيم عليه السلام صور الأمر في نفسه كما مر آنفاً تعريضاً بهم، فالمعنى: إني تفكرت في أمري، فرأيت عبادتي للأصنام عبادة للعدو؛ لأن من يغري على عبادتها هو الشيطان؛ فإنه أعدى عدو الإنسان، فاجتنبتها، وأراهم إبراهيم أن تلك الكلمة نصيحة نصح بها نفسه، فإذا تفكروا قالوا: ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه، فيكون ذلك أدعى للقبول، وأبعث إلى الاستماع منه.

ومعنى الآية: أي^(٢) إن كانت هذه الأصنام لها تأثير كما تدعون، وتستطيع أن تضر وتنفع فتخلص إليّ بالمساءة، فإني عدو لها، لا أبالي بها، ولا أبه بشأنها، ولكن رب العالمين هو وليي في الدنيا والآخرة، ولا يزال متفضلاً عليّ فيهما.

ونحو الآية قول نوح عليه السلام: ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾، وقول هود: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ. فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ (٥٥) ﴿٥٦﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

ثم وصف معبوده رب العالمين الذي يستحق العبادة بأوصاف استحق لأجلها أن يعبد، فقال:

(٢) المراغي.

(١) المراح.

١- ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾ وصورني من النطفة بالتكوين في القرار المكين، ﴿فَهُوَ﴾ وحده ﴿يَهْدِينِي﴾ ويرشدني إلى مصالح الدين والدنيا بضروب الهدايات في كل لحظة ولمحة. والاستقبال^(١) في ﴿يَهْدِينِي﴾ مع سبق العناية بالهداية؛ لأنه يحتمل يهديني للأهم الأفضل، والأتم الأكمل، أو الذي خلقتني لأسباب خدمته، فهو يهديني إلى آداب خلته، أي: رب العالمين هو الخالق الذي خلقتني وصورني فأحسن صورتني، فهو الذي يهديني إلى كل ما يهمني من أمور المعاش والمعاد هداية تتجدد على جهة الدوام والاستمرار.

٢- ﴿و﴾ هو الإله ﴿الذي هو﴾ وحده ﴿يُطْعِمُنِي﴾؛ أي: طعام شاء ﴿وَيَسْقِينِي﴾ أي أي شراب شاء؛ أي: هو وحده رازقي بكل منافع الرزق وأنواعها، فمن عنده طعامي وشرابي، وليس الإطعام والسقي عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له، وتمليكهما إياه، بل يدخل فيهما إعطاء جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه، كالشهوة وقت المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك، ومن دعاء أبي هريرة - رضي الله عنه - اللهم اجعل لي ضرساً طحوناً، ومعدة هضوماً، ودبراً بشوراً.

والمعنى^(٢): وهو رازقي بما يسر من الأسباب السماوية والأرضية، فساق المزن، وأنزل الماء، فأحيا به الأرض، وأخرج به من كل الثمرات رزقاً للعباد، وأنزل الماء عذاباً زللاً، يسقيه ما خلق من الأنعام والأناسي.

فإن قلت: لِمَ زاد ﴿هُوَ﴾ عقب ﴿الَّذِي﴾ في الإطعام والسقي؟

قلت: لأنهما مما يصدران من الإنسان عادة، فيقال: زيد يطعم ويسقي، فذكر ﴿هُوَ﴾ تأكيداً وإعلاماً بأن ذلك منه تعالى، لا من غيره بخلاف الخلق والموت والحياة، لا تصدر من غير الله تعالى: اه من «فتح الرحمن».

وتكرير^(٣) الموصول في المواضع الثلاثة المعطوفة للإيذان بأن كل واحد من

(٣) أبو السعود.

(١) النسفي.

(٢) المراغي.

الصلوات نعت جليل مستقل في إيجاب الحكم.

٣- ﴿و﴾ الذي ﴿إذا مرضت﴾؛ أي: أصابني مرض ﴿فَهُوَ﴾ وحده
﴿يَشْفِينِ﴾؛ أي: يبرئني ويعافيني من المرض؛ أي: ينعم علي بالشفاء إذا
حصل لي مرض، لا الأطباء، وذلك أنهم كانوا يقولون: المرض من الزمان،
ومن الأغذية، والشفاء من الأطباء والأدوية، فأعلم إبراهيم أن الذي أمرض هو
الذي يشفي، وهو الله تعالى.

والخلاصة: أني إذا مرضت لا يقدر على شفائي أحد غيره مما يقدر من
الأسباب الموصلة إلى ذلك، وحكي عن بعضهم أنه مرض وضعف حتى اصفر
لونه، ف قيل له: ألا ندعو لك طبيباً يداويك من هذا المرض؟ فقال: الطبيب
أمرضني.

فإن قلت: لِمَ^(١) نسب المرض إلى نفسه حيث قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ ولم
يقُل: وإذا أمرضني، والشفاء إلى الله تعالى حيث قال: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ مع أنهما
من الله تعالى؟

قلت: أراد الثناء على ربه، فأضاف إليه الخير المحض الذي هو الشفاء،
وأضاف المرض الذي هو النقمة إلى نفسه لرعاية حسن الأدب؛ لأنه لو قال:
وإذا أمرضني لعد قومه ذلك عيباً، ونظيره قصة الخضر حيث قال في العيب:
﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، وفي الخير المحض ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾، وكذا الجن
راقبوا هذا الأدب بعينه، حيث قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ
بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (١٦).

فإن قيل: فهذا يردده قوله: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي﴾؟.

فالجواب: أن القوم كانوا لا ينكرون الموت، وإنما يجعلون له سبباً سوى
تقدير الله تعالى، فأضافه إبراهيم إلى الله عز وجل. اهـ. من «زاد المسير».

(١) زاد المسير بتصرف.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ معطوف على ﴿يَطْعُمُنِي وَيَسْقِينِي﴾، وإنما نظمهما في سلك صلة واحدة، لما أن الصحة والمرض من متفرعات الأكل والشرب غالباً، فإن البطنة تورث الأسقام والأوجاع، والخمصة أصل الراحة والسلامة، قالت الحكماء: لو قيل لأكثر الموتى: ما سبب آجالكم؟ لقالوا: التخم، وفي الحكمة: ليس للبطنة خير من خمصة تتبعها.

٤- ﴿وَالَّذِي يُبَيِّتُ﴾ في الدنيا بقبض روعي عند انقضاء الأجل ﴿ثُمَّ يُحْيِيهِ﴾ بالبعث في الآخرة لمجازاة العمل. أدخل ﴿ثُمَّ﴾ هنا؛ لأن بين الإماتة الواقعة في الدنيا وبين الإحياء الحاصل في الآخرة تراخياً، ونسبة الإماتة إلى الله تعالى؛ لأنها من النعم الإلهية في الحقيقة حيث إن الموت وصلة لأهل الكمال إلى الحياة الأبدية، والخلاص من أنواع المحن والبلية.

٥- ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ وأرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ بترك الأولى، أو هي كذباته الثلاث، وقد تقدم الكلام عليها ﴿يَوْمَ الَّذِينَ﴾؛ أي: يوم الجزاء والحساب، روى مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، أكان ذلك نافعاً له؟ قال: لا ينفع؛ إنه لم يقل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين». وابن جدعان اسمه عبد الله، وهو ابن عم عائشة - رضي الله عنها - وكان في ابتداء أمره فقيراً، ثم ظفر بكنز استغنى به، فكان ينفق من ذلك الكنز، ويفعل المعروف.

وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه أنه لا يصلح للإلهية إلا من يفعل هذه الأفعال.

وخلاصة مقاله: أن جميع النعم التي يتمتع بها المرء من النشأة الأولى إلى آخر الدهر هي من الله وحده، ولا قدرة لأصنامكم على شيء منها. قرأ الجمهور: ﴿خَطِيئَتِي﴾ بالإنفراد، والحسن ﴿خطاياي﴾ بالجمع.

واستغفار الأنبياء عليهم السلام تواضع منهم لربهم، وتعليم لأممهم؛ ليكونوا على حذر وطلب، لأن يغفر الله سبحانه لهم ما فرط منهم.

وبعدما ذكر فنون الألفاظ الفائضة عليه من الله تعالى من مبدأ خلقه إلى يوم بعثه حملة ذلك على مناجاته تعالى، ودعائه لربط العتيد، وجلب المزيد، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ إلى آخر ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الإعراب

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِيَقْنَتَ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ (٢٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٢٩﴾ لَمَلْنَا نَنْجِ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْفَالِغِينَ ﴿٣٠﴾.

﴿فَجُمِعَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فبعث فرعون في المدائن حاشرين، فجمع السحرة ﴿جمع السحرة﴾: فعل مغير ونائب فاعل، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿لِيَقْنَتَ يَوْمَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿قِيلَ﴾: فعل بـ ﴿جمع﴾. ﴿مَعْلُومٍ﴾: صفة ﴿يَوْمَ﴾. ﴿وَقِيلَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلق به. ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾: نائب فاعل محكي لـ ﴿قِيلَ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿جمع﴾، وإن شئت قلت: ﴿هَلْ﴾: حرف للاستفهام الاستبطائي، فيه معنى الحث على الفعل. ﴿أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل الرفع نائب فاعل لـ ﴿قِيلَ﴾. ﴿لَمَلْنَا﴾: ﴿لعل﴾: حرف ترج ونصب، و﴿نا﴾: اسمها. ﴿نَنْجِ السَّحَرَةَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ في محل الرفع نائب فاعل لـ ﴿قِيلَ﴾ على كونها معللة للاجتماع. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿هُمْ﴾: ضمير فصل. ﴿الْفَالِغِينَ﴾: خبر كان، وجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية معلوم مما قبلها، تقديره: إن كانوا هم الغالبين نتبعهم، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل الرفع نائب فاعل لـ ﴿قِيلَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِيَرْعَوْنَ آيَنَ لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْفَالِغِينَ﴾ (٣١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٣٢﴾.

﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصححت عن جواب شرط مقدر

تقديره: إذا عرفت أن السحرة جمعت، وأردت بيان ما قالوا بعدما جمعوا: فأقول لك: لما جاء السحرة. ﴿لَمَّا﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان. ﴿جَاءَ السَّحَرَةُ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط ﴿لَمَّا﴾. ومحلها الجبر بالإضافة ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿لِفِرْعَوْنَ﴾: متعلق به، والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾، وجملة ﴿لَمَّا﴾ في محل نصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿أَيْنَ﴾: الهمزة: للاستفهام التقريري، ﴿إِنْ﴾: حرف نصب. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور خبر مقدم ﴿لِإِنْ﴾. ﴿لَأَجْزَلُ﴾: اللام: حرف ابتداء، ﴿أَجْرًا﴾: اسم ﴿إِنْ﴾ مؤخر، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه، في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ على كونه فعل شرط لها. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير فصل. ﴿الْفَلِيلَيْنِ﴾: خبر كان، وجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية معلوم مما قبلها، تقديره: إن كنا نحن الغاليتين فلنا أجر، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿نَعَمْ﴾: حرف جواب قائم مقام الجواب المحذوف تقديره: نعم لكم أجر، والجواب المحذوف في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَنْتُمْ﴾: الواو: عاطفة. ﴿إِنْكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿إِذَا﴾: حرف جواب وجزاء مهمل لا عمل لها. ﴿لَيْنِ﴾: اللام: حرف ابتداء. ﴿مَنْ الْمُقْرِبِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿إِنْكُمْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب معطوفة على الجواب المحذوف.

﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿فَالْقَوْمَ جَاهِلْتُمْ وَعَصَيْتَهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّتِكَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٤٤﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمُ﴾: متعلق به. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَلْقُوا﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة ﴿أَلْقُوا﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة صلة ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: ما أنتم ملقونه. ﴿فَالْقَوْمَ﴾: الفاء: عاطفة، ﴿الْقَوْمَ﴾: فعل ماض وفاعل. ﴿جَاهِلْتُمْ﴾: مفعول به

ومضاف إليه. ﴿وَعَصِيَّهْمُ﴾: معطوف عليه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿قَالَ﴾. ﴿وَقَالُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَقْرَأُ﴾. ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾: الباء: حرف جر وقسم، ﴿عِزَّة﴾: مقسم به مجرور بباء القسم. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه، الجار والمجرور متعلق بفعل قسم محذوف تقديره: نحلف ونقسم بعِزَّةِ فرعون، وجملة القسم في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَنَحْنُ﴾: اللام: حرف ابتداء، ﴿نحن﴾: ضمير فصل. ﴿الْمُتَلَبِّثُونَ﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها جواب القسم.

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٤٧﴾ قَالُوا ءَأَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٩﴾.

﴿فَأَلْقَى﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿ألقى موسى عصاه﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على قوله: ﴿فَأَلْقُوا جِبَالَهُمْ﴾. ﴿فَإِذَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿إذا﴾: حرف فجأة. ﴿هِيَ﴾: مبتدأ. ﴿تَلْقَفُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على العصا. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل نصب مفعول به، وجملة ﴿تَلْقَفُ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿ألقى﴾ عطف اسمية على فعلية. ﴿يَأْفِكُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة صلة ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: يأفكونه. ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على قوله: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾. ﴿سَجِدِينَ﴾: حال من ﴿السَّحَرَةُ﴾، والأصل: فألقى الله السحرة ساجدين. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل نصب حال ثانية من ﴿السَّحَرَةُ﴾، ولكن بتقدير قد. ﴿ءَأَمَّا﴾: فعل وفاعل. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿ءَأَمَّا﴾، وجملة ﴿ءَأَمَّا﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿رَبِّ﴾: بدل من ﴿رب العالمين﴾: ﴿مُوسَى﴾: مضاف إليه. ﴿وَهَارُونَ﴾: معطوف على ﴿مُوسَى﴾.

﴿قَالَ ءَأَمْسَرُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ مَادَنَّ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمَلُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْسُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٠﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾، والجملة مستأنفة.

﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوا﴾ مقول محكي لـ ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿ءَامَنْتُمْ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُ﴾: متعلق به، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَبَلٌ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بآمن أيضاً. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب. ﴿ءَاذَنْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به، والجملة في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه، ﴿أَيُّ﴾ قبل إذني لكم. ﴿إِنَّكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿لكبيركم﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿لكبيركم﴾: خبر ﴿إِنْ﴾ ومضاف إليه، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة لإيمانهم. ﴿الَّذِي﴾: في محل الرفع صفة لـ ﴿كبيركم﴾. ﴿عَلَّمَكُمْ السِّعَرَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعولان، والجملة صلة الموصول. ﴿فَلَسَوْفَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم واستمررتم على فعلكم، وأردتم بيان عاقبتكم.. فأقول لكم. ﴿لسوف تعلمون﴾: و﴿اللام﴾: زائدة زيدت لتأكيد معنى الكلام، وليست للقسم كما مر في مبحث التفسير. ﴿سَوْفَ﴾: حرف تنفيس للاستقبال البعيد. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول لجواب ﴿إذا﴾ المقدرة، وجملة ﴿إذا﴾ المقدرة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَأَقْطَعَنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿أَقْطَعَنَّ﴾: فعل مضارع في محل الرفع لتجرده من الناصب والجازم مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿أَيِّدِيكُمْ﴾: مفعول به. ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾: معطوف على ﴿أَيِّدِيكُمْ﴾، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مفسرة لقوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. ﴿مِنْ خَلْفٍ﴾: جار ومجرور حال من ﴿أَيِّدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾؛ أي: حالة كونها متخالفات النوع والاسم. ﴿وَأَصْلِبَنَّكُمْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿أَصْلِبَنَّكُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لضمير المخاطبين، وجملة القسم معطوفة على جملة القسم الأولى.

﴿قَالُوا لَا صَبْرٌ لَنَا إِلَّا رُبَّمَا مُتَغَلِبُونَ﴾ (٥١) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَنَا أَنْ كُنَّا
أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لَا ضَيْرَ﴾: ﴿لَا﴾: نافية تعمل عمل إن. ﴿ضَيْرٌ﴾: في محل نصب اسمها، وخبر ﴿لَا﴾ محذوف تقديره: لا ضير كائن علينا، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿إِلَى رَبِّنَا﴾: متعلق بـ﴿مُتَقَلِّبُونَ﴾. ﴿مُتَقَلِّبُونَ﴾: خبر ﴿إِن﴾، وجملة ﴿إِن﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها معللة لعدم الضير. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿نَطْعُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر، وجملة ﴿نَطْعُ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِن﴾، وجملة ﴿إِن﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها علة ثانية لعدم الضير. ﴿أَنْ يَغْفِرَ﴾: ناصب وفعل منصوب. ﴿لَنَا﴾: متعلق بـ﴿يَغْفِرَ﴾. ﴿رَبَّنَا﴾: فاعل. ﴿خَطَلَيْنَا﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض؛ أي: في غفران خطايانا، أو منصوب على المفعولية على تضمين نطمع معنى نرجو. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه، في محل نصب بـ﴿أَنْ﴾ المصدرية. ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: خبر كان ومضاف إليه، وجملة كان مع ﴿أَنْ﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بحرف جر محذوف؛ أي: لكوننا أول المؤمنين، أو بسبب كوننا أول المؤمنين، والجار المحذوف متعلق بـ﴿يَغْفِرَ﴾؛ أي: أول من آمن من أتباع فرعون ورعيته.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ ٥١ ﴿إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ ٥٢ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَلَائِكِ﴾ ٥٣ ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ ٥٤ ﴿وَأَنَّهُمْ لَنَا لَاقِطُونَ﴾ ٥٥ ﴿وَلَنَا لَجِيعٌ حَذِرُونَ﴾ ٥٦.

﴿وَأَوْحَيْنَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿أوحينا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰ﴾: متعلق بـ﴿أوحينا﴾. ﴿أَنْ﴾: مفسرة لأن في الإيحاء معنى القول دون حروفه. ﴿أَسْرِ﴾: فعل أمر من أسرى إذا سار ليلاً، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾، والجملة الفعلية جملة مفسرة لا محل لها من الإعراب. ﴿بِعِبَادِي﴾: متعلق بـ﴿أَسْرِ﴾، أو حال من فاعل ﴿أَسْرِ﴾؛ أي: متلبساً بعبادي. ﴿إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾: ناصب واسمه وخبره، وجملة ﴿أَنْ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الإسرار. ﴿فَأَرْسَلَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿أرسل فرعون﴾: فعل وفاعل، والجملة معطوفة على ﴿أوحينا﴾. ﴿فِي الدَّيْنِ﴾: متعلق بـ﴿أرسل﴾، أو حال من

﴿حَشِيرِينَ﴾. ﴿حَشِيرِينَ﴾: مفعول به. ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾: ناصب واسمه. ﴿لِشِرْذِمَةٍ﴾: خبره، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿قَلِيلُونَ﴾: صفة ل﴿شِرْذِمَةٍ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب مقول لقول محذوف وقع حالاً من فرعون؛ أي: حالة كونه قائلاً: إن هؤلاء لشِرْذِمَةٌ قليلون. ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا لَهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَنَا﴾: متعلق ب﴿غَائِظُونَ﴾. ﴿لَغَائِظُونَ﴾: خبر ﴿إِنْ﴾، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا لَهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَجَمِيعٍ﴾: خبر ﴿إِنْ﴾، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿حَذِرُونَ﴾: صفة ﴿جَمِيعٍ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنْ﴾ الأولى.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَثِيرٍ ۖ وَكَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ (٥٩).

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أَخْرَجْنَاهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على قوله: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾. ﴿مِنْ جَنَّاتٍ﴾: متعلق ب﴿أَخْرَجْنَاهُمْ﴾. ﴿وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَثِيرٍ﴾ معطوفة على ﴿جَنَّاتٍ﴾. ﴿كَذَلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف تقديره: أَخْرَجْنَاهُمْ إخراجاً مثل ذلك الإخراج العجيب الذي وقع لهم، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: الأمر كذلك؛ أي: أمرنا كائن كذلك؛ أي: مثل ما فعلنا بهم من الإخراج المذكور، أو صفة ثانية ل﴿مَقَامٍ﴾. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾: فعل وفاعل ومفعولان معطوف على ﴿أَخْرَجْنَاهُمْ﴾. ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿اتَّبَعُوهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول ثان، والمفعول الأول محذوف تقدير: فاتبعوا أنفسهم إياهم؛ أي: لحقوهم. ﴿مُشْرِقِينَ﴾: حال؛ إما من الفاعل، أو من المفعول، والجملة معطوفة على ﴿أَخْرَجْنَاهُمْ﴾، وذلك لأن إعطاء البساتين وما بعدها لبني إسرائيل إنما كان بعد هلاك فرعون وقومه اه. شيخنا.

﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ قَالِ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (٦١) ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٦٢) ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٦٣).

﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿لَمَّا﴾: اسم شرط غير جازم. في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان. ﴿تَرَأَى الْجَمْعَانِ﴾: فعل وفاعل، والجملة فعل شرط في

محل جر بالإضافة لـ ﴿لَمَّا﴾. ﴿قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى﴾: فعل وفاعل ومضاف إليه،
والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾، وجملة ﴿لَمَّا﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ
مُشْرِقِينَ﴾ (٦٥). ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿لَمَذْكُونٌ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء،
﴿مذركون﴾: خبر ﴿إِن﴾، وجملة ﴿إِن﴾: في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.
﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَى﴾، والجملة مستأنفة. ﴿كَلَّا﴾:
حرف ردع وزجر بمعنى ارتدعوا وانزجروا. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿مَعِيَ﴾: ظرف
ومضاف متعلق بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ مقدم على اسمها. ﴿رَبِّي﴾: اسمها مؤخر
ومضاف إليه، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿سَيِّدِينَ﴾ ﴿السَّيْنِ﴾:
حرف استقبال. ﴿يَهْدِينِ﴾: فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم،
وعلامة رفعه ضمة مقدرة، والنون نون الوقاية، وفاعله ضمير يعود على الله، وباء
المتكلم المحذوفة اجتزاء عنها بالكسرة في محل نصب مفعول به، والجملة في
محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَأَوْحَيْنَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أَوْحَيْنَا﴾: فعل
وفاعل. ﴿إِلَى مُوسَى﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿قَالَ أَصْحَبُ
مُوسَى﴾. ﴿أَن﴾: مفسرة بمعنى أي. ﴿أَضْرِبْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر
يعود على ﴿مُوسَى﴾. ﴿يَعْصَاكَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿أَضْرِبْ﴾.
﴿الْبَحْرُ﴾: مفعول به، والجملة جملة مفسرة لجملة ﴿أَوْحَيْنَا﴾ لا محل لها من
الإعراب. ﴿فَانْفَلَقَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿انْفَلَقَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر يعود
على ﴿الْبَحْرُ﴾، والجملة معطوفة على محذوف تقديره: فضره فانفلق. ﴿فَكَانَ﴾:
﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿كَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿كَالطُّورِ﴾: خبر
﴿كَانَ﴾. ﴿الْعَظِيمِ﴾: صفة لـ ﴿الطُّودِ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾: معطوفة على جملة
﴿انْفَلَقَ﴾.

﴿وَأَرْزَلْنَا نَمَّ الْآخِرِينَ﴾ (٦٦) وَأَبْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (٦٦)
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِزُّ الرَّجِيمِ (٦٨).

﴿وَأَرْزَلْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَوْحَيْنَا﴾. ﴿نَمَّ﴾: اسم إشارة
للمكان البعيد، في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بـ ﴿أَرْزَلْنَا﴾.

﴿الْآخِرِينَ﴾: مفعول به. ﴿وَأَنبِئْنَا مُوسَى﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على
﴿أَزَلَفْنَا﴾. ﴿وَمَنْ﴾: اسم موصول في محل نصب معطوف على ﴿مُوسَى﴾.
﴿مَعَهُ﴾: ظرف ومضاف إليه صلة لـ ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لـ ﴿مَنْ﴾
الموصولة. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ (١١): فعل وفاعل ومفعول به معطوف على
﴿أَنبِئْنَا﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِي ذَلِكَ﴾: خبر لـ ﴿إِنَّ﴾ مقدم على اسمها.
﴿لَايَةً﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿آيَةً﴾: اسمها مؤخر، والجملة مستأنفة،
﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص
واسمه وخبره معطوف على جملة ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهُوَ﴾:
﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿الْعَزِيزُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾.
﴿الرَّحِيمُ﴾: خبر ثان لها، والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾
﴿لَايَةً﴾.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٢) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ
أَصْنَامًا فَنُظِلُّ لَهَا مِنْكَ كَيْفَ نَشَاءُ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَبْغُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلَى وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾.

﴿وَأَنزَلْنَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطف. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف
العله، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق به. ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾:
مفعول به ومضاف إليه، والجملة معطوفة على اذكر المقدر عاملاً في قوله: ﴿وَإِذْ
نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل
مستتر يعود على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾،
والظرف بدل من ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ بدل اشتمال، فيكون العامل فيه ﴿أَنزَلْنَا﴾، وقيل:
منصوب بـ ﴿نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: وقت قوله لأبيه. ﴿لِأَبِيهِ﴾: جار ومجرور متعلق
بـ ﴿قَالَ﴾. ﴿وَقَوْمِهِ﴾: معطوفة على ﴿أَبِيهِ﴾. ﴿مَا﴾: اسم استفهام في محل
النصب مفعول مقدم لـ ﴿تَعْبُدُونَ﴾. ﴿تَعْبُدُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في
محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿نَعْبُدُ
أَصْنَامًا﴾: فعل ومفعول به، وفاعل مستتر يعود على قوم إبراهيم وأبيه، والجملة في

محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿فَنَظَّلُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿نَظَّلُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمها ضمير يعود على قوم إبراهيم. ﴿لَهَا﴾: متعلق بـ ﴿عَلَيْكَيْنِ﴾. ﴿عَلَيْكَيْنِ﴾: خبر ظل، وجملة ﴿نَظَّلُ﴾ في محل النصب معطوفة على جملة ﴿نَعْبُدُ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام للاستفهام التوبيخي. ﴿يَسْمَعُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، ولكنه على تقدير محذوف؛ أي: يسمعون دعاءكم، أو يسمعونكم إذ تدعون، فعلى الأول تكون متعدية لواحد اتفاقاً، وعلى الثاني هي متعدية لل اثنين، فقامت الجملة المقدرة مقام المفعول الثاني؛ وهو قول أبي علي الفارسي، وعند غيره الجملة المقدرة حال كما هو مبسوط في محله، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى متعلق بـ ﴿يَسْمَعُونَكَ﴾. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يَسْمَعُونَكَ﴾. ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾: معطوف عليه أيضاً. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿بَلْ﴾: حرف للإضراب الانتقالي أفادوا بها الإجابة عن استفهامه. ﴿وَجَدْنَا أَبَاءَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول أول، وجملة ﴿يَفْعَلُونَ﴾ في محل المفعول الثاني. ﴿كَذَلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف تقديره: يفعلون فعلاً مثل ذلك الفعل، أو تجعل الكاف مفعولاً به مقدماً لـ ﴿يَفْعَلُونَ﴾، ولعله أولى، وجملة قوله: ﴿بَلْ وَجَدْنَا﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٧٥).

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري المتضمن معنى الاستهزاء والسخرية، داخل على محذوف، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف، ﴿رَأَيْتُمْ﴾: فعل وفاعل؛ وهي إما بصرية تتعدى لمفعول واحد، أو علمية بمعنى عرف تتعدى لمفعول واحد أيضاً. ﴿مَا﴾: موصولة في محل النصب مفعول به، والتقدير: أنظرتهم فأبصرتهم ما كنتم تعبدون، أو تأملتكم فعلمتم ما كنتم تعبدون،

والجملة المحذوفة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾، ويحتمل أن تكون رأيتم بمعنى أخبروني، فتكون متعدية لمفعولين؛ أولهما اسم الموصول، وثانيهما محذوف، وهو جملة استفهامية، والتقدير: أخبروني ما كنتم تعبدون هل هو جدير بالعبادة. ﴿كُنْتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَعْبُدُونَ﴾: خبر كان، وجملة كان صلة ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: ما كنتم تعبدونه.

﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾
﴿فَهُوَ يَهْدِي﴾ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِي (٧٩).

﴿أَنْتُمْ﴾: تأكيد للضمير في ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ ليصح العطف عليه. ﴿وَأَبَاؤُكُمْ﴾: معطوف على ﴿الواو﴾ في ﴿تَعْبُدُونَ﴾. ﴿الْأَقْدَمُونَ﴾: صفة لـ ﴿أَبَاؤُكُمْ﴾. ﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء: تعليلية، ﴿إِنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبره. ﴿لِي﴾: صفة لـ ﴿عَدُوٌّ﴾، أو متعلق به؛ لأنه بمعنى معاد لي. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿رَبَّ﴾: منصوب على الاستثناء، والاستثناء منقطع، وإلا تقدر بـ: لكن، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها تعليلية لمحذوف تقديره: فلا أعبدكم لأنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴿الْعَالَمِينَ﴾: مضاف إليه. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول في محل نصب صفة لـ ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، أو بدل منه، أو عطف بيان له، ويجوز الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو الذي خلقتني. ﴿خَلَقَنِي﴾: فعل ماض ونون وقاية، وفاعل مستتر يعود على الموصول ومفعول به، والجملة صلة الموصول. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: عاطفة، ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿يَهْدِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على الله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة لرعاية الفاصلة في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية على كونها صلة الموصول. ﴿وَالَّذِي﴾: معطوف على الموصول الأول. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿يُطْعِمُنِي﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ونون وقاية ومفعول، والجملة في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية صلة الموصول. ﴿وَيَسْقِي﴾: فعل وفاعل مستتر ونون وقاية، وياء المتكلم المحذوفة للفاصلة في محل نصب مفعول به، والجملة معطوفة على

جملة ﴿يُطْعَمُنِي﴾.

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) وَالَّذِي يُبَيِّنُ ثُمَّ يُخَيِّنُ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾.

﴿وَإِذَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان مضمّن معنى الشرط. ﴿مَرِضْتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في حل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿فَهُوَ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة لجواب ﴿إِذَا﴾، ﴿هُوَ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَشْفِينِ﴾ في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿إِذَا﴾ معطوفة على جملة الصلة. ﴿وَالَّذِي﴾: معطوف على الموصول الأول وجملة ﴿يُبَيِّنُ﴾: صلة الموصول. ﴿ثُمَّ يُخَيِّنُ﴾: معطوف على ﴿يُبَيِّنُ﴾. ﴿وَالَّذِي﴾: معطوف على الموصول الأول. ﴿أَطْمَعُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿إِزْهِيهِ﴾. ﴿أَنْ يَغْفِرَ﴾: ناصب وفعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الموصول. ﴿لِي﴾: متعلق به. ﴿خَطِيئَتِي﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَغْفِرَ﴾، وجملة ﴿يَغْفِرَ﴾ في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ﴿أَطْمَعُ﴾ على تضمينه معنى أرجو؛ أي: والذي أرجو غفرانه لي يوم الدين، وجملة ﴿أَطْمَعُ﴾ صلة الموصول، والعائد ضمير مستتر في ﴿يَغْفِرَ﴾، ويجوز أن يكون في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض تقديره: والذي أطمعه في غفران خطيئتي.

التصريف ومفردات اللغة

﴿لَيُبَيِّنَنَّ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ الميقات: ما وقت به؛ أي: حدّد من مكان أو زمان، ومنه مواقيت الإحرام ومواقيت الصلاة. أصله: موقات؛ لأنه من وقت قلبت ﴿الواو﴾ ياء؛ لوقوعها إثر كسرة، واليوم المعلوم هو يوم الزينة الذي حدده موسى في قوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضَحَى﴾. وفي «الروح»: الميقات: الوقت المضروب للشئ؛ أي: لما وقت به وعين من ساعات يوم معين، وهو

وقت الضحى من يوم الزينة، وهو يوم عيد لهم، كانوا يتزينون ويجتمعون فيه كل سنة.

﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: قوته التي يمتنع بها من الضيم.

﴿تَلَقَّفُ﴾؛ أي: تبتلع بسرعة، من لقفه - كسمعه - إذا تناوله بسرعة، كما في «القاموس».

﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾؛ أي: نرجو، قال في «المفردات»: الطمع: نزوع النفس إلى شيء شهوة له.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَوْعِدَ أَنْ تُبَادِيَ﴾ الإيحاء: إعلام في خفاء، ويقال: سرى يسري - بالكسر - سرى - بالضم - وسرى - بالفتح - وأسرى أيضاً؛ أي: سار ليلاً.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَشِرْذِمَةٌ﴾ والشرذمة: الطائفة القليلة، والجمع الحقيق القليل يجمع على شراذم. قال الجوهري: الشرذمة: الطائفة من الناس، والقطعة من الشيء، وثوب شراذم؛ أي: قطع، ومنه قول الشاعر:

جَاءَ الشُّتَاءُ وَقَمِصِي أَخْلَاقُ شَرَاذِمُ يَضْحَكُ مِنْهَا الْخَلَاقُ
﴿قَلِيلُونَ﴾ قال الفراء: يقال: عصبة قليلة وقليلون، وكثيرة وكثيرون، وقال المبرد: الشرذمة: القطعة من الناس غير الكثير، وجمعها الشراذم، قال المفسرون: وكان الشرذمة الذين قللهم ست مئة ألف، ولا يحصى عدد أصحاب فرعون.

﴿لَفَاطُونَ﴾؛ أي: فاعلون ما يغيظنا ويغضبنا، يقال: غاظني كذا وأغاظني، ومنه التغيط والاختياط، والغيط أشد الغضب؛ وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من ثوران دم قلبه.

﴿وَلَا لِمَجِيئِ حَدِيثٍ﴾ (٥١) يقال للمجموع: جمع وجميع وجماعة، والحذر: الاحتراز عن المخاوف. قال الفراء: الحاذر الذي يحذرك الآن، والحذر المخلوق كذلك لا تلقاه إلا حذراً، وقال الزجاج: الحاذر المستعد، والحذر

المتيقظ، وبه قال الكسائي ومحمد بن يزيد: قال النحاس: ﴿حَذِرُونَ﴾ قراءة المدنيين وأبي عمرو، و﴿حَذِرُونَ﴾ قراءة أهل الكوفة، قال: وأبو عبيدة يذهب إلى أن معنى ﴿حَذِرُونَ﴾ و﴿حَذِرُونَ﴾ واحد؛ وهو قول سيبويه، وأنشد سيبويه:

حَذِرْ أُمُورًا لَا تَضِيرُ وَأَمِنْ مَّا لَيْسَ يُنْجِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ

وفي «المصباح» حذر حذراً من باب تعب، واحتذر واحترز كلها بمعنى استعد وتأهب، فهو حاذر وحذر، والاسم منه الحذر مثل حمل، وحذر الشيء إذا خافه، فالشيء محذور؛ أي: مخوف، وحذرت الشيء فحذره، اهـ.

﴿جَنَّتٍ﴾؛ أي: بساتين، جمع جنة. ﴿وَعَيْنُونَ﴾: جمع عين من الماء، قال الراغب: يقال لمنبع الماء عين تشبيهاً بالعين الجارحة؛ لما فيها من الماء. ﴿وَكُنُوزٍ﴾؛ أي: أموال كثرها وخزنها في باطن الأرض.

﴿وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾؛ أي: قصور عالية، ودور فخمة. قال السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام»: المقام الكريم الفيوم من أرض مصر في قول طائفة من المفسرين، ومعنى الفيوم ألف يوم، كما في «التكملة»؛ وهي مدينة عظيمة بناها يوسف الصديق عليه السلام، ولها نهر يشقها، ونهرها من عجائب الدنيا، وذلك أنه متصل بالنيل، وينقطع أيام الشتاء، وهو يجري في سائر الزمان على العادة، ولهذه المدينة ثلاث مئة وستون قرية عامرة كلها مزارع وغلal، ويقال: إن الماء قد أخذ أكثرها في هذا الوقت، وكان يوسف جعلها على عدد أيام السنة، فإذا أجذبت الديار المصرية كانت كل قرية منها تقوم بأهل مصر يوماً، وبأرض الفيوم بساتين وأشجار وفواكه كثيرة رخيصة وأسماك زائدة الوصف، وبها من قصب السكر كثير. ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾؛ أي: ملكناها لهم تملك الميراث.

﴿فَأَتَّبَعُوهُمْ﴾ بقطع الهمزة، يقال: أتبعه إتباعاً إذا طلب الثاني للحق بالاول، وتبعه تبعاً إذا مرّ به ومضى معه.

﴿مُشْرِقِينَ﴾؛ أي: داخلين في وقت الشروق، يقال: أشرق وأصبح وأمسى وأظهر إذا دخل في الشروق والصباح والمساء والظهيرة. قال الزجاج: يقال:

شرقت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت.

﴿تَرَكَا الْجَمْعَانِ﴾؛ أي: تقارباً بحيث رأى كل منهما الآخر، وهو تفاعل من الرؤية. ﴿إِنَّا لَمَذْكُونٌ﴾؛ أي: سيدركوننا ويلحقون بنا، اسم مفعول من أدرك الرباعي، ومنه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذْرَكَهُ الْفَرْقُ﴾.

﴿الْبَحْرُ﴾: وهو بحر القلزم كما مر، وسمي البحر بحراً لاستبحاره؛ أي: اتساعه وانبساطه. ﴿فَأَنْفَلَقَ﴾؛ أي: انشق.

﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ الفرق: الجزء المنفرد منه. قال في «المفردات»: الفرق يقارب الفلق، لكن الفلق يقال اعتباراً بالانشقاق، والفرق يقال اعتباراً بالانفصال، والفرق القطعة المنفصلة، وكل فرق بالتفخيم والترقيق لكل القراء، والتفخيم أولى.

﴿كَالطُّودِ﴾ الطود: الجبل، ويجمع على أطواد، يقال: طاد يطود إذا ثبت قال امرؤ القيس:

فَبَيْنَا الْمَرْءُ فِي الْأَحْيَاءِ طَوْذُ رَمَاهُ النَّاسُ عَنْ كَثْبٍ فَمَالَا
وقال الأسود بن يعمر:

حَلَّوْا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
﴿وَأَزَلَفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ﴾؛ أي: قربناهم إلى البحر يعني فرعون وقومه، قال الشاعر:

وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَىٰ أَوْ لَيْلَةٌ سَلَفَتْ فِيهَا النُّفُوسُ إِلَىٰ الْأَجَالِ تَزْدَلِفُ
قال أبو عبيدة: أزلفنا جمعنا، ومنه قيل لليلة مزدلفة: ليلة جمع.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾: من التلاوة، وهي القراءة على سبيل التتابع، والقراء أعم.

﴿وَقَوِيهِ﴾ والقوم: جماعة الرجال في الأصل دون النساء، كما نبّه عليه قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّاتٌ عَلَىٰ النِّسَاءِ﴾، وفي عامة القرآن أريدوا به والنساء

جميعاً، كما في «المفردات».

﴿أَصْنَامًا﴾: جمع صنم، قال في «المفردات»: الصنم: جثة متخذة من فضة، أو نحاس، والوثن: حجارة كانت تعبد.

﴿فَنَظَلَ﴾ يقال: ظللت أعمل كذا - بالكسر - ظلولاً إذا عملت بالنهار دون الليل.

﴿عَكِبِينَ﴾ العكوف: اللزوم، ومنه المعتكف لملازمته المسجد على سبيل القرية.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرورياً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبدیع:

فمنها: الجناس المغاير بين ﴿فَجِيعَ﴾ و﴿تَجْتَمِعُونَ﴾.

ومنها: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿أَيَّنْ لَنَا لَأَجْرًا﴾، وفي قوله: ﴿وَلَكُمْ إِذَا لِمَنْ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

ومنها: الجناس المغاير في قوله: ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾.

ومنها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿قَالِقَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾ ٢١ كأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم، وقد زاد هذه الاستعارة حسناً المشاكلة؛ لأنه عبر بـ﴿ألقى﴾ عن الخور، فلم يقل: فخوروا ساجدين؛ لمشاكلة الإلقاءات المتقدمة.

ومنها: الإبهام والتفصيل في قوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أبهم ما أوعدهم به، ثم فصله بقوله: ﴿لَأَقْطِعَنَّ أَيِّكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ﴾ الخ.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿فَأَنفَلَقَ﴾؛ أي: فضرب فانفلق.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿كَالطَّوْرِ الْعَظِيمِ﴾؛ أي: كالجبل في رسوخه وثباته، ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.

ومنها: الإطناب في قوله: ﴿تَعْبُدُونَنَا فَتَمْلِكُوا لِلَّهِ عِلْفِينَ﴾؛ لأنه كان مقتضى جواب السؤال؛ وهو ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ أن يقولوا: أصناماً؛ لأنه سؤال عن المعبود فحسب، ولكنهم أضافوا إلى الجواب زيادة شرحوا بها قصتهم كاملة؛ لأنهم قصدوا إظهار ابتهاجهم وإعلان افتخارهم، وذلك شائع في الكلام، وقالوا: نظل؛ لأنهم كانوا يعكفون على عبادتها في النهار دون الليل، وهذه هي مزية الإطناب.

ومنها: التعريض في قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢١) فإنه صور المسألة في نفسه والعداوة مستهدفة شخصه، كأنه يعرض بهم قائلاً: لقد فكرت في المسألة ملياً، وأمعت النظر فيها طويلاً، فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو الذي يتربص بي الدوائر.

ومنها: الطباق بين ﴿يَفْعَلُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ﴾، وكذلك بين ﴿يُؤْتِيهِ ثُمَّ يُجْحِيهِ﴾.

ومنها: مراعاة الأدب في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ (٢٢) لم يقل وإذا أمرضني، بل أسند المرض لنفسه تأدباً مع الله سبحانه؛ لأن الشر لا ينسب إليه تعالى أدباً، وإن كان المرض والشفاء كلاهما بيده تعالى وقدرته، وللإشارة إلى أن كثيراً من الأمراض تحدث بتفريط الإنسان في مأكله ومشربه وغير ذلك.

ومنها: حسن النسق في هذه الجمل، فإنه قدم الخلق الذي يجب تقديم الاعتداد به من الخالق على المخلوق، واعتراف المخلوق بنعمته فإنه أول نعمة، وفي إقرار المخلوق بنعمة الإيجاد من العدم إقراره بقدرة الخالق على الإيجاد والاختراع وحكمته، ثم ثنى بنعمة الهداية التي هي أولى بالتقديم بعد نعمة الإيجاد من سائر النعم، ثم ثلث بالإطعام والإسقاء اللذين هما مادة الحياة،

وبهما من الله استمرار البقاء إلى الأجل المحتوم، وذكر المرض وأسندته إلى نفسه أدياً كما قلنا مع ربه، ثم أعقب ذكر المرض بذكر الشفاء مسنداً ذلك إلى ربه، ثم ذكر الإمامة مسنداً فعلها إلى ربه لتكميل المدح بالقدره المطلقة على كل شيء من الإيجاد والإعدام، ثم أردف ذكر الموت بذكر الإحياء بعد الموت، وفيه مع الإقرار بهذه النعمة الاعتراف بالقدره والإيمان بالبعث، وكل هذه المعاني جمل ألفاظها معطوف بعضها على بعض بحروف ملائمة لمعاني الجمل المعطوفة.

ومنها: صحة التقسيم، فقد استوعبت هذه الآيات أقسام النعم الدنيوية والأخروية من الخلق والهداية، والإطعام والإسقاء، والمرض والشفاء، والموت والحياة، والإيمان بالبعث وغفران الذنب.

ومنها: التخلص؛ وهو فن عجيب بأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في غيره آخر، وجعل الأول سبباً إليه، فيكون بعضه أخذاً برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغاً، فمما جاء من التخلص هذه الآية التي تسكر العقول، وتسحر الأبواب، ألا ترى ما أحسن ما رتب إبراهيم كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر، لا سؤال مستفهم، ثم ألحى على آلهتهم باللائمة فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع، ولا تعي ولا تسمع، وعلى تقليد آبائهم الأقدمين فكسره، وأخرجه من أن يكون شبهة، فضلاً عن أن يكون حجة، ثم أراد الخروج من ذلك إلى ذكر الإله الذي لا تجب العبادة إلا له، ولا ينبغي الرجوع والأنابة إلا إليه، فصور المسألة في نفسه دونهم، فقال: ﴿فَأَنَّهُمْ عُدُوِّي﴾ على معنى أني فكرت في أمري، فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو وهو الشيطان فاجتنبتها، وآثرت عبادة من بيده الخير كله، وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا، فيقولوا: ما نصحننا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه، فيكون ذلك أدعى إلى القبول لقوله، وأبعث على الاستماع منه، ولو قال: إنهم عدو لكم لم يكن بهذه المثابة، فتخلص عند تصويره المسألة في نفسه إلى ذكر الله تعالى، فأجرى عليه تلك الصفات العظام، فعظم شأنه وعدد نعمته من لدن خلقه وأنشأه إلى حين يتوفاه مع

ما يرجى في الآخرة من رحمته؛ ليعلم من ذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة، واجب على الخلق الخضوع له، والاستكانة لعظمته، ثم تخلص من ذلك إلى ما يلائمه ويناسبه فدعا الله بدعوات المخلصين، وابتهل إليه ابتهاال الأوابين؛ لأن الطالب من مولاه إذا قدّم قبل سؤاله وتضرعه الاعتراف بالنعمة.. كان ذلك أسرع للإجابة، وأنجح لحصول الطلبة، ثم أدرج في ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيامة ومجازاة الله من آمن به واتقاه بالجنة، ومن ضل عن عبادته بالنار، فتدبر هذه التخلصات البديعة المودعة في أثناء هذا الكلام.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا :

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٢) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٣﴾
وَلَجَعَلَنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٤﴾ وَأَغْفِرْ لِأَيِّ لَئِيمٍ كَانِ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٦﴾
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٧﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٨﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٩﴾ وَبُرِزَتِ
الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩٠﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩١﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٢﴾
فَكُذِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٣﴾ وَخُذُوا إِلَيْهِمْ أَجْمَعُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا لَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٥﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا
لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِذْ سُورِكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ وَمَا أَصْلَانَا إِلَّا الْمَجْرُثُونَ ﴿٩٨﴾ فَمَا لَنَا مِنْ
شَفِيعِينَ ﴿٩٩﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠٠﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتُخَرَّجُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٣﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٤﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿١٠٥﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٧﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ
أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٩﴾ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ
الْأَرْذَلُونَ ﴿١١٠﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١١﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَمَا
أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٤﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَنْشُوعَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٥﴾
﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْطَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَمَّا وَبَحْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَجَبْنَاهُ
وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْهُودِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا
نَنْقُوتُ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا
عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَائَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَلِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾
أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَخَضِرٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ
عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

المناسبة

قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٢) الآية، مناسبة

هذه الآية لما قبلها: أن إبراهيم الخليل عليه السلام لما أثنى^(١) على ربه سبحانه بما أثنى عليه.. ذكر مسأله ودعاه إياه بما ذكره، كما هو دأب من يشتغل بدعائه تعالى، فإنه يجب عليه أن يتقدم بالثناء عليه وذكر عظمته وكبريائه؛ ليستغرق في معرفة ربه ومحبه، ويصير أقرب شهاً بالملائكة الذين يعبدون الله سبحانه بالليل والنهار لا يفترون، وبذا يستنير قلبه إلى ما هو أرفق به في دينه ودنياه، وتحصل له قوة إلهية تجعله يهتدي إلى ما يريد، ومن ثم جاء في الأثر حكاية عن الله تعالى: «من شغله ذكرى عن مسأله أعطيه أفضل ما أعطي السائلين».

قوله تعالى: ﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ١١٠﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر^(٢) إبراهيم عليه السلام أنه لا ينفع في هذا اليوم مال ولا بنون، وإنما ينفع البعد عن الكفر والنفاق.. ذكر هنا من وصف هذا اليوم أموراً تبين شديد أهواله وعظيم نكاله.

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ١٥٠﴾ الآية، مناسبة لما قبلها: أن الله سبحانه لما قص على رسول الله ﷺ قصص أبيه إبراهيم وما لقيه من تكذيب قومه له مع ما أرشدهم إليه من أدلة التوحيد، وما حجهم به من الآيات.. أردف هذا بقصص الأب الثاني؛ وهو نوح عليه السلام، وفيه ما لاقاه من قومه من شديد التكذيب لدعوته وعكوفهم على عبادة الأصنام والأوثان، وأنه مع طول الدعوة لهم لم يزدتهم ذلك إلا عتواً واستكباراً، وقد كان من عاقبة أمرهم ما كان لغيرهم ممن كذبوا رسل ربهم بعد أن أملى لهم بطول الأمد ﴿وَأَمَلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾، فأغرقهم الطوفان، ولم ينج منهم إلا من حملته السفينة، وهذا القصص مجمل هنا تقدم تفصيله في سورتي الأعراف وهود، وسيأتي بسطه أتم البسط في سورة نوح.

قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ١٨٣﴾... الآية، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أنه تعالى لما ذكر قصص نوح وقومه، وأن نوحاً دعاهم وحذرهم عقاب الله

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

وطال عليه المطال، ولم يزداهم ذلك إلا عتواً ونفوراً فدعا ربه، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون.. أردف ذلك بقصص هود عليه السلام مع قومه عاد، وكانوا بعد قوم نوح، كما قال في سورة الأعراف: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَعْضَةً﴾ يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل القريبة من حضرموت ببلاد اليمن، وكانت لهم أرزاق دارة وأموال وجنات وأنهار وزروع وثمار، وكانوا يعبدون الأصنام والأوثان، فبعث الله فيهم نبياً منهم يبشرهم وينذرهم ويدعوهم إلى عبادة الله وحده، ويحذرهم نقمته وعذابه، فكذبوه فأهلكهم كما أهلك المكذبين لرسله.

التفسير وأوجه القراءة

ثم لما فرغ الخليل من الثناء على ربه والاعتراف بنعمته.. عقبه بالدعاء؛ ليقندي به غيره في ذلك، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾؛ أي^(١): علماً وفهماً في الدين. وقيل: نبوة ورسالة. وقيل: معرفة بحدود الله تعالى وأحكامه. ﴿وَالْحَقِّقِي بِالصَّلَاحِينَ﴾؛ أي: بالنبيين من قبلي. وقيل: بأهل الجنة. ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٢)؛ أي: اجعل لي ثناء حسناً في الآخرين الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة، وقد أعطى الله سبحانه إبراهيم ذلك بقوله: ﴿وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٣) فإن كل أمة تتمسك به وتعظمه.

وقيل معنى الآية: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾؛ أي^(٢): كمالاً في العلم والعمل، أستعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق، فإن من يعلم شيئاً ولا يأتي من العمل بما يناسب علمه لا يقال له حكيم، ولا لعلمه حكم، ولا حكمة ﴿وَالْحَقِّقِي بِالصَّلَاحِينَ﴾؛ أي: وفقني من العلوم والأعمال والأخلاق لما ينظمني في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح، המתزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها، أو اجمع بيني وبينهم في الجنة، فقد أجابه تعالى حيث قال: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكِنَّ الْأَنْبِلَاحِينَ﴾ روي أن النبي ﷺ قال في دعائه: «اللهم أحينا مسلمين، وأمتنا

(٢) روح البيان.

(١) الشوكاني.

مسلمين، والحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مبدين».

﴿وَجَعَلَ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١)؛ أي: جاهاً وحسن صيت في الدين، يبقى أثره إلى يوم الدين، ولذلك ما من أمة إلا وهم محبوبون له، مثنون عليه، فحصل بالأول الجاه، وبالثاني حسن الذكر، فقولته: «في الآخرين»؛ أي: في الأمم بعدي، وعبر عن الثناء الحسن والقبول العام باللسان؛ لكون اللسان سبباً في ظهوره وانتشاره، وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد إلى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلاً على رضى الله عنه، ومحبة له، والله تعالى إذا أحب عبداً يلقي محبته إلى أهل السموات والأرض، فيحبه الخلائق كافة حتى الحيتان في البحر، والطيور في الهواء.

وحاصل معنى: ﴿وَجَعَلَ لِي لِسَانَ صِدْقٍ...﴾ إلخ؛ أي^(١): واجعل لي جاهاً وذكرًا جميلاً باقياً إلى يوم الدين، فإن من صار ممدوحاً بين الناس بسبب ما عنده من الفضائل يصير داعياً لغيره إلى اكتساب مثل تلك الفضائل، فيكون له مثل أجورهم، أو المعنى: اجعل لي من ذريتي في آخر الزمان من يكون داعياً إلى الله تعالى، وقد أجاب الله دعاءه، فما من أمة إلا وهي تثني عليه، وجعله الله تعالى شجرة فرع الله منها الأنبياء.

ولما طلب عليه السلام سعادة الدنيا بهذه الدعوة.. طلب سعادة الآخرة، فقال: ﴿وَجَعَلَنِي﴾ في الآخرة وارثاً ﴿مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾، أو اجعلني بعض الذين يرثون جنة النعيم، شبه^(٢) الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله وانقطاعه بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورثه وموته، فأطلق عليها اسم الميراث، وعلى استحقاقها اسم الوارثة، وعلى العامل اسم الوارث، والمعنى: واجعلني من المستحقين لجنة النعيم، والمتمتعين بها كما يستحق الوارث مال مورثه، ويمتع به، أو واجعلني ممن يدخلون الجنة^(٣)، ويتمتعون بنعيمها كما

(٣) المراغي.

(١) المراح.

(٢) روح البيان.

يتمتع المالك بما يملكه ميراثاً، ويؤول إليه أمره من شؤون الدنيا، ومعنى جنة النعيم؛ أي: بستان النعيم الدائم، وفيه إشارة إلى أن الجنة لا تنال إلا بكرمه تعالى، وفيه أيضاً إشارة إلى أن طلب الجنة لا ينافي طلب الحق سبحانه، وترك الطلب مكابرة للربوبية.


وبعد أن طلب السعادة الدنيوية والأخروية لنفسه.. طلبها لأقرب الناس إليه؛ وهو أبوه، فقال: ﴿وَاعْفِرْ لِأَبِي﴾ ذنوبه؛ أي: اهد أبي ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَضْيَآئِنَا﴾؛ أي: من المشركين الضالين عن طريق الهداية، و﴿كَانَ﴾: زائدة على مذهب سيبويه، وكان أبوه قد وعده أنه يؤمن به، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، كما قال في آية أخرى: ﴿وَمَا كَأَنَّ اسْتِغْفَارَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.

واعلم^(١): أن المغفرة مشروطة بالإيمان، وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه، فيكون الاستغفار لأحياء المشركين عبارة عن طلب توفيقهم وهدايتهم للإيمان. روي عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل توضأ، فأسبغ الوضوء، ثم خرج من بيته يريد المسجد، فقال حين خرج: بسم الله ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) إِلَّا هَدَاهُ اللَّهُ لَصَوَابِ الْأَعْمَالِ، ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) إِلَّا أَطْعَمَهُ اللَّهُ مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ، وَسَقَاهُ مِنْ شَرَابِهَا، ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي﴾ (٨٠) إِلَّا شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي﴾ (٨١) إِلَّا أَحْيَاهُ اللَّهُ حَيَاةَ الشَّهَدَاءِ، وَأَمَاتَهُ مِيتَةَ الشَّهَدَاءِ، ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢) إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ زَبَدِ الْبَحْرِ، ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّيقِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ (٨٣) إِلَّا وَهَبَ لَهُ حُكْمًا، وَالْحَقَّ بِصَالِحِي مِنْ مَضَى، وَصَالِحِي مِنْ بَقِي، ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٤) إِلَّا كَتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، ﴿وَلَجَعَلْنِي مِنْ رَدَّتِ جَنَّةَ النَّعِيمِ﴾ (٨٥) إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْقُصُورَ وَالْمَنَازِلَ فِي الْجَنَّةِ»، وكان الحسن يزيد فيه ﴿وَاعْفِرْ لَوَالِدَيَّ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، كذا في

(١) روح البيان.

ثم طلب من ربه عدم خزيه وهوانه يوم القيامة، فقال: ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ من الخزي بمعنى الهوان والذل؛ أي: لا تفضحني على رؤوس الأشهاد بمعاتبتي على ما فرطت، أو بنقص مرتبتي عن بعض الوارثين ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾؛ أي: يوم يبعث الناس من قبورهم كافة وهو يوم القيامة، أو لا تعذبني يوم القيامة. والإضمار في ﴿يُبْعَثُونَ﴾ مع عدم سبق المرجع؛ لكونه معلوماً؛ لأن البعث عام فيدل عليه.

ولما كانت مغفرة الخطيئة في قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ...﴾ إلخ لا تستلزم ترك المعاتبة.. أفرد الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة، وقيد عدم الإخزاء بيوم البعث؛ لأن الدنيا مظهر اسم الستار.

قال أبو الليث: إلى ههنا كلام إبراهيم، وقد انقطع كلامه، ثم إن الله سبحانه وتعالى وصف ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾  بدل من ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾، ومفعول الفعل محذوف، والتقدير: يوم لا ينفع مال أحداً، وإن كان مصروفاً في الدنيا إلى وجوه البر والخيرات، ولا ينفع بنون ولا بنات فرداً، وإن كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة جداً ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ سبحانه، وجاء يوم القيامة ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك والنفاق؛ أي: إلا من أتى الله سبحانه وتعالى مخلصاً سليم القلب من مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالإيمان، قال في «كشف الأسرار»: إلا بنفس سليمة من الكفر والمعاصي، وإنما أضاف إلى القلب، لأن الجوارح تابعة للقلب، فتسلم بسلامته، وتفسد بفساده، وفي الخبر: «إن في جسد ابن آدم لمضغة، إذا صلحت صلح سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب». قال الليث: كان الكفار يقولون: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾، فأخبر الله سبحانه أنه لا ينفعهم ذلك اليوم المال والبنون؛ لعدم سلامة قلوبهم في الدنيا، وأما المسلمون فينفعهم خيراتهم، وينفعهم البنون أيضاً؛ لأن المسلم إذا مات ابنه قبله يكون له ذخراً وأجرأ، وإن تخلف بعده فإنه يذكره بصالح دعائه، ويتوقع منه الشفاعة من حيث صلاحه. انتهى.

والمعنى: أي^(١) لا يقي المرء من عذاب الله تعالى المال، ولو اقتدى بملء الأرض ذهباً، ولا البنون ولو اقتدى بهم جميعاً، ولكن ينفعه أن يجيء خالصاً من الذنوب وأدرانها وحب الدنيا وشهواتها.

وخص الابن بالذكر؛ لأنه أولى القرابة بالدفع والنفع، فإذا لم ينفع فغيره من القرابة أولى، وأما من أتى بقلب سليم فينفعه ماله الذي أنفقه في الخير، وولده الصالح بدعائه، كما جاء في خبر: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

واختلف في معنى القلب السليم^(٢)، ف قيل: السليم من الشرك، أما الذنوب فليس يسلم منها أحد، قاله أكثر المفسرين. وقال سعيد بن المسيب: القلب السليم الصحيح، وهو قلب المؤمن؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض. وقيل: هو القلب الخالي عن البدعة، المطمئن إلى السنة. وقيل: السالم من آفة المال والبنين. وقيل: السليم الخالص. قال الرازي: أصح الأقوال أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والأخلاق الرذيلة. وسئل أبو القاسم الحكيم عن القلب السليم؟ فقال: له ثلاث علامات؛ أولاها: أن لا يؤذي أحداً، والثانية: أن لا يتأذى من أحد، والثالثة: إذا اصطنع مع أحد معروفاً لم يتوقع منه المكافأة، فإذا هو لم يؤذ أحداً فقد جاء بالورع، وإذا لم يتأذى من أحد فقد جاء بالوفاء، وإذا لم يتوقع المكافأة بالاصطناع فقد جاء بالإخلاص، اهـ.

﴿وَأَزَلَفَتْ الْجَنَّةُ﴾؛ أي: قرّبت وأدّنت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك والمعاصي؛ ليدخلوها بحيث يشاهدونها من الموقف، ويطلعون على ما فيها من فنون المحاسن، فيفرحون بأنهم المحشورون إليها. وقال الزجاج: قرب دخولهم إياها، ونظرهم إليها، وهو عطف على لا ينفع، وصيغة الماضي لتحقق وقوعه، كما أن صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه.

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

فإن قلت^(١): كيف قرّبت مع أنها لم تنقل من مكانها؟

قلت: فيه قلب؛ أي: وأزلف المتقون إلى الجنة، كما يقول الحجاج إذا دنوا إلى مكة: قرّبت مكة إلينا، وفي هذا تعجيل لمسرّتهم كفاء ما عملوا لها، ورغبوا عن الدنيا وزخرفها.

﴿وَبَرَزَتْ﴾؛ أي: ويوم برزت وأظهرت ﴿الْجَحِيمُ﴾؛ أي: نارها ﴿لِلْغَاوِينَ﴾؛ أي: للضالين عن طريق الحق الذي هو الإيمان والتقوى؛ أي^(٢): جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأهوال، ويوقنون بأنهم واقعوها، ولا يجدون عنها مصرفاً، فيزدادون غمّاً، والمعنى أنها أظهرت لهم قبل أن يدخلها المؤمنون ليشتد حزن الكافرين، ويكثر سرور المؤمنين، وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد، فإن التبريز لا يستلزم التقريب، ثم في تقديم إزلاف الجنة إيماء إلى سبق رحمته على غضبه. وقرأ الأعمش^(٣): ﴿فَبَرَزَتْ﴾ بالفاء بدل ﴿الواو﴾، وقرأ مالك بن دينار ﴿وَبَرَزَتْ﴾ بالفتح والتخفيف، ﴿الْجَحِيمُ﴾ بالرفع بإسناد الفعل إليها اتساعاً، ذكره أبو حيان.

وفي هذا تعجيل للغم والحسرة؛ إذ نسوا في دنياهم هذا اليوم، كما جاء في قوله: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُ مَا كُنَّا نَبَيِّنُ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِنُكُمْ الْبَارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾.

﴿٢٤﴾

ثم ذكر أنه يسأل أهل النار تقرّيعاً لهم، فقال: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾؛ أي: للغاوين يوم القيامة على سبيل التوبيخ، والقائلون الملائكة من جهة الحق تعالى ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سبحانه؛ أي: أين ألّهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنها شفعاؤكم في هذا الموقف، وتقربكم إلى الله زلفى ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم. و﴿هَلْ هُنَا لَلْإِنكَارِ﴾ أي: أين ألّهتكم التي كنتم تعبدونها؟ هل ينفعونكم بنصرتهم

(٣) البحر المحيط.

(١) فتح الرحمن.

(٢) روح البيان.

لكم، أو هل ينفعون أنفسهم بانتصارهم لأنفسهم؟ لا، وإنهم وآلهتهم وقود النار.

والخلاصة^(١): ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله سبحانه من الأصنام والأوثان بمغنية عنكم اليوم شيئاً، ولا هي بدافعة عن نفسها شيئاً، فإنكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون، وباب افتعل ههنا مطاوع فعل، قال في «كشف الأسرار»: النصر المعونة على دفع الشر والسوء عن غيره، والانتصار أن يدفع عن نفسه، وإنما قال^(٢): ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾ بعد قوله: ﴿هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ؟﴾؛ لأن رتبة النصر بعد رتبة الانتصار؛ لأن من نصر غيره فلا شك في الانتصار، وقد ينتصر من لا يقدر على نصر غيره.

ثم هذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب، ولذلك قيل: ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا﴾؛ أي: فألقي المعبودون في الجحيم مرة بعد أخرى منكوسين على رؤوسهم إلى أن يستقروا في قعرها ﴿هُمُ﴾؛ أي: المعبودون، تأكيد لمرفوع ﴿كَبِّكُوا﴾: ليعطف عليه قوله: ﴿وَالْقَاوُونَ﴾؛ أي: العابدون الذين ضلوا وغوا بعبادتهم ﴿وَيَحْنُودُ إِبْلِيسَ﴾؛ أي: شياطينه وأعوانه؛ أي: ذريته الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون إليهم، ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي، ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبهم. وقيل: المراد بجنود إبليس كل من يدعو إلى عبادة الأصنام، وقوله: ﴿أَجْمَعُونَ﴾ تأكيد لضمير ﴿هُمُ﴾ وما عطف عليه. والمعنى؛ أي^(٣): فألقي الآلهة والغاوين الذين عبدوها في النار، والشياطين والداعون إلى عبادتها على رؤوسهم، أو ألقى بعضهم على بعض، وتأخير الغاوين في الكبكية عن آلهتهم ليشاهدوا سوء حالهم، فينقطع رجاؤهم منهم قبل دخول الجحيم، ثم ذكر ما يحدث من المخاصمة والمحاجة بين الآلهة والغاوين عبدتها، والشياطين الذين دعوهم إلى تلك العبادة بقوله: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ.

(١) المراغي.

(٣) المراغي.

(٢) روح البيان.

وجملة قوله: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: العابدون حين فعل بهم ما فعل معترفين بخطاياهم ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوداتهم على أن الله تعالى يجعل الأصنام صالحة للاختصام بأن يعطيها القدرة على النطق والفهم. قال أبو الليث: ومعناه: قالوا وهم يختصمون فيها على معنى التقديم جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل، ومقول القول ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٧) ﴿إِنْ﴾: مخففة من الثقيلة، و﴿اللام﴾: هي الفارقة بينها وبين النافية؛ أي: نقسم ونحلف بالله سبحانه إن الشأن كنا في ضلال وخطأ واضح لا خفاء فيه ﴿إِذْ سَوَّيْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨): ظرف لكونهم في ضلال مبين، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية؛ أي^(١): تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا إياكم أيها الأصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾؛ أي: وما دعانا إلى الضلال عن الهدى ﴿إِلَّا الْمَجْرُثُونَ﴾؛ أي: إلا الرؤساء والكبراء البالغون غاية الإجرام والإشراك.

والمعنى: أي^(٢) قال الغاؤون وهم يخاصمون من معهم من الأصنام والشياطين تالله إننا كنا في ضلال واضح، لا لبس فيه حين سويناكم يا هذه الأصنام برب العالمين في استحقاق العبادة، وعظمتاكم تعظيم المعبود الحق، وما أضلنا إلا المجرمون من الرؤساء والكبراء، كما جاء في آية ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾.

وخلاصة ذلك: أنهم حين رأوا صور تلك الآلهة اعترفوا بالخطأ العظيم الذي كان منهم، وندموا على طاعتهم لأولئك الرؤساء والسادة الذين حملوهم على عبادتها وتعظيم شأنها، ثم أكدوا ندمهم على ما فرط منهم، وحسرتهم على ما صنعوا، فقالوا:

(٢) المراغي.

(١) روح البيان.

﴿فَمَا لَنَا﴾ اليوم ﴿مِنْ شَفِيعِينَ﴾ يشفعون لنا من العذاب، كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء عليهم السلام ﴿وَلَا﴾ من ﴿صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾؛ أي: ذي قرابة؛ أي: صديق قريب موافق في الدين، كما نرى أن للمؤمنين أصدقاء؛ لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون، وأما أهل النار فيبينهم التباغض والتعادي. والصديق من صدقك في مودته، والحميم القريب المشفق، مأخوذ من حامة الرجل؛ أي: أقربائه، وأفرد الصديق؛ لأنه يطلق على الواحد والإثنين والجماعة والمذكر والمؤنث.

وإنما جمع^(١) الشافع لكثرة الشفعاء عادة، ألا ترى أن السلطان إذا غضب على أحد ربما شفع فيه جماعة، كما أن أفراد الصديق لقلته. ولو قيل بعدمه لم يبعد، والمعنى؛ أي: فليس لنا اليوم شفيع يشفع لنا مما نحن فيه من ضيق، أو ينقذنا من هلكة، ولا صديق شفيق يعنيه أمرنا، ويودنا ونوده، ونحو الآية ما جاء في آية أخرى حكاية عنهم: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلُ﴾، وقد أرادوا بهذا الإخبار إظهار اللهفة والحسرة على فقد الشفيع والصديق النافع، وقد نفوا أولاً أن يكون لهم من ينفعهم في تخليصهم من العذاب بشفاعة، ثم ترقوا ونفوا أن يكون لهم من يههم أمرهم ويشفق عليهم، ويتوجع لهم، وإن لم يخلصهم.

والخلاصة: أن الأمر قد بلغ من الهول ما لا يستطيع أحد أن ينفع فيه أدنى نفع، وقد مر لك آنفاً أنما جمع الشافع وأفرد الصديق لكثرة الشفعاء عادة وقلة الصديق، ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه:

مَا فِي زَمَانِكَ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ وَلَا صَدِيقٌ إِذَا جَارَ الزَّمَانُ وَقَى
فَعِشْ فَرِيداً وَلَا تَرْكُنْ إِلَى أَحَدٍ هَا قَدْ نَصَحْتُكَ فِيمَا قُلْتُهُ وَكَفَى
ثم حكى عنهم تمنيتهم الرجوع إلى الدنيا ليعملوا بطاعة ربهم فيما يزعمون، والله يعلم أنهم لو ردوا لعادوا إلى ما نهوا عنه وإنهم لكاذبون، فقال: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا

(١) روح البيان.

كُرَّةٌ؛ أي: رجعة إلى الدنيا ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصب بأن المضمرة بعد الفاء السببية الواقعة في جواب التمني، فلو هنا للتمني، وأقيم فيه ﴿لَوْ﴾ مقام ليت؛ لتلاقيها في معنى التقدير: أي: تقدير المعدوم وفرضه؛ أي: فليت لنا رجعة إلى الدنيا فنعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل حتى إذا متنا وبعثنا مرة أخرى لا ينالنا من العذاب مثل ما نحن فيه.

وهذا كلام التأسف والتحسر، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، فإن من يضل الله فما له من هاد، ولو رجع إلى الدنيا مراراً، ألا ترى إلى الأمم في الدنيا، فإن الله تعالى أخذهم بالبأساء والضراء كراراً، ثم كشفه عنهم فلم يزدوا إلا إصراراً، جعلنا الله وإياكم من المستمعين المعترين، لا من المعرضين الغافلين ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾؛ أي: فيما ذكر من قصة إبراهيم مع قومه ﴿لَايَةً﴾؛ أي: لعبرة لمن يعبد غير الله تعالى، ليعلم أنه يتبرأ منه في الآخرة، ولا ينفعه أحد، ولا سيما لأهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة إبراهيم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾؛ أي: أكثر قوم إبراهيم مؤمنين كحال أكثر قريش، وقد روي أنه ما آمن لإبراهيم من أهل بابل إلا لوط وابنه نمرود، أو أكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم رسول الله ﷺ نبأ إبراهيم؛ وهم قريش ومن دان بدينهم، وهذا أصح؛ لأن قوم إبراهيم كلهم غير مؤمنين، كذا قاله الشوكاني.

والمعنى: أي إن في محاجة إبراهيم لقومه وإقامة الحجة عليهم في التوحيد آية واضحة جلية على أنه تعالى لا رب غيره، ولا معبود سواه، ومع كل هذا ما آمن به أكثرهم، وفي هذا تسلية للرسول ﷺ على ما يجده من تكذيب قومه له مع ظهور الآيات وعظيم المعجزات.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ المحسن إليهم بإرسالك لهدايتهم ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾؛ أي: لهو القادر على الانتقام منهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم؛ إذ لم يهلكهم، بل أخر ذلك، وأرسل إليهم الرسل، ونصب لهم الشرائع ليؤمنوا بها هم أو ذريتهم.

قصص نوح عليه السلام

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٥٠) تكذيباً مستمراً من حين الدعوة إلى انتهائها، وأنث^(١) الفعل لكونه مسنداً إلى ﴿قَوْمٍ﴾، وهو في معنى الجماعة، أو الأمة، أو القبيلة، والقوم الجماعة من الرجال والنساء، وأوقع التكذيب على المرسلين؛ وهم لم يكذبوا إلا الرسول المرسل إليهم؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل؛ لأن كل رسول يأمر بتصديق غيره من الرسل، أو لاجتماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع، وقيل: كذبوا نوحاً وحده في الرسالة، وكذبوه فيما أخبرهم من مجيء المرسلين بعده ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾: ظرف للتكذيب على أنه عبارة^(٢) عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين إلى تمام الأمر ﴿أَخُوهُمْ﴾ في النسب، لا في الدين؛ لثلا يجهل أمره في الصدق والديانة، ولتعرف لغته، فيؤدي ذلك إلى القبول ﴿نُوحٌ﴾: عطف بيان لـ ﴿أَخُوهُمْ﴾ الله بترك عبادة الأصنام، وإجابة دعوة رسوله الذي أرسله إليكم.

والمعنى: أي كذبت قوم نوح رسل الله حين قال لهم أخوهم نوح: ألا تتقون فتحذروا عقابه على كفركم به وتكذيبكم رسله، وقد حكى سبحانه عن نوح عليه السلام أنه خوفهم أولاً بقوله: ألا تتقون لأن القوم إنما قبلوا تلك الأديان تقليداً والمقلد إذا خوف خاف، وما لم يستشعر بالخوف لا يشتغل بالاستدلال والنظر، وقد وصف نوح نفسه بأمرين:

١. ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من جهته تعالى ﴿أَمِينٌ﴾؛ أي: مشهور بالأمانة فيما بينكم، ومن كان أميناً على أمور الدنيا كان أميناً على الوحي والرسالة، أو أمين فيما بعثني به أبلغكم رسالاته، لا أزيد فيها، ولا أنقص منها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: خافوا عقاب الله في مخالفتي ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى، فإني لا أخونكم ولا أريدكم بسوء، والفاء لترتيب ما بعدها على الأمانة.

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

وقدم^(١) الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته؛ لأن التقوى هي ملاك الأمر كله في هذه الحياة، وكرر الأمر بها؛ لأنها العمدة في جميع الأعمال، فيجب على العالم ملاحظتها إذا أراد الإحسان وتجويد العمل.

٢. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على تبليغ الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: جعل أصلاً، وذلك لأن الرسل إذا لم يسألوا أجراً كان أقرب إلى التصديق، وأبعد عن التهمة ﴿إِنْ أَجَرْتُمْ﴾؛ أي: ما ثوابي فيما أتولاه ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ لأن من عمل لله فلا يطلب الأجر من غير الله.

وبه يشير إلى أن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء يتأدبون بآداب أنبيائهم، فلا يطلبون من الناس شيئاً في بث علومهم ونشرها، ولا يرتفقون منهم بتعليمهم، ولا بالتذكير لهم، فإن من ارتفق من المسلمين المستمعين في بث ما يذكره من الدين ويعظ به لهم فلا يبارك الله للناس فيما يسمعون، ولا للعلماء أيضاً بركة فيما يأخذون منهم، يبيعون دينهم بعرض يسير، ثم لا بركة لهم فيه، كذا قالوا.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فقد وضع الأمر لكم وبان نصحي وأمانتي فيما بعثني الله به واثمنني عليه. والفاء^(٢) لترتيب ما بعدها على تنزهه عن الطمع، والتكرير للتأكيد والتنبية على أن كلاً من الأمانة وقطع الطمع مستقل في إيجاب التقوى والطاعة، فكيف إذا اجتمعا.

ونظير هذا ما يقول الوالد لولده: ألا تتقي الله في عقوقي، وقد رببتك صغيراً، ألا تتقي الله في عقوقي وقد علمتك كبيراً. وقدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته؛ لأن تقوى الله علة لطاعته.

تنبيه: قوله^(٣): ﴿أَلَا نُنْفِئُ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ذكر في خمسة مواضع: في قصة نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وإنما كررت هذه الآية الكريمة في تلك المواضع للتنبيه على أن

(١) فتح الرحمن.

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

دعوة الرسل الكرام واحدة، وهدفهم واحد، وطريقتهم واحدة، فهم لا يطلبون من أحد أجراً، ولا مالا، ولا شيئاً من حطام الدنيا على تبليغهم الرسالة، إنما يطلبون الأجر من الله وحده.

وقوله تعالى: ﴿فَاقْبَلُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ﴾ ذكر مكرراً للتأكيد في ثلاثة مواضع: في قصة نوح، وهود، وشعيب، فإن قلت: لِمَ خصت الثلاثة بالتأكيد؟

قلت: اكتفاء عنه في قصة لوط بقوله: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾، وفي قصة شعيب بقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١) لاستلزامهما له.

وبعد أن أقام الدليل على صدق رسالته وعظيم نصحه وأمانته لهم.. أرادوا أن يتصلوا من اتباع دعوته بحجة هي أوهى من بيت العنكبوت، كما ذكره بقوله: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال قوم نوح ﴿أَنْزِلْ لَكَ﴾ الاستفهام للإنكار؛ أي: لا نؤمن لك ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾؛ أي: والحال أنه قد اتبعك الأخسون؛ أي: الأقلون مالا وجاهاً، والمراد^(١) بهم هنا فقراء الناس وضعفاؤهم، وإنما بادروا للاتباع قبل الأغنياء؛ لاستيلاء الرئاسة على الأغنياء وصعوبة الانفكاك منها، والأنفة عن الانقياد للغير، والفقير خلي من تلك الموانع، فهو سريع الإجابة والانقياد، وهذا غالب أحوال أهل الدنيا اهـ. «قرطبي» من سورة هود.

وهذا^(٢) من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على الدنيا، وكون الأشرف عندهم من هو أكثر منها حظاً، والأرذل من حرماً، وجهلهم أنها لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن النعيم هو نعيم الآخرة، والأشرف من فاز به، والأرذل من حرمه، وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله ﷺ، وما زالت أتباع الأنبياء ضعفاء الناس، وقس أتباع العلماء على أتباعهم من حيث وراثتهم لدعوتهم وعلومهم وأذواقهم، ومحنهم وابتلائهم، وذلك لأن العلوم من أرباب المال والجاه والثروة لم تأت إلا نادراً.

(١) قرطبي.

(٢) روح البيان.

والمعنى: أي^(١) قالوا: كيف نتبعك ونصدقك ونؤمن بك، ونأتسى بهؤلاء الأراذل الذين اتبعوك، ومرادهم أن هذا لن يكون أبداً، وهذه شبهة لا ينبغي لعاقل أن يركن إليها؛ لأن نوحاً عليه السلام بعث إلى الخلق كافة، لا فارق بين غني وفقير وصعلوك وأمير، ولا بين ذوي البيوتات والحسب، وذوي الوضاعة والخسة في النسب، فليس له إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش والبحث عن البواطن، ومن ثم أجابهم بقوله: ﴿وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقرأ الجمهور^(٢): ﴿وَاتَّبَعَكَ﴾ فعلاً ماضياً، وقرأ عبد الله وابن عباس والأعمش وأبو حيوة والضحاك وابن السميعة وسعيد بن أبي سعيد الأنصاري وطلحة ويعقوب ﴿وَاتَّبَاعُكَ﴾: - بالرفع - جمع تابع كصاحب وأصحاب. وقيل: جمع تبيع كشريف وأشراف، وعن اليماني: ﴿وَاتَّبَاعُكَ﴾ - بالجر - عطفاً على الضمير في ﴿لَكَ﴾، وهو قليل وقاسه الكوفيون.

﴿قَالَ﴾ نوح جواباً عما يشير إليه قولهم من أنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة ﴿وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أنهم عملوه إخلاصاً أو نفاقاً، وما وظيفتي إلا اعتبار الظواهر، وبناء الأحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم، والشق عن قلوبهم، والظاهر أن ﴿مَا﴾ استفهامية للإنكار في محل الرفع على الابتداء، و﴿عَلَيَّ﴾ خبرها؛ أي: وأي شيء^(٣) يعلمني ما كان يعمل أتباعي؟ إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنه، فمن أظهر الحسن ظننت به حسناً، ومن أظهر السوء ظننت به ذلك، ولم أكلف العلم بأعمالهم، وإنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان والاعتبار به، لا بالحرف والصناعات، والفقر والغنى، وهم كأنهم يقولون: إن إيمان هؤلاء لم يكن عن نظر صحيح، بل لتوقع مال ورفعة.

ثم أبان أن أمر جزائهم وحسابهم على ربهم، لا عليه، فلا يعنيه استقصاء أحوالهم، فقال: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾؛ أي: ما محاسبتهم على ما تحويه سرائرهم ﴿إِلَّا

(١) المراغي.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

عَلَى رَفِيٍّ الْمَطْلَعُ عَلَيْهَا ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾؛ أي: لو كنتم من أهل الشعور والإدراك لعلمتم ذلك، ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون حيث غيرتموهم بصنائعهم^(١)، قرأ الجمهور: ﴿تَشْعُرُونَ﴾ - بالفوقية -، وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميعة والأعرج وأبو زرعة بالتحية كأنه ترك الخطاب، والتفت إلى الإخبار عنهم.

ولما جعلوا من موانع إيمانهم اتباع هؤلاء الأراذل كانوا كأنهم طلبوا طردهم، فقال: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ومبعدهم عن مجلسي؛ أي: وما أنا بطارد من آمن بالله واتبعني وصدق ما جئت به من عند الله تعالى، قال ابن عطاء: وما أنا بمعرض عمن أقبل على ربه، ثم بين وظيفة الرسول، فقال: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي^(٢): ما أنا إلا رسول مبعوث لإنذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي، سواء كانوا من الأعداء أو الأذلاء، فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء، والمعنى أي: إنما بعثت منذراً ومخوفاً بأس الله وشديد عذابه، فمن أطاعني كان مني وأنا منه، شريفاً كان أو وضيعاً، جليلاً كان أو حقيراً.

ولما أجابهم بهذا الجواب وأيسوا مما راموا.. لجؤوا إلى التهديد، كما بينه بقوله: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال قوم نوح له: ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ يَنْتُحْ﴾ عما تدعو إليه من التوحيد، وعما تقول من الطعن في آلهتنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾؛ أي: من المقتولين بالحجارة أقيح قتلة، قالوا ذلك - قاتلهم الله - في أواخر الأمر؛ أي: لنرجمنك بالحجارة ولنقتلك بها إن لم تترك عيب ديننا وسب آلهتنا.

ولما طال مقامه بين ظهرائهم يدعوهم إلى الله ليلاً ونهاراً، سراً وإعلاناً، وكلما كرر عليهم الدعوة صموا آذانهم وصمموا على تكذيبه، وتمادوا في عتوهم واستكبارهم.. استغاث بربه وطلب منه أن يحكم بينه وبينهم، وأن يهلكهم كما أهلك المكذبين من قبلهم لرسولهم، وينجيهم والمؤمنين به، كما بينه بقوله: ﴿قَالَ﴾ نوح: يا ﴿رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾؛ أي: أصروا على التكذيب بعدما دعوتهم هذه

(٢) روح البیان.

(١) الشوكاني.

الأزمة المتطاولة، ولم يزد هم دعائي إلا فراراً ﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾؛ أي: احكم بيني وبينهم حكماً عدلاً؛ أي: احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا من الفتاحة؛ وهي الحكومة؛ أي: إن قومي كذبوني فيما أتيتهم به من الحق من عندك فاحكم بيني وبينهم حكماً تهلك به المبطل، وتنقم منه، وتنصر به الحق وأهله، وجاء في آية أخرى ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ (١٧) قال ابن الشيخ: أراد به الحكم بإزالة العقوبة عليهم؛ لقوله عقبه: ﴿وَنَجِّنِي﴾؛ أي: خلصني ﴿وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: من العذاب، ومن إذابة الكفار، وكان المؤمنون ثمانين من الرجال، وأربعين من النساء.

فلما دعا ربه بهذا الدعاء استجاب له، فقال: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾؛ أي: فأنجينا نوحاً ﴿وَمَنْ مَعَهُ﴾ من المؤمنين حسب دعائه ﴿فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾؛ أي: المملوء بهم، وبكل صنف من الحيوان، وبما لا بد لهم منه من الأمتعة والمأكولات ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾؛ أي: بعد إنجائهم، أو بعد ركوب نوح والمؤمنين على السفينة ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه من لم يركب السفينة بالطوفان، وفيه تنبيه على أن نوحاً كان مبعوثاً إلى من على وجه الأرض، ولذا قال في قصة الباقين، وفي قصة موسى ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (١٨).

والمعنى: أي فأنجينا نوحاً ومن اتبعه على الإيمان بالله وطاعة رسوله، وأغرقنا من كفر به وخالف أمره، وفي قوله ﴿الْمَشْحُونِ﴾ إيماء إلى كثرتهم، وأن الفلك امتلأ بهم وبما صحبهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإنجاء والإهلاك، أو إن في ذلك الذي فعل بقوم نوح لاستكبارهم عن قبول الحق واستخفافهم بفقراء المسلمين ﴿لَايَةً﴾؛ أي: لعبرة لمن بعدهم.

والمعنى: أي إن في إنجاء المؤمنين وإنزال سطوتنا وبأسنا بالكافرين لعبرة وعظة لقومك يا محمد المصدقين منهم والمكذبين على أن سنتنا إنجاء رسلنا وأتباعهم إذا نزلت نقمتنا بالمكذبين من قومهم، وكذلك هي سنتي فيك وفي قومك ﴿وَمَا كَانَ﴾: ﴿كَانَ﴾: زائدة عند سيويه كما تقدم ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾؛ أي: أكثر قوم نوح ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ فلم يؤمن من قومه إلا ثمانون من الرجال وأربعون من النساء؛

أي: ومع كل ما حذر به نوح وأنذر لم يؤمن به إلا القليل، وفي هذا إيماء إلى أنه لو كان أكثرهم مؤمنين.. لما عوجلوا بالعقاب، أو المعنى: وما كان أكثر قومك يا محمد وهم قريش مؤمنين، فاصبر على أذاهم كما صبر نوح على أذى قومه.. تظفر كما ظفر ﴿وَلِإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾؛ أي: الغالب على ما أراد من عقوبة الكفار ﴿الرَّحِيمُ﴾ لمن تاب، أو بتأخير العذاب، والمعنى؛ أي^(١): وإن ربك يا محمد لهو العزيز في انتقامه ممن كفر به وخالف أمره، الرحيم بالتائب منهم أن يعاقبه بعد توبته.

وفي «التأويلات النجمية»: كرر في كل قصة قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ دلالة على أن الله وعظمته اقتضت أن يكون أكرم الخلق مؤمناً به، مقبولاً له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ﴾ ولا ريب أن أكثر الخلق لئام، والكرام قليلون، كما قال الشاعر:

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عِدَاؤُنَا فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلُ

قصص هود عليه السلام

﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: كذبت قوم هود هوداً وسائر الرسل الذين ذكرهم هود. فعاد اسم قبيلة هود، سميت باسم أبيها الأعلى، وكان من نسل سام بن نوح عليه السلام. وأنت الفعل باعتبار إسناده إلى القبيلة. ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في النسب، لا في الدين. ظرف للتكذيب ﴿هُودٌ﴾ بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح، قال بعضهم^(٢): كان اسم هود عابراً، وسمي هوداً لوقاره وسكوته، عاش مئة وخمسين سنة، أرسل إلى أولاد عاد حين بلغ الأربعين. وفي «المراح»: وكان هود تاجراً جميل الصوت يشبه آدم، وعاش من العمر أربع مئة وأربعاً وستين سنة. انتهى. ﴿أَلَا نُنْفِئُ﴾ الله سبحانه وتعالى، فتفعلون ما تفعلون ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من جهته تعالى ﴿أَمِينٌ﴾؛ أي: مشهور بالأمانة بينكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تعالى وخافوا عقابه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أي فيما أمركم به من الحق ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي:

(٢) روح البيان.

(١) المراغي.

على تبليغ الرسالة وأدائها ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ وجعل ﴿إِنْ أَجْرِي﴾؛ أي: ما أجري وثوابي على تبليغ الرسالة إليكم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ لأنه هو الذي أرسلني، فكان أجري عليه، وهو بيان لتزهره عن المطاع الدنية والأغراض الدنيوية.

وقد^(١) جاءت هذه المقالات من قوله: ﴿أَلَا نُنْفِئُ﴾ إلى هنا على لسان نوح وهود وصالح ولوط وشعيب؛ للتنبيه على أن بعثة الأنبياء أسسها الدعاء إلى معرفة الله سبحانه وطاعته فيما يقرب المدعو إلى الثواب ويبعده من العقاب، وأن الأنبياء مجتمعون على ذلك، وإن اختلفوا في تفصيل الأحكام تبعاً لاختلاف الأزمنة والعصور، وأن الأنبياء منزّهون عن المطامع الدنيوية، لا يأبهون بها، ولا يجعلونها قبلّة أنظارهم ومحط رحالهم.

ولما فرغ من دعائهم إلى الإيمان.. أتبعه بإنكار بعض ما هم عليه، فقال: ﴿أَتَبْنُونَ﴾ الهمة: للاستفهام الإنكاري ﴿يَكُلُّ رِيعَ﴾ - بكسر الراء وفتحها - جمع ربيعة، كذلك؛ أي في كل مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾؛ أي: بناء عالياً متميزاً عن سائر الأبنية تفاخراً حال كونكم ﴿تَبْنُونَ﴾ تلعبون^(٢) بينائه، فإن بناء ما لا ضرورة فيه، وما كان فوق الحاجة، عبث. وقيل: المعنى؛ أي^(٣): تبنون بكل مكان مرتفع علامة تعبثون فيها بمن يمر بكم وتسخرون منهم؛ لأنكم تشرفون من ذلك البناء المرتفع على الطريق، فتؤذون المارة وتسخرون منهم. قال الكلبي: إنه عبث العشارين بأموال من يمر بهم، حكاه الماوردي. وقيل: إنهم كانوا يبنون في الأماكن المرتفعة؛ ليعرف بذلك غناهم تفاخراً.

﴿وَتَتَخَدُّونَ﴾؛ أي: وتجعلون لأنفسكم ﴿مَصَانِعَ﴾ وحياً عظيمة ومخازن للماء تحت الأرض تجمعون فيها ماء المطر ونحوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾؛ أي: راجين أن تخلدوا في الدنيا؛ أي: عاملين عمل من يرجو ذلك، فلذلك تحكمون بناءها. وقيل: ﴿لعل﴾ هنا للتشبيه؛ أي: كأنكم تخلدون. وقيل: للاستفهام التوبيخي؛

(٣) المراح.

(١) المراح.

(٢) روح البيان.

أي: هل أنتم تخلدون في الدنيا. قال أبو حيان: الظاهر^(١) أن ﴿لعل﴾ على بابها من الرجاء وكأنه تعليل للبناء والاتخاذ؛ أي: الحامل لكم على ذلك هو الرجاء للخلود، ولا خلود. وفي قراءة عبد الله ﴿كي تخلدون﴾، وفي حرف أبي: ﴿كأنكم تخلدون﴾، وقرئ ﴿كأنكم خالدون﴾. وقرأ الجمهور ﴿تخلدون﴾ مبنياً للفاعل، وقتادة مبنياً للمفعول، وقرأ أبي وعلقمة وأبو العالية مبنياً للمفعول مشدداً ومخففاً مع ضم التاء.

﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ﴾؛ أي: إذا أخذتم بالعقوبة على أحد بأن ضربتم أحداً بسوط، أو قتلتم بالسيف ﴿بَطِشْتُمْ﴾؛ أي: فعلتم ذلك حالة كونكم ﴿جَبَّارِينَ﴾؛ أي: متسلطين ظالمين بلا رأفة ولا قصد تأديب، ولا نظر في العاقبة، فأما بالحق والعدل فالبطش جائز، والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب، وهو مذموم في وصف البشر.

والحاصل^(٢): أنهم أحبوا العُلُوَّ وبقاء العُلُوِّ، والتفرد بالعلو، وكل ذلك ينه على أن من حب الدينار رأس كل خطيئة، وعنوان كل معصية.

والخلاصة: إذا ضربتم.. ضربتم بالسياط ضرب الجبارين، وإذا عاقبتم قتلتم بلا استحقاق؛ أي: إنكم قوم قساة غلاظ الأكباد ذووا جبروت وعتو، فإذا عاقبتم عاقبتم دون شفقة ولا رأفة، وخلاصة ما قال: إن أفعالكم تدل على حب الدنيا، وعلى الكبرياء والتسلط على الناس بجبروت وعسف.

ثم لما وصفهم بهذه الأوصاف القبيحة الدالة على الظلم والعتو والتمر والتجبر.. أمرهم بالتقوى، فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ سبحانه وتعالى؛ أي: خافوا عقاب الله سبحانه، واتركوا هذه الأفعال الذميمة من بناء الأبنية العالية، واتخاذ الأمكنة الشريفة، وإسراف المال في الحياض والرياض، والبطش بغير حق ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أي فيما أَدْعُوكم إليه من التوحيد والعدل والإنصاف، وترك الأمل ونحوها، فإنه أنفع لكم وأجدي.

(٢) المراح.

(١) البحر المحيط.

ثم وصل العظة بما يوجب قبولها بالتنبيه إلى نعم الله التي غمרתهم وفواضله التي عمتهم، وذكرها أولاً مجملة ثم فصلها؛ ليكون ذلك في نفوسهم، فيحتفظوا بها، ويعرفوا عظيم قدرها، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَدْعُونَ أَمْدَكُمُ﴾؛ أي: وخافوا عقاب الله الذي أعطاكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ مما لا خفاء فيه عليكم من أنواع النعم الحاصلة لكم، أجملها هود عليه السلام أولاً، ثم فصلها بقوله: ﴿أَمْدَكُمُ﴾ وأنعمكم ﴿بِأَنْعَمِهِ﴾ من الإبل والبقر والغنم. وأعاد الفعل للتقرير والتأكيد ﴿وَبَيْنَ﴾ ذكور، ولم يذكر البنات؛ لأنها لا تعد عندهم من النعم، كما في قوله: ما هي بنعم الولد ﴿وَحَنَنْتِ وَعُيُونِ﴾^(١)؛ أي: بساتين وأنهار وأبيار، والمعنى؛ أي^(٢): واتقوا عقاب الله بطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه، فابتعدوا عن اللعب واللهو وظلم الناس والفساد في الأرض، واحذروا سخط من أعطاكم من عنده ما تعلمون من الأنعام والبنين والبساتين والأنهار، تتمتعون بها كما شئتم حتى صرتم مضرب الأمثال في الغنى والثروة والزخرف والزينة، فاجعلوا كفاء هذا عبادة من أنعم بها، وتعظيمه وحده.

ثم بين السبب في أمرهم بالتقوى، فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تقوموا بشكر هذه النعم ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي^(٣): شديد عذابه في الدنيا والآخرة، فإن كفران النعمة مستتبع للعذاب، كما أن شكرها مستلزم لزيادتها. ووصف اليوم بالعظم؛ لعظم ما يحل فيه، وهو هبوب الريح الصرصر ههنا.

والمعنى: أي إني أخاف عليكم إن أصررت على كفركم، ولم تشكروا هذه النعم عذاب يوم شديد الهول، تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وترى الناس فيه سكارى حيارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد.

وبعد أن بلغ الغاية في إنذارهم وتخويفهم وترغيبهم وترهيبهم.. كانت خاتمة مطافه أن قابله بالاستخفاف وقلة الاكتراث والاستهانة بما سمعوا، كما أشار إلى ذلك بقوله: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال قومه في جواب تذكير هود ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا

(٢) روح البيان،

(١) المراغي.

أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ؟؛ أي: وعظتك وتذكيرك وتخويفك إيانا من العذاب وعدم وعظك سواء عندنا؛ أي: مستوٍ عندنا، لا نبالي بشيء منه، ولا نلتفت إلى ما تقوله ولا نسمعه.

والمعنى^(١): أي هون عليك، وأرح نفسك، فكل هذا تعب ضائع، وجهاد في غير عدو، وضرب في حديد بارد، فإنا لن نرجع عما نحن عليه، وقد حكى الله سبحانه قولهم في سورة هود: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وعادل^(٢) ﴿أَوْعَظْتَ﴾ بقوله: ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ وإن كان قد يعادله: أم لم تعظ، كما قال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾؛ لأجل الفاصلة، كما عادلته في قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدَعَوْتُوهُمْ أَمْ أَنْتَ صَلِثُوهُمْ﴾، ولم يأت التركيب: ﴿أم صمتم﴾، وكثيراً ما يحسن مع الفواصل ما لا يحسن دونه. وقال الزمخشري: بينهما فرق؛ يعني بين ما جاء في الآية وبين: أم لم تعظ؛ لأن المراد: سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهله ومباشره، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ.

وقرأ الجمهور: ﴿وعظت﴾ بإظهار الظاء، وروي عن أبي عمرو والكسائي وعاصم إدغام الظاء في التاء، وبالإدغام قرأ ابن محيصن والأعمش، إلا أن الأعمش زاد ضمير المفعول، فقرأ: ﴿أوعظتنا﴾.

ثم ذكروا السبب في أن الوعظ وعدمه سواء بقولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٢٧﴾ قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحزمة^(٣): ﴿خُلُقُ﴾ بضمين، والمعنى عليه: أي ما هذا الذي جئنا به من الكذب إلا عادة الأولين، كانوا يسطرونه، أو ما هذا الدين الذي نحن عليه إلا دين الأولين من الآباء والأجداد، فنحن سالكون سبيلهم، مقتدون بهم، أو ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة، والبلاء

(٣) المراح.

(١) المراغي.

(٢) البحر المحيط.

والعافية، ومن اعتقاد أن لا بعث ولا حساب ولا جزاء إلا عادة قديمة، لم يزل الناس عليها من قديم الدهر.

وقرأ عبد الله وعلقمة والحسن وأبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير والكسائي^(١): ﴿خُلِقَ﴾ بفتح الخاء وسكون اللام، والمعنى: أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا خلق الأولين؛ أي: اختلاقهم وكذبهم، فأنت على مناهجهم، أو ما خلقنا هذا إلا خلق الأمم الماضية، نحيا كحياتهم، ونموت كمماتهم، ولا بعث ولا معاد، ولا ثواب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار. وقرأ أبو قلابة والأصعمي عن نافع بضم الخاء وسكون اللام، وتحتمل هذه القراءة ذينك الاحتمالين اللذين في ﴿خُلِقَ﴾ بضميتين.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ على ما نحن عليه من الأعمال والعادات ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أي: كذبوا هوداً، وأصروا على تكذيبه ومخالفة أمره ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾؛ أي: عاداً بسبب تكذيبهم بريح صرصر عاتية؛ ريح عظيمة ذات برد شديد، كما جاء في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ﴿إِذْ مَا ذَاتَ الْعِمَادِ﴾ ﴿يَٰٓأَنَّهُٓ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ تلخيصه: أن هوداً أنذر قومه وعظهم، فلم يتعظوا فأهلكوا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: إن في إهلاكنا عاداً بتكذيبها رسولها ﴿لَآيَةً﴾؛ أي: لعبرة وعظة لقومك - يا محمد - المكذبين بك فيما أتيتهم به من عند ربك ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾؛ أي: أكثر قوم عاد ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ بالله وبرسولهم هود عليه السلام. أو: وما كان أكثر من أهلكنا بالذين يؤمنون في سابق علمنا. أو: وما كان أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم من قوم محمد ﷺ مؤمنين ﴿وَلَٰئِكَ رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿أَلَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب المنتقم الشديد في انتقامه ممن يعمل عمل الجبارين، ولا يقبل موعظة واعظ ونصيحة ناصح. ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه المؤمنين إن تابوا وأصلحوا.

وهذا تهديد لهذه الأمة كيلا يسلكوا مسالكهم^(٢). قيل: خير ما أعطي الإنسان عقل يردعه، فإن لم يكن فحياء يمنعه، فإن لم يكن فخوف يقمعه، فإن

(٢) روح البيان.

(١) البحر المحيط.

لم يكن فمال يستره، فإن لم يكن فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد، كالأرض إذا استولى عليها الشوك فلا بد من نسفها وإحراقها بتسليط النار عليها، حتى تعود بيضاء، فعلى العاقل أن يعتبر ويخاف من عقوبة الله سبحانه، ويترك العادات والشهوات والملاهي والتلفازات، ولا يصبر على المخالفات والمنهيات، وقد أهلك الله سبحانه قوم عاد مع شدة قوتهم وشوكتهم بأضعف الأشياء وهو الريح، فإنه إذا أراد يجعل الأضعف أقوى كالبعوضة، ففي الريح ضعف للأولياء، وقوة على الأعداء، ولأن للكامل معرفة تامة بشؤون الله تعالى، لم يزالوا مراقبين خائفين، كما أن الجهلاء ما زالوا غافلين آمنين، ولذا قامت عليهم الطامة في كل زمان - قَوَانَا الله وإياكم بحقائق اليقين، وجعلنا وإياكم من أهل المراقبة في كل حين -.

الإعراب

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْإِحْقَاقَ بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٢) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَأَغْفِرْ لِأَيِّئِ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩).

﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل نصب مقول قال إبراهيم. ﴿هَبْ﴾: فعل دعاء، وفاعل مستتر يعود على الله. ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلق به. ﴿حُكْمًا﴾: مفعول به، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾، على كونها جواب النداء. ﴿وَالْإِحْقَاقَ﴾: فعل دعاء وفاعل مستتر، ونون وقاية ومفعول به ﴿بِالصَّالِحِينَ﴾: متعلق به، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿هَبْ لِي﴾. ﴿وَاجْعَلْ﴾: فعل دعاء، وفاعل مستتر معطوف على ﴿هَبْ لِي﴾. ﴿لِي﴾: جار ومجرور في محل المفعول الثاني لـ ﴿اجْعَلْ﴾. ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾: مفعول أول لـ ﴿اجْعَلْ﴾، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف. ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾: جار ومجرور صفة لـ ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾. ﴿وَاجْعَلْنِي﴾: فعل وفاعل مستتر ونون وقاية، ومفعول به أول معطوف على ﴿هَبْ لِي﴾. ﴿مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه، صفة لموصوف محذوف وقع مفعولاً ثانياً لجعل؛ أي: واجعلني

وارثاً من ورثة جنة النعيم. ﴿وَأَغْفِرْ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿هَبْ﴾. ﴿لَآئِيَّ﴾: متعلق بـ﴿اغفر﴾. ﴿إِنَّمُ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانَ﴾: فعل ناقص، واسمها مستتر يعود على الأب. ﴿مِنَ الصَّالِينَ﴾: خبرها، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الغفران على كونها مقولاً لـ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَا﴾: دعائية جازمة. ﴿تُخْزِي﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾ الدعائية، وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهي الياء، وفاعله ضمير يعود على الله، و﴿النون﴾: للوقاية، و﴿الياء﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿هَبْ﴾. ﴿يَوْمَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ﴿تُخْزِي﴾. ﴿يَبْعَثُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾. ﴿يَوْمَ﴾: في محل النصب على الظرفية بدل من ﴿يَوْمَ﴾ الأول. ﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ﴾: فعل وفاعل في محل الجر مضاف إليه لـ﴿يَوْمَ﴾. ﴿وَلَا بَنُونَ﴾: معطوف على ﴿مَالٌ﴾ مرفوع بالواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، والمستثنى منه محذوف تقديره: يوم لا ينفع مال ولا بنون أحداً. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل النصب على الاستثناء من المستثنى منه المحذوف المذكور. ﴿أَتَى اللَّهَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿يَقْلِبُ﴾: متعلق بـ﴿أَتَى﴾. ﴿سَلِيمٍ﴾: صفة ﴿قلب﴾، والجملة صلة الموصول.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٩١ ﴿وَوُزِّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ ٩٢ وَقِيلَ لَهُمْ أَنِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ﴾.

﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: متعلق به، والجملة في محل الجر معطوفة على جملة قوله: ﴿لَا يَنْفَعُ﴾. ﴿وَوُزِّتِ الْجَحِيمُ﴾: فعل ونائب فاعل أيضاً معطوف على: ﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ﴾. ﴿لِلْغَاوِينَ﴾: متعلق به. ﴿وَقِيلَ﴾: ﴿الواو﴾: حالية، أو عاطفة. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَنِ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ﴾ إلى قوله: ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا﴾: نائب فاعل محكي لـ﴿قِيلَ﴾، وجملة ﴿قِيلَ﴾ في محل النصب حال من الغاوين، ولكنها بتقدير قد. وإن شئت قلت: ﴿أَنِ﴾ اسم استفهام في محل النصب على الظرفية المكانية متعلق

بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل الرفع نائب فاعل لـ ﴿قِيلَ﴾. ﴿كُنْتُمْ﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿تَعْبُدُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة لـ ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من واو ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ أي: حالة كونكم مجاوزين الله في عبادتكم.

فائدة: واختلفت المصاحف في رسم ﴿مَا﴾ في ﴿أَنْ مَا﴾ موصولة بـ ﴿أَنْ﴾، أو مفصولة عنها، والفصل أظهر هنا، فليست هذه كالتي في قوله: ﴿أَتَيْنَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ فهي زائدة، وترسم موصولة باتفاق، اهـ «كرخي». ﴿هَلْ﴾: حرف للاستفهام التوبيخي. ﴿يَنْصُرُونَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الرفع نائب فاعل لـ ﴿قِيلَ﴾. ﴿أَوْ يَنْصُرُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يَنْصُرُونَكُمْ﴾.

﴿فَكَبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَأْوَنَ﴾ ٩٤ ﴿وَحُوْدُ إِلَيْسَ أَجْمَعُونَ﴾ ٩٥ ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ ٩٦ ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٩٧ ﴿إِذْ سَأَلْتُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ٩٨ ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ ٩٩ ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ ١٠٠ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ١٠١.

﴿فَكَبِكُوا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿كَبِكُوا﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿قِيلَ﴾. ﴿فِيهَا﴾: متعلق به. ﴿هُمْ﴾: تأكيد للضمير المرفوع في ﴿كَبِكُوا﴾، ليصح العطف عليه. ﴿وَالْفَأْوَنَ﴾ معطوف على ﴿الواو﴾ في ﴿كَبِكُوا﴾، وسوغ العطف عليهما الفصل بالجار والمجرور، وبضمير التوكيد. ﴿وَحُوْدُ﴾: معطوف على ﴿الواو﴾ أيضاً. ﴿إِلَيْسَ﴾: مضاف إليه مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة. ﴿أَجْمَعُونَ﴾: تأكيد للواو في ﴿كَبِكُوا﴾ وما عطف عليه. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلق بـ ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾، وجملة ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من واو ﴿قَالُوا﴾. ﴿تَاللَّهِ﴾: جار ومجرور، متعلق بفعل قسم محذوف تقديره: نقسم تالله، وجملة القسم في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿إِنْ﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، تقديره: تالله إنه. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿لَفِي﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿فِي ضَلَالٍ﴾: جار ومجرور خبر كان. ﴿مُبِينٍ﴾: صفة

﴿ضلال﴾، وجملة كان في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ جواب القسم لا محل لها من الإعراب على كونها مقول ﴿قَالُوا﴾ ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ ﴿كُنَّا﴾. ﴿تُسَوِّكُمْ﴾: فعل مضارع ومفعول به وفاعل مستتر. ﴿رَبِّ آلَ الْعَالَمِينَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿تُسَوِّكُمْ﴾، والجملة الفعلية في محل الجبر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الْوَاو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَضَلَّنَا﴾: فعل ومفعول. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: فاعل، والجملة معطوفة على جملة القسم. ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿مَا﴾: نافية، ﴿لَنَا﴾: خبر مقدم. ﴿مِنْ شَفِيعِينَ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿مِنْ﴾ زائدة، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿أَضَلَّنَا﴾. ﴿وَلَا صَدِيقٍ﴾: معطوف على ﴿شَفِيعِينَ﴾. ﴿حَمِيمٍ﴾: صفة ﴿صَدِيقٍ﴾.

﴿قَلَّزَ أَنْ لَنَا كَرَّةً فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٧).

﴿قَلَّزَ﴾: ﴿الفاء﴾: استثنائية، ﴿لو﴾: حرف تمن بمعنى نتمنى نائب عن الفعل. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب. ﴿لَنَا﴾: خبر مقدم لـ ﴿أَنْ﴾ ﴿كَرَّةً﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿أَنْ﴾ في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لفعل محذوف دلت عليه ﴿لو﴾ والتقدير: فنتمنى كون كرة لنا إلى الدنيا، ويجوز أن تكون ﴿لو﴾ شرطية، وجملة ﴿أَنْ﴾ حينئذ في تأويل مصدر مرفوع على كونه فاعلاً لفعل محذوف بعد ﴿لو﴾، تقديره: لو ثبت كون كرة لنا إلى الدنيا، والجملة المحذوفة فعل شرط لـ ﴿لو﴾، وجوابها محذوف تقديره: فلو ثبت كون كرة لنا لفعّلنا كيت وكيت، وجملة ﴿لو﴾ الشرطية مستأنفة. ﴿فَتَكُونُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية إن قلنا: ﴿لو﴾ للتمني. ﴿تَكُونُ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب التمني، واسمها ضمير مستتر فيها. ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾: جار ومجرور في محل نصب خبر ﴿تَكُونُ﴾، وجملة ﴿تَكُونُ﴾ مع أن المضمرة في تأويل مصدر معطوف على مصدر متقيد من الجملة التي قبلها من غير سابق لإصلاح المعنى، تقديره: نتمنى كون كرة لنا إلى الدنيا فكوننا من المؤمنين.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٨) ﴿وَلَنْ رَّبِّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٧٩).

﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِي ذَلِكَ﴾: جار ومجرور خبر مقدم ﴿لَايَةً﴾: اسمها مؤخر، واللام حرف ابتداء، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: الواو: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَأَنَّ﴾: الواو: عاطفة. ﴿إِنْ رَبِّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهُوَ﴾: اللام: حرف ابتداء. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿الْعَزِيزُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿الرَّحِيمُ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ الأولى.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٥٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿١٥١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٥٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٣﴾.

﴿كَذَّبَتْ﴾: فعل ماض. ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: مفعول به، والجملة مستأنفة. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ ﴿كَذَّبَتْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق بـ ﴿قَالَ﴾. ﴿أَخُوهُمْ﴾: فاعل ومضاف إليه مرفوع بالواو. ﴿نُوحٌ﴾: بدل من ﴿أَخُوهُمْ﴾، أو عطف بيان منه، وجملة ﴿قَالَ﴾ في محل الجبر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿أَلَا نَنْقُوتُ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوا﴾: مقول محكي لـ ﴿قَالَ﴾، وإن شئت قلت: ﴿أَلَا﴾: أداة عرض. ﴿نَنْقُوتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور حال من ﴿رَسُولٌ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها، ﴿رَسُولٌ﴾: خبر ﴿إِنْ﴾. ﴿أَمِينٌ﴾: صفة ﴿رَسُولٌ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة لعرضه عليهم الجنوح إلى التقوى. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أنني رسول لكم، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم. ﴿اتَّقُوا﴾: فعل وفاعل: ﴿اللَّهُ﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُوا﴾: فعل أمر وفاعل ونون وقاية، وياء المتكلم المحذوفة للفاصلة اجتزاء عنها بكسرة نون الوقاية في محل النصب مفعول به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ على كونها مقولاً لجواب إذا المقدرة.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

﴿١٤٠﴾

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ﴾ الواو: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿تُجِ﴾ ومفعول أول ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور، متعلق بمحذوف حال من ﴿أَجَرٍ﴾. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿أَجَرٍ﴾: مفعول ثان لسأل، والجملة في محل نصب. مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿أَجَرِيَ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر المبتدأ، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ﴾: الفاء: فاء الفصيحة. ﴿اتقوا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل نصب، مقول لجواب إذا المقدرة. ﴿وَأَطِيعُوا﴾: فعل وفاعل ونون وقاية ومفعول به محذوف، والجملة معطوفة على جملة ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ﴾.

تنبيه: وقد صدرت القصص الخمس بالأمر بالتقوى؛ للدلالة على اتفاق الأديان السماوية على وجوب معرفة الحق واتباعه، وكررت الجملة نفسها تأكيداً لهذه الغاية السامية كما مر.

﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ ﴿١٤١﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٤٥﴾.

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَتُؤْمِنُ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري. ﴿تُؤْمِنُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على قوم ﴿تُجِ﴾. ﴿لَكَ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَاتَّبَعَكَ﴾: الواو: حالية. ﴿اتبعك﴾: فعل ومفعول به. ﴿الْأَرْذَلُونَ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب حال من كاف ﴿لَكَ﴾، ولكنها على تقدير قد. ﴿قَالَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿تُجِ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: استئنافية. ﴿مَا﴾: استفهامية في محل الرفع مبتدأ. ﴿عَلَيَّ﴾: خبرها ومضاف إليه. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿عَلَيَّ﴾، ويحتمل كون ﴿مَا﴾ نافية. ﴿عَلَيَّ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿بِمَا﴾: متعلق به، والخبر محذوف تقديره: وما

علمي بما كانوا يعملون حاصل، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ خبره، وجملة كان صلة لـ ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿حَسَابُهُمْ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿عَلَى رَبِّي﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب قول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَوْ﴾: حرف امتناع وشرط. ﴿تَشْعُرُونَ﴾: فعل وفاعل، ومفعول ﴿تَشْعُرُونَ﴾ محذوف، تقديره: ذلك، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف، تقديره: ما غيرتموهم وما نسبتم إليهم شيئاً من نقص، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: حجازية. ﴿أَنَا﴾: اسمها. ﴿يَطَّارِدُ﴾: الباء: زائدة، ﴿طارد المؤمنين﴾: خبرها مجرور لفظاً منصوب محلاً. ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: مضاف إليه، والجملة معطوفة على ما قبلها على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿أَنَا﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر. ﴿مُبِينٌ﴾: صفة له، والجملة معطوفة على ما قبلها.

﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَنْتُحِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾.

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة، ﴿لَيْنَ﴾: اللام: موطئة للقسم، ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿تَنْتَهِ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، والجملة في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿يَنْتُحِ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها معترضة. ﴿لَتَكُونَنَّ﴾: اللام: موطئة للقسم مؤكدة للأولى، كررت لتدل على أن ما بعدها جواب القسم لا جواب الشرط. ﴿تكونن﴾: فعل مضارع ناقص في محل الرفع؛ لتجرده عن الناصب والجازم مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، واسمها ضمير يعود على ﴿نُوحٍ﴾. ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿تكونن﴾، وجملة ﴿تكونن﴾ جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم المحذوف في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾، وجواب الشرط محذوف جرياً على القاعدة المشهورة المذكورة في قول ابن مالك:

وَأَخَذَ لَدَىٰ أَجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمَ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهُوَ مُلْتَزَمٌ

تقديره: إن لم تنته يا نوح تكن من المرجومين، وجملة الشرط في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها معترضة بين القسم وجوابه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ (١١٧) فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَمَّ وَجَحْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فَأَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي آفَلَكِ الْمَشْهُورِ﴾ (١١٨).

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿نُوحٍ﴾، والجملة مستأنفة.
 ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، والجملة في محل نصب مقول
 ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنَّ قَوْمِي﴾: ناصب واسمه ومضاف إليه. ﴿كَذَّبُونِ﴾: فعل ماضٍ وفاعل ونون وقاية، وياء المتكلم المحذوفة للفاصلة اجتزاء عنها بكسرة نون الوقاية في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿فَأَفْتَحَ﴾: **الفاء**: عاطفة تفرعية؛ لكون ما قبلها علة لما بعدها. **افتح**: فعل دعاء، وفاعل مستتر يعود على الله. **بَيْنِي**: ظرف ومضاف إليه متعلق بـ **افتح**. **وَبَيْنَهُمْ**: معطوف على **بَيْنِي**. **فَتَمَّ**: مفعول مطلق، أو مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾ عطف فعلية على اسمية. **وَجَحْنِي**: **الواو**: عاطفة. **وَجَحْنِي**: فعل دعاء وفاعل ونون وقاية ومفعول به، معطوف على **فَأَفْتَحَ**. **وَمَنْ**: **الواو**: عاطفة. **مَنْ**: اسم موصول في محل نصب معطوف على ياء المتكلم، أو مفعول معه. **مَعِيَ**: ظرف ومضاف إليه صلة **مَنْ** الموصولة. **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**: جار ومجرور حال من الضمير المستكن في الصلة. **فَأَجَبْنَاهُ**: **الفاء**: استئنافية، **أَجَبْنَاهُ**: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة. **وَمَنْ**: اسم موصول في محل نصب معطوف على ضمير المفعول، أو مفعول معه. **مَعَهُ**: ظرف ومضاف إليه صلة **مَنْ** الموصولة. **فِي آفَلَكِ**: متعلق بـ **أَجَبْنَاهُ**، أو متعلق بالاستقرار الذي تعلق به الظرف. **الْمَشْهُورِ**: صفة لـ **آفَلَكِ**.

﴿ثُمَّ أَرْقَنَّا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ (١١٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿وَلَنْ رَّبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٠).

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف وتراخ. ﴿أَغْرَقْنَا﴾: فعل وفاعل، معطوف على ﴿أَنْجَيْنَا﴾. ﴿بَعْدُ﴾: في محل نصب على الظرفية الزمانية مبني على الضم؛ لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، والمراد: بعد إنجائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾: مفعول ﴿أَغْرَقْنَا﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِي ذَلِكَ﴾: خبرها مقدم. ﴿لَا يَهُدَى﴾: اسمها مؤخر، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: ﴿الْوَاوُ﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، معطوف على جملة ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَلِإِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَهُوَ﴾: ضمير فصل، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿الْعَزِيزُ﴾: خبره. ﴿الرَّحِيمُ﴾: خبر ثان لها، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ الأولى.

﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٢) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ آلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة للشرع في القصة الرابعة. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ ﴿كَذَّبَتْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَخُوهُمْ﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿هُودٌ﴾: بدل من ﴿أَخُوهُمْ﴾، أو عطف بيان له، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿آلَا﴾: أداة عرض. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف تقديره: تتقون الله، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكُمْ﴾: حال من ﴿رَسُولٌ﴾. ﴿رَسُولٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿أَمِينٌ﴾: صفة له، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة لعرضه عليهم التقوى. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: الفاء: فاء الفصيحة كما تقدم. ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل نصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُوا﴾: فعل وفاعل ونون وقاية ومفعول محذوف معطوف على ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الْوَاوُ﴾: عاطفة ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول أول، والجملة معطوفة على

جملة ﴿إِنْ﴾: ﴿عَلَيْهِ﴾: حال. ﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿أَجْرِي﴾: مفعول ثان لسأل. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿أَجْرِي﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَبْنُونَ﴾ (١٧٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٧٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطْشَتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٨٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٨١﴾.

﴿أَتَبْنُونَ﴾: الهمزة: للاستفهام التوبيخي. ﴿تَبْنُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿تَبْنُونَ﴾. ﴿آيَةً﴾: مفعول به، والجملة الاستفهامية في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل نصب حال من فاعل ﴿تَبْنُونَ﴾. ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿تَبْنُونَ﴾. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿تَخْلُدُونَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ في محل نصب حال من فاعل ﴿تَخْلُدُونَ﴾؛ أي: حالة كونكم راجين ومؤملين أن تخلصوا في الدنيا. ﴿وَإِذَا﴾: الواو: عاطفة. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿بَطَشْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل خفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها. ﴿بَطَشْتُمْ﴾: فعل وفاعل جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب، والظرف متعلق بالجواب. ﴿جَبَّارِينَ﴾: حال من فاعل ﴿بَطَشْتُمْ﴾، وجملة ﴿إِذَا﴾ معطوفة على جملة قوله: ﴿أَتَبْنُونَ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفتم ما قلت لكم، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم اتقوا الله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل نصب مقول لجواب إذا المقدرة. ﴿وَأَطِيعُوا﴾: فعل وفاعل ونون وقاية ومفعول محذوف معطوف على ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

﴿وَاتَّقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (١٨٢) أَمَّا الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ بَغْيًا وَأَعَدُّ عَذَابًا ﴿١٨٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ الْغَافِلِينَ ﴿١٨٤﴾

﴿وَاتَّقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

﴿أَمَذَّرُ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على الموصول، ومفعول به صلة الموصول.
﴿يَمَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَمَذَّرُ﴾، وجملة ﴿تَعْلَمُونَ﴾ صلة ﴿مَا﴾ الموصولة،
والعائد محذوف تقديره: تعلمونه. ﴿أَمَذَّرُ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به،
والجملة بدل من جملة ﴿أَمَذَّرُ﴾ الأولى بدل بعض من كل؛ لأنها أخص من
الأولى باعتبار متعلقيهما، فتكون داخلة في الأولى لأن ﴿مَا تَعْلَمُونَ﴾: يشمل
الأنعام وغيرها. وقيل: هي مفسرة للجملة الأولى، فلا محل لها من الإعراب،
وشرط إبدال الجملة من الجملة أن تكون الثانية أوفى من الأولى بتأدية المعنى
المراد، ولذلك لا يقع البديل المطابق في الجمل، وإنما يقع بدل البعض من
الكل. ﴿يَأْتَعْمِرُ﴾: متعلق بـ﴿أَمَذَّرُ﴾. ﴿وَبَيْنَ وَحَنَّتْ وَعُيُونُ﴾: معطوفة على
﴿أَنْعَامُ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود
على ﴿هُودُ﴾. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلق بـ﴿أَخَافُ﴾. ﴿عَذَابُ﴾: مفعول به. ﴿يَوْمٍ﴾:
مضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة ﴿يَوْمٍ﴾، وجملة ﴿أَخَافُ﴾ في محل الرفع خبر
﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها على كونها مقول ﴿قَالَ﴾.
﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿سَوَاءٌ﴾: خبر مقدم لمبتدأ متصيد من
الجملة التي بعدها من غير سابق لإصلاح المعنى. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق بـ﴿سَوَاءٌ﴾؛
لأنه بمعنى مستو، والهمزة للاستفهام. ﴿أَوْعَظْتَ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَمْ﴾: حرف
معادل لهمزة التسوية عاطف. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿تَكُنْ﴾: فعل مضارع ناقص
مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، واسمها ضمير يعود على ﴿هُودُ﴾. ﴿مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾: خبر
﴿تَكُنْ﴾، وجملة ﴿تَكُنْ﴾ معطوفة على جملة وعظت، وجملة وعظت في تأويل
مصدر من غير سابق لإصلاح المعنى مرفوع على الابتداء، والتقدير: وعظك إيانا
وعدمه سواء علينا في عدم مبالاتنا لعظك، والجملة الاسمية في محل النصب
مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٧٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِظٍ رَّحِيمٍ ﴿١٨٠﴾.

﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿هَذَا﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾:

خبر ومضاف إليه، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿وَمَا تَحْنُ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: حجازية. ﴿تَحْنُ﴾: في محل الرفع اسمها. ﴿يَمْعَدِينَ﴾: خبرها، و﴿الباء﴾: زائدة، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف عطف وتفریع، فعل وفاعل ومفعول به، والجملة معطوفة مفرعة على جملة ﴿قَالُوا﴾. ﴿فَأَمَلَكْنَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة تفریعية، ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف مفرع على ﴿كَذَّبُوهُ﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِي ذَلِكَ﴾: خبرها مقدم على اسمها ﴿لَايَةً﴾: اسمها مؤخر عن خبرها. و﴿اللام﴾: حرف ابتداء، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾: ناصب واسمه ﴿لَهُوَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿الْعَزِيزُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿الرَّحِيمُ﴾: خبر ثان لها، وجملة ﴿إِنَّ﴾ معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ الأولى.

التصريف ومفردات اللغة

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ الحكم: هو العلم بالخبر والعمل به. والالحوق بالصالحين يراد به التوفيق للأعمال التي توصل إلى الانتظام في زمرة الكاملين المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها.

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾؛ أي: ذكراً جميلاً بين الناس، بتوفيقى إلى الطريق الحسنة حتى يقتدي بي الناس من بعدي، وهذا هو الحياة الثانية، كما قال:

قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وَهُمْ فِي النَّاسِ أَخِيَاءَ
 ﴿مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾؛ أي: من الذين يستمتعون بالجنة وسعادتها، فيكون ذلك غنيمة لهم، كما يستمتع الناس بالميراث في الدنيا.

﴿وَلَا تُخْزِي﴾ من أخزى يخزي إخزاء أصله من الخزي بمعنى الهوان والذل، وقيد عدم الإخزاء بيوم البعث؛ لأن الدنيا مظهر اسم الستار كما مر.

﴿مَنْ أَقَى اللَّهَ يَقْلَبْ سَلِيمٌ﴾ والقلب السليم: هو البعيد عن الكفر والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة.

﴿أزلفت﴾؛ أي: قربت الجنة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾؛ أي: جعلت بارزة؛ أي: ظاهرة ﴿لِلْعَاوِينَ﴾؛ أي: الضالين عن طريق الهدى.

﴿أَوْ يَنْصَرُونَ﴾ وباب افتعل ههنا مطاوع فعل، قال في «كشف الأسرار» النصر: المعونة على دفع الشر والسوء عن غيره، والانتصار أن يدفع عن نفسه.

﴿فَكَبَّكُوا فِيهَا﴾ والكبكة: تكرير الكب؛ وهو الإلقاء على الوجه بتكرير معناه، كأن من ألقى في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها، اهـ «بيضاوي». وفي «روح البيان»: الكبكة: تدهور الشيء في هوة؛ وهو تكرير الكب، وهو الطرح والإلقاء منكوساً، وجعل تكرير اللفظ دليلاً على تكرير المعنى، كرر عين الكب بنقله إلى باب التفعيل، فأصل كبكوا كبَّوا، فاستثقل اجتماع الباءات، فأبدلت الثانية كافاً، كما في زحزح، فإن أصله زح من زحّه يزحّه؛ أي: نحا عن موضعه، ثم نقل إلى باب التفعيل، فقليل: زححه، فأبدلت الحاء الثانية زايّاً، فقليل: زحزحه؛ أي: باعده، اهـ.

﴿الْعَاوُونَ﴾: اسم فاعل من غوى يغوى غواية إذا ضل عن طريق الهدى.

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: يخاصمون من معهم من الأصنام والشياطين. فافتعل هنا بمعنى فاعل الذي للمشاركة.

﴿إِلَّا الْمَجْرُمُونَ﴾ من الإجرام؛ وهو الإشراك، وأصل الجرم: قطع الثمرة عن الشجرة، والجرامة رديء الثمر، وأجرم إذا صار ذا جرم، نحو أثمر وألبن، واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه، ولا يكاد يقال في عامة كلامهم للكسب المحمود.

﴿مِنْ شَفِيعِينَ﴾: جمع شافع من الشفاعة؛ وهو طلب الخير من الغير للغير.

﴿وَلَا صَدِيقَ حَمِيمٍ﴾ (١٦): من الصداقة، والصداقة: أن يفرح الشخص

لفرحك، ويحزن لحزنك، والعداوة على الضد من ذلك. والحميم: هو الذي يهّمه ما أهّمك؛ من الاحتمام؛ وهو الاهتمام، أو من الحامة؛ وهي الخاصة؛ وهو الصديق المشفق. والنفي هنا يحتمل نفي الصديق من أصله، أو نفي صفته فقط، والصديق يحتمل أن يكون مفرداً، وأن يكون مستعملاً في الجمع، كما يستعمل العدو فيه، كما يقال: هم صديق، وهم عدو، اهـ «كشاف». وفي «البيضاوي»: جمع الشافع، ووجد الصديق لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة الصديق، ولأن الصديق الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء، أو لإطلاق الصديق على الجمع كالعدو؛ لأنه في الأصل مصدر كالحنين والصهيل، اهـ.

﴿كَذَبْتَ قَوْمٌ نُوْجٌ﴾: تأنيث الفعل المسند إلى القوم باعتبار معناه، وهو الأمة والجماعة، وتذكير الضمير العائد إليه في قوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ باعتبار لفظه. وفي «البيضاوي»: القوم مؤنث، ولذلك يصغر على قويمة. وفي «المصباح»: «القوم يذكر ويؤنث، فيقال: قام القوم، وقامت القوم، وكذلك كل اسم جمع لا واحد له من لفظه، نحو رهط ونفر»، اهـ. فقوله: مؤنث؛ أي: على الأغلب، لا أنه ذهب إلى أنه جمع قائم، والأصل تأنيثه، اهـ «شهاب».

﴿أَخُوهُمْ﴾؛ أي: أخوة نسب، كما يقال: يا أخا العرب، ويا أخا تميم، يريدون: يا من هو واحد منهم، قال الحماسي:

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا
﴿الْأَرْدَلُونَ﴾: جمع الأردل، والرذالة الخسة والدناءة، والرذال: المرغوب عنه لرداءته، يعنون أن لا عبرة لاتباعهم لك؛ إذ ليس لهم رزانة عقل وإصابة رأي، قد كان ذلك منهم في بادئ الرأي، وقد استرذلوهم لاتضاع نسبهم، وقلة حظوظهم من الدنيا.

﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾: وهو من الباب الأول، وأما الشعر بمعنى النظم فهو من الباب الخامس.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من الطرد، وهو الإزعاج والإبعاد على سبيل

﴿مِنَ الرُّجُومِ﴾؛ أي: من المقتولين رجماً بالحجارة، قال الراغب في «المفردات»: الرجم الحجارة، والرجم الرمي بالرجام، يقال: رجم فهو مرجوم، قال تعالى: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الرُّجُومِ﴾؛ أي: المقتولين أقبح قتلة، انتهى.

﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾؛ أي: أحكم بيننا، والفتح هنا من الفتحاة بمعنى الحكومة، والفتح الحاكم، سمي بذلك لفتحه مغاليق الأمور، كما سمي فيصلاً لفصله بين الخصومات. وفي «القاموس»: الفُتاحة - بالضم والكسر - ويقال: بينهما فتاحات؛ أي: خصومات.

﴿الْمَشْحُونِ﴾؛ أي: المملوء بهم وبكل ما معهم، ومنه الشحنة؛ وهي عداوة امتلأت منها النفوس.

﴿يَكِلُ رِيحَ الرِّيعِ﴾ - بكسر الراء وفتحها -: جمع ربيعة؛ وهو في اللغة المكان المرتفع، وقال أبو عبيدة: هو الطريق اهـ. «سمين». وقيل: هو الجبل. اهـ «مصباح» وفي «القاموس»: والرِّيع - بالكسر والفتح - المرتفع من الأرض، أو كل فج، أو كل طريق، أو الطريق المنفرج في الجبل، والجبل المرتفع، الواحدة بهاء، وبالكسر: الصومعة، وبرج الحمام، والتل العالي، وبالفتح: فضل كل شيء كريع العجين والدقيق والبذر. اهـ.

﴿آيَةً﴾ الآية: العلم يهتدي به المارة، وكان بناؤها للعبث واللهو؛ لأنهم كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم، فلا يحتاجون إليها. وقيل: المراد بها القصور المشيدة، ترفعون بناءها وتجتمعون فيها، فتعبثون بمن يمر بكم.

﴿تَقْبِثُونَ﴾ في «المصباح»: عبث عبثاً - من باب تعب - إذا لعب وعمل ما لا فائدة فيه فهو عابث.

﴿مَصَائِعَ﴾: جمع مَصْنَعَةٍ - بفتح الميم مع فتح النون، أو ضمها -؛ وهي الحوض أو البركة، فقله: ﴿مَصَائِعَ﴾؛ أي: حوضاً وبركاً تجمعون فيها الماء، فهي من قبيل الصهاريج. اهـ، شيخنا وفي «المختار»: المَصْنَعَةُ - بفتح الميم وصم

النون، أو فتحها - كالحوض يجمع فيه ماء المطر، والمصانع الحصون. اهـ. وفي «القاموس»، وشرحه «التاج»: المَصْنَعَة والمَصْنُوعَة - بفتح الميم وفتح النون وضمتها -: ما يجمع فيه ماء المطر كالحوض، والجمع المصانع، والمصانع أيضاً القرى والحصون والقصور، والمصنعة أيضاً الدعوة للأكل، يقال: كنا في مصنعة فلان، وموضع يعزل النحل بعيداً عن البيوت، وجميع هذه المعاني صالحة للتفسير بها. وقيل: ﴿مَصَانِعُ﴾؛ أي: قصوراً مشيدة وحصوناً منيعة، أو مأخذ الماء تحت الأرض، كما في «الصحاح» و «القاموس».

﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ البطش: السطوة والأخذ بعنف، وتناول الشيء بصولة أو قهر أو غلبة.

﴿جَبَّارِينَ﴾ والجَبَّار: الذي يضرب ويقتل على الغضب، والجَبَّار أيضاً المتسلط العاتي بلا رافة ولا شفقة.

﴿وَأَنقَضُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ والإمداد: اتباع الثاني بما قبله شيئاً بعد شيء على انتظام، وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب، والمد في المكروه، وأما قوله: ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ فهو من مددت الدواء أمدها، لا من القبيل المذكور. اهـ «روح».

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَّتْ﴾ والوعظ: زجر يقتن بتخويف، وكلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد، وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، والعظة والموعظة الاسم.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

فمنها: التقديم في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ فقد استوعب الحكم أولاً، ثم طلب الإلحاق بالصالحين، والسرف فيه دقيق جداً، ذلك أن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية؛ لأنه يمكنه أن يعلم الحق وإن لم يعمل

به، وعكسه غير ممكن؛ لأن العلم صفة الروح، والعمل صفة البدن، وكما أن الروح أشرف من البدن كذلك العلم أفضل من الإصلاح.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ إذ المراد باللسان الثناء الحسن والقبول العام، وذكر اللسان مجاز علاقته السببية؛ لأنه سبب ذلك الثناء، فهو من إطلاق السبب وإرادة المسبب. وقيل: هو مجاز من إطلاق الجزء على الكل؛ لأن الدعوة باللسان.

ومنها: إضافة الموصوف إلى الصفة في لسان صدق؛ أي: اللسان الصادق، والثناء الحسن، وإضافة المحل إلى الحال فيه في قوله: ﴿مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةٍ النَّعِيمِ﴾؛ أي: الجنة التي هي محل النعيم الدائم.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿وَرَثَةُ جَنَّةٍ النَّعِيمِ﴾ حيث استعار الورثة لمستحقي الجنة، شبه الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورثه، فأطلق عليها اسم الميراث، وعلى استحقاقها اسم الورثة، وعلى العامل اسم الوارث. اهـ روح.

ومنها: المقابلة البديعة في قوله: ﴿وَبُرَزَتِ الْجَنَّةُ لِلْغَاوِينَ﴾ (٩١) فإنه مقابل قوله في السعداء: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٩٢).

ومنها: إضافة ما للكل إلى الجزء؛ لكونه رئيسه في قوله: ﴿يَقْلَبِ سَلِيمٍ﴾ أضاف السلامة إلى القلب؛ لأن الجوارح تابعة للقلب، فتسلم بسلامته، وتفسد بفساده.

ومنها: التعبير بصيغة الماضي عما في المستقبل في قوله: ﴿أَنَّى اللَّهُ يْقْلِبِ سَلِيمٍ﴾، وفي قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٩٢)، وقوله: ﴿وَبُرَزَتِ الْجَنَّةُ لِلْغَاوِينَ﴾ (٩١)، وقوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾، وقوله: ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا﴾، وقوله: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ (٩٣)؛ للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره.

ومنها: التعبير بصيغة المضارع في قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٩٤)؛ للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفطيع.

ومنها: قوة اللفظ لقوة المعنى في قوله: ﴿فَكُبِّكُوا فِيهَا﴾ وهذا مما انفرد في التنبيه إليه ابن جنّي في كتاب «الخصائص»، فإن الكبكة تكرير الكب، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد أخرى، حتى يستقر في قعرها، وليست الزيادة في اللفظ دالة على قوة المعنى بصورة مطردة، بل إن المدار في ذلك على الذوق، خذ لك مثلاً زيادة التصغير، فهي زيادة نقص، فرجيل أنقص من رجل في المعنى، ولكنه أكثر حروفاً منه.

ومنها: التعبير بصيغة المضارع في قوله: ﴿إِذْ تُسَوِّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ لاستحضار الصورة الماضية.

ومنها: الإيضاح في قوله: ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾؛ وهو أن يذكر المتكلم كلاماً في ظاهره لبس، ثم يوضحه في بقية كلامه، فإن الصديق الموصوف بصفة حميم هو الذي يفوق القرابة، ويربو عليه، وهو أن يكون حميماً، فالحميم من الاحتمام؛ وهو الاهتمام؛ أي: صديق يهملنا أمرنا ويهملنا أمره.

ومنها: التكرير في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ للتأكيد والتقرير في النفوس مع كونه علق كل واحد منهما بسبب؛ وهو الأمانة في الأول، وقطع الطمع في الثاني، ونظيره قولك لولدك: ألا تتقي الله في عقوقي وقد رببتك صغيراً، ألا تتقي في عقوقي وقد علمتك كبيراً.

ومنها: إطلاق الكل وإرادة البعض في قوله: ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ حيث عبّر بالمرسلين عن نوح عليه السلام، وكذا فيما بعده من الأنبياء، وإنما ذكره بصيغة الجمع تعظيماً له، وتنبيهاً على أن من كذب رسولاً فقد كذب جميع المرسلين.

ومنها: الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

ومنها الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾؛ أي: أحكم بيننا وبينهم بحكمك العادل، استعار الفتح للحاكم، والفتح للحكم؛ لأنه

يفتح المنغلق من الأمر، ففيه استعارة تصريحية تبعية.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ ومحل التوبيخ هو الجملة الحالية؛ أي: تعبتون.

ومنها: إعادة الفعل لزيادة التقرير في قوله: ﴿أَمَذْكُرُ بِأَنْعَمِ رَبِّينَ﴾ بعد قوله: ﴿أَمَذْكُرُ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ فإن التفصيل بعد الإجمال، والتفسير بعد الإبهام أدخل في ذلك، وأوقع في النفس. اهـ «أبو السعود».

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا :

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُكْفِرُونَ ﴿١٤٦﴾ فِي مَا هَدَيْنَاكُمْ أَمِينٌ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْجُوتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَ تَقْهَرُونَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَمَقَرُّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴿١٥٨﴾ وَمَا كَانَتْ أَكْثَرُهم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٦٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٧﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ بِأُلُوتٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٨﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٩﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٠﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧١﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابَةِ ﴿١٧٢﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴿١٧٥﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٦﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٧﴾ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٨﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٨١﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٣﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٤﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٥﴾ وَأَتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٦﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٧﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٨﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٨٩﴾ قَالَ رَبِّ أَعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩٠﴾ فَكَلَبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٩١﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴿١٩٢﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩٤﴾ ۞

المناسبة

قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ ... ﴾ الآيات ، مناسبة هذه القصة لما

قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما قص على رسوله ﷺ قصص عاد وهود... قص أيضاً قصص ثمود وصالح، وقد^(١) كانوا عرباً مثلهم، يسكنون مدينة الحجر الذي بين وادي القرى والشام، ومساكنهم معروفة، تتردد عليها قريش في رحلة الصيف وهم ذاهبون إلى بلاد الشام، دعاهم صالح إلى عبادة الله وحده، وأن يطيعوه فيما بلغهم من رسالة ربهم، فأبوا وكذبوا بعد أن أتى لهم بالآيات المصدقة لرسالته فأخذهم العذاب، وزلزلت بهم الأرض، ولم تبق منهم دياراً ولا نافخ نار.

التفسير وأوجه القراءة

قصص صالح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ أنث^(٢) اعتباراً بمعنى القبيلة، أو الجماعة، أو الأمة، وهو اسم جدهم الأعلى، وهو ثمود بن عبيد بن عوص بن عاد بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: صالحاً ومن قبله من المرسلين، أو إياه وحده، والجمع باعتبار أن تكذيب واحد من الرسل في حكم تكذيب الجميع؛ لاتفاقهم على التوحيد وأصول الشرائع.

ثم بيّن الوقت الممتد للتكذيب المستمر، فقال: ﴿إِذْ قَالَ لَمَمٌ أَوْهَرُ﴾ النسبي، لا الديني، فإن الأنبياء محفوظون قبل النبوة، معصومون بعدها، وفائدة كونه منهم أن تعرف أمانته ولغته، فيؤدّي ذلك إلى فهم ما جاء به وتصديقه ﴿صَلِّحْ﴾ بن عبيد بن آسف بن كاشح بن حاذر بن ثمود، وعاش صالح من العمر مئتين وثمانين سنة، وبينه وبين هود مئة سنة ﴿أَلَا نُنْفِئُ﴾ يا قوم عقاب الله سبحانه بامثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من عند الله ﴿أَمِينَ﴾ في جميع ما أرسلت به إليكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: عقاب الله سبحانه في مخالفتي؛ لأنني رسول الله إليكم ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه؛ لأنني أمين على ما أرسلت به إليكم؛ أي: فإن شهرتي فيما بينكم بالأمانة موجبة لتقوى الله، وإطاعتي فيما أدعوكم إليه ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على نصحي لكم وتبليغ ما

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

أرسلت به إليكم ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: أجراً وجعلاً ﴿إِنْ أَجَرْتُمْ﴾؛ أي: ما أجر تبليغي وثواب دعوتي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فإنه الذي أرسلني، فالأجر عليه، بل هو الأجر لعباده الخالص.

والمعنى: أي^(١) كذبت ثمود أخاهم صالحاً حين قال لهم: ألا تتقون عقاب الله على معصيتكم إياه، وخلافكم أمره بطاعتكم أمر المفسدين في الأرض، إني لكم رسول من عند الله، أرسلني إليكم بتحذيركم عقوبته، أمين على رسالته التي أرسلها معي إليكم فاتقوه وأطيعوني، وما أسألكم على نصحي وإنذارني جزاء ولا ثواباً، ما جزائي إلا على رب السموات والأرض وما بينهما.

ثم خاطب قومه واعظاً لهم، ومحذراً نقم الله أن تحل بهم، ومذكراً بأنعمه عليهم فيما آتاهم من الأرزاق الدارة، والجنات والعيون، والزرع والثمرات، والأمن من المحذورات، فقال: ﴿أَتُكْرَهُونَ﴾ الاستفهام^(٢) فيه للإنكار والتوبيخ؛ أي: أتظنون أن تتركوا ﴿فِي﴾؛ أي: في النعم التي أعطاكم الله سبحانه ﴿مَا هَهُنَا﴾؛ أي: في هذه الدار الدنيا حالة كونكم ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الموت والعذاب، باقين في الدنيا، وأن لا دار للمجازاة؛ أي: لا تظنوا ذلك فإنكم لا تتركون فيها، ولا بد من المجازاة؛ أي: لا ينبغي لكم أن تعتقدوا أنكم تتقبلون في النعم التي في دياركم هذه آمين من الزوال والعذاب، فلا تطمعوا في ذلك.

ثم فسر ذلك المكان بقوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾؛ أي: أتركون في بساتين يانعة وأنهار جارية ﴿وَزُرُوعٍ﴾ زاهرة ﴿وَنَخْلٍ﴾ ناضرة ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾؛ أي: لطيف لين في جسمه، والطلع ثمر النخل في أول ما يطلع، وبعده يسمى خلالاً، ثم بلحاً، ثم بسرّاً، ثم رطباً، ثم تمرّاً. وأفرد النخل مع دخولها في أشجار الجنات؛ لفضلها على سائر الأشجار، وقد خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام ولكن لا أصل له.

والمعنى: أي لا تظنوا أنكم تتركون في دياركم آمين متمتعين بالجنات

(٢) روح البيان.

(١) المراغي.

والعيون والزورع والثمار اليانعة، وأن لا دار للجزاء على العمل، بل عليكم أن تتذكروا أن ما أنتم فيه من نعم وأمن من عدو لن يدوم، وأنكم عائدون إلى ربكم مجازون على أعمالكم خيرها وشرها.

وقوله: ﴿وَتَنَحُّتُونَ﴾ معطوف^(١) على ﴿تَتْرَكُونَ﴾ فهو في حيز الاستفهام التوبيخي، ومحل التوبيخ الحال؛ وهي قوله: ﴿فَرِهَيْنَ﴾؛ أي: وهل تنحوتون وتبرون ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ ومساكن حالة كونكم ﴿فَرِهَيْنَ﴾ بالألف؛ أي: ماهرين وحاذقين في نحتها وبرايثها. وقرئ ﴿فَرِهَيْنَ﴾ بلا ألف، كما سيأتي لاحقاً؛ أي: فرحين مرحين بطرين. فهو على الأول من ﴿فَرِهَ﴾ بالضم فراهة إذا مهر في العمل وحذق، وعلى الثاني من ﴿فَرِهَ﴾ بالكسر فرهاً إذا فرح ومرح.

وفي «الكرخي» في سورة الأعراف: وإنما كانوا ينحوتون بيوتاً في الجبال لطول أعمارهم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم. وفي «الخطيب» في سورة هود: وكان الواحد منهم يعيش ثلاث مئة سنة إلى ألف سنة، وكذا كان قوم هود. اهـ.

واعلم: أن^(٢) ظاهر هذه الآيات يدل على أن الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية؛ وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر، والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية؛ وهو طلب المأكل والمشروب والمساكن الطيبة، وكل هذه اللذات من لذات أهل الدنيا الغافلين، وفوقها لذات أهل العقبي المتيقظين؛ وهي اللذات القلبية من المعارف والعلوم، وما يوصل إليها من التواضع والوقار والتجرد والاصطبار ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: خافوا عقابه في مخالفتي ﴿وَالطَّيْعُونَ﴾ أي فيما أمرتكم به.

والمعنى^(٣): أي وهل تتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشراً وبطراً من غير حاجة إلى سكنها مع الجد والاهتمام في بنائها، فاتقوا الله، وأقبلوا على

(١) الفتوحات.

(٢) الروح البيان.

ما يعود عليكم نفعه في الدنيا والآخرة من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم وتسيحه بكرة وأصيلاً.

وقرأ الجمهور^(١): ﴿وَتَنَحُّونَ﴾ بالتاء للخطاب، وكسر الحاء، وقرأ أبو حيوة وعيسى والحسن بفتح الحاء، وعن الحسن بألف بعد الحاء إشباعاً، وعن عبد الرحمن بن محمد عن أبيه ﴿ينحتون﴾ بالياء من أسفل وكسر الحاء، وعن أبي حيوة والحسن أيضاً ﴿ينحتون﴾ بالياء من أسفل وفتح الحاء، وقرأ عبد الله وابن عباس وزيد بن علي والكوفيون وابن عامر ﴿قَرِهَيْنَ﴾ بألف، وباقي السبعة بغير ألف، وقرأ مجاهد: ﴿متفريهين﴾ اسم فاعل من تفرّه، والمعنى: نشطين مهتمين.

وقوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا﴾ خطاب لجمهور قومه ﴿أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وهم كبارؤهم ورؤساؤهم في الكفر والإضلال، وكان^(٢) مقتضى الظاهر أن يقال: ولا تطيعوا المسرفين، بلا إقحام ﴿أَمْرَ﴾ فإن الطاعة إنما تكون للأمر - على صيغة الفاعل - كما أن الامتثال إنما يكون للأمر - على صيغة المصدر - فشبه الامتثال بالطاعة من حيث إن كل واحد منهما يفضي إلى وجود المأمور به، فأطلق اسم المشبه به وهو الطاعة، وأريد الامتثال؛ أي: لا تمتثلوا أمر المجاوزين للحد بالإشراك والإضلال. وقيل يعني التسعة الذين عقروا الناقة. وفي «النسفي»: جعل الأمر مطاعاً على المجاز الإسنادي، والمراد الأمر، فكأنه قال: ولا تطيعوا المسرفين فيما أمروا به. أو المعنى^(٣): ولا تطيعوا وتتبعوا المستكثرين من لذات الدنيا وشهواتها، بل اكتفوا واقتصروا منها بقدر الكفاف.

ثم وصف المسرفين بقوله: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: في أرض الحجر بالكفر والظلم، وهو وصف موضح لإسرافهم ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بالإيمان والعدل عطف على ﴿يُفْسِدُونَ﴾ لبيان خلو إفسادهم عن مخالطة الإصلاح؛ أي:

(٣) المراح.

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

المراد بهذه الجملة بيان أن فسادهم خالص، ليس معه شيء من الصلاح، فإن حال بعض المفسدين مخلوطة ببعض الصلاح.

والمعنى: أي ولا تطيعوا أمر رؤسائكم الذين تمادوا في معصية ربكم، واجتروا على سخطه، وهم الرهط التسعة الذين كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون؛ وهو المذكورون في قوله: ﴿وَكَاكَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(١)؛ أي: يسعون في أرض الله بمعاصيه، ولا يصلحون أنفسهم بالعمل بطاعته.

وخلاصة هذا: لا تطيعوا رؤساءكم وكبراءكم الدعاة إلى الشرك والكفر ومخالفة الحق.

ولما عجزوا عن الطعن في شيء مما دعاهم إليه.. عدلوا إلى التخييل إلى عقول الضعفاء والعاماة ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال قومه في جواب مقاله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ يَا صَالِحُ؛ أَي: ما أنت إلا﴾ ﴿مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾؛ أي: من الذين سحروا كثيراً، حتى غلب على عقولهم؛ أي: من المسحورين مرة بعد أخرى حتى اختل عقله، واضطرب رأيه، فلا يقبل لك قول، ولا يسمع لك نصح. فبناء التفعيل لتكثير الفعل، أو: إلا من البشر الذين لهم السحر والرثة، يأكلون كما نأكل، ويشربون كما نشرب، كما قال الفراء، فيكون قوله: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾؛ أي: مماثل لنا، تأكل كما نأكل، وتشرب كما نشرب تأكيداً له. والمعنى^(٢): أنت بشر مثلنا، ولست بملك، فلا تؤمن بك ﴿فَإِنَّ بَايَةَ﴾؛ أي: بعلامة تدل على صدقك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعواك أنك رسول إلينا.

فإن قلت^(٣): لم قال هنا ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ بلا واو، وفي قصة شعيب: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ﴾ بواو، فما الفرق بين الموضعين؟

قلت: ما هنا بدل مما قبله، وثُمَّ معطوف على ما قبله، وخص ما هنا بالبدل؛ لأن صالحاً قلل في الخطاب، فقللوا في الجواب، وأكثر شعيب في

(٢) فتح الرحمن.

(١) المراغي.

الخطاب فأكثرُوا في الجواب.

والمعنى: أي إنك بشر مثلنا، فكيف أوحى إليك دوننا، كما حكى عنهم في آية أخرى: ﴿أَلَمْ يَلْقَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ۝١٥ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ۝١٦﴾.

روي: أن^(١) صالحاً عليه السلام قال لهم: أي آية تريدون؟ قالوا: نريد ناقة عشراء - الحامل في عشرة أشهر - تخرج من هذه الصخرة، فتلد سقبا، فأخذ صالح يتفكر، فقال له جبريل: صل ركعتين وسل ربك الناقة، ففعل، فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم، ونتاجت سقباً مثلها في العظم. وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -: رأينا مبركها فإذا هو ستون ذراعاً في ستين ذراعاً.

ف﴿قَالَ﴾ لهم صالح: ﴿هَذِهِ﴾ البهيمة التي خرجت من الصخرة ﴿نَاقَةٌ﴾ دالة على نبوتي، أخرجها ربي من الصخرة كما اقترحتم ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾؛ أي: حظ ونصيب من الماء، تشرب منه يوماً كالسقي للحظ من السقي ﴿وَلَكُزْ شِرْبٌ يَوْمَ مَقْلُوبٍ﴾؛ أي: ولكم نصيب وحظ من الماء، تشربون منه يوماً، فاقصروا على شربكم، ولا تزاحموا على شربها، بل تشربون من لبنها فإن فيه كفاية لكم. قال قتادة: إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله، ولا تشرب في يومهم ماء.

وقرأ الجمهور: ﴿شَرِبٌ﴾ في الموضعين بكسر الشين، وقرأ ابن أبي عبله بالضم فيهما.

﴿وَلَا تَمَسُّوهَا﴾؛ أي: ولا تمسوا هذه الناقة ﴿يَسُوءُ﴾؛ أي: بضرر كضرب وعقر ﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾؛ أي: فيحل بكم ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: شديد عذابه، فعظم اليوم بالنسبة إلى عظم ما حل فيه، وهو ههنا صيحة جبريل.

ثم حكى عنهم أنهم خالفوا أمر نبيهم، فقال: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾؛ أي: قتلوها بطعنة السهم وضربة السيف. وأسند^(٢) العقر إلى كلهم مع أن العاقر بعضهم

(٢) روح البيان.

(١) المراح.

لرضاهم به، ولذلك أخذوا جميعاً؛ أي: عقروها بعد أن مكث بين أظهرهم حيناً من الدهر، ترد الماء وتأكّل المرعى.

روي^(١): أن مسطعاً ألجأها إلى مضيق، فرماها بسهم، فسقطت، ثم ضربها قدار بالسيف في ساقها. وكان قدار هذا قصيراً دميماً وابن زنا، اه شيخنا. قال مقاتل: فخرج في أبدانهم خراج مثل الحمص، فكان في اليوم الأول أحمر، ثم صار في الغد أصفر، ثم صار في الثالث أسود، وكان عقر الناقة يوم الأربعاء، وهلاكهم يوم الأحد، انفقعت فيه تلك الجراحات، وصاح عليهم جبريل صيحة، فماتوا بالأمرين، وكان ذلك ضحوة؛ أي: فعقروها وقتلوا مثل هذه الآية العظيمة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾؛ أي: صاروا ﴿نَدِيمِينَ﴾ ومتحسرين على عقرها، وقتلها ندم الخائفين من العذاب العاجل، أو ندم التائبين عند معاينة العذاب، فلذلك لم ينفعهم الندم كفرعون حين ألجمه الغرق ﴿فَأَخَذَهُمُ الْمَذَابُ﴾ الموعود على عقرها؛ أي: أهلكتهم واستأصلهم، وهو صيحة جبريل عليه السلام.

فإن قلت^(٢): كيف أخذهم العذاب بعدما ندموا على جنائتهم، وقد قال ﷺ: «الندم توبة»؟

قلت: ندمهم كان عند معاينة العذاب، وهي ليست وقت التوبة، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشَّيْئَاتِ﴾ الآية، وقيل: كان ندمهم ندم خوف من العذاب العاجل، لا ندم توبة فلم ينفعهم.

والمعنى: أي^(٣) فعقروا الناقة فندموا على ما فعلوا حين علموا أن العذاب نازل بهم؛ إذ أنظرهم ثلاثة أيام، وفي كل يوم منها تظهر مقدمات نزوله كما مر، فندموا حيث لا ينفع الندم، فأخذهم العذاب، وزلزلت أرضهم زلزلاً شديداً وجاءت صيحة عظيمة اقتلعت منها قلوبهم، ونزل بهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، فأصبحوا في ديارهم جائمين.

(٣) المراغي.

(١) المراح.

(٢) فتح الرحمن.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ العذاب النازل بشمود ﴿لَايَةً﴾؛ أي: لعبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾؛ أي: أكثر قوم ثمود، أو أكثر الذين سمعوا هذه القصة منك وهم قريش ومن دان دينهم ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ بالله وبرسوله الذي أرسل إليهم ﴿وَلِإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ أَلَمِيزٌ﴾؛ أي: الغالب على ما أراد من الانتقام من قوم ثمود بسبب تكذبيهم، فاستأصلهم، فليحذر المخالفون لأمره، حتى لا يقعوا فيما وقعت فيه الأمم السالفة المكذبة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم حيث لا يعاجلهم بالعذاب، وكانت^(١) الناقة علامة لنبوة صالح عليه السلام، فلما أهلكوها، ولم يعظموها صاروا نادمين حيث لا ينفعهم الندم، والقرآن علامة لنبوة محمد ﷺ، فمن رفضه، ولم يعمل بما فيه، ولم يعظمه يصير نادماً غداً، ويصيبه العذاب، ومن جملة ما فيه الأمر بالاعتبار، فعليك بالامتثال ما ساعدت العقول والأبصار، وإياك ومجرد القول، فالفعل شاهد على حقيقة الحال.

قصص لوط عليه السلام

﴿كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ﴾؛ أي: جماعته وأمته يعني أهل سدوم وما يتبعها من القرى ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾؛ أي: لوطاً وإبراهيم ومن تقدمهما من الرسل، أو المراد بالمرسلين نفس لوط، وإنما جمعه اعتباراً بأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل؛ لاتفاقهم في دعوة التوحيد وأصول العقائد ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف للتكذيب ﴿لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ في البلد والسكنى، لا في الدين، ولا في النسب؛ لأنه ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام، وهما من بلاد الشرق من أرض بابل، فكان لوط أجنبياً عنهم، مجاوراً لهم في قريتهم، وهو لوط بن هاران أخي إبراهيم، أو عم إبراهيم على الخلاف، إذ روى أنه هاجر مع عمه إبراهيم إلى أرض الشام، فأنزله إبراهيم الأردن، فأرسله الله تعالى إلى أهل سدوم وما والاها، وقوله: ﴿لُوطٍ﴾ بن هاران بن تارخ بدل من ﴿أخوهم﴾، أو عطف بيان له ﴿أَلَا نُنْفِئُ﴾؛ أي: ألا نخافون عقاب الله تعالى على الشرك والمعاصي ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾؛ أي: مرسل من جانب

(١) روح البيان.

الحق ﴿أَمِينٌ﴾؛ أي: مشهور بالأمانة، ثقة عند كل أحد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: خافوا عقابه على مخالفتي ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أي فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه، فإن قول المؤمن معتمد ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على التعليم والتبليغ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: جعلاً ومكافأة دنيوية، فإن ذلك تهمة لمن يبلغ عن الله تعالى ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾؛ أي: ما ثوابي على التبليغ ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: من رب العالمين وخالقهم ومصلحهم، بل ليس متعلق الطلب إلا بإياه تعالى.

وبعد أن نصحهم بما سلف ذكره.. وبخهم على قبيح ما ابتدعوه بقوله، فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ والاستفهام^(١) فيه للإنكار والتوبيخ، وعبر عن الفاحشة بالإتيان، كما عبر به عن الحلال في قوله: ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ والذكران جمع الذكر ضد الأنثى، و﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ حال من فاعل ﴿تَأْتُونَ﴾، والمراد به الناكحون من الحيوان، فالمعنى عليه: تأتئون من بين من عداكم من العالمين الذكران وتجامعونهم وتعملون ما لا يشارككم فيه غيركم، يعني أنه منكر منكم ولا عذر لكم فيه، ويجوز أن يكون ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ حالاً من ﴿الذُّكْرَانَ﴾، والمراد به الناس، فالمعنى عليه: تأتئون الذكران من أولاد آدم مع كثرة الإناث فيهم، كأنهم قد أعوزنكم؛ أي: أفقرنكم وأعدمنكم، روي أن هذا العمل الخبيث علمهم إياه إبليس اللعين.

والمعنى: أتجامعون أدبار الرجال من أولاد آدم مع كون النساء أليق بالاستمتاع ﴿وَتَذَرُونَ﴾؛ أي: وتتركون ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ رِبَّكُمْ﴾؛ أي: ما خلق ربكم لأجل استمتاعكم به حال كونه ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ وحلائلكم. و﴿مِنْ﴾ لبيان الجنس إن أريد بما جنس الإناث، وللتبويض إن أريد به العضو المباح منهن، وهو القبل تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون بنسائهم أيضاً، فتكون الآية دليلاً على حرمة أدبار الزوجات والمملوكات، وفي الحديث: «من أتى امرأة في دبرها فهو بريء مما أنزل على محمد، ولا ينظر الله إليه»، والمعنى؛ أي: وتتركون إناثاً أباحها لكم ربكم هي أزواجكم لأجل استمتاعكم، أو وتتركون فروجاً أحل لكم ربكم حال كونها بعض أزواجكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾؛ أي: معتدون مجاوزون الحلال إلى

(١) روح البيان.

الحرام، أو متجاوزون الحد في جميع المعاصي بإتيانكم هذه الفاحشة، أو متجاوزون عن حد الشهوة حيث زدت هذه الفاحشة على سائر الحيوانات.

أي: بل أنتم قوم أحقاء بأن توصفوا بالعدوان وتجاوز الحدود التي تسيغها العقول، وتبيحها الشرائع بارتكابكم هذا الجرم الذي لم يخطر ببال.

ولما اتضح لهم وجه الحق، وانقطعت حجتهم لجؤوا إلى التهديد، واستعمال القوة، كما بينه بقوله: ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال قوم لوط مهديين له والله ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ وتنزجر ﴿يَلُوطُ﴾ عن تقبيح أمرنا، وإنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾؛ أي: من المعهودين بالنفي والإخراج من قريتنا على عنف، ورغم أنف، وسوء حال.

والمعنى: أي لئن لم تنته عما أنت عليه من إنكارك ما تنكره من أمرنا وعملنا لننفيك من قريتنا، وليكونن شأننا معك شأن من أخرجناهم من قبلك بالعنف والعسف، واحتباس الأموال، كما هو شأن الظلمة إذا أجلوا بعض من يبغضونهم صادروا أملاكهم. ﴿قَالَ﴾ لوط عليه السلام معلناً لهم بأن إبعاده لا يمنعه من الإنكار عليهم ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُمْ﴾ الخبيث، يعني: إتيان الرجال ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾؛ أي^(١): من المبغضين له أشد البغض - كأنه يقلي الفؤاد والكبد لشدة؛ أي: ينضح - لا أقف عن إنكار عليه بالإيعاذ. وهو اسم فاعل من القلي وهو البغض الشديد، وهو متعلق بمحذوف؛ أي: لقال من القالين، ومبغض من المبغضين. وذلك المحذوف وهو قال خبر ﴿إِنْ﴾، و﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾ صفته. وقوله: ﴿لِعَمَلِكُمْ﴾: متعلق بالخبر المحذوف، ولو جعل ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾.. لعمل القالين ﴿لِعَمَلِكُمْ﴾ فيفضي إلى تقديم الصلة على الموصول، ولكنه يتوسع في المجرورات ما لا يتوسع في غيرها. وإنما قال: ﴿مِّنَ الْقَالِينَ﴾ دون قالٍ إيماء إلى أنه من القوم الذين لو سمعوا بما تفعلون لأبغضوه، كما يقال: فلان من العلماء، فإنه أشد مدحاً من قولك: فلان عالم، إذ الأول تدل على أنه في عداد زمرة

(١) روح البيان.

العلماء المعروفين بمساهمتهم لهم في العلم.

أي: إني^(١) بريء مما تعملون مبغض له لا أحبه، ولا أرضاه، ولا يضيرني تهديدكم ولا وعيدكم. وإني لراغب في الخلاص من سوء جواركم. ولعله عليه السلام أراد إظهار الكراهة في مساكنتهم، والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم، ولذلك أعرض عن محاورتهم، وتوجه إلى الله سبحانه أن ينجيه من أعمال السوء هو وأهله، قال: ﴿رَبِّ﴾؛ أي: يا ربي، ويا مالك أمري ﴿يَجْنِي﴾؛ أي: خلصني أنا ﴿وَأَهْلِي﴾؛ أي: وأهل بيتي ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: من شؤم عملهم الخبيث، وعذابه، وأبعدني من عذابك الدنيوي والأخروي، أو من عقوبة عملهم التي ستصيبهم. فأجاب الله سبحانه دعاءه، وأغاثه بعد أن استغاثه، حيث قال: ﴿فَتَجِدْنَهُ﴾؛ أي: نجينا لوطاً ﴿وَأَهْلَهُ﴾؛ أي: أهل بيته بنتيه. قيل: وامرأته المؤمنة، ومن تابعه على دينه وأجاب دعوته كلهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ بإخراجهم من بينهم وقت مشاركة حلول العذاب بهم. ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هي^(٢) امرأة لوط المنافقة اسمها والهة، استثنيت من أهله، فلا يضره كونها كافرة؛ لأن لها شركة في الأهلية بحق الزوج. ﴿فِي الْغَيْرِينَ﴾؛ أي: إلا عجوزاً مقدراً كونها من الباقيين في العذاب؛ لأنها كانت راضية بفعل قومه، وقد أصابها الحجر في الطريق فأهلكها.

وذكر أن امرأة لوط حين سمعت الرجفة التفتت وحدها فمسخت حجراً، وذلك الحجر في رأس كل شهر يحيض، كذا في كتاب «التعريف والأعلام» للسهيلي. قال في «المفردات»: الغابر: الماكث بعد مضي من معه. قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ﴾^(٣) يعني: فيمن طال أعمارهم. وقيل: فيمن بقي، ولم يسر مع لوط، وقيل: فيمن بقي في العذاب.

والمعنى: أي فنجينا^(٣) وأهله جميعاً مما حل بأهل القرية من العذاب، فأمرناه بالخروج منها قبل أن ينزل بهم العذاب، إلا عجوزاً قد بقيت ولم تخرج

(٣) المراغي.

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

معه، وهي امرأته، كما جاء في سورة هود. ﴿إِلَّا أَمْرًا لَكَ إِنَّهُ مِصْبِحًا مَا أَصَابَهُمْ﴾ وكانت عجوز سوء لم تتبع لوطاً في الدين، ولم تخرج معه.

والخلاصة: فنجيناه وأهله من العذاب بإخراجهم من بينهم ليلاً عند حلول العذاب بهم إلا عجوزاً قدر الله سبحانه بقاءها لسوء أفعالها، وقبح طويتها، ولما لها من ضلع في استحسان أفعالهم.

﴿ثُمَّ دَرَكْنَا الْآخَرِينَ﴾ (١٧٣)؛ أي: أهلكناهم أشد الإهلاك وأفظعه، بقلب بلدتهم؛ أي: أهلكناهم بالخسف والحصب. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على الخارجين من بلادهم والكائنين مسافرين وقت الافتك والقلب. ﴿مَطَرًا﴾؛ أي: غير معتاد. وهو الحجارة فأهلكتهم. ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾؛ أي: بش^(١) مطر من أنذر فلم يؤمن، لم يرد بالمنذرين قوماً بأعيانهم، فإن شرط أفعال المدح والذم أن يكون فاعلها معرفاً بلام الجنس، أو يكون مضافاً إلى المعرف به، أو مضمراً مميّزاً بنكرة، والمخصوص بالذم محذوف وجوباً؛ وهو مطرهم؛ أي: فبئس مطر جنس المنذرين بعذاب الله، فلم يقبلوا الإنذار، والمخصوص بالذم مطر قوم لوط بالحجارة.

والخلاصة: أي^(٢) ثم أهلكنا المؤخرين عن لوط، فأمطرنا عليهم حجارة من السماء. قال وهب بن منبه: أنزل الله عليهم الكبريت والنار، وبئس المطر هذا، وما أشد وطأته، وما أقسى وقعه، فقد أحدث بأرضهم زلزالاً جعل عاليها سافلها.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي فعل بقوم لوط ﴿لَايَةً﴾؛ أي: لعبرة لمن بعدهم، فليجتنبوا عن قبيح فعلهم، كيلا ينزل بهم ما نزل بقوم لوط من العذاب، أو لدلالة واضحة على شدة بأس الله سبحانه، وعظيم انتقامه من أعدائه. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾؛ أي: أكثر قوم لوط بل أقلهم، أو ما كان أكثر من تلوت عليهم هذه القصة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ فإن أكثر الخلق لثام؛ وهم الكفار، وكرامهم قليل؛ وهم

(٢) المراغي.

(١) روح البيان.

المؤمنون. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ أَلْعَزِيزُ﴾ بقهر الأعداء ﴿الرَّحِيمُ﴾ بنصرة الأولياء، أو^(١) لا يعذب قبل التنبيه والإرشاد. وتعذيبه أهل العذاب من كمال رحمته على أهل الثواب. ألا ترى أن قطع اليد المتأكلة سبب لسلامة البدن كله. فالعالم بمنزلة الجسد، وأهل الفساد بمنزلة اليد المتأكلة، وراحة أهل الصلاح في إزالة أهل الفساد. ولو لم يكن في العزة والقهر فائدة.. لما وضعت الحدود. وقد قيل: إقامة الحدود خير من خصب الزمان.

قال إدريس عليه السلام: من سكن موضعاً ليس فيه سلطان قاهر، وقاض عادل، وطبيب عالم، وسوق قائمة، ونهر جار.. فقد ضيع نفسه وأهله وماله وولده، فعلى العاقل أن يحترز عن الشهوات، ويهاجر عن العادات، ويجاهد نفسه من طريق اللطف والقهر في جميع الحالات.

إيضاح لهذه القصة بما كتبه الباحثون^(٢)

كتبت مجلة السياسة الأسبوعية فصلاً قالت فيه: روت الكتب المنزلة أن الله سبحانه أهلك مدينتي سدوم وعمورة، وثلاث مدن أخرى بجوارهما بأن أمطر عليهم ناراً وكبريتاً من السماء، فلم ينج من سكانها سوى إبراهيم الخليل وأهل بيته، ولوط وابنتيه، ولم يكن إبراهيم من أهل تلك المدن، بل نزح إليها من الشمال طلباً للكلأ والمرعى بحسب عادة القبائل الرحل في ذلك الزمن.

وكان كثير من المؤرخين يرى أن هذه القصة خرافية، وبعضهم يقول: إنها قصة واقعية، كما تشهد بذلك آثار البلاد المجاورة للبحر الميت (بحيرة لوط).

وقد قام الدكتور أولبرابط بمباحث واسعة في وادي نهر الأردن، وعلى سواحل البحر الميت، حيث يظن أن سدوم وعمورة والثلاثة المدن الأخرى كانت فيها، فاستبان له أن هذه القصة حقيقية بجميع تفاصيلها، وعلم أن إبراهيم عليه السلام انحدر حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد من بلاد ما بين النهرين إلى

(٢) المراغي.

(١) روح البيان.

فلسطين، ومعه أهل بيته، وابن أخيه لوط وأهله، ومعهما أنعام كثيرة، فحدث نزاع وشجار بين الرعاة، فرأى لوط حفظاً للسلام أن يفترق عن إبراهيم، واختار منطقة وادي الأردن التي كانت فيها سدوم وعمورة، وأقام بسدوم، واختار إبراهيم المرتفعات التي في الشمال، وضرب خيامه هنالك.

وكشف الدكتور آثاراً تدل على صدق هذه القصة؛ إذ وجد هناك آثار حصن قديم يعلو سطح البحر بنحو خمس مئة قدم، ويجواره المذبح هو حجارة منصوبة على شكل أعمدة، يرجح أن الوثنيين في ذلك الزمن كانوا يقدمون عليها قربانهم، ويرجح أن البحر الميت طغى على الخمس التي كانت في منطقة الأردن. اهـ.

وبعض علماء الجيولوجيا - طبقات الأرض - يؤكدون أن هذا البحر يغمر اليوم بلاداً كانت أهله بالسكان. وفي التوراة: إن إبراهيم كان ذات يوم جالساً بباب خيمته في حر النهار إذ أقبل إليه ثلاثة من الملائكة فاستقبلهم بترحاب عظيم وصنع لهم وليمة، واحتفى بهم، وفي أثناء الطعام علم أنهم ذاهبون إلى سدوم، وكان أهل هذه المدينة مشهورين بشروهم، وانغماسهم في شهواتهم البهيمية، ولا سيما المحرمة منها، فلما وصلوا إلى سدوم ساروا توأ إلى منزل لوط ابن أخي إبراهيم ليبيتوا عنده، وعلم أهل سدوم بقدمهم، فأرادوا أن يرتكبوا بهم موبقاً، ولكن لوطاً دافع عنهم، وعرض أن يزوجهم - من بنات قومه - لينقذهم، فأبى أهل سدوم إلا أن يرتكبوا بهم الفحشاء، وقد تمكن الضيوف من الفرار، وأقنعوا لوطاً وأهل بيته بالفرار، وحين أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط - صوعر - فأمر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وتاراً من السماء، وقلب تلك المدن، وجميع سكانها، ونظرت امرأة لوط إلى وراء، فصارت عمود ملح. (اختنقت بالغازات الكثيرة التي التهب؛ إما بحدوث زلزلة، أو بسقوط صاعقة من الجو).

وفي التاريخ ما يدل على حدوث انقلابات جيولوجية شبيهة بحادثة سدوم وعمورة، فقد يثور بركان، ويتدفق حممه على البلاد المجاورة، فيغمرها ويهلك

أهلها، وقد تغور بلاد واسعة، فيطمو عليها البحر، وتزول هي وما فوقها من نبات وحيوان وإنسان. وقد تنشق الأرض فتبتلع مدناً بأسرها.

والخلاصة^(١): أن هذه المدن كانت قاعدة لملوك جبارين، وكانت ذات غناء وغياض غنية، بوفرة مائها وخيراتها، وشمل أهلها الفساد، ورتعوا في شهواتهم البهيمية، ولم يبق فيها بر إلا لوط وأهله، فانتقم الله منهم فأمطر عليهم ناراً وكبريتاً من السماء، فألهب البراكين النارية التي فيها، فعجلت دمارهم وخسفت الأرض بهم، وظهرت البحيرة على ما نراه الآن.

قصص شعيب عليه السلام

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢)؛ أي: شعيباً ومن قبله عليهم السلام، أو الجمع للتعظيم، أو لأن من كذب رسولاً فكأنما كذب الجميع، كما مر مراراً. والأليكة^(٣): الغيضة التي تنبت ناعم الشجر، كالسدر والأراك، وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة من الناس، فبعث الله إليهم شعيباً بعد بعثه إلى مدين، ولكن لما كان أخا مدين في النسب.. قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، ولما كان أجنبياً من أصحاب الأليكة.. قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ ولم يقل: أخوهم شعيب، وهو شعيب بن ثويب بن مدين بن إبراهيم عليه السلام، أو هو ابن ميكيك بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل، وأم ميكيك بنت لوط.

ووقع لفظ الأليكة في القرآن في أربع مواضع^(٤)، في الحجر، وفي ق، وهنا، وفي ص، والأولان بآل وبالجبر لا غير، والآخران يقرآن بآل وبالجبر^(٥)، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر في هذه السورة، وفي ص خاصة ﴿لَيْكَةِ﴾ بلام واحدة وفتح التاء، وهو غير منصرف للعلمية والتأنيث، واللام جزء الكلمة، وهو اسم البلدة لأصحاب الحجر. وقال أبو عبيدة: إن ليكة اسم للقريّة التي كانوا عليها، والأليكة اسم للبلاد كلها، كمكة وبكة. وقرأ باقي السبعة ﴿لَيْكَةِ﴾ بلام

(١) المراغي.

(٢) الفتوحات.

(٣) روح البيان.

(٤) المراح والبحر المحيط.

التعريف. والمعنى: أي: كذب أصحاب شجر ملتف بقرب مدين شعبياً، وجملة المرسلين.

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾ نبيهم ﴿شُعَيْبٌ﴾ عليه السلام، ظرف للتكذيب، كما مر نظائره ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله الذي تفضل عليكم بنعمه ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾ من عند الله، فهو أمرني أن أقول لكم ذلك. ﴿أَمِينٌ﴾ لا خيانة عندي. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ المحسن إليكم بهذه الغيضة وغيرها. ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أي فيما أمرتكم به؛ لما ثبت من نصحي لكم. ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أي: على دعائي لكم إلى الإيمان بالله تعالى، أو على أداء الرسالة والتبليغ، والتعليم المدلول عليه بقوله رسول ﴿مِّنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: أجراً وجعلاً ﴿إِنْ أَجَرِي﴾؛ أي: ما ثواب تبليغي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: المحسن إلى الخلائق كلهم، فإني لا أرجو أحداً سواه، فإن الفيض وحسن التربية منه تعالى على الكل، خصوصاً على من كان مأموراً بأمر من جانبه.

وبعد أن نصحهم بتلك النصائح.. وعظهم بعظة أخرى، فنهاهم عن نقيصة كانت شائعة بينهم؛ وهي التطفيف في الكيل والميزان، فقال: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾؛ أي: أتموا الكيل لمن أراده وعامل به. ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾؛ أي: من الناقصين حقوق الناس بالتطفيف، يقال: أخسرت الكيل والوزن؛ أي: نقصته؛ أي: إذا بعتم للناس فكيلوا لهم الكيل كاملاً، ولا تبخسوهم حقهم فتعطوه ناقصاً، وإذا اشتريتم فخذوا كما لو كان البيع لكم.

وخلاصة ذلك: خذوا كما تعطون، وأعطوا كما تأخذون. ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ﴾؛ أي: بالميزان ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾؛ أي: السوي العدل.

وقد جاء في سورة المطففين مثل هذا مع التحذير منه، فقال: ﴿وَتِلْكَ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ① الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ⑤.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص^(١): ﴿القسطاس﴾ - بكسر القاف - والباقون

(١) المراح.

بالضم، ثم عمن النهي عن البخس في كل حق، فقال: ﴿وَلَا تَبْخُسُوا الْكَاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾؛ أي: ولا تنقصوا الناس حقوقهم في كيل، أو وزن، أو غيرهما، كالمزروعات والمعدودات، كأخذ بيض كبير وإعطاء بيض صغير، وإعطاء رغيف صغير وأخذ رغيف كبير. وهكذا يقال: بخس حقه إذا نقصه إياه؛ وهو تعميم بعد تخصيص. قال في «كشف الأسرار»: ذكر بأعم الألفاظ يخاطب به القافلة، والوزان، والنحاس، والمحصى، والصيرفي. انتهى. أي: ولا تنقصوا^(١) شيئاً من حقوق الناس، أي حق كان، كنقص العد، والزرع، ودفع الزيف مكان الجيد، والغصب، والسرقة والتصرف بغير إذن صاحبه، ونحو ذلك.

ثم نهاهم عن جرم أعظم شأنًا، وأشد خطراً؛ وهو الفساد في الأرض بجميع ضروبه وأشكاله، فقال: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: ولا تعتدوا على الناس في الأرض حالة كونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾؛ أي: قاصدين الإفساد والظلم بالقتل، والغارة، وقطع الطريق، والسلب والنهب، والغصب، ونحوها. كإهلاك الزرع والنسل، والدعاء إلى عبادة غير الله، فإنهم كانوا يفعلون ذلك.

والعني^(٢): أشد الفساد فيما لا يدرك حساً. وقوله: ﴿مُفْسِدِينَ﴾ حال مقيدة؛ أي: لا تعتدوا حال إفسادكم، وإنما قيده به وإن غلب العني في الفساد؛ لأنه قد يكون منه ما ليس بفساد، كمقابلة الظالم المعتدي بفعله، ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً، كقتل الخضر الغلام، وخرقه السفينة.

وبعد أن نهاهم عن ذلك خوفهم سطوة الجبار الذي خلقهم، وخلق من قبلهم ممن كانوا أشد منهم بطشاً وعتوًّا، فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ يا أصحاب الأيكة ﴿وَوُجِدَ﴾ خلق ﴿الجبلة الأولين﴾؛ أي: الخلائق الماضين الذين كانوا على خلقة عظيمة، وطبيعة غليظة، كقوم هود وقوم لوط. والجبلة: الخليقة، قاله مجاهد وغيره. يعني الأمم المتقدمة؛ أي: وخافوا بأس الذي خلقكم من العدم للإصلاح في الأرض، وخلق من قبلكم ممن كانوا أشد منكم قوة، وأكثر أموالاً،

(٢) روح البيان.

(١) روح البيان.

وأولاداً، كقوم هود الذين قالوا من أشد منا قوة؟ فأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

وقرأ الجمهور^(١): ﴿وَالْجِبَلُ﴾ بكسر الجيم والباء وشد اللام. وقرأ أبو حصين والأعمش والحسن بخلاف عنه، والأعرج وشيبة بضمهما وتشديد اللام وتشديد اللام في القراءتين في بناءين للمبالغة. وقرأ السلمي: ﴿والجبل﴾: بكسر الجيم وسكون الياء، وفي نسخة عنه بفتح الجيم وسكون الباء، وهي من جبلوا على كذا؛ أي: خلقوا. ﴿قَالُوا﴾؛ أي: أصحاب الأيكة ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾؛ أي: ما أنت يا شعيب إلا رجل من المسحورين؛ أي: ممن سحر عقله مرة بعد أخرى، فصار كلامه جزافاً لا يعبر عن حقيقة، ولا يصيب هدف الحق، أو من المجوفين مثلنا ولست بملك. ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾؛ أي: مماثل لنا تأكل وتشرب كما نفعل، فلا مزية لك علينا، فما وجه تخصيصك بالرسالة، وإرسالك رسولاً إلينا.

وإدخال ﴿الواو﴾^(٢) بين الجملتين هنا؛ للدلالة على أن كلاً من التسخير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب، بخلاف قصة ثمود، فإنه ترك ﴿الواو﴾ هناك؛ لأنه لم يقصد إلا معنى واحد هو التسخير، وقد مر توجيهه بوجه آخر نقلاً عن شيخ الإسلام.

ثم أكدوا هذا الإنكار بقولهم: ﴿وَلَنْ﴾؛ أي: وإن الشأن ﴿نَظُنُّكَ﴾؛ أي: نعتقد كونك ﴿لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ في دعوى النبوة، ف﴿إِنْ﴾: مخففة من الثقله واسمها محذوف؛ أي: وإنا لنظنك ممن يتعمد الكذب فيما يقول، ولم يرسلك الله نبياً إلينا. وقيل^(٣): ﴿إِنْ﴾: نافية، واللام بمعنى إلا؛ أي: ما نظنك إلا من الكاذبين، والأول أولى.

ثم إن شعيباً كان هدهم بالعذاب إن استمروا على التكذيب، فقالوا: ﴿فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾؛ أي: أي: قطعاً من السحاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ

(٣) الشوكاني.

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

الصَّادِقِينَ ﴿١﴾ في دعواك النبوة؛ أي: فإن كنت صادقاً في دعواك الرسالة، فأنزل علينا من السحاب قطعاً يكون فيها العذاب لنا.

وقرأ حفص^(١): ﴿كِسَفًا﴾ بفتح السين، والباقون بالسكون. وهذا شبيه بما قالته قريش لنبينا محمد ﷺ فيما حكى الله عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ لَكَ حَقٌّ نَقْجُرُ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوءًا ﴿٩٠﴾﴾ إلى أن قالوا: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيبَلًا﴾، وقوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آفِتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٩٢﴾﴾.

وإنما طلبوا ذلك لتصميمهم على التكذيب واستبعادهم وقوعه، فعند ذلك فوض شعيب عليه السلام أمرهم إلى الله ف﴿قَالَ رَبِّ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾﴾ من تطفيف الكيل والميزان، فيجازيكم به، فإن شاء عجل لكم العذاب، وإن شاء أخره إلى أجل معلوم، وليس العذاب إليّ، وما عليّ إلا الدعوة والتبليغ، وأنا مأمور به، فلم أذكركم من تلقاء نفسي، ولا أدعي القدرة على عذابكم، وأمره إلى الله تعالى، فينزله في وقته المقدر له لا محالة. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾؛ أي: فأصروا على تكذيبه بعد وضوح الحجة، وانتفاء الشبهة. ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ والسحابة التي أقامها الله سبحانه فوق رؤوسهم حتى أظلمت، فأمرت عليهم ناراً فهلکوا، وقد أصابهم الله سبحانه بما اقترحوا؛ لأنهم إن أرادوا بالكسف القطعة من السحاب فظاهر، وإن أرادوا بها القطعة من السماء.. فقد نزل عليهم العذاب من جهتها.

وفي إضافة العذاب إلى يوم الظلة^(٢)، لا إلى الظلة نفسها إيدان بأن لهم يوماً آخر غير هذا اليوم، كالأيام السبعة مع لياليها التي سلط الله فيها عليهم الحرارة الشديدة، وكان ذلك من علامة أنهم يؤخذون بجنس النار؛ أي: في^(٣) تلك الإضافة إعلام بأن لهم عذاباً آخر غير عذاب السحاب، كما روي أن الله

(١) المراح.

(٢) المراح.

(٣) روح البيان.

سبحانه فتح عليهم باباً من أبواب جهنم، وأرسل عليهم هدة وحرّاً شديداً مع سكون الريح سبعة أيام بلياليها، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا بيوتهم، فلم ينفعهم ظل ولا ماء، فأنضجهم الحر، فخرجوا هرباً، فأرسل الله تعالى سحابة فأظلتهم، فوجدوا لها برداً وروحاً وريحاً طيبة، فنادى بعضهم بعضاً، فلما اجتمعوا تحت السحابة.. ألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض، فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلبي فصاروا رماداً،

﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: إن عذاب يوم الظلة ﴿كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾؛ أي: شديد هوله وعذابه، فعظم اليوم لعظم العذاب الواقع فيه وشدته، قال قتادة: إن شعبياً أرسل إلى أمتين؛ أصحاب مدين، ثم أصحاب الأيكة، فأهلك مدين بالصيحة والرجفة، وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة.

والمعنى: أي^(١) وهكذا دأبوا على التكذيب، فجازاهم بجنس ما طلبوا من إسقاط الكسف من السماء، فجعل عقوبتهم أن أصابهم حر عظيم أخذ بأنفاسهم لم ينفعهم فيه ظل ولا ماء ولا شراب، فاضطروا أن يخرجوا إلى البرية، فأظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً، فاجتمعوا كلهم تحتها، فأمطرتهم شواظاً من نار فاحترقوا.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من قصة قوم شعيب ﴿لَايَةً﴾؛ أي: لدلالة واضحة على صدق الرسل، أو المعنى: أي: إن في ذلك الإنجاء لكل رسول ومن أطاعه، والعذاب لكل من عصاه في كل العصور لدلالة واضحة على صدق الرسل. ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾؛ أي^(٢): أكثر أصحاب الأيكة، بل كلهم؛ إذ لم ينقل إيمان أحد منهم بخلاف أصحاب مدين، فإن جماعة منهم آمنوا. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ بالله سبحانه، وبرسوله شعيب عليه السلام، أو^(٣) وما كان أكثر قومك يا محمد بمؤمنين مع أنك قد أتيتهم بما لا يكون معه شك من الدليل والبرهان، لو لم يكن

(٣) المراغي.

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

لهم معرفة بك من قبل، فكيف وهم عارفون بأنك كنت قبل الرسالة أصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، وأغزرهم عقلاً، وأبعدهم عن كل ذي دنس.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَهُوَ أَلْفَرِيزُ﴾ الغالب القادر على كل شيء. ومن عزته نصر أنبيائه على أعدائه. ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالإمهال، فلا يعاجل العقوبة لمن استحقها.

وهذا آخر^(١) القصص السبع التي ذكرها الله سبحانه تسلياً لرسوله ﷺ، وتهديداً للمكذبين له. وكل قصة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول، قد اتاهم من الله تعالى وما كان أكثرهم مؤمنين بعدما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة، بأن لا يعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي إلى الإيمان، والزواج عن الكفر والطغيان، وبأن لا يتأملوا في شأن الآيات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه، مع علمهم بأنه ﷺ لم يسمع شيئاً منها من أحد أصلاً، وصاروا كأنهم لم يسمعوا شيئاً يزجرهم عن الكفر والضلال واستمروا على ذلك.

تمة: وقد كرر^(٢) سبحانه في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كرر تقريراً لمعانيها في الصدور؛ ليكون أبلغ في الوعظ والزجر، ولأن كل قصة منها كنتزيل برأسه. وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت جديرة بأن تفتح بما افتتحت به صاحبته، وأن تختتم بما اختتمت به.

تنبيه: جاءت^(٣) هذه القصص السبع مختصرة هنا، وفيها البرهان الساطع على أن القرآن جاء من عالم الغيب، فإن النتائج التي حصل عليها النبي ﷺ، ولم يكن حين نزولها ذا شوكة ولا ذا قوة، وأن ما أصيب به من التكذيب والأذى وكانت عاقبته الفتح والنصر المبين نموذج لما حدث للأنبياء السالفين قبله.

(٣) المراغي.

(١) المراح.

(٢) النسفي.

فائدة: فإن قلت^(١): لم لا يجوز أن يقال: إن العذاب النازل بعاد وثمرود، وقوم لوط وغيرهم.. لم يكن لكفرهم، وعنادهم، بل كان كذلك بسبب اقترانات الكواكب، واتصالاتها على ما اتفق عليه أهل النجوم، ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص. وأيضاً أن الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين، وابتلاء لهم، وقد ابتلى المؤمنون بأنواع البليات، فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء الأقوام دليلاً على كونهم مبطلين مؤخذين بذلك؟

قلت: إطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم لهم استهزاء، وعدم مبالاة به يدفع أن يقال: إنه كان بسبب اتصالات فلكية، أو كان ابتلاء لهم، لا مؤاخظة على تكذيبهم؛ لأن الابتلاء لا يطرد.

الإعراب

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ. ﴿١٤٤﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٤١): فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة، ولم ينون ﴿ثَمُودُ﴾؛ لمنعه من الصرف بالعلمية والتأنيث المعنوي. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى، متعلق بـ﴿كَذَّبَتْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَخُوهُمْ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ﴿إِذْ﴾. ﴿صَالِحٌ﴾: بدل من ﴿أَخُوهُمْ﴾، أو عطف بيان له. ﴿أَلَا﴾: أداة عرض. ﴿تَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكُمْ﴾: حال من ﴿رَسُولٌ﴾. و﴿رَسُولٌ﴾: خبر ﴿إِنْ﴾. ﴿أَمِينٌ﴾: صفة ﴿رَسُولٌ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾: في محل نصب مقول ﴿قال﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر، تقديره: إذا عرفتم أنني رسول الله، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم اتقوا الله. ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول،

(١) روح البيان.

والجملة في محل نصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل
النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُوا﴾: ﴿الوَائِي﴾: عاطفة. ﴿أَطِيعُوا﴾: فعل أمر
وفاعل ونون وقاية، وياء المتكلم المحذوفة للفاصلة في محل نصب مفعول به،
والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ أَتَزَكُّونَ فِي مَا هَهْنَأَ
ءَامِينَ ﴿٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
يُوتًا قَرِيرِينَ ﴿٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الوَائِي﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: فعل مضارع وفاعل
مستتر ومفعول أول. ﴿عَلَيْهِ﴾: حال من ﴿أَجَرْتُ﴾، و﴿مِنْ﴾: زائدة، و﴿أَجَرْتُ﴾:
مفعول ثان لسأل، والجملة الفعلية في محل نصب معطوفة على جملة إن على
كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿أَجَرْتُ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: أداة
استثناء مفرغ. ﴿عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر المبتدأ،
والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَتَزَكُّونَ﴾: الهمزة: للاستفهام
الإنكاري التوبيخي، ﴿تَزَكُّونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل نصب
مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فِي﴾: جار ومجرور متعلق ب﴿تَزَكُّونَ﴾. ﴿مَا هَهْنَأَ﴾: ﴿هَا﴾:
حرف تنبيه، ﴿هَنَا﴾: اسم إشارة للمكان القريب في محل نصب على الظرفية
المكانية، والظرف صلة ل﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿ءَامِينَ﴾: حال من ﴿الوَائِي﴾ في
﴿تَزَكُّونَ﴾. ﴿فِي جَنَّتٍ﴾: بدل من قوله: ﴿فِي مَا هَهْنَأَ﴾ بإعادة الجار. ﴿وَعُيُونٍ
وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ﴾: معطوفات على ﴿جَنَّتٍ﴾. ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة
في محل الجر صفة ل﴿نَخْلٍ﴾. ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على
﴿تَزَكُّونَ﴾، فهو في حيز الاستفهام الإنكاري التوبيخي. ﴿مِنَ الْجِبَالِ﴾: متعلق
ب﴿تَنْحِتُونَ﴾. ﴿يُوتًا﴾: مفعول به. ﴿قَرِيرِينَ﴾: حال من واو ﴿تَنْحِتُونَ﴾. ﴿فَاتَّقُوا
اللَّهَ﴾: ﴿الْفَاءُ﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا
عرفتم ما ذكرته لكم، وأردتم بيان ما هو اللازم لكم.. فأقول لكم: اتَّقُوا اللَّهَ.
﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول، والجملة في محل نصب مقول لجواب إذا

المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُوا﴾: فعل وفاعل ومفعول محذوف ونون وقاية معطوف على ﴿اتقوا الله﴾.

﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾.

﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تُطِيعُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية، والجملة معطوفة على جملة وأطيعوا الله، أو الجملة في محل النصب حال من فاعل أطيعوا. ﴿أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول للجمع المذكر في محل الجر صفة لـ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾. ﴿يُفْسِدُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلق به. ﴿وَلَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُصْلِحُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿يُفْسِدُونَ﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر، أو حرف كاف ومكفوف. ﴿أَنْتَ﴾: مبتدأ. ﴿مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٥٤).

﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَنْتَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿بَشَرٌ﴾: خبر. ﴿مِثْلُنَا﴾: صفة لـ﴿بَشَرٌ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿فَأْتِ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قلنا لك، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فنقول لك آت. ﴿أَنْتَ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة. ﴿بِآيَةٍ﴾: جار ومجرور متعلق به، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿كُنْتَ﴾: فعل ناقص واسمه في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: خبر كان، وجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية معلوم مما قبلها تقديره: إن كنت من الصادقين فات بآية، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَسْوَأُوا يَسْوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَمَقَرُّوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِيَيْنَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ .

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ وفاعل مستتر يعود على صالح، والجملة مستأنفة.
﴿هَذِهِ﴾ مبتدأ. ﴿نَاقَةٌ﴾: خبر، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَهَا﴾: خبر مقدم. ﴿شِرْبٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لـ ﴿نَاقَةٌ﴾. ﴿وَلَكُمْ﴾ ﴿الْوَاوُ﴾: عاطفة. ﴿لَكُمْ﴾: خبر مقدم. ﴿شِرْبُ يَوْمٍ﴾: مبتدأ مؤخر ومضاف إليه. ﴿مَّعْلُومٍ﴾: صفة ﴿يَوْمٍ﴾ والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ فكانه قال: هذه ناقة لها، شرب، وأنتم أقوام لكم شرب يوم معلوم. ﴿وَلَا﴾: ﴿الْوَاوُ﴾: عاطفة. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَسْوَأُوا﴾: فعل وفاعل ومفعول به مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية. ﴿يَسْوءَ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ﴾. ﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة سببية، ﴿يَأْخُذْكُمْ﴾: فعل ومفعول به منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب النهي. ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ﴾: فاعل ومضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة ﴿يَوْمٍ﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابق لإصلاح المعنى تقديره: لا يكن مسكم إياها بسوء فأخذ عذاب يوم عظيم إياكم.
﴿فَمَقَرُّوْهَا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة ﴿عَقَرُوْهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على جملة ﴿قَالَ﴾. ﴿فَأَصْبَحُوا نَادِيَيْنَ﴾: فعل ناقص واسمه، وخبره معطوف على ﴿فَمَقَرُّوْهَا﴾. ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: فعل ومفعول به. ﴿الْعَذَابُ﴾: فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَصْبَحُوا﴾. ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾ تقدم إعراب هذه الجمل مراراً فراجع.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ .

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة

لبيان قصة قوم لوط. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى متعلق بـ ﴿كَذَّبَتْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَنَّهُمْ﴾: فاعل. ﴿لُوطٌ﴾: بدل منه، والجملة في محل الجبر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿أَلَّا﴾: حرف عرض. ﴿تَنقُوتَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكُمْ﴾: حال. ﴿رَسُولٌ﴾: خبره. ﴿أَمِينٌ﴾: صفة ﴿رَسُولٌ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة، ﴿اتقوا الله﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُوا﴾: فعل وفاعل ومفعول به محذوف معطوف على ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٤٦﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق به، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنْ﴾ على كونها مقول ﴿قَالَ﴾؛ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ متعلقاً به. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿أَجَرِيَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَتَأْتُونَ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري، ﴿تَأْتُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿الذُّكْرَانَ﴾ مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾: حال من ﴿الذُّكْرَانَ﴾. ﴿وَتَذَرُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿تَأْتُونَ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصوف في محل النصب مفعول به. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض. ﴿لَكُمْ﴾: متعلق به. ﴿رَبُّكُمْ﴾: فاعل، والجملة صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: ما خلقه. ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾: حال من ﴿مَا﴾، أو من العائد المحذوف. ﴿بَلْ﴾: حرف للإضراب الانتقالي. ﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿عَادُونَ﴾: صفة ﴿قَوْمٌ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالُوا لَنْ نَبْنِيَهُ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٤٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَائِينَ ﴿١٥١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٥٣﴾.

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿لَيْن﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿لَرْ﴾: حرف جزم. ﴿تَنْتَه﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر مجزوم بـ﴿لَرْ﴾، والجملة في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها، وجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية محذوف دل عليه جواب القسم تقديره: إن لم تنته تكن من المخرجين، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها معترضة بين القسم وجوابه. ﴿يَلُوطُ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾ على كونها معترضة. ﴿لَتَكُونَنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم مؤكدة للأول. ﴿تكونن﴾: فعل مضارع ناقص في محل الرفع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد، واسمها ضمير مستتر يعود على ﴿لوط﴾ ﴿مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾: خبرها، وجملة ﴿تكونن﴾ جواب القسم، وجملة القسم في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة مستأنفة. ﴿إِنِّ﴾: ناصب واسمه. ﴿لِعَمَلِكُمْ﴾: متعلق بـ﴿الْقَالِينَ﴾. ﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾: خبر ﴿إِنْ﴾ وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿يَجْنِي﴾: فعل دعاء وفاعل مستتر ونون وقاية ومفعول به. ﴿وَأَهْلِي﴾: معطوف على ياء المتكلم، أو مفعول معه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿يَجْنِي﴾، وجملة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ صلة لـ﴿مَا﴾، والعائد محذوف تقديره: مما يعملونه. ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾: حرف عطف وتفريع، ﴿نَجَّيْنَاهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَهْلَهُ﴾: معطوف على هاء المفعول، أو مفعول معه. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: توكيد لـ﴿أهله﴾. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿عَجُوزًا﴾: مستثنى. ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾: صفة لـ﴿عَجُوزًا﴾. كأنه قيل: إلا عجوزاً غابرة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿دَمَرْنَا الْآخِرِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿نَجَّيْنَاهُ﴾. ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿دَمَرْنَا﴾. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق بـ﴿أَمْطَرْنَا﴾. ﴿مَطَرًا﴾: مفعول به. ﴿فَسَاءَ﴾: الفاء: عاطفة، أو استثنائية، ﴿سَاءَ﴾: فعل ماض من أفعال الذم، ﴿مَطَرُ الْمُتَذِينَ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة معطوفة على ﴿أَمْطَرْنَا﴾، أو مستأنفة، والمخصوص بالذم

محذوف تقديره: مطهرهم، والجمل في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥). تقدم إعرابها فراجعه إن شئت.

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُوْنَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠).

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجمله مستأنفة مسوقة لبيان قصة قوم شعيب. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ ﴿كَذَّبَ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿شُعَيْبٌ﴾: فاعل، والجمله في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿أَلَا﴾: أداة عرض. ﴿نَنْقُوْنَ﴾: فعل وفاعل، والجمله في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَكُمْ﴾: حال من ﴿رَسُولٌ﴾، و﴿رَسُولٌ﴾: خبره. ﴿أَمِينٌ﴾: صفة ﴿رَسُولٌ﴾، والجمله في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: الفاء: فاء الفصيحة. ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجمله في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَطِيعُوا﴾: فعل وفاعل ومفعول محذوف معطوف على ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾. ﴿وَمَا﴾: نافية. ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول. ﴿عَلَيْهِ﴾: حال من ﴿أَجْرٍ﴾. ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: مفعول ثان، والجمله الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِنْ﴾: نافية. ﴿أَجَرِيَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خبر المبتدأ، والجمله في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطِاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥).

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجمله في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَلَا﴾: عاطفة. ﴿الْوَاوِ﴾: ناهية جازمة. ﴿تَكُونُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾: خبره، والجمله في محل النصب معطوفة على جملة ﴿أَوْفُوا﴾. ﴿وَزِنُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَوْفُوا﴾. ﴿الْوَاوِ﴾: عاطفة. ﴿زِنُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَوْفُوا﴾.

﴿أَوْفُوا﴾. ﴿بِالْقِسْطَيْنِ﴾: متعلق بـ﴿زنوا﴾. ﴿الْمُسْتَفِيمِ﴾: صفة لـ﴿القسطاس﴾. ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿أَشْيَاءَ هُمْ﴾: مفعول ثان، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿أَوْفُوا﴾. ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ﴿لا﴾ الناهية. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَوْفُوا﴾. ﴿مُفْسِدِينَ﴾: حال مؤكدة لمعنى عاملها. ﴿وَأَتَقُوا الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿أَوْفُوا﴾. ﴿خَلَقَكُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به ﴿وَالْجِلَّةَ﴾: معطوفة على الكاف. ﴿الْأَوَّلِينَ﴾: صفة لـ﴿جبله﴾، وجملة ﴿خَلَقَكُمْ﴾: صلة الموصول. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر. ﴿أَنْتَ﴾: مبتدأ. ﴿مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾.

﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿ما﴾: نافية. ﴿أَنْتَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: أداة حصر. ﴿بَشَرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِثْلُنَا﴾: صفة ﴿بَشَرٌ﴾، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قَالُوا﴾. ﴿وَإِنْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إِنْ﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن؛ أي: إنه ﴿نَظُنُّكَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول أول. ﴿لَمِنَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: في محل المفعول الثاني لظن، وجملة ظن في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾ المخففة، وجملة ﴿إِنْ﴾ المخففة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّمَا أَنْتَ﴾ على كونها مقولاً لـ﴿قَالُوا﴾.

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ قَالَ رَبِّ اعْلَمْ بِمَا نَعْمَلُونَ ﴿٧٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾.

﴿فَأَسْقِطْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر وتقديره: إذا سمعت يا شعيب ما قلنا لك، وأردت إثبات نبوتك. فنقول لك أسقط. ﴿أسقط﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على شعيب. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلق به. ﴿كِسَفًا﴾: مفعول به. ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾: صفة لـ﴿كِسَفًا﴾، والجملة الفعلية في

محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿كُنْتُ﴾: فعل ناقص، واسمه في محل الجزم بـ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها فعل شرط لها. ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾: خبر كان، وجواب ﴿إِنْ﴾ الشرطية معلوم مما قبله تقديره: إن كنت من الصادقين فأسقط علينا، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة مستأنفة. ﴿رَبِّ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿يَمَّا﴾: بـ﴿أَعْلَمُ﴾، وجملة ﴿تَعْمَلُونَ﴾ صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿كذبوه﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿قَالُوا﴾. ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿أخذهم﴾: فعل ومفعول به. ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾: فاعل ومضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿كذبوه﴾. ﴿إِنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر يعود على ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾. ﴿عَذَابُ يَوْمٍ﴾ خبر ومضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾ صفة لـ﴿يَوْمٍ﴾. وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٠) وَلَئِنْ رَبَّكَ لَمَوْ أَعَزُّهُ لَرَجِمُ (١١) تقدم إعرابه مراراً فلا عود ولا إعادة، والله أعلم.

التصريف ومفردات اللغة

﴿وَنَخْلٍ﴾ النخل والنخيل: شجر التمر المعروف، له ساق مستقيم طويل ذو عقد، واحده نخلة ونخيلة. وفي «المصباح» ما ملخصه: النخل: اسم جمع، الواحدة نخلة، وكل اسم جمع كذلك يؤنث ويذكر، وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقاً. اهـ.

﴿طَلْعُهَا﴾: هو ثمرها في أول ما يطلع، وبعده يسمى خلاً، ثم بلحاً، ثم بسرّاً، ثم رطباً، ثم تمرّاً. وفي «البيضاوي»: طلعتها: وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو، وتشبيهه بنصل السيف من حيث الهيئة والشكل. وفي «المختار»: ويقال للطلع ﴿هَضِيمٌ﴾ ما لم يخرج؛ لدخول بعضه في بعض، من قولهم: كشح هضم. وفي «القاموس» و«التاج»: الطلع: المقدار، تقول:

الجيش طلع ألف، ومن النخل شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان، والحمل بينهما منضود، والطرف محدد، أو ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها، والهضيم: النضيج الرخص اللين اللطيف.

وفي «أبي السعود»: والهضيم: اللطيف اللين للطف الثمر، أو لأن النخل أنثى وطلع الإناث أطف؛ وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنؤ، أو مدل متكسر من كثرة الحمل، وإفراد النخل؛ لفضله على سائر أشجار الجنات، أو لأن المراد به غيرها من الأشجار. اهـ.

﴿وَتَحْتُونَ مِنْ أَلْجَالٍ﴾ يقال: نحته ينحته - من باب ضرب - نحاً ونحاة، والنحت: النجر والبري، والنحاة البراية، والمنحت ما ينحت به.

﴿فَرِهَيْنَ﴾ قال الراغب: معنى قراءة من قرأ: ﴿فَرِهَيْنَ﴾ - بالألف - حاذقين؛ أي: ماهرين في العمل، من الفراهة؛ وهي النشاط، فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب. ومن قرأ: ﴿فَرِهَيْنَ﴾ جعله بمعنى مرحين أشرين بطرين، فهو على الأول من فره بالضم، وعلى الثاني من فره بالكسر.

﴿شَرِبَ﴾ - بالكسر - الحظ والنصيب من الماء، كالسقي من السقي. قال الفراء: الشرب: الحظ من الماء. قال النحاس: فأما المصدر فيقال فيه: شرب شرباً وشرباً، وأكثرها المضموم، والشرب بفتح الشين جمع شارب. والمراد هنا الشرب بالكسر.

﴿فَعَرَّوْهَا﴾ يقال: عقرت البعير: نحرت، وأصل العقر ضرب الساق بالسيف، كما في «كشف الأسرار» والمعنى هنا؛ أي: رموها بسهم، ثم قتلوها، كما مر في مبحث التفسير.

﴿نَدِيمَيْنِ﴾: اسم فاعل من ندم من باب فرح، والندم والندامة التحسر من تغير رأي في أمر فئت.

﴿أَتَاتُونُ الذُّكْرَانَ﴾ والذكوران والذكور جمع الذكر ضد الأنثى من كل حيوان، وجعل الذكر كناية عن العضو المخصوص، كما في «المفردات».

﴿وَتَذَرُونَ﴾؛ أي: تتركون، يقال: فلان يذر الشيء؛ أي: يقذفه لقلة إعداده به، ولم يستعمل ماضيه.

﴿مِنَ الْقَالِينَ﴾: من المبغضين، جمع قال، اسم فاعل من قلىته أقلية قلى: وقلاء، والقلى أشد البغض؛ وهو مما يجب كسر عين مضارعه؛ لوجود داعي الكسر، وهو كون لامه ياء، كما هو مقرر في محله. وفي «المصباح»: قلىته الرجل أقلية - من باب رمى - قلى بالكسر والقصر، وقد يمد إذا أبغضه، ومن باب تعب لغة. وعبارة «القاموس»: قلاه - ك: رماه ورضيه - قلى وقلا وقليه أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه، أو قلاه في الهجر وقليه في البغض.

﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَيْرِينَ﴾ قال الراغب: سميت العجوز عجزاً لعجزها عن كثير من الأمور. قال في «المفردات»: الغابر: الماكث بعد مضي من معه. قال في «الكشاف»: ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك: غير الناجين. وفي «المصباح»: غبر غبوراً - من باب قعد - بقي، وقد يستعمل فيما مضى أيضاً فيكون من الأضداد. وقال الزبيدي: غبر غبوراً مكث، وفي لغة بالمهملة للماضي، وبالمعجمة للباقي. وغُبر الشيء - وزان سكر - بقيته. وفي «القاموس»: غبر غبوراً مكث وذهب، ضدُّ، وهو غابر من غُبر كُرُجَع، وغُبر الشيء - بالضم - بقيته، اهـ.

﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَعْرِينَ﴾ والتدمير: إدخال الهلاك على الشيء، والدمار: الهلاك على وجهه عجيب هائل.

﴿فَتَكَاكَ﴾ في اللغة: الشجرة الكثيفة، وجمعها أيك. قال في «القاموس»: أيك يأيك - من باب تعب - أيكاً، واستأيك الشجر التف وصار أيكه، والأيك: الشجر الكثيف الملتف، الواحدة أيكه، فتطلق الأيكه على الواحدة من الأيك، وعلى غيضة شجر ملتفة قرب مدين. قالوا: وكان شجرهم الدوم، وهي قرية شعيب سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم، بينها وبين مصر مسير ثمانية أيام.

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ يقال: خسرت وأخسرت: نقصته.

﴿وَزُنُوًا﴾: أمر من وزن يزن وزناً وزنة، والوزن معرفة قدر الشيء.

﴿بِالْقِسْطِ﴾ قال في «القاموس»: القُسْطاس بكسر القاف وضمّهما، وقد قرئ بهما الميزان، أو أقوم الموازين، فإن كان من القسط وهو العدل، وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس، وإلا فهو رباعي. وقيل: هو بالرومية العدل.

﴿وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: ولا تفسدوا، يقال: عثا في الأرض وعثي فيها، وذلك نحو قطع الطريق والغارة، وإهلاك الزروع. وفي «المختار» عثا في الأرض أفسد، وبابه سما، وعثي بالكسر عثواً أيضاً، وعثى بفتحيتين بوزن فتى. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ قلت: قال الأزهري: القراء كلهم متفقون على فتح الشاء دل على أن القرآن نزل باللغة الثانية. وفي «القاموس»: عثى كسعى ورمى ورضي. اهـ.

﴿الجبلة﴾ - بكسر الجيم والباء وتشديد اللام المفتوحة -: الخلق المتحد الغليظ، وفي «القاموس»: الجبلة والجبلة والجبلة وهي التي قرئ بها الوجه وما استقبلك منه، والخلقة والطبيعة، والأصل والقوة وصلابة الأرض. والجبيل - بفتح الجيم مع سكون الباء -: مصدر جبلة الله على كذا؛ أي: طبعه وخلقه، واسم الطبيعة جبلة. ويقال: جبل فلان على كذا؛ أي: خلق، والمراد أنهم كانوا على خلقه عظيمة.

﴿كِسْفًا﴾: جمع كسفة، مثل سدر وسدره، كقطعة وقطع وزناً ومعنى. وقال الجوهري: الكسفة: القطعة من الشيء، يقال أعطني كسفة من ثوبك؛ أي: قطعة، ويقال: الكسف والكسفة واحد. وقال الأخفش: من قرأ ﴿كِسْفًا﴾ من السماء ﴿جعل واحداً، ومن قرأ ﴿كِسْفًا﴾ جعله جمعاً.

﴿يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ والظلة: السحابة التي استظلوا بها، والمظلة الضيقة وما يستظل به من الحر أو البرد، وما أظله كالشجر، والجمع ظلل وظلال. ويوم الظلة اشتهر بعذابهم، فقد وقفت فوقهم سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم، فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبدیع:

فمنها: إطلاق الجمع على المفرد في قوله: ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٦١)؛ للتعظيم؛ لأن المراد بالمرسلين صالح.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبيخي في قوله: ﴿أَتُتْرَكُونَ﴾.

ومنها: المجاز العقلي في قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُتْرِفِينَ﴾ (١٦٢)؛ لأن الأمر لا يطاع وإنما هو صاحبه؛ أي: ولا تطيعوا المسرفين في أمرهم.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا﴾؛ أي: ولا تمتثلوا، حيث شبه الامتثال الذي للأمر على صيغة المصدر بالطاعة التي للأمر على صيغة اسم الفاعل، من حيث إن كلاهما يفضي إلى وجود المأمور به، فأطلق اسم المشبه به؛ وهو الطاعة على المشبه؛ وهو الامتثال، فاشتق من الطاعة بمعنى الامتثال لا تطيعوا بمعنى لا تمتثلوا، على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية.

ومنها: الطباق بين ﴿يُفْسِدُونَ﴾ و﴿يُضْلِحُونَ﴾.

ومنها: الإرداف في قوله: ﴿وَلَا يُضْلِحُونَ﴾ فقد كان يكفي أن يقول: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ولكنه لما كان قوله: ﴿يُفْسِدُونَ﴾ لا ينفي صلاحهم أحياناً أردفه بقوله: ﴿وَلَا يُضْلِحُونَ﴾؛ لبيان كمال إفسادهم وإسرافهم فيها.

ومنها: الحصر في قوله: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾.

ومنها: التنوين في قوله: ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ للتعظيم والتفخيم.

ومنها: الاستفهام الإنكاري التوبيخي في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٥).

﴿١٦٥﴾

ومنها: الجناس غير التام في قوله: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ (١٦٨)؛ الأول

من القول، والثاني من قلى إذا أبغض.

ومنها: إطلاق ما للبعض على الكل في قوله: ﴿فَعَقُّوْهَا﴾؛ لرضاهم به واتفاقهم عليه.

ومنها: الإبهام في قوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فإن فيه الإبهام بقوله: ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ وقد أراد به أقبالهن، وفي ذلك مراعاة للحشمة والتصون.

ومنها: العدول عن الجملة الفعلية إلى الصفة في قوله: ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾، وقوله: ﴿مِنَ الْفَالِينَ﴾ وكثيراً ما ورد في القرآن خصوصاً في هذه السورة العدول عن التعبير بالفعل إلى التعبير بالصفة المشتقة، ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع، كقول فرعون: ﴿لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ﴾ وأمثاله كثيرة في القرآن، والسر في ذلك أن التعبير بالفعل إنما يفهم وقوعه خاصة، وأما التعبير بالصفة ثم جعل الموصوف بها واحداً من جمع، فإنه يفهم أمراً زائداً على وقوعه، وهو الصفة المذكورة كالسمة للموصوف ثابتة العلوق به، كأنها لقب، وكأنه من طائفة صارت من هذا النوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة.

ومنها: الإطناب في قول: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾؛ لأن وفاء الكيل هو في نفسه نهى عن الخسران، وفائدته زيادة التحذير من العدوان.

ومنها: توافق الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات مثل ﴿يُفْسِدُونَ﴾ ﴿يُضْلِحُونَ﴾ ﴿الْأَرْدَلُونَ﴾.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾؛ لأن الإفساد نفس العثي، فهي حال مؤكدة لعاملها. فائدتها: إخراج ما ليس من العثي والعدوان بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله، وكقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة، كما مر في مبحث التفسير.

ومنها: التكرير في هذه القصص السبع، فإنه كرر في أول كل قصة، وفي آخرها ما كرر مما أشرنا إليه؛ لأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس، وترسيخاً لها في الصدور، وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة وبالتطويل مرة أخرى.

والتكرير ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: التكرير في اللفظ والمعنى، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع.

والثاني: التكرير في المعنى دون اللفظ، كقولك: أطعني ولا تعص أوامري، فإن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية، وعلى كل حال ليس في القرآن مكرر لا فائدة فيه.

ونعود إلى الآيات فنقول: إنما كرر القرآن هذه الآيات في أول كل قصة وآخرها؛ لأن هذه القصص قرعت بها آذان أصابها وقر، وقلوب غلف، فلم يكن بد من مراجعتها بالترديد والتكرير، لعل ذلك يفتح مغالقها، ويجلو ما صدأها من رين.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

قال الله سبحانه جلّ وعلا :

﴿وَلَهُ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٧﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٨﴾ بِلسانٍ عَرَبٍ مُبِينٍ ﴿١٩٩﴾ وَلَهُ لَقَى زَبُرَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠٠﴾ أَوَّلَ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ مَا يَعْلَمُ عِلْمَتُوا بَنَى إِسْرَءِيلَ ﴿٢٠١﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٠٢﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٣﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٤﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠٥﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٦﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٧﴾ أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٨﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٩﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢١٠﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَسْتَعْبُونَ ﴿٢١١﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢١٢﴾ ذَكَرُوا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢١٣﴾ وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٢١٤﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٥﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٢١٦﴾ فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٧﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٨﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِئَنْ يَتَّبِعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٩﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢٠﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢١﴾ الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢٢٢﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢٢٣﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٤﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢٥﴾ نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٦﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٩﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعُوا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٣١﴾﴾

المناسبة

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٦﴾...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما اختتم هذا القصص^(١)، وبين ما دار بين الأنبياء وأقوامهم من الحجاج والجدل، وذكر أنه قد أهلك المكذبين وكان النصر في العاقبة لرسله المتقين، فإن سنته في كل صراع بين الحق والباطل أن تدول دولة الباطل وينتصر الحق وإن طال الزمن ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾

(١) المراغي.

وفي ذلك سلوة لرسوله، وعدة له بأنه مهما أودى من قومه ولقي منهم من الشدائد، فإن الفلج والفوز له. ﴿سُئِلَ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ يَحْدِثُ اللَّهُ تَبْدِيلًا﴾ (١٢) .. أردف هذا ببيان أن هذا القرآن الذي جاء بذلك القصص وحي من الله سبحانه أنزله على عبده ورسوله محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام بلسان عربي مبين؛ لينذر به العصاة ويبشر به عباده المتقين، وأن ذكره في الكتب المتقدمة المأثورة عن الأنبياء الذين بشروه.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَنْفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه لما^(١) بالغ في تسلية رسوله ﷺ، وأقام الحجة على نبوته، ثم أورد سؤال المنكرين وأجاب عنه .. أردف ذلك بأمره بعبادته وحده، وإنذار العشيرة الأقربين، ومعاملة المؤمنين بالرفق، ثم ختم هذه الأوامر بالتوكل عليه تعالى وحده، فإنه هو العليم بكل شؤونه وأحواله.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَيْتُمْكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ (١٣) ... الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما أبان امتناع تنزل الشياطين بالقرآن، وأثبت أنه تنزيل من رب العالمين .. أعقب هذا ببيان استحالة تنزلهم على رسول الله ﷺ، فإنها لا تنزل إلا على كل كذاب فاجر، ورسول الله صادق أمين، ثم ذكر أن الكذابين يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون وحيهم، وهو تخيلات لا تطابق الحق والواقع، وبعدئذ ذكر أن محمداً ﷺ ليس بشاعر؛ لأن الشعراء يهيمون في كل واد من أودية القول من مدح وهجو، وتشبيب ومجون بحسب الهوى والمنفعة، فأقوالهم لا تترجم عن حقيقة، وليس بينها وبين الصدق نسب، ومحمد ﷺ لا يقول إلا الصدق، فأنى له أن يكون شاعراً.

أسباب النزول

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ (١٤) ... الآية، سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي جهم قال: روى النبي ﷺ كأنه متحير،

(١) المراغي.

فسألوه عن ذلك، فقال: «ولم! ورأيت عدوي يكون من أمتي بعدي» فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فطابت نفسه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٦﴾﴾ بدأ النبي ﷺ بأهل بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَلَخِفَضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنَ ﴿٢٧﴾﴾ سبب نزوله ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: تهاجى رجلان على عهد رسول الله ﷺ، أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه؛ وهم السفهاء، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنَ ﴿٢٧﴾﴾... الآيات. وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة نحوه. وأخرج عن عروة قال: لما نزلت ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ...﴾ قال عبد الله بن رواحة: قد علم الله إني منهم، فأنزل الله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ إلى آخر السورة.

وأخرج^(١) ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البراد قال: لما نزلت ﴿وَالشُّعْرَاءُ...﴾ الآية.. جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت، قالوا يا رسول الله: والله لقد أنزل الله هذه الآية، وهو يعلم أنا شعراء هلكنا، فأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية، فدعاهم رسول الله ﷺ، فتلاها عليهم.

التفسير وأوجه القراءة

والضمير في قوله: ﴿وَلَهُ﴾ راجع إلى القرآن، وإن لم يجر له ذكر للعلم به؛ أي: إن هذا القرآن ﴿لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي^(٢): لمنزل من خالق المخلوقين، فليس بشعر، ولا كهانة، ولا أساطير الأولين، ولا غير ذلك مما قالوه فيه، بل

(٢) المراح.

(١) لباب القول.

هو من عند الله سبحانه، وكأنه عاد أيضاً إلى ما افتتح به السورة من إعراض المشركين عما يأتيهم من الذكر؛ ليتناسب المفتوح والمختتم. ذكره أبو حيان.

وصيغة التكرير^(١): تدل على أن نزوله كان بالدفعات في مدة ثلاث وعشرين سنة، وهو مصدر بمعنى المفعول، سمي به مبالغة، وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين إيدان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل.

والمعنى: إن هذا القرآن الذي من جملته ما ذكر من القصص السبع لمنزل من جهته تعالى، وإلا لما قدرت على الإخبار، وثبت به صدقك في دعوى الرسالة؛ لأن الإخبار من مثله لا يكون إلا بطريق الوحي.

﴿نَزَلَ بِهِ﴾ ﴿الباء﴾: إما للتعدي؛ أي: أنزله ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾؛ أي: جبريل عليه السلام، أو للملابسة؛ أي: نزل الروح الأمين حالة كونه ملابساً بهذا القرآن.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم^(٢): ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ مخففاً ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ بالرفع. وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وأبو بكر عن عاصم ﴿نزل به﴾: مشددة الزاي. ﴿الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ بالنصب، والفاعل هو الله سبحانه على هذه القراءة. وقد اختار هذه القراءة أبو حاتم وأبو عبيد. وقرئ^(٣): ﴿نزل﴾ مشدداً مبنياً للمفعول، والفاعل هو الله تعالى، ويكون الروح على هذه القراءة مرفوعاً على النيابة.

والمراد بالروح الأمين جبريل عليه السلام، سمي أميناً؛ لأنه أمين على وحيه تعالى، وموصله إلى أنبيائه، وروحاً لكونه سبباً لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة، حيث إن الوحي الذي فيه الحياة من موت الجهالة يجري على يده، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وفي

(١) روح البيان. (٢) الشوكاني.

(٢) زاد المسير.

«كشف الأسرار» سمي جبريل روحاً؛ لأن جسمه روح لطيف روحاني. وكذا الملائكة روحانيون خلقوا من الروح؛ وهو الهواء.

قال بعضهم^(١): لا شك أن للملائكة أجساماً لطيفة، وللطاقة نشأتهم غلب عليهم حكم الروح، فسموا أرواحاً. ولجبريل مزيد اختصاص بهذا المعنى؛ إذ هو من سائر الملائكة كالرسول عليه السلام من أفراد أمته.

واعلم: أن القرآن كلام الله وصفته القائمة به، فكساه الألفاظ بالحروف العربية، ونزله على جبريل، وجعله أميناً عليه؛ لئلا يتصرف في حقائقه، ثم نزل به جبريل كما هو على قلب محمد ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾؛ أي^(٢): نزل به الروح الأمين، وتلاه على قلبك يا محمد حتى وعيته بقلبك، فخص القلب بالذكر؛ لأنه محل الوعي والحفظ والتثبيت، ومعدن الوحي والإلهام، وليس شيء في وجود الإنسان يليق بالخطاب والفيض غيره، وهو ﷺ مختص بهذه الرتبة العلية، والكرامة السنية من بين سائر الأنبياء، فإن كتبهم منزلة في الألواح والصحائف جملة واحدة على صورتهم، لا على قلوبهم، كما في «التأويلات النجمية».

قال في «كشف الأسرار»: الوحي إذا نزل بالمصطفى ﷺ نزل بقلبه أولاً، كما هو ظاهر الآية؛ لشدة تعطشه إلى الوحي، ولاستغراقه به، ثم انصرف من قلبه إلى فهمه وسمعه، وهذا تنزل من العلو إلى السفلى، وهو رتبة الخواص، فأما العوام فإنهم يسمعون أولاً فيتنزل الوحي على سمعهم أولاً، ثم على فهمهم، ثم على قلوبهم، وهذا ترقى من السفلى إلى العلو، فستان ما بينهما.

وفي «الفتاوى الزينية»: سئل عن الوحي الأمين جبريل عليه السلام كم نزل على النبي ﷺ؟ أجاب نزل عليه أربعة وعشرين ألف مرة، وعلى سائر الأنبياء لم ينزل أكثر من ثلاثة آلاف مرة. انتهى.

قلت: وهذا مما لا نقل فيه ويجب الوقف عنه.

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾؛ أي: من المخوفين مما يؤدي إلى عذاب الله من فعل أو ترك، وهو متعلق بـ﴿نَزَلَ بِهِ﴾، مبين لحكمة الإنزال والمصلحة منه، وهذا من جنس ما يذكر فيه أحد طرفي الشيء، ويحذف الطرف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف، وذلك أنه أنزله ليكون من المبشرين والمنذرين.

قال بعضهم: الإنذار أصل، وقدم لأنه من باب التخلية بالخاء المعجمة، فاكتمى بذكره في بعض المواضع من القرآن. ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ متعلق أيضاً بـ﴿نَزَلَ﴾ وتأخيره للاعتناء بأمر الإنذار. واللسان بمعنى اللغة؛ لأنه آلة التلفظ بها؛ أي: نزل به بلسان عربي ظاهر المعنى، واضح المدلول؛ لئلا يبقى لهم عذر ما؛ أي: لئلا يقولوا: ما نصنع بما لا نفهمه.

فالآية صريحة في أن القرآن إنما أنزل عليه عربياً، لا كما زعمت الباطنية من أنه تعالى أنزله على قلبه غير موصوف بلغة ولسان، ثم إنه ﷺ أداه بلسانه العربي المبين من غير أن ينزل كذلك. وهذا فاسد مخالف للنص والإجماع، ولو كان الأمر كما قالوا.. لم يبق الفرق بين القرآن والحديث.

وفي الآية: تشريف للغة العرب على غيرها، حيث أنزل القرآن بها، لا غيرها وقد سماها مبيناً. ولذلك اختار هذه اللغة لأهل الجنة، واختار لغة العجم لأهل النار. قال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية، فإذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية.

فإن قلت: كيف^(١) يكون القرآن عربياً مبيناً مع ما فيه من سائر اللغات أيضاً على ما قالوا كالفارسية؛ وهو ﴿سِجِّيلٍ﴾ والرومية؛ وهو ﴿فَصْرَهْنَ إِلَيْكَ﴾ والأرمينية؛ وهو ﴿فِي جِيدِهَا﴾ والسريانية؛ وهو ﴿وَلَا تَحِينَ مَوَاصِرَ﴾ والحبشية؛ وهو ﴿كِهْلَيْنَ﴾؟

قلت: لما كانت العرب يستعملون هذه اللغات، ويعرفونها فيما بينهم صارت بمنزلة العربية. قال الفقيه أبو الليث: اعلم بأن العربية لها فضل على سائر

(١) روح البيان.

الأسنة، فمن تعلمها أو علم غيره فهو مأجور؛ لأن الله تعالى أنزل القرآن بلغة العرب. واعلم أن الفارسية شعبة من لسان العجم المقابل للسان العرب. ولها فضل على سائر لغات العجم. وروي أن النبي ﷺ تكلم بها، ولذلك اختيرت في الترجمة عن التكبير في الصلاة لمن لا يعرف التكبير بالعربية.

وقال الزمخشري: ﴿بِلِسَانٍ﴾؛ إما^(١) أن يتعلق بـ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾، فيكون المعنى: لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان؛ وهم خمسة: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد ﷺ، وإما أن يتعلق بـ﴿نَزَلَ﴾ فيكون المعنى: نزله باللسان العربي المبين لتندر به؛ لأنه لو نزله باللسان الأعجمي.. لتجافوا عنه أصلاً، وقالوا: ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الإنذار به، وفي هذا الوجه أن تنزله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك؛ لأنك تفهمه، ويفهمه قومك. ولو كان عجمياً.. لكان نازلاً على سمعك دون قلبك؛ لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها. انتهى.

ومعنى الآية: أي^(٢) وإن هذا القرآن الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ أنزله الله سبحانه إليك، وجاء به جبريل عليه السلام، فتلاه عليك حتى وعيته بقلبك لتندر به قومك بلسان عربي بين واضح؛ ليكون قاطعاً للعدر مقيماً للحجة، دليلاً إلى المحجة، هادياً إلى الرشاد، مصلحاً لأحوال العباد.

وفي قوله: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ إيماء إلى أن ذلك المنزل محفوظ، وأن الرسول متمكن منه إلى أن القلب هو المخاطب في الحقيقة؛ لأنه موضع التمييز، والعقل والاختيار، وسائر الأعضاء مسخرة له، يرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ وقوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» أخرجاه في «الصحيحين» ولأن القلب إذا غشي عليه، وقطع سائر الأعضاء.. لم يحصل له

(٢) المراغي.

(١) الكشف.

شعور بالألم، وإذا أفاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالأعضاء من الآفات.

وفي قوله: ﴿يَلْسَانٍ عَرَفٍ مُّيِّنٍ﴾ (١٥٥) تقرير لمشركي قريش بأن الذي حملهم على التكذيب هو الاستكبار، والعناد، لا عدم الفهم؛ لأنه نزل بلغتهم، فلا عذر لهم في الإعراض عنه.

﴿وَإِنَّهُ﴾؛ أي: وإن ذكر القرآن لا عينه. والمراد بذكره: الإخبار بأنه ينزل على محمد، وبأنه من عند الله، وأنه صدق وحق، فهذا الإخبار موجود في كتب الأولين. ﴿لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾: واحدها زبور، بمعنى كتاب، مثل رسل ورسول؛ أي: لفي الكتب المتقدمة، يعني أن الله تعالى أخبر في كتبهم عن القرآن وإنزاله على النبي المبعوث في آخر الزمان.

وقيل: إن الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ يعود إلى رسول الله ﷺ. قاله مقاتل. وقرأ^(١) الأعمش: ﴿لَفِي زُبُرٍ﴾ بتسكين الباء للتخفيف، والأصل الضم، كما قالوا في ﴿رُسُلٍ﴾ بضميتين ﴿رُسُلٍ﴾ بسكون السين. والمعنى^(٢): أي: وإن ذكر هذا القرآن، والتنويه بشأنه لفي كتب الأولين الماثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه، وقد أخذ عليهم الميثاق بذلك، وبه بشر عيسى بقوله: ﴿وَبَشِّرِ رَسُولِي بِأَنِّي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

والهمزة في قوله: ﴿أَوَّلَ يَكُنْ لَمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمُ عَلَمًا بَنَى إِسْرَءِيلَ﴾ (١٥٧)؛ لإنكار^(٣) النفي، وإنكاره إثبات، فهي للتقرير داخل على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف، و﴿لَمْ﴾ حال من ﴿ءَايَةً﴾، والضمير راجع إلى مشركي قريش، و﴿ءَايَةً﴾ خبر للكون قدم على اسمه الذي هو قوله: ﴿أَن يَعْلَمُ...﴾ إلخ، للاعتناء بالمقدم، والتنويه بالمؤخر، والتقدير: أغفل أهل مكة عن القرآن، ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين، وأنه في زبر الأولين أن يعرفه علماء بني إسرائيل بنعوته المذكورة في كتبهم، ويعرفوا من أنزل عليه؟ أي: قد

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

(٣) المراغي.

كان علمهم بذلك آية على صحة القرآن، وحقية الرسول، وكان علماؤهم خمسة: أسد وأسيد وابن يامين وثعلبة وعبد الله بن سلام، فهؤلاء الخمسة من علماء اليهود، وقد أسلموا وحسن إسلامهم. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - بعث أهل مكة إلى اليهود بالمدينة، فسألوهم عن محمد ﷺ، فقالوا: إن هذا لزمانه، وإنا لنجد نعته في التوراة، فكان آية على صدقه ﷺ.

وقرأ الجمهور: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ﴾ بالياء من تحت، ﴿آيَةً﴾: بالنصب، وهي قراءة واضحة الإعراب، توسط خبر ﴿يَكُنْ﴾، و﴿أَنْ يَعْلَمُوْا﴾ هو الاسم، كما مر. قال الزجاج: والمعنى عليه: أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل أن محمداً ﷺ نبي حق، علامة ودلالة على نبوته؛ لأن العلماء الذين آمنوا من بني إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم.

وقرأ ابن عامر والجحدري: ﴿تَكُنْ﴾ بالتاء من فوق، ﴿آيَةً﴾ - بالرفع - على أنها اسم كان، وخبرها ﴿أَنْ يَعْلَمُوْا﴾. ويجوز أن تكون تامة. وفي قراءة ابن عامر نظر؛ لأن جعل النكرة اسماً، والمعرفة خبراً غير سائغ، وإن ورد شاذاً كقول الشاعر:

فَلَا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا

وقول الآخر:

وَكَاَنَّ مِرَاجُهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ

وأحسن ما يقال في توجيه هذه القراءة: أن يقال: إن ﴿يَكُنْ﴾ تامة. وقرأ ابن عباس: ﴿تَكُنْ﴾ بالتاء من فوق، ﴿آيَةً﴾: بالنصب، كقراءة من قرأ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ بقاء التأنيث، ﴿فَتَنَّتْهُمْ﴾: بالنصب ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ وقرأ الجحدري^(١): ﴿أَنْ تَعْلَمَهُ﴾: بقاء التأنيث، كما قال الشاعر:

قَالَتْ بَنُو عَامِرٍ خَالُوا بَنِي أَسَدٍ يَأْبُؤْسَ لِلْجَهْلِ ضِرَاراً لَأَقْوَامِ

(١) البحر المحيط.

وكتب في المصحف ﴿علموا﴾ بواو بين الميم والألف. قيل على لغة من يميل ألف علموا إلى الواو، كما كتبوا الصلوة والزكاة والربوا على تلك اللغة.

والمعنى: أي^(١) أغفل أهل مكة عن الإيمان، وليس بكاف لهم شهادة على صدقه أن العلماء من بني إسرائيل نصوا على أن مواضع من التوراة والإنجيل فيها ذكر الرسول ﷺ بصفته ونعته، وقد كان مشركوا قريش يذهبون إليهم ويتعرفون منهم هذا الخبر.

وبعد أن أثبت بالدليلين السالفين نبوة محمد ﷺ.. ذكر أن هؤلاء المشركين لا تنفعهم الدلائل ولا تجديهم البراهين، فقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ﴾؛ أي: نزلنا هذا القرآن، كما هو بنظمه المعجب المعجز ﴿عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ الذين لا يقدرُونَ على التكلم بالعربية، جمع أعجمي بالتخفيف، ولذا جمع جمع السلامة، ولو كان جمع أعجم لما جمع بالواو والنون؛ لأن مؤنث أعجم عجماء، وأفعل فعلاء لا يجمع جمع السلامة.

﴿فَقَرَأُوهُ﴾؛ أي: فقرأ ذلك الأعجمي القرآن ﴿عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: على مشركي مكة قراءة صحيحة خارقة للعادات ﴿مَا كَانُوا﴾؛ أي: ما كان أهل مكة ﴿بِهِ﴾؛ أي: بهذا القرآن ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ مع انضمام إعجاز القراءة من الرجل الأعجمي للكلام العربي إلى إعجاز القرآن المقروء لفرط عنادهم، وشدة شكيمتهم في المكابرة.

وقيل المعنى^(٢): ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم، فقرأه عليهم بلغته.. لم يؤمنوا به، وقالوا: ما نفقه هذا ولا نفهمه، ومثل هذا قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ ويقال: رجل أعجمي، ورجل أعجم إذا كان غير فصيح اللسان وإن كان عربياً، ورجل عجمي إذا كان أصله من العجم وإن كان فصيحاً. إلا أن الفراء أجاز أن يقال: رجل عجمي بمعنى أعجمي. والأعجمي هو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربياً في النسب.

(٢) الشوكاني.

(١) المراغي.

وقرأ الحسن: ﴿على بعض الأعجميين﴾، وكذلك قرأ الجحدري. قال أبو الفتح بن جني أصل الأعجمين: الأعجميين، ثم حذفت ياء النسب للتخفيف، كما قالوا: الأشعرون؛ أي: الأشعريون بحذف ياء النسبة، ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع السلامة؛ لأن مؤنثه عجماء.

وحاصل المعنى: أي إنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين، فسمعوه، وفهموه، وعرفوا فصاحته، وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله، وبشرت به الكتب السالفة، ومع هذا لم يؤمنوا به، بل جحدوه وسموه تارة شعراً وأخرى كهانة، فلو أنا نزلنا على بعض الأعجمين الذي لا يحسن العربية، فقرأه عليهم لكفروا به أيضاً، ولتمحلوا لجحودهن عذراً، وقالوا له: لا نفقه ما يقول. وفي هذا تسلية من الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد ﷺ على ما حصل من قومه؛ لئلا يشتد حزنه بإدبارهم عنه وإعراضهم عن الاستماع له.

والخلاصة^(١): أنا لو نزلناه على بعض الأعجميين، لا عليك فإنك رجل منهم، ويقولون لك: ما أنت إلا بشر مثلنا، وهلا نزل به ملك، فقرأه ذلك الأعجم عليهم، ولم يكن لهم علة يدفعون بها أنه حق، وأنه منزل من عندنا.. ما كانوا به مصدقين، فخفض من حرصك على إيمانهم به، فإنهم لا يؤمنون به على كل حال.

ثم أكد هذا الإنكار أشد تأكيد، فقال: ﴿كَذَّكَ﴾؛ أي: كما أدخلنا التكذيب بهذا القرآن بقراءة الأعجم عليهم؛ أي: على كفار مكة لو فرض ﴿سَلَكْنَهُ﴾؛ أي: أدخلنا التكذيب بهذا القرآن ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: في قلوب المشركين من كفار مكة بقراءتك عليهم؛ أي^(٢): سلطنا التكذيب وأدخلناه في قلوبهم، وقررناه فيها، فكيفما فعل بهم، وعلى أي وجه دبر أمرهم، فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الكفر به والتكذيب له، كما قال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ كُتُبٍ فِي قَوَاطِرٍ فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧﴾ وفي ذلك

(٢) النسفي.

(١) المراغي.

إيماء إلى أن ذلك التكذيب صار متمكناً في قلوبهم أشد التمكن، وصار كالشيء الجبلي لا يمكن تغييره.

وقيل المعنى: ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: مثل ذلك السلك البديع ﴿سَلَكْنَهُ﴾؛ أي: أدخلنا القرآن ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ أي: في قلوب مشركي مكة فعرفوا معانيه وإعجازه.

وعبارة «الجميل» هنا قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ معمول لـ ﴿سَلَكْنَهُ﴾. والضمير في ﴿سَلَكْنَهُ﴾ للقرآن، ولكنه على حذف مضاف؛ أي: سلكننا تكذيبه؛ أي: التكذيب به بقراءة النبي مثل إدخالنا التكذيب به في قلوبهم بقراءة الأعجمي. وفي أن الأعجمي لم يقرأه ولم ينزل عليه. قلنا: إن الجملة الشرطية؛ وهي قوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ...﴾ إلخ لا تستلزم الوقوع، اه شيخنا.

فقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ استئناف مسوق لبيان عنادهم؛ أي: فهم مع ذلك السلك المذكور لا يؤمنون بهذا القرآن. ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ الملجئ إلى الإيمان به حين لا ينفعهم الإيمان؛ أي: إنهم لا يتأثرون بالأمور الداعية إلى الإيمان، بل يستمرون على ما هم عليه حتى يعاينوا العذاب حين لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة، ولهم سوء الدار؛ أي: لا يؤمنون إلى هذه الغاية، وهي مشاهدتهم العذاب الأليم.

﴿فَيَأْتِيهِمْ﴾؛ أي: فيأتي هؤلاء المكذبين بهذا القرآن العذاب الأليم ﴿بَغْتَةً﴾؛ أي: فجأة في الدنيا والآخرة، فهو معطوف على ﴿يَرَوْا﴾ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أي: والحال أنهم لا يعلمون قبل بمجيئه حتى يفجأهم.

وقرأ الحسن^(١): ﴿فَتَأْتِيهِمْ﴾: بالتاء الفوقية؛ أي: الساعة. وقرأ ﴿بَغْتَةً﴾ بفتح الغين. وعبارة «الجميل» هنا قوله: ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ مقدم من تأخير. وأصل الكلام: حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون، فيرونه فيقولون هل نحن منظرون؟ أي: مؤخرون عن الإهلاك، ولو طرفة عين لنؤمن، فيقال لهم:

(١) البحر المحيط.

لا، أي: لا تأخير ولا إمهال، اه شيخنا.

وقال الزمخشري: فإن قلت^(١): ما معنى التعقيب في قوله: ﴿فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً﴾؟

قلت: ليس المعنى يراد برؤية العذاب ومفاجأته، وسؤال النظرة فيه الوجود، وإنما ترتبها في الشدة، كأنه قيل: لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب، فما هو أشد منها؛ وهو لحوقه بهم مفاجأة، فما هو أشد منه، وهو سؤالهم النظرة. ونظير ذلك أن تقول: إن أسأت مقتك الصالحون، فمقتك الله سبحانه، فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين، وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء، وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين، فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله انتهى، فوجب أن لا تكون الفاء للترتيب الزماني، بل للترتيب الرتبي.

ثم بين أنهم يتمنون التأخير حينئذ ليتداركوا ما فات ﴿فَيَقُولُوا﴾؛ أي: كل أمة معذبة على وجه الحسرة والأسف. والتمني للإمهال ليتداركوا ما فرطوا فيه ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾؛ أي: مؤخرون إلى حين لنؤمن ونصدق، وهو استفهام طمع في المحال. وهو إمهالهم بعد مجيء العذاب، وهم في الآخرة يعلمون أن لا ملجأ لهم، لكنهم يذكرون ذلك استرواحاً.

ولما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا: إلى متى توعدنا به، ومتى هذا العذاب؟ كما قال: ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾^(٢) والهمزة فيه للاستفهام التوبيخي التهكمي بهم، حيث استعجلوا ما فيه ضررهم، وحتف أنفسهم، داخلة على محذوف يقتضيه المقام والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أيكون حالهم كما ذكر من طلب الإنظار عند نزول العذاب الأليم، وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد، أو يغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره، فيستعجلون... إلخ.

وإنما قدم الجار والمجرور للإيذان بأن مصب الإنكار والتوبيخ كون

(٢) أبو السعود.

(١) الكشف.

المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل؛ أي: كيف^(١) يستعجلون بعذابنا بنحو قولهم تارة: أمطر علينا حجارة من السماء، وأخرى فائتتا بما تعدنا. وقد تبين لهم كيف أخذنا للأمم الماضية، والقرون الخالية، والأقوام العاتية.

ثم أبان أن طول العمر لا يغني عنهم شيئاً، وأن العذاب واقع لا محالة، فقال: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ معطوف على ﴿فَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ وما بينهما اعتراض للتوبيخ. والهمزة مقدمة على الفاء، والأصل: فأرأيت بمعنى فأخبرني. والخطاب لكل من يصلح له كائناً من كان. ولما كانت الرؤية من أقوى أسباب الإخبار بالشيء وأشهرها.. شاع استعمال أرأيت في معنى أخبرني. فالمعنى^(٢): أخبرني يا من يصلح للخطاب.

﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ﴾؛ أي: إن جعلنا مشركي مكة متمتعين منتفعين ﴿سِنِينَ﴾ كثيرة مع طيب العيش، ولم نهلكهم ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ﴾؛ أي: لم يغن عنهم شيئاً، ولم ينفعهم تمتعهم المتطاوّل في رفع العذاب وتخفيفه. ف﴿مَا﴾ في ﴿مَا أَغْنَىٰ﴾: نافية، ومفعول ﴿أَغْنَىٰ﴾ محذوف، وفاعله ﴿مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ﴾؛ أو أي شيء أغنى عنهم كونهم متمتعين ذلك التمتع المؤبد على أن ﴿مَا﴾ في ﴿مَا كَانُوا﴾ مصدرية، أو ما كانوا يمتنعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها، ف﴿مَا﴾ في ﴿مَا أَغْنَىٰ﴾ مفعول مقدم ل﴿أَغْنَىٰ﴾، والاستفهام للنفي. و﴿مَا كَانُوا﴾ هو الفاعل. وهذا المعنى أولى من الأول؛ لكونه أوفق بصورة الإخبار، وأدل على انتفاء الإعناء على أبلغ وجه، وأكده كأن كل من شأنه الخطاب قد كلف بأن يخبر بأن تمتيعهم ما أفادهم، وأي شيء أغنى عنهم فلم يقدر أن يخبر بشيء من ذلك أصلاً. وقرئ ﴿يَمْتَنُونَ﴾ بإسكان الميم وتخفيف التاء، من أمتع الله زيداً بكذا.

والمعنى: أي^(٣) إن استعجالهم بالعذاب إنما كان لاعتقادهم أنه غير كائن

(٣) النسفي.

(١) المراغي.

(٢) روح البيان.

ولا لاحق بهم، وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن، فقال تعالى: ﴿أَفَعَدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ أشراً وبطراً واستهزاءً واتكالاً على الأمل الطويل.

ثم قال: هو أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم، فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم، وطيب معاشهم؛ أي: هل^(١) الأمر كما يعتقدون من عيشهم في النعيم، فأخبرني أن متعناهم في الدنيا برغد العيش، وصافي الحياة، ثم جاءهم بعد تلك السنين المتطاولة ما كانوا يوعدون به من العذاب، فهل ما كانوا فيه من النعيم يدفع عنهم شيئاً منه، أو يخففه عنهم.

والخلاصة: أن طول التمتع ليس بدافع شيئاً من عذاب الله سبحانه، وكأنهم لم يمتعوا بنعيم قط، كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ رَوْنَاهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ﴿٢٥﴾، وقال: ﴿يَوْمَ أَحْذَهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾، وقال: ﴿وَمَا يَنْفَعِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ ﴿٢٦﴾.

وعن ميمون بن مهران أنه لقي الحسن البصري في الطواف بالكعبة وكان يتمنى لقاءه، فقال: عظمي، فلم يزد على تلاوة هذه الآية، فقال: ميمون لقد وعظت فأبلغت.

وروي أن عمر بن عبد العزيز كان يقرأ هذه الآية كل صباح إذا جلس على سريره تذكراً واتعاضاً. وقال يحيى بن معاذ: أشد الناس غفلة من اغتر بحياته الفانية، والتذ بموداته الواهية، وسكن إلى مآلوفاته.

كان الرشيد حبس رجلاً، فقال الرجل للموكل عليه: قل لأمر المؤمنين كل يوم مضى من نعمتك ينقص من محنتي، والأمر قريب، والموعد الصراط، والحاكم الله، فخر الرشيد مغشياً عليه، ثم أفاق وأمر بإطلاقه.

ثم بين سبحانه أنه لا يهلك قرية إلا بعد الإنذار، وإقامة الحجة عليها،

(١) المراغي.

فقال: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾؛ أي: وما أهلكنا قرية من القرى المهلكة ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾؛ أي: إلا بعد إرسالنا إليهم رسلاً ينذرونهم بأساً، ويخوفونهم عذابنا على كفرهم.

وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف تركت الواو من الجملة بعد ﴿إِلَّا لَهَا﴾ هنا، ولم تترك منها في قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾؟

قلت: الأصل ترك ﴿الواو﴾؛ لأن الجملة صفة لـ ﴿قَرْيَةٍ﴾، وما هنا فقد جاء على الأصل فلا اعتراض. وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف، كما في قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامَنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾. اهـ «سمين».

قال في «كشف الأسرار»: جمع منذرين؛ لأن المراد بهم النبي وأتباعه المظاهرون له. قوله: ﴿ذَكَرَى﴾: إما مفعول لأجله لـ ﴿مُنْذِرُونَ﴾؛ أي: تنذره لهم لأجل التذكير والموعظة لهم، وإلزام الحجة لهم، وتنبهها إلى ما فيه النجاة من عذابنا، أو مفعول مطلق منصوب بـ ﴿مُنْذِرُونَ﴾؛ لأن التذكرة بمعنى الإنذار؛ أي: يذكرون ذكرى. قال النحاس: وهذا قول صحيح؛ لأن معنى ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾: إلا لها مذكرون، أو منصوب بفعل مقدر هو صفة لـ ﴿مُنْذِرُونَ﴾؛ أي: إلا لها منذرون يذكرونهم ذكرى. وقيل: غير ذلك.

﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في إهلاكهم، فتهلك قوماً غير ظالمين وقبل الإنذار؛ لأنهم جحدوا نعمتنا، وعبدوا غيرنا بعد الإنذار إليهم، ومتابعة الحجج، ومواصلة المواعيد، ونحو الآية قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾.

والتعبير^(١) عن ذلك بنفي الظالمية مع أن إهلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة؛ لبيان كمال نزاهته عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من الظلم.

(١) روح البيان.

ولما كان المشركون يقولون: إن محمداً كاهن، وما يتنزل عليه من نوع ما تنزل به الشياطين. أكذبهم سبحانه بقوله: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ﴾؛ أي: بهذا القرآن ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ وهذا رد لما زعمه الكفرة في القرآن أنه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة من أخبار السماء، بل نزل به الروح الأمين ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾؛ أي: وما ينبغي التنزل به، ولا يمكن ﴿لَهُمْ﴾؛ أي: للشياطين؛ أي: وما يصح، وما يستقيم لهم أن ينزلوا بالقرآن من السماء ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: وما يقدرُونَ على ذلك أصلاً.

ثم إنه تعالى ذكر سبب ذلك، فقال: ﴿إِنَّهُمْ﴾؛ أي: إن الشياطين بعد مبعث الرسول وقبله ﴿عَنِ السَّمْعِ﴾ لما يوحى به إلى الأنبياء ﴿لَمَعَزُؤُونَ﴾؛ أي: لممنوعون حفظاً للوحي عن التخليط قبل نزول الملك به. أما ما لا تعلق له بالوحي من الأخبار المغييات فقد يستمعون قبل مبعث النبي ﷺ، وأما بعد بعثته فقد انسد باب السماء على الشياطين، وانقطع نزول الشياطين على الكهنة؛ أي: إن الشياطين لممنوعون عن الاستماع للوحي، كيف لا، ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة، غير مستعدة إلا لقبول ما لا خير فيه أصلاً من فنون الشرور.

والمعنى: أي^(١) وما نزلت الشياطين بالقرآن ليكون كهانة، أو شعراً أو سحراً. وما ينبغي لهم أن ينزلوا به، وما يستطيعون ذلك وإن عالجوه بكل وسيلة، وإنهم عن سمع الملائكة لمحجوبون بالشهب.

والخلاصة: أن الشياطين لا تنزل به لوجوه ثلاثة:

١. أنه ليس من مبتغاهم؛ إذ من سجاياهم الإضلال والإفساد، والقرآن فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو هدى ونور وبرهان مبين، فبينه وبين مقاصد الشياطين منافاة عظيمة.

٢. أنه لو انبغى لهم ما استطاعوا حمله وتأديته، كما قال: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

(١) المراغي.

٣. أنهم لو انبغى واستطاعوا حمله وتأديته.. لما وصلوا إلى ذلك؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله؛ لثلا يخلطوا الوحي.

وقرأ الحسن^(١) وابن السميع والأعمش: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ - بالواو والنون - إجراء له مجرى جمع السلامة. قال النحاس: وهذا غلط عند جميع النحويين. قال: وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: هذا من غلط العلماء، وإنما يكون بشبهة؛ لما رأى الحسن في آخره ياء ونوناً، وهو في موضع رفع.. اشتبه عليه بالجمع السالم، فغلط.

ثم لما قرر سبحانه حقية القرآن، وأنه منزل من عنده.. أمر نبيه ﷺ بدعاء الله وحده، فقال: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الفاء فيه للإفصاح؛ أي: إذا عرفت يا محمد حال الكفار، وأردت بيان ما هو اللازم لك من الأوامر والنواهي.. فأقول لك: لا تعبد مع الله سبحانه إلهاً غيره. ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ على إشراكه، الخطاب^(٢) للنبي ﷺ، والمراد به غيره؛ لأنه معصوم من ذلك.

قال ابن عباس: يحذر به غيره، يقول: أنت أكرم الخلق عليّ، ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبتك، فكيف بغيرك من العباد، وذلك من شأن الحكيم إذا أراد أن يؤكد الخطاب لأحد وجهه إلى الرؤساء في الظاهر.

وقيل: خوطب به النبي ﷺ مع استحالة وقوع المنهي عنه^(٣)؛ لأنه معصوم، تهيباً لعزيمته، وحثاً على ازدياد الإخلاص، ولطفاً بسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبيح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره منه، فكيف بمن عداه، وأن من كان أكرم الخلق عليه إذا عذب على تقدير اتخاذ إله آخر، فغيره أولى.

وحاصل ما في هذه الآيات: أن الله سبحانه أمر نبيه بأربعة أوامر ونواه^(٤):

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٣) المخازن.

(٤) المراغي.

١. ﴿فَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾؛ أي: أخلص العباد لله وحده، ولا تشرك به سواه، فإن من أشرك به فقد عصاه، ومن عصاه فقد استحق عقابه. وفي هذا حث لرسوله على ازدياد الإخلاص. وبيان أن الإشراك قبيح بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره منه، فيكون الوعيد لغيره أزجر، وله أقبل. وبعد أن بدأ بالرسول وتوعده إن دعا مع الله إلهاً آخر.. أمره بدعوة الأقرب فالأقرب؛ لأنه إذا تشدد على نفسه أولاً، ثم ثنى بالأقرب فالأقرب.. كان قوله لسواهم أنفع، وتأثيره أنجع، فقال:

٢. ﴿وَأَنْذِرْ﴾؛ أي: خوف العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي ﴿عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ﴾؛ أي: الجماعة الذين كانوا أقرب الناس إليك في النسب، فأقرب الناس إليه بنو هاشم، ثم بنو المطلب، ثم سائر بطون قريش على ترتيب الأقرب فالأقرب؛ أي: وخوف الأقربين من عشيرتك وأهلك بأس الله سبحانه، وشديد عقابه لمن كفر به وأشرك به سواه.

وإنما أمره بإنذار الأقربين؛ لأن الاهتمام بشأنهم أهم، فالبداية بهم في الإنذار أولى، كما أن البداية بهم في البر والصلة وغيرهما أولى. وهذه النذارة الخاصة جزء من النذارة العامة التي بعث بها النبي ﷺ، كما قال: ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ وقال: ﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَلَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا﴾.

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ﷺ قريشاً وعم وخص، فقال: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً، يا معشر بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً، يا معشر بني قصي أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لك ضرراً ولا نفعاً، ألا إن لكم رحماً وسأبلها ببلالها، أصلكم في الدنيا، ولا أغني عنكم من الله شيئاً». وهذا الحديث منه ﷺ بيان للعشيرة الأقربين.

وفي الحديث والآية^(١): دليل على أن القرب في الأنساب لا ينفع مع البعد في الأسباب، وعلى جواز صلة المؤمن والكافر، وإرشاده ونصحه بدليل قوله: «إن لكم رحماً سألها بيلالها».

وروى مسلم قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار».

وبعد أن أمره بإنذار المشركين من قومه.. أمره بالرفق بالمؤمنين، فقال:

٣. ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ﴾؛ أي: ألن جانبك وحالك وتواضع ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ﴾، واقتدى بك ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله سبحانه وبك، وترفق بهم وتجاوز عنهم، فإن ذلك أجدى لك، وأجلب لقلوبهم، وأكسب لمحبتهم، وأفضى إلى معونتك والإخلاص لك. و﴿مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ للتبيين؛ لأن (من اتبع) أعم ممن اتسع لدين، أو قرابة، أو نسب، أو للتبعض، على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان والمصدقون باللسان.

فإن قلت: لِمَ قال: ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ولم يقل: واخفض جناحك للمؤمنين، فما النكتة في هذا العدول؟

قلت: النكتة في هذا العدول إلى هذا الأسلوب إخراج المؤمن الغير المتابع؛ لأن كل متابع مؤمن، وليس كل مؤمن متابعاً، ولئلا يغتر المؤمن بدعوى الإيمان وهو بمعزل عن حقيقته التي لا تحصل إلا بالمتابعة. انتهى من «التأويلات النجمية».

يقال: خفض جناحه إذا ألانه، وفيه استعارة تصريحية، كما سيأتي في مبحث البلاغة. والمعنى: ألن جناحك، وتواضع لمن اتبعك من المؤمنين، وأظهر لهم المحبة والكرامة، وتجاوز عما يبدو منهم من التقصير، واحتمل منهم سوء الأحوال، وعاشرهم بجميل الأخلاق، وتحمل عنهم كلهم، فإن حرموك فأعطهم، وإن ظلموك فتجاوز عنهم، وإن قصرُوا في حقي فاعف عنهم واستغفر لهم.

(١) المراغي.

﴿إِن عَصَوْكَ﴾؛ أي خالفوا أمرك: ولم يتبعوك؛ أي: فإن خرجت عشيرتك عن الطاعة وخالفوك، ولم يتبعوك ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: من عملكم، أو من الذي تعملونه؛ أي: فإني بريء من عبادتكم لغير الله تعالى، ولا تبرأ منهم، وقل لهم قولاً معروفاً بالنصح والعظة لعلهم يرجعون إلى طاعتك، وقبول الدعوة منك.

وهذا^(١) يدل على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان المصدقون باللسان؛ لأن المؤمنين الخالص لا يعصونه ولا يخالفونه. والمعنى: أي: فإن^(٢) عصاك من أذرتهم من العشيرة فلا ضير عليك، وقد أديت ما أمرت به، ولا عليك إثم مما يعملون، وقل لهم: إني بريء منكم ومن دعائكم مع الله إلهاً آخر، وإنكم ستجزون بجرمكم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والخلاصة: فبعد الإنذار من آمن منهم فتواضع له، ومن خالفك فتبرأ منه ومن عمله، وقل له: ﴿إني بريء...﴾ إلخ، ثم بين له ما يعتمد عليه عند عصيانهم له، فقال:

٤. ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ في جميع حالاتك ﴿عَلَى الْغَنِيِّ﴾ الذي لا يذل من والاه، ولا يعز من عاداه، فهو يقدر على قهر أعدائه ﴿الرَّحِيمِ﴾ الذي يرحم من توكل عليه، وفوض أمره إليه بالظفر والنصرة، فهو ينصر أوليائه، ولا تتوكل على الغير، فإن الله تعالى هو الكافي لشر الأعداء لا الغير، والتوكل على الله تعالى في جميع الأمور، والإعراض عما سواه ليس إلا من خواص الكمل. جعلنا الله سبحانه وإياكم من الملحقين بهم. والتوكل: عبارة عن تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره، ويقدر على نفعه وضره، وهو الله سبحانه وتعالى العزيز الرحيم.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر وشيبة^(٣): ﴿فتوكل﴾ - بالفاء - على الإبدال من جواب الشرط. وقرأ باقي السبعة: ﴿وتوكل﴾ - بالواو - على العطف على

(٣) البحر المحيط.

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

﴿أُنْذِرْ﴾؛ ثم أتبع به قوله: ﴿الَّذِي يَرْبِّكَ...﴾ إلخ؛ لأنه كالسبب لتلك الرحمة؛ أي: توكل على من يراك ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من نومك إلى التهجد والصلاة وحدك في جوف الليل، في قول أكثر المفسرين، فإن المعروف من القيام في العرف الشرعي إحياء الليل بالصلاة.

وقال مجاهد: حين تقوم حيثما كنت. ﴿و﴾ يرى ﴿تَقْلِبُكَ﴾ وتنقلك في أركان الصلاة بالقيام والركوع والاعتدال والسجود والجلوس ﴿فِي السَّجْدَيْنِ﴾؛ أي: مع المصلين جماعة إذا كنت إماماً لهم؛ أي: ويراك إذا صليت جماعة راعياً وساجداً وقائماً. كذا قال أكثر المفسرين. وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة - رحمه الله - هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن؟ فتلا هذه الآية.

وقيل^(١): يراك منتقلاً في أصلاب المؤمنين، وأرحام المؤمنات من لدن آدم وحواء إلى عبد الله وآمنه، فجميع أصول سيدنا محمد ﷺ رجالاً ونساء مؤمنون، فلا يدخلهم الشرك ما دام النور المحمدي في الذكر والأنثى، فإذا انتقل منه لمن بعده.. أمكن أن يعبد غير الله، وآزر ما عبد الأصنام إلا بعد انتقال النور منه لإبراهيم. وأما قبل انتقاله فلم يعبد غير الله تعالى، كذا قالوا، ولكن لا أصل له والله أعلم.

وقيل^(٢): المراد بقوله: ﴿يَرْبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ قيامك إلى التهجد. وقوله: ﴿وَتَقْلِبُكَ فِي السَّجْدَيْنِ﴾ يريد ترددك في تصفح أحوال المجتهدين في العبادة وتقلب بصرك فيهم، كذا قال مجاهد.

ومعنى الآية: أي^(٣) وفوض جميع أمورك إلى القادر على دفع الضر عنك، والانتقام من أعدائك الذين يريدون السوء بك، الرحيم إذ نصررك عليهم برحمته، وهو الذي يراك حين تقوم للصلاة بالناس، ويرى تنقلك من حال كالجلوس إلى حال كالقيام فيما بين المصلين إذا كنت إماماً لهم. وفي الخبر: «أعبد الله كأنك

(٣) المراغي.

(١) المراح.

(٢) الشوكاني.

تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وعبر عن المصلين بالساجدين؛ لأن العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد، ثم أكد ما سلف بقوله: ﴿إِنَّهُمْ﴾ سبحانه وتعالى ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال عباده فيسمع ما تقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحركاتهم وسكناتهم وبسرهم ونجواهم، فيعلم ما تنويه وتعمله، كما قال سبحانه في آية أخرى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾.

وقصارى ذلك: أنه هو القادر على نفعكم وضرركم، فهو الذي يجب أن تتوكلوا عليه، وهو الذي يكفيكم ما أهمكم.

ولما قال^(١) المشركون: لم لا يجوز أن يقال: إن الشياطين تنزل بالقرآن على محمد ﷺ، كما أنهم ينزلون بالكهانة على الكهنة، وبالشعر على الشعراء... فرق الله سبحانه وتعالى بين محمد ﷺ وبين الكهنة والشعراء، فقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ وأخبركم أيها المشركون ﴿عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ بتقدير همزة الاستفهام قبل حرف الجر، وبحذف إحدى التاءين من ﴿تَنَزَّلُ﴾؛ أي: هل أخبركم أيها المشركون جواب على من تنزل الشياطين؟ أقول لكم في جوابه ﴿تَنَزَّلُ﴾ الشياطين ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾؛ أي: كثير الإفك والكذب ﴿أَثِيرٍ﴾؛ أي: كثير الإثم والمعاصي، وهو اسم للأفعال المبطنة عن الثواب؛ أي: تنزل^(٢) الشياطين على المتصفين بالإفك والإثم الكثير من الكهنة والمنتبهة كمسيلمة الكذاب، وسطيح، وطليحة؛ لأنهم من جنس الشياطين، وبينهم مناسبة بالكذب والافتراء والإضلال. فإن مسيلمة من المنتبهة، وسطيح وطليحة من الكهنة - جمع كاهن؛ وهو الذي يخبر عن الأمور المستقبلية، والعراف الذي يخبر عن الأمور الماضية. اهـ شيخنا.

وحيث كانت ساحة رسول الله ﷺ منزهة عن هذه الأوصاف استحال تنزيلهم عليه.

وجملة قوله: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ﴾ في محل الجر على أنها صفة لـ ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ﴾

(١) المراح.

(٢) روح البيان.

أَشِيرُ؛ لكونه في معنى الجمع؛ أي: يلقي الأفاكون الإذن إلى الشياطين، فيتلقون منهم أوهاماً وأمارات لنقصان علمهم، فيضمون إليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق أكثرها الواقع ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾؛ أي: أكثر الأفاكين؛ أي: كلهم ﴿كَذِبُونَ﴾ فيما قالوه من الأقاويل، وليس محمد كذلك، فإنه صادق في جميع ما أخبر به من المغيبات، والأكثر هنا: بمعنى الكل، كما أن البعض يأتي بمعنى الكل في قوله تعالى: ﴿وَلَا جِدَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: كله. والأظهر^(١) أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجنى. والمعنى: وأكثر أقوالهم كاذبة، لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب إلى أكثرهم كون أقلهم صادقاً على الإطلاق. اهـ «أبو السعود».

وقيل: الضمير في ﴿يُلْقُونَ﴾ عائد إلى ﴿الشَّيَاطِينُ﴾، والجملة^(٢) في محل نصب حال من الضمير المستتر في ﴿تَنَزَّلُ﴾ العائد إلى ﴿الشَّيَاطِينُ﴾؛ أي: تنزل الشياطين على كل أفاك أثيم حالة كون الشياطين ملقين السميع؛ أي: ما يسمعونه من الملائ الأعلى إلى الكهان. ويجوز أن يكون المعنى: أن الشياطين يلقون السمع؛ أي: ينصتون إلى الملائ الأعلى؛ ليسترقوا منهم شيئاً من المغيبات، ويكون المراد بالسمع على الوجه الأول المسموع، وعلى الوجه الثاني نفس حاسة السمع.

ويجوز أن تكون جملة: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ راجعة إلى ﴿الشَّيَاطِينُ﴾؛ أي: وأكثر الشياطين كاذبون فيما يلقونه إلى الكهنة مما يسمعونه من الملائ الأعلى، فإنهم يضمون إلى ذلك من عند أنفسهم كثيراً من الكذب، كما جاء في الحديث: «تلك الكلمة الصادقة الكلمة التي يخطفها الجنى فيقرأها في أذن وليه، ويزيد معها أكثر من مئة كذبة». والكهنة أيضاً يفترون على الشياطين ما لم يوحوا إليهم.

فإن قلت: كيف يصح على الوجه الأول وصف الأفاكين بأن أكثرهم كاذبون

(١) أبو السعود.

(٢) الشوكاني.

بعدهما وصفوا جميعاً بالإفك؟

قلتُ: يجاب عنه بأن المراد بالأفك الذي يكثر الكذب، لا الذي لا ينطق إلا بالكذب. فالمراد بقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ أنه قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الشياطين، وقد سبق الجواب عنه بوجه آخر.

وقال شيخ الإسلام: فإن قلت^(١): كيف قال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾ بعد ما حكم بأن كل أفك أثيم؛ أي: فاجر؟

قلتُ: الضمير في ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ لـ ﴿الشَّيَاطِينُ﴾، لا للأفاكين، ولو سلم فالأفاكون هم الذين يكثرون الكذب، لا أنهم الذين لا ينطقون إلا بالكذب. انتهى.

وقال في «كشف الأسرار»: استثني منهم بذكر الأكثر سطيحاً وشقاً وسواد بن قارب الذين كانوا يلهجون بذكر رسول الله وتصديقه، ويشهدون له بالنبوة، ويدعون الناس إليه. انتهى.

والغرض الذي سيق لأجله هذا الكلام^(٢): رد ما كان يزعمه المشركون من كون النبي ﷺ من جملة من يلقي إليه الشياطين السمع من الكهنة ببيان أن الأغلب على الكهنة الكذب، ولم يظهر من أحوال محمد ﷺ إلا الصدق، فكيف يكون كما زعموا، ثم إن هؤلاء الكهنة يعظمون الشياطين، وهذا النبي المرسل ﷺ من عند الله سبحانه برسالاته إلى الناس يذمهم ويلعنهم، ويأمر بالتعوذ منهم.

وحاصل معنى الآيات: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾؛ أي: هل أخبركم خبراً جلياً نافعاً في الدين، عظيم الجدوى في الدنيا، تعلمون به الفارق بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن ببيان جواب سؤال ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾، ثم أشار إلى الجواب عن هذا السؤال بوجهين:

١. ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾؛ أي: هي تنزل على كل كذاب فاجر من

(٢) الشوكاني.

(١) فتح الرحمن.

الكهنة، نحو شق بن رهم وسطيح بن ربيعة. قال في «حياة الحيوان»: هما كاهنان، فكان شق نصف إنسان، له يد واحدة ورجل واحدة، وعين واحدة، وكان سطيح ليس له عظم ولا بنان، إنما كان يطوى كالحصير، لم يدرك أيام بعثة النبي ﷺ، وكان في زمن ملك كسرى؛ وهو ساسان. انتهى.

٢. ﴿يُلْقَوْنَ أَلْسِنَةً وَأَكْثَرَهُمْ كَذِبُونَ﴾؛ أي: يلقي الأفاكون سمعهم إلى الشياطين، ويصغون إليهم أشد إصغاء، فيتلقون منهم ما يتلقون، وهؤلاء قلما يصدقون في أقوالهم، بل هم في أكثرها كاذبون. وهذا رد على من زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ليس بحق، وأنه شيء أتاه به رئي من الجن، فنزه الله سبحانه رسوله ﷺ عن قولهم وافتراءهم، ونبه إلى أن ما جاء به إنما هو من عند الله، وأنه تنزيل ووحيه نزل به ملك كريم، وأنه ليس من قبل الشياطين.

والخلاصة: أن هناك فارقاً بين محمد ﷺ والكهنة، ومحمد ﷺ لا يكذب فيما يخبر عن ربه، وما عرف منه إلا الصدق، والكهنة كذابون فيما يقولون، وقلما عرف منهم الصدق في أخبارهم.

ولما كان بعض المشركين يقول: إن النبي ﷺ شاعر.. بين سبحانه حال الشعراء، ومنافاة ما هم عليه لما عليه النبي ﷺ، فقال: ﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾؛ أي: شعراء الكفار الذين يهجون رسول الله ﷺ وأصحابه، ويعيبون الإسلام، ويطعنون فيه منهم عبد الله بن الزبيري وهبيرة بن أبي وهب ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله وأمية بن أبي الصلت وأبو سفيان بن حرب الأموي ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوَنُ﴾؛ أي: يتبعهم سفهاء العرب، حيث كانوا^(١) يحفظون هجاءهم للمسلمين، وينشدونه في المجالس والمجامع، ويضحكون منه؛ أي: إن القرآن ليس بشعر، ولا محمد بشاعر؛ لأن الشعراء يتبعهم الضالون الحائدون عن السنن القويم، والسفهاء المائلون إلى الفساد الذي يجر إلى الهلاك، وأتباع محمد ليسوا كذلك، بل هم الراشدون المراجيح الرزان والساجدون الراكعون الباكون

(١) روح البيان.

الزاهدون.

وكان^(١) الشعراء يتكلمون بالكذب والباطل، ويقولون: نحن نقول مثل ما قال محمد، وقالوا: الشعر، واجتمع إليهم غواة قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون محمداً ﷺ وأصحابه، وكانون يروون عنهم قولهم، فذلك قوله: ﴿يَكْبَهُمُ الْفَاؤُنَ﴾ فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين. وقيل: ﴿الْفَاؤُنَ﴾ هم الشياطين. وقيل: هم السفهاء الضالون.

والشعراء^(٢) عام يدخل فيه كل شاعر، والمذموم من يهجو ويمدح شهوة محرمة، ويقذف المحصنات، ويقول الزور وما لا يسوغ شرعاً. واعلم أن الشعر في نفسه ينقسم إلى أقسام، فقد يبلغ ما لا خير فيه منه إلى قسم الحرام، وقد يبلغ ما فيه خير منه إلى قسم الواجب.

قال في «الكواشي»: لا شك أن الشعر كلام حسنه كحسنة، وقبيحه كقبيحة، ولا بأس به إذا كان توحيداً، أو علماً ينتفع به، أو حثاً على مكارم الأخلاق من جهاد وعبادة وحفظ فرج وغض بصر وصلة رحم وشبهه، أو مدحاً للنبي ﷺ والصالحين بما هو الحق، انتهى.

وقد وردت أحاديث في ذمه وذم الاستكثار منه، ووردت أحاديث آخر في إباحته وتجويزه:

فمنها: ما روى مسلم عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردت رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟» قلت: نعم. قال: «هيه». فأنشدته بيتاً، فقال: «هيه»، ثم أنشدته بيتاً آخر، فقال: «هيه»، حتى أنشدته مئة بيت. وفي هذا دليل على العناية بحفظ الأشعار إذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعاً وطبعاً. وإنما استكثر النبي ﷺ من شعر أمية؛ لأنه كان حكيماً، ألا ترى قوله ﷺ: «لقد كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» حين سمع قوله:

(٢) البحر المحيط.

(١) الخازن.

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلُّ نَعِيمٍ لَأَمَحَالَةٍ زَائِلٌ
والكلام في تحقيق ذلك يطول.

وقال الإمام المرزوقي شارح «الحماسة»: تأخر الشعراء عن البلغاء؛ لتأخر المنظوم عند العرب؛ لأن ملوكهم قبل الإسلام وبعده يتبجحون بالخطابة، ويعدونها أكمل أسباب الرياسة، ويعدون الشعر دناءة؛ لأن الشعر كان مكسبة وتجارة، وفيه وصف اللئيم عند الطمع بصفة الكريم، والكريم عند تأخر صلته بوصف اللئيم، ومما يدل على شرف النثر أن الإعجاز وقع في النثر دون النظم؛ لأن زمن النبي ﷺ زمن الفصاحة.

وقرأ عيسى بن عمر^(١): «وَالشُّعْرَاءُ» بالنصب على الاشتغال، والجمهور بالرفع على الابتداء والخبر، وقرأ نافع وشيبة والحسن بخلاف عنه، والسلمي «يَتَّبِعُهُمْ» بسكون التاء مخففاً من تبع الثلاثي وقرأ باقي السبعة مشدداً. والوجهان حسنان. يقال: تبعته واتبعته مثل حقرت واحتقرت. وسكن العين الحسن، وعبد الوارث عن أبي عمرو. وروى هارون نصبها عن بعضهم، وهو مشكل. ذكره أبو حيان.

ثم بين تلك الغواية بأمرين، فقال:

١. «أَلَمْ تَرَ» يا من^(٢) شأنه الرؤية؛ أي: قد رأيت وعلمت. والاستفهام فيه للتقرير، والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية «أَنْتُمْ»؛ أي: أن الشعراء «فِي كُلِّ وَادٍ»؛ أي: في كل فن من فنون الكذب، وفي كل شعب من شعاب الزور، وفي كل نوع من أنواع المدح أو الذم، والهجاء والشتم، والفحش واللعن، والافتراء والدعوى، والتكبر والمفاخر، والتحاسد والعجب، والإراءة وإظهار الفضل، والدناءة والخسة، والطمع والتكدي، والذلة والمهانة، وأصناف الأخلاق الرذيلة، والطمع في الأنساب والأعراض، وغير ذلك من الآفات التي هي من تواع الشعر «يَهَيِّئُونَ» يقال: هام على وجهه - من باب باع - هيماناً، بفتحتين،

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

إذا ذهب من العشق أو غيره، كما في «المختار»؛ أي: يذهبون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين، بل يتحирون في أودية القيل والقال، والوهم والخيال، والغنى والضلال، فتارة يمزقون الأعراض بالهجاء، وتارة يأتون من المجون بكل ما يمجج السمع ويستقبحه العقل، وتارة يخوضون في بحر السفاهة والوقاحة، ويذمون الحق ويمدحون الباطل، ويرغبون في فعل المحرمات، ويدعون الناس إلى فعل المنكرات، كما تسمعه في أشعارهم من مدح الخمر والزنا واللواط ونحو هذه الرذائل الملعونة.

والمعنى: أي^(١) ألم تعلم أن الشعراء يسلكون الطرق المختلفة من الكلام، فقد يمدحون الشيء حيناً بعد أن ذموه، أو يعظمونه بعد أن احتقروه، والعكس بالعكس، وذلك دليل على أنهم لا يقصدون إظهار الحق، ولا تحري الصدق، لكن محمداً ﷺ جبلته الصدق، ولا يقول إلا الحق، وقد بقي على طريق واحد؛ وهو الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، والترغيب في الآخرة والإعراض عن الدنيا.

وثاني الأمرين: ذكره بقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ في أشعارهم عند التصلف والدعوى ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ من الأفاعيل، فهم يرغبون في الجود ويرغبون عنه، وينفرون عن البخل ويصرون عليه، ويقدحون في الناس لأدنى الأسباب، ويرتكبون الفواحش، وذلك تمام الغواية. ومحمد ﷺ على خلاف ذلك؛ لأنه منزه عن كل ذلك، متصف بمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق، مستقر على المنهاج القويم، مستمر على الصراط المستقيم، فقد بدأ بنفسه إذ قال له ربه: ﴿فَلَا تَنَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ (١٢٣) ثم بالأقرب فالأقرب، فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (١٢٤) فليست حاله حال الشعراء.

ولما وصف الشعراء بهذه الأوصاف الذميمة استثنى منهم من اتصف بأمور

أربعة:

١. الإيمان.

(١) المراغي.

٢. والعمل الصالح.

٣. وكثرة قول الشعر في توحيد الله والنبوة ودعوة الخلق إلى الحق.

٤. وأن لا يهجو أحداً إلا انتصاراً ممن يهجوهُ اتباعاً لقوله سبحانه: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ كما كان يفعل عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير حين كانوا يهجون المشركين منافحة عن رسول الله ﷺ.

وقد روي أن رسول الله ﷺ قال لكعب بن مالك: «أهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من رشق النبل»، وكان يقول لحسان بن ثابت: «قل وروح القدس معك» وفي رواية: «أهجهم وجبريل معك»، وإلى هذا أشار بقوله سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله. استثناء للشعراء المسلمين. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بامتنال الأوامر واجتناب النواهي. ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ﴾ ذكراً كثيراً في أشعارهم بأن كان أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله، والحث على طاعته، والحكمة والموعظة، والزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة، أو بأن لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله سبحانه، ولم يجعلوه همهم وعادتهم. قال أبو يزيد: الذكر الكثير ليس بالعدد والغفلة، لكنه بالحضور.

﴿وَأَنْتَصَرُوا﴾؛ أي: انتقموا ممن هجاهم بالهجو ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ﴾؛ أي: من بعد ما ظلمهم الكفار بالهجو؛ أي: ردوا هجاء من هجا رسول الله ﷺ والمسلمين. وأحق الخلق بالهجو من كذب رسول الله ﷺ وهجاه، كما وقع ذلك الانتصار من شعراء رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا يهجون من هجاه ويحمون عنه، ويذبون عن عرضه، ويكافحون شعراء المشركين وينافحونهم. ويدخل في هذا من انتصر بشعره لأهل السنة وكافح أهل البدعة، وزيف ما يقوله شعراؤهم من مدح بدعتهم، وهجو السنة المطهرة، كما يقع ذلك كثيراً من شعراء الرافضة ونحوهم، فإن الانتصار للحق بالشعر وتزييف الباطل به من أعظم المجاهدة، وفاعله من المجاهدين في سبيل الله، المنتصرين لدينه، القائمين بما أمر الله بالقيام به.

وروى ابن جرير عن محمد بن إسحاق أنه لما نزلت هذه الآية.. جاء

حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهم يبيكون، قالوا: قد علم الله حين أنزل هذه أنا شعراء، فتلا النبي ﷺ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال: أنتم ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ قال: أنتم ﴿وَأَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمْتُمْ﴾: قال أنتم؛ أي بالرد على المشركين، ثم قال النبي ﷺ: «انتصروا ولا تقولوا إلا حقاً، ولا تذكروا الآباء والأمهات». فقال حسان لأبي سفيان بن حرب:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءِ
وَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءِ
أَنْشُئْتُمُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ فَشَرُّكُمْ لِحَيْرِكُمْ أَلْفِدَاءِ
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَحْرِي لَا تُكَدِّرُهُ أَلْدَلَاءِ
وقال كعب: يا رسول الله إن الله قد أنزل في الشعر ما قد علمت، فكيف ترى فيه؟ فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل» وقال كعب:

جَاءَتْ سَخِينَةُ كَيْ تَغَالِبَ رَبِّهَا وَلَيُغْلِبَنَّ مُغَالِبُ الْغَلَابِ
فقال النبي ﷺ: «لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا».

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بيديه؛ وهو يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ أَلْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ أَلْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْحَلِيلَ عَنْ حَلِيلِهِ
فقال عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال رسول الله ﷺ: «خَلْ عُنْفُكَ يَا عُمَرُ، فَلَيْهِ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النبل». أخرجه الترمذي والنسائي.

فصل في مدح الشعر^(١)

روى البخاري عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشعر لحكمة». وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فجعل يتكلم بكلام، فقال: «إن من البيان سحراً، وإن من الشعر حكماً» أخرجه أبو داود.

وروى مسلم عن عمرو بن الثريد عن أبيه، قال: ردت وراء النبي ﷺ يوماً: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟» قلت نعم. قال: «هيه»، فأنشدته بيتاً. الحديث كما مر آنفاً.

وعن جابر بن سمرة قال: جالست النبي ﷺ أكثر من مئة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، وربما تبسم معهم. أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وقالت عائشة - رضي الله عنها -: الشعر كلام: فمنه حسن، ومنه قبيح، فخذ منه الحسن، ودع منه القبيح. وقال الشعبي: كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان علي أشعر منهما. وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر، ويستنشده في المسجد، فيروى أنه دعا عمر بن ربيعة المخزومي، فاستنشه القصيدة التي قالها، فقال:

أَمِنْ آلِ نُعْمَى أَنْتَ عَادٍ فَمُبَكِّرُ عَدَاةٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ
فأنشده القصيدة إلى آخرها، وهي قريب من تسعين بيتاً، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها بمرة واحدة.

وبعد أن^(٢) ذكر الله سبحانه من الدلائل العقلية، وأخبار الأنبياء المتقدمين ما يزيل الحزن عن قلب رسول الله ﷺ، ثم بين الدلائل على صدق نبوته، ثم

(١) الخازن.

(٢) المراغي.

أرشد إلى الفارق بينه وبين الكهنة، وبينه وبين الشعراء.. ختم^(١) السورة بالتهديد العظيم والوعيد الشديد للكافرين، فقال: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالشعر المنهي عنه وغيره، وأعرضوا عن تدبر هذه الآيات كفراً بها وعناداً، فهو عام لكل ظالم، والسين للتأكيد. ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾؛ أي: أي مرجع يرجعون إلى الله تعالى بعد الموت، وأي معاد يعودون إليه، إنهم ليصيرون إلى نار لا يطفأ سعيها، ولا يسكن لهيبها؛ أي: ينقلبون انقلاب سوء، ويرجعون رجوع شر؛ لأن مصيرهم إلى النار.

فإن^(٢) في قوله: ﴿سَيَعْلَمُ﴾ تهويلاً عظيماً، وتهديداً شديداً، وكذا في إطلاق ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وإيهام ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. وخصص بعضهم هذه الآية بالشعراء، ولا وجه لذلك، فإن الاعتبار بعموم اللفظ.

وقوله: ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ﴾ صفة لمصدر محذوف؛ أي: ينقلبون منقلباً أي منقلب، وقدم لتضمنه معنى الاستفهام، ولا يعمل فيه ﴿سَيَعْلَمُ﴾؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، بل هو معلق عن العمل فيه.

والمعنى^(٣): أي وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهجو رسول الله وأصحابه، وبالإعراض عن تدبر هذه الآيات أنهم ينقلبون كمال انقلاب؛ لأن مصيرهم إلى النار؛ وهو أقبح مصير، ومرجعهم إلى العذاب؛ وهو شر مرجع، فالمنقلب الانتقال إلى ضد ما هو فيه، والمرجع هو العود من حال هو فيها إلى حال كان عليها، فصار كل مرجع منقلباً، وليس كل منقلب مرجعاً.

وقرأ ابن عباس والحسن وابن أرقم عنه^(٤): ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ بالفاء مكان القاف، والتاء مكان الباء، من الانقلاب بالنون والتاء الفوقية. والمعنى على هذه القراءة: أن الظالمين يطمعون في الانفلات من عذاب الله تعالى، والانفكاك منه، ولا يقدرّون على ذلك؛ أي: وسيعلم الظالمون أن ليس لهم وجه من وجوه

(٣) المراح.

(١) المراغي.

(٤) البحر المحيط والشوكاني.

(٢) الشوكاني.

الانفلات والفرار، فإنهم يطمعون أولاً أن ينفلتوا من عذاب الله سبحانه فينجوا منه. وقرأ الباقون بالقاف والباء الموحدة من الانقلاب بالنون والقاف والموحدة.

الإعراب

﴿وَلَهُمْ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٤٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٤٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٤٤﴾.

﴿وَلَهُمْ﴾: «الواو»: استئنافية. «إِنَّهُمْ»: ناصب واسمه. ﴿لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خبره ومضاف إليه، والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حقيقة تلك القصص، وتأکید نبوة محمد ﷺ، فإن إخباره عن الأمم المتقدمة؛ وهو الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ لا يكون إلا عن طريق الوحي. ﴿نَزَلَ﴾: فعل ماض. ﴿بِهِ﴾: متعلق بمحذوف حال من الروح؛ أي: متلبساً به، فالباء للملابسة. ﴿الرُّوحُ﴾: فاعل. ﴿الْأَمِينُ﴾: صفة له، والجملة في محل الرفع صفة لـ ﴿نَزِيلٌ﴾، أو حال منه. ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: متعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾. ﴿لِتَكُونَ﴾: «اللام»: حرف جر وتعليل وعاقبة، ﴿تَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، واسمها ضمير يعود على محمد. ﴿مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾: خبرها، والجملة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لكونك من ﴿الْمُنذِرِينَ﴾، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١٤٥) وَإِنَّهُمْ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٤٦﴾ أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُهَا بَيِّنَاتٍ لَّيَسَّرَ لَهَا وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٤٧﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٨﴾.

﴿بِلِسَانٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿الْمُنذِرِينَ﴾؛ لأنه اسم فاعل؛ أي: لتكون من جملة الذين أنذروا بهذا اللسان العربي؛ وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام، أو بدل من الجار والمجرور في قوله: ﴿بِهِ﴾ بإعادة العامل؛ أي: نزل بلسان عربي؛ أي: باللغة العربية. ﴿عَرَبِيٍّ﴾: صفة أولى لـ ﴿لسان﴾. ﴿مُبِينٍ﴾: صفة ثانية له، أو صفة لـ ﴿عَرَبِيٍّ﴾. ﴿وَلَهُمْ﴾: ناصب واسمه.

﴿لَقَدْ زُيِّرَ الْأَوَّلِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه خبر إن، وجملة ﴿إنه﴾ معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الأولى. ﴿أَوَّلَرُ﴾: الهمزة: للاستفهام التوبيخي المضمن للتقرير داخل على محذوف، و﴿الواو﴾ عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أغفل أهل مكة عن هذا القرآن، ولم يكن علم علماء بني إسرائيل إياه آية لهم على حقيقته، ﴿لم﴾ حرف نفي وقلب وجزم ﴿يَكُنْ﴾ مضارع ناقص مجزوم ب﴿لم﴾ وجملة ﴿يَكُنْ﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة، والجملة المحذوفة جملة إنشائية لا محل لها من الإعراب. ﴿لَمْ﴾ متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لآية وتقدم عليها ﴿آيَةً﴾ خبر ﴿يَكُنْ﴾. ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ في تأويل مصدر اسم ﴿يَكُنْ﴾ ﴿عَلِمُوا بَيِّنَاتٍ﴾ فاعل ومضاف إليه. ﴿وَلَوْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿لَوْ﴾: شرطية. ﴿نَزَّلْنَاهُ﴾ فعل وفاعل ومفعول به. ﴿عَلَى بَعْضِ الْأَعْجِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق ب﴿نَزَّلْنَاهُ﴾، والجملة فعل شرط ل﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿فَقَرَأَهُ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿قَرَأَهُ﴾: فعل ومفعول به، وفاعل مستتر معطوف على ﴿نَزَّلْنَاهُ﴾. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلق بقراً. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿بِهِ﴾: متعلق ب﴿مُؤْمِنِينَ﴾. و﴿مُؤْمِنِينَ﴾: خبر كان، وجملة كان جواب ﴿لَوْ﴾ الشرطية لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَوْ﴾ الشرطية معطوفة على جملة قوله: ﴿أَوَّلَرُ يَكُنْ لَمْ آيَةً﴾.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٦﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٧﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٨﴾.

﴿كَذَلِكَ﴾: صفة لمصدر محذوف. ﴿سَلَكْنَاهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق به، والتقدير: سلكناه في قلوب المجرمين سلكاً كائناً مثل ذلك السلك البديع، والجملة مستأنفة. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿بِهِ﴾: متعلق ب﴿يُؤْمِنُونَ﴾، والجملة مستأنفة، أو حال من الهاء في ﴿سَلَكْنَاهُ﴾، أو من ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾. ﴿حَتَّى﴾: حرف جر وغاية. ﴿يَرَوُا﴾: فعل وفاعل منصوب بأن مضمرة بعد ﴿حَتَّى﴾. ﴿الْعَذَابَ﴾: مفعول به. ﴿الْأَلِيمَ﴾: صفة له، والجملة في تأويل مصدر مجرور ب﴿حَتَّى﴾ بمعنى إلى،

تقديره: إلى رؤيتهم العذاب الأليم، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.
﴿يَأْتِيهِمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿يَأْتِيهِمْ﴾: فعل ومفعول معطوف على ﴿يَرَوْنَ﴾،
وفاعله ضمير يعود على ﴿الْعَذَابِ﴾. ﴿بَقْتَةً﴾: حال من فاعل يأتي، ولكنه في
تأويل مشتق؛ أي: حالة كونه باغتا. ﴿وَهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿هُمْ﴾ مبتدأ،
وجملة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل النصب حال من مفعول
﴿يَأْتِيهِمْ﴾. ﴿فَيَقُولُوا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿يقولوا﴾: فعل وفاعل معطوف على
﴿يَأْتِيهِمْ﴾. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام للاستفهام الاستبعادي المضمن للتحسر. ﴿نَحْنُ
مُنْظَرُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل النصب مقول ﴿يقولوا﴾.

﴿أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا
يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾.

﴿أَفِعَذَابِنَا﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام التوبيخي والتهكمي والإنكاري داخله
على محذوف يقتضيه المقام، و﴿الفاء﴾: عاطفة على ذلك المحذوف.
﴿بعذابنا﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾. ﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾: فعل
وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ذلك المحذوف، والتقدير: أيكون حالهم
كما ذكر من طلب الإنظار عند نزول العذاب الأليم فيستعجلون بعذابنا، والجملة
المحذوفة مستأنفة، هكذا قدره بعض المعربين، ولكنه لا يخلو من إيهام، فالأولى
أن يقدر: أيغفلون عن ذلك مع تحقيقه وتقرره فيستعجلون بعذابنا، وقدم الجار
والمجرور لأمرين: لفظي؛ وهو مراعاة الفواصل، ومعنوي؛ وهو الإيذان بأن
مصعب الإنكار والتوبيخ كون المستعجل به العذاب. ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾: ﴿الهمزة﴾:
للاستفهام الاستخباري، و﴿الفاء﴾: عاطفة. ﴿رَأَيْتَ﴾: فعل وفاعل، والجملة
معطوفة على جملة ﴿فَيَقُولُوا﴾، وما بينهما اعتراض، و﴿رَأَيْتَ﴾: بمعنى أخبرني،
فتتعدى إلى مفعولين: أحدهما مفرد والآخر جملة استفهامية غالباً. ﴿إِنْ﴾: حرف
شرط. ﴿مَتَّعْنَاهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية على
كونها فعل شرط لها. ﴿سِنِينَ﴾: ظرف متعلق بـ ﴿مَتَّعْنَاهُمْ﴾، وجواب الشرط
محذوف يقدر من معنى المفعول الثاني لـ ﴿رَأَيْتَ﴾ تقديره: إن متعناهم سنين لم
يغن عنهم تمتعهم، أي: لم ينفعهم، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية جملة معترضة لا

محل لها من الإعراب. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿جَاءَهُمْ﴾: فعل ومفعول به. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل الرفع فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الشرط. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿يُوعِدُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة في محل النصب خبر كان، وجملة كان صلة ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: ما كانوا يوعدون، ومفعول ﴿أَرَأَيْتَ﴾ الأول محذوف معلوم من فاعل ﴿جاء﴾؛ لأن ﴿أَرَأَيْتَ﴾ و﴿جاء﴾ تنازعاً في قوله: ﴿مَا كَانُوا يُوعِدُونَ﴾، والتقدير: إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون أفرأيت؛ أي: ذلك الموعود.

﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنِعُونَ﴾ ﴿٢١٧﴾ وَمَا أَهْلَكَنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢١٨﴾ ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢١٩﴾.

﴿مَا﴾: اسم استفهام للاستفهام الإنكاري في محل النصب مفعول مقدم لـ ﴿أَغْنَى﴾. ﴿أَغْنَى﴾: فعل ماضٍ. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلق به. ﴿مَا﴾: مصدرية، أو موصولة. ﴿كَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿يَمْتَنِعُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة الفعلية في محل النصب خبر كان، وجملة كان صلة ﴿مَا﴾ المصدرية، أو الموصولة، والمصدر المؤول من ﴿مَا﴾ المصدرية في محل الرفع فاعل ﴿أَغْنَى﴾: تقديره: ما أغنى عنهم تمتعهم، أو ﴿مَا﴾ الموصولة في محل الرفع فاعل ﴿أَغْنَى﴾؛ أي: ما أغنى عنهم ما كانوا يمتنعون به، وجملة ﴿أَغْنَى﴾ في محل النصب مفعول ثانٍ لـ ﴿أَرَأَيْتَ﴾: لأنها جملة استفهامية، وهذا كله مفهوم مما تقدم في سورة الأنعام مبسوطاً في قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ...﴾ إلخ. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَهْلَكَنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿مِنْ قَرِيَةٍ﴾: مفعول به لـ ﴿أَهْلَكَنَا﴾. و﴿مِنْ﴾: زائدة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء مفرغ. ﴿لَهَا﴾: خبر مقدم. ﴿مُنْذِرُونَ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة في محل النصب صفة لـ ﴿قَرِيَةٍ﴾، أو حال منها، وسوغ مجيء الحال منها سبق النفي. ﴿ذَكَرْنِي﴾: مفعول لأجله لـ ﴿مُنْذِرُونَ﴾ منصوب به؛ أي: يندرونهم؛ لأجل تذكير العواقب والموعظة، أو مصدر معنوي لـ ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾ منصوب به؛ أي: أي إلا لها المذكورون ذكرى، وأعربها الكسائي حالاً؛ أي: حال كونهم مذكرين لها. ﴿وَمَا﴾:

﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كُنَّا ظَالِمِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره،
والجملة معطوفة على جملة قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا﴾.

﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ٢١٥ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٢١٦ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ
لَمَعْرُؤُونَ﴾ ٢١٧ ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ ٢١٨.

﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿نَزَّلَتْ﴾: فعل ماض. ﴿بِهِ﴾: متعلق بـ ﴿نَزَّلَتْ﴾. ﴿الشَّيَاطِينُ﴾: فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا﴾. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَنْبَغِي﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر يعود على القرآن. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق بـ ﴿يَنْبَغِي﴾، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿وَمَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿نَزَّلَتْ﴾. ﴿إِنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿عَنِ السَّمْعِ﴾: متعلق بـ ﴿معزولون﴾، و﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿معزولون﴾: خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل عدم استطاعتهم. ﴿فَلَا﴾: الفاء فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أحوال الكفار، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فأقول لا تدع. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَدْعُ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على محمد. ﴿مَعَ اللَّهِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من ﴿إِلَهًا﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿إِلَهًا﴾: مفعول به. ﴿آخَرَ﴾: صفة ﴿إِلَهًا﴾، وجملة ﴿تَدْعُ﴾ في محل نصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿فَتُكُونَ﴾: الفاء: عاطفة سببية، ﴿تكون﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية الواقعة في جواب النهي، واسمها ضمير يعود على محمد. ﴿مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾: خبرها، وجملة ﴿تكون﴾ مع أن المضمرة في تأويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الجملة التي قبلها من غير سابق لإصلاح المعنى، تقديره: لا يكن دعاؤك إلهاً آخر فكونك من المعذبين.

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ٢١٩ ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٢٠.

﴿وَأَنْذِرْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد معطوف على قوله:

﴿فَلَا تَدْعُ﴾. ﴿عَشِيرَتَكَ﴾: مفعول به. ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾: صفة لـ ﴿عَشِيرَتَكَ﴾. ﴿وَأَخْفِضْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر معطوف عليه أيضاً. ﴿جَنَاحَكَ﴾: مفعول به. ﴿لِنَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَخْفِضْ﴾. ﴿أَتْبَعَكَ﴾: فعل ومفعول به، وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾ الموصولة، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حال من الضمير المستتر في ﴿أَتْبَعَكَ﴾.

﴿إِنَّا عَصَوَكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿فَإِنْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا امتثلت ما أمرك به، وأردت بيان ما هو اللازم لك إذا خالفوك.. فأقول لك: إن عصوك. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط. ﴿عَصَوَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿فَقُلْ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب، ﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة في محل الجزم بـ ﴿إِنْ﴾ الشرطية على كونها جواباً لها، وجملة ﴿إِنْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿إِنِّي بَرِيءٌ﴾: ناصب واسمه وخبره. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿بَرِيءٌ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل النصب مقول لـ ﴿قُلْ﴾. ﴿تَعْمَلُونَ﴾: فعل وفاعل صلة لـ ﴿مَّا﴾ الموصولة، والعائد محذوف، تقديره: مما تعملونه. ﴿وَتَوَكَّلْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿تَوَكَّلْ﴾: فعل أفعال، وفاعل مستتر يعود على محمد معطوف على الجواب؛ أي: على جملة ﴿فَقُلْ﴾. ﴿عَلَى الْعَزِيزِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَوَكَّلْ﴾. ﴿الرَّحِيمِ﴾: صفة لـ ﴿الْعَزِيزِ﴾. ﴿الَّذِي﴾: صفة ثانية لـ ﴿الْعَزِيزِ﴾. ﴿يَرِيكَ﴾: فعل ومفعول به، وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة صلة الموصول. ﴿حِينَ﴾: ظرف متعلق بـ ﴿يَرِيكَ﴾. ﴿تَقُومُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على محمد، والجملة في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿حِينَ﴾، ﴿وَتَقْلُبُكَ﴾: معطوف على الكاف في ﴿يَرِيكَ﴾. ﴿فِي السَّجْدِينَ﴾: حال من كاف ﴿تَقْلُبُكَ﴾، و﴿فِي﴾ بمعنى مع؛ أي: حالة كونك مصلياً مع الجماعة. ﴿إِنَّهُمْ﴾:

ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿السَّيِّعُ﴾: خبره. ﴿الْعَلِيمُ﴾: خبر ثان له، وجملة ﴿إِنْ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿٣٣﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٣٥﴾.

﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على الله، أو على محمد إن قدرنا القول، و﴿الكاف﴾: في محل نصب مفعول أول. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام في محل الجبر ب﴿عَلَىٰ﴾، الجار والمجرور متعلق ب﴿تَنَزَّلُ﴾، وإنما قدم؛ لأن له صدر الكلام، وهو معلق ما قبله من التنبئة عن العمل فيما بعده. ﴿تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾: فعل وفاعل، وجملة ﴿تَنَزَّلُ﴾ في محل نصب ساد مسد المفعول الثاني والثالث إن جعل ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ متعدياً لثلاثة، ومسد الثاني فقط إن جعل متعدياً لإثنين. ﴿تَنَزَّلُ﴾: فعل مضارع، وهو على حذف إحدى التاءين، وفاعله ضمير يعود على ﴿الشَّيَاطِينُ﴾. ﴿عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق ب﴿تَنَزَّلُ﴾. ﴿أَثِيمٍ﴾: صفة ﴿أَفَّاكٍ﴾، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لبيان المستفهم عنه. ﴿يُلْقُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿السَّمْعَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ﴿الشَّيَاطِينُ﴾، إن قلنا: إن ﴿الواو﴾ في ﴿يُلْقُونَ﴾ يعود على ﴿الشَّيَاطِينُ﴾، أو الجملة مستأنفة، أو صفة ل﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾، إن قلنا: إن ﴿الواو﴾ تعود على ﴿كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾. ﴿وَأَكْثُرُهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿أَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب حال من واو ﴿يُلْقُونَ﴾.

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوَنُ﴾ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٣٩﴾.

﴿وَالشُّعْرَاءُ﴾: مبتدأ. ﴿يَتَّبِعُهُمُ﴾: فعل ومفعول به. ﴿الْفَاوَنُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة مستأنفة. ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: الهمزة: للاستفهام التقريري، ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿تَرَ﴾: فعل مضارع

مجزوم بـ﴿لم﴾، وفاعله ضمير مستتر يعود على محمد، والجمله الفعلية جملة مفسرة لما قبلها، لا محل لها من الإعراب ﴿أَنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾ جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَهَيِّئُونَ﴾، وجمله ﴿يَهَيِّئُونَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجمله ﴿أَنَّ﴾ من اسمها وخبرها في تأويل مصدر ساد مسد مفعولي ﴿تَرَى﴾ تقديره: ألم تر هياهم في كل واحد، وفن من فنون القيل والقال. ﴿وَأَنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه، وجمله ﴿يَقُولُونَ﴾: في محل الرفع خبر ﴿أَنَّ﴾، وجمله ﴿أَنَّ﴾ معطوفة على جملة ﴿أَنَّ﴾ الأولى. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل النصب مفعول ﴿يَقُولُونَ﴾، ﴿لَا﴾: نافية، وجمله ﴿يَقُولُونَ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: يفعلونه. ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء. ﴿الَّذِينَ﴾: مستثنى من ﴿الشعراء﴾ المذمومين. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿وَذَكِّرُوا اللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿كثيراً﴾: منصوب على المفعولية المطلقة؛ لأنه صفة لمصدر محذوف؛ أي: ذكراً كثيراً، أو منصوب على الظرفية الزمانية؛ لأنه صفة لظرف محذوف؛ أي: وقتاً كثيراً. ﴿وَأَنصَرُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾. ﴿مِنْ بَعْدِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿انصروا﴾. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿ظَلِمُوا﴾: فعل ونائب فاعل، والجمله في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه؛ أي: من بعد ظلمهم. ﴿وَسَيَعْلَمُ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية، والسين حرف استقبال. ﴿يعلم الذين﴾: فعل وفاعل، والجمله مستأنفة. ﴿ظَلِمُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ﴾: منصوب على المفعولية المطلقة بـ﴿ينقلبون﴾؛ أي: ينقلبون أي انقلاب؛ لأن أيّاً تعرب بحسب ما تضاف إليه، وقد علقتم ﴿يعلم﴾ عن العمل فيما بعدها، والناصب لـ﴿أَيُّ﴾ ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾، كما بينا، وقدم عليه لتضمنه معنى الاستفهام. وأسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها للزومها الصدارة. قال النحاس: وحقيقة القول في ذلك أن الاستفهام معنى، وما قبله معنى آخر، فلو عمل فيه لدخل بعض المعاني في بعض، «اهـ». ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾: فعل وفاعل، وجمله ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ في محل النصب ساد مسد مفعولي ﴿يعلم﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿لَنْزِيلٌ﴾: مصدر نزل المضعف، بمعنى اسم المفعول، سمي به مبالغة، وصيغة التفعيل فيه تدل على أن نزوله كان بالدفعات في مدة ثلاث وعشرين سنة، كما مر في مبحث التفسير.

﴿الْأَمِينُ﴾: صفة مشبهة من آمن، فهو آمن من باب فعل المكسور اللازم إذا اتصف بالأمانة. والأمانة ضد الخيانة؛ لأنه أمين على وحيه تعالى وموصله إلى من شاء من عباده.

﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾؛ أي: على روحك؛ لأنه المدرك والمكلف دون الجسد. وفي «الفتوحات»: إن أريد بالقلب الروح فظاهر، وإن أريد به العضو فتخصيصه؛ لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على الروح، ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق، ثم تصعد منه إلى الدماغ، فتنتعش بها المتخيلة.

وفي «الكرخي» قوله: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ خصه بالذكر، وهو إنما أنزل عليه ليؤكد أن ذلك المنزل محفوظ، والرسول متمكن من قلبه، لا يجوز عليه التغير، ولأن القلب هو المخاطب حقيقة؛ لأنه موضع التميز والاختيار.

والقلب في الأصل لحمة صنوبرية الشكل؛ أي: التي شكلها كشكل الصنوبر، وهو شجر ينبت في البرية دقيق أحد الطرفين غليظ الآخر مع نوع استدارة كقمع السكر، فهذه اللحمة على شكله، فهي دقيقة أحد الطرفين غليظة الآخر مع نوع استدارة كقمع السكر، كما يشاهد ذلك في قلب الدجاجة وغيرها، لكن هنا بمعنى اللطيفة الربانية التي تسمى روحاً ونفساً، لا بمعنى اللحمة الصنوبرية، اهـ. من «البيجوري على السلم» في المنطق.

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ﴾ اللسان في الأصل الجارحة المعروفة، ولكن المراد بها هنا معنى اللغة؛ لأنها آلة التلفظ بها. ﴿لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾: جمع زبور بمعنى الكتاب، مثل رسل ورسول؛ أي: لفي الكتب المتقدمة.

﴿عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ قال صاحب «التحرير»: الأعجمين جمع أعجمي،

ولولا هذا التقدير لم يجوز أن يجمع جمع سلامة. قلت: وكان سبب منع جمعه أنه من باب أفعال فعلاء، كأحمر حمراء، والبصريون لا يجيزون جمعه جمع سلامة إلا ضرورة، وقد جعله ابن عطية جمع أعجم، فقال: الأعجمون جمع أعجم، وهو الذي لا يفصح وإن كان عربي النسب، يقال له: أعجم، والأعجمي هو الذي نسبه في العجم، وإن كان فصيح اللسان. وقال الزمخشري: الأعجم الذي لا يفصح، وفي لسانه عجمة أو استعجام، والأعجمي مثله، إلا أن فيه زيادة بياء النسب تأكيداً، اهـ من «السمين».

﴿سَلَكْنَهُ﴾؛ أي: أدخلنا تكذيب القرآن، أو معرفة معانيه وإعجازه.

﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾: اسم مفعول من الإنظار، والإنظار: التأخير والإمهال؛ أي: هل نحن مؤخرون لنؤمن ونصدق.

﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾ الاستعجال: طلب عجلة العذاب. ﴿مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من الإيعاد. والإيعاد: التخويف بالعذاب. ﴿ذَكَرْنَا﴾؛ أي: تذكرة وعبرة وموعظة لغيرهم. ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (١١٣) يقال: تنزل إذا نزل في مهلة.

﴿وَمَا يَلْبِغِي لَهُمْ﴾؛ أي: وما يصح وما يستقيم، وما يتيسر لهم أن ينزلوا بالقرآن من السماء. ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أي: وما يقدرُونَ على ذلك. ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمَاءِ﴾؛ أي: عن استماع الوحي أصلاً من أول الأمر، أو عن استماع خبر السماء. ﴿لَمَعَزُؤُونَ﴾؛ أي: لممنوعون بالشهب بعد أن كانوا ممكنين من استماع خبر السماء لا الوحي.

﴿عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ العشيرة: أهل الرجل الذي يتكثر بهم؛ أي: يصيرون له بمنزلة العدد الكامل، وذلك أن العشيرة هو العدد الكامل، فصارت العشيرة اسماً لكل جماعة من أقارب الرجل يتكثر بهم، والعشير: المعاشر قريباً كان أو مقارناً، كذا في «المفردات».

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ والخفض ضد الرفع والدعة، والسير اللين. ﴿عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾ مضارع تنزل من باب تفعل، أصله: تنزل، حذف منه إحدى التائين.

﴿عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ﴾؛ أي: كثير الإفك والكذب. قال الراغب: الإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه. ﴿أَثِيرٌ﴾؛ أي: كثير الإثم، وهو اسم للأفعال المبطئة عن الثواب.

﴿يَلْقَوْنَ السَّعَى﴾، أصله: يلقون السمع، من ألقى الرباعي استثقلت الضمة على الياء، ثم نقلت إلى ما قبلها، فالتقى ساكنان الياء والواو، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، لأنها جزء كلمة، وحذفها أولى من حذف كلمة مستقلة.

﴿وَالشَّعْرَاءُ﴾: جمع شاعر، كعلماء جمع عالم قال: في «المفردات»: شعرت: أصبت الشعر، ومنه استعير شعرت كذا؛ أي: علمته في الدقة كإصابة الشعر. قيل: وسمي الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته، فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شعري، وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام على تفاعيل أجزاء العروضيين، والشاعر: المختص بصناعته.

﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾: جمع غاو، كقاضون جمع قاض، وهم الضالون المائلون عن السنن القويم. ﴿فِي كُلِّ وَادٍ﴾ قال الراغب: أصل الوادي الموضع الذي يسيل فيه الماء، ومنه سمي المنفرج بين الجبلين وادياً، ويستعار للطريقة كالمذهب والأسلوب، فيقال: فلان في واد غير واديك.

﴿يَهَيِّئُونَ﴾؛ أي: يسيرون سير البهائم حائرين، لا يهتدون إلى شيء، يقال: هام على وجهه من باب باع يهيم هيماً وهيوماً وهيماً وهيماً وتهايماً إذا ذهب وهو لا يدري أين يتوجه؛ أي: يذهبون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل معين، بل يتحيرون في أودية القيل والقال، يعني أساليب الكلام من المدح والهجاء والجدل والغزل وغير ذلك من الأنواع؛ أي: في كل نوع من الكلام يغلون. قال في «الوسيط»: فالوادي مثل لفنون الكلام، وهيماهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلو في مدح أو ذم، اهـ.

﴿وَأَنصَرُوا﴾ والانتصار: الانتقام ممن ظلمك.. ﴿وَسِعَ الْعَذَابُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ والظلم هو: الانحراف عن العدالة، والعدول عن الحق الجاري مجرى النقطة من الدائرة. ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ﴾ والمنقلب: المرجع؛ وهو مصدر ميمي بمعنى الانقلاب؛

أي: الرجوع.

فائدة: والظلمة ثلاثة أقسام: الظالم الأعظم: وهو الذي لا يدخل تحت شريعة الله، وإياه قصد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

والأوسط هو الذي لا يلزم حكم السلطان، والأصغر هو الذي يتعطل عن المكاسب والأعمال، فيأخذ منافع الناس، ولا يعطيهم منفعتهم.

ومن فضيلة العدالة أن الجور الذي هو ضدها لا يثبت إلا بها، فلو أن لصوصاً تشارطوا فيما بينهم شرطاً فلم يراعوا العدالة فيه، ولم ينتظم أمرهم، فعلى العاقل أن يصيخ إلى الوعيد والتهديد الأكيد، فيرجع عن الظلم والجور، وإن كان عادلاً فنعوذ بالله من الحور بعد الكور. والله المعين لكل سالك، والمنجي في المسالك من المهالك. اهـ «روح».

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبديع:

ومنها: التأكيد بمؤكدات ثلاث؛ بأن وباللام واسمية الجملة، في قوله: ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾ (١٦٢)؛ لأن الكلام مع المتشككين في صحة القرآن، فناسب تأكيده بأنواع من المؤكدات.

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿يَلْسَانٌ﴾ ففيه إطلاق آلة الشيء؛ لأن اللسان هنا بمعنى اللغة؛ لأنه آلة التلفظ بها.

ومنها: الاكتفاء في قوله: ﴿يَتَكُونُ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾؛ أي: والمبشرين، وهو ذكر أحد المتقابلين وحذف الآخر لدلالة المذكور على المحذوف، واختير ذكر الإنذار وحذف مقابله دون العكس؛ لأن باب التحلية بالخاء المعجمة مقدم على باب التحلية بالحاء المهملة.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿وَلَنَنْتَ لَفِي زُجْرٍ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦٦)؛ أي: وإن

ذكر القرآن لا عينه.

ومنها: الاستفهام التقريري في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوا بَيِّتِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (١٨٧).

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوا﴾.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَفَعَدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٩٤).

ومنها: المجاز المرسل في قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ من إطلاق المحل وإرادة الحال؛ أي: أهلها.

ومنها: بيان كمال نزاهته بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره منه من الظلم في قوله: ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾؛ إذ هلاكهم قبل الإنذار ليس بظلم أصلاً.

ومنها: التهيج والإلهاب في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ الخطاب للرسول بطريق التهيج لزيادة إخلاصه وتقواه.

ومنها: الاستعارة التصريحية التبعية في قوله: ﴿وَأَخْفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنه مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط. فشبّه التواضع ولين الأطراف والجوانب عند مصاحبة الأقارب والأجانب بخفض الطائر جناحه؛ أي: كسره عند إرادة الانحطاط، فأطلق على المشبه اسم الخفض بطريق الاستعارة التصريحية، فاشتق منه خفض بمعنى: ألان على طريقة التبعية.

ومنها: صيغتا المبالغة في قوله: ﴿عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيرٌ﴾؛ لأن فعلاً وفعيلاً من صيغ المبالغة؛ أي: كثير الكذب، كثير الفجور.

ومنها: الطباق بين ﴿يَقُولُونَ﴾ و﴿يَفْعَلُونَ﴾، وبين ﴿وَأَنْصَرُوا﴾ و﴿ظَلِمُوا﴾.

ومنها: الاستعارة التمثيلية البديعة في قوله: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ﴾ شبه جولانهم في أفانين القول بطريق المدح والذم والتشبيب وأنواع الشعر، وضلالهم عن سنن الهدى بهيام الهائم في الصحراء الذي هام في مقصده، وخطب في طريقه، ولا يقصد موضعاً معيناً، فهو لا يدري أين يذهب. وهذا من ألطف

الاستعارات ومن أرشقها وأبدعها.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

ومنها: مراعاة الفواصل؛ لأنها تزيد في جمال الكلام ورونقه مثل
﴿يَهَيِّمُونَ﴾ - ﴿يَنْقَلِبُونَ﴾ - ﴿يَقُولُونَ﴾ - ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

وحكي أن عمر بن عبد العزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته، ثم قرأ قوله
تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ

مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾، ثم بكى وهو ينشد:

نَهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهُوٌ وَغَفْلَةٌ وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَىٰ لَكَ لَازِمٌ
تُسَرُّ بِمَا يَفْنَىٰ وَتَفْرَحُ بِالْمُنَى كَمَا سُرَّ بِاللَّذَاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمٌ
وَتَسْعَىٰ إِلَىٰ مَا سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّةُ كَذَلِكَ فِي الدُّنْيَا تَعِيشُ أَلْبَهَائِمُ

والله سبحانه وتعالى أعلم

خلاصة ما حوته هذه السورة

١. مقدمة في تسلية الرسول ﷺ على إعراض قومه عن الدين، وبيان أنهم ليسوا ببدع في الأمم، وأنه ﷺ ليس بأول الرسل الذين كذبوا، وأن الله قادر على إنزال القوارع التي تلجئهم إلى الإيمان، ولكن جرت سنته أن يجعل الإيمان في القلوب اختيارياً لا اضطرارياً.
٢. الاستدلال بخلق النبات، وأطواره المختلفة، وأشكاله المنوعة على وجود الإله ووحدانيته.
٣. قصص الأنبياء مع أممهم؛ لما فيه من العبرة لأولئك المكذبين.
٤. إثبات أن القرآن وحي من رب العالمين، لا كلام تنزل به الشياطين.
٥. بيان أن محمداً ﷺ ليس بكاهن ولا بشاعر.
٦. التهديد والوعيد لمن يعبد مع الله سواه من الأصنام والأوثان، ويكذب بالرسول والنور الذي أنزل معه^(١).

والله أعلم

* * *

(١) إلى هنا تم تفسير سورة الشعراء، فله الحمد والشكر حمداً كثيراً طيباً مباركاً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، في تاريخ ٢٤/٣/١٤١٣ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية.

سورة النمل

سورة النمل مكية، قال القرطبي^(١): وهي مكية كلها في قول الجميع. وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه، والبيهقي في «الدلائل» عن ابن عباس قال: أنزلت سورة النمل بمكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله.

وهي أربعة وتسعون آية، وقيل: ثلاث وتسعون آية، وألف مئة وتسع وأربعون كلمة، وأربعة آلاف وسبع مئة وسبع وستون حرفاً.

الناسخ والمنسوخ: جميع السورة^(٢) محكم غير آية واحدة؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَأَنۢ أَتْلُوۡا الْقُرْآنَ...﴾ الآية (٢٧) نسخت بآية السيف، وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص؛ الأولى: قصة موسى مع فرعون، الثانية: قصة النمل، الثالثة: قصة بلقيس، الرابعة: قصة صالح مع قومه، الخامسة: قصة لوط مع قومه، وما بقي منها حكم ومواظ.

التسمية: وأما تسميتها بسورة النمل فلذكر النمل فيها.

المناسبة: ومناسبتها لما قبلها من وجوه^(٣):

أولاً - أنها كاللتمة لها؛ إذ جاء فيها زيادة على ما تقدم من قصص الأنبياء قصص داود وسليمان.

ثانياً - أن فيها تفصيلاً وبسطاً لبعض القصص السالفة كقصص لوط وموسى عليهما السلام.

ثالثاً - أن كليهما قد اشتمل على نعت القرآن، وأنه منزل من عند الله.

(٣) المراغي.

(١) القرطبي.

(٢) الناسخ والمنسوخ.

رابعاً - تسلية رسوله ﷺ على ما يلقاه من أذى قومه وعتتهم وإصرارهم على الكفر به والإعراض عنه .

وقال أبو حيان: مناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة^(١)؛ لأنه قال في السابقة: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ (١١) وقبله: ﴿وَأَنزِلُ لَنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٢)، وقال هنا: ﴿طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾؛ أي: الذي هو تنزيل رب العالمين .

والله أعلم

(١) البحر المحيط .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ① هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
 الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ③ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّنَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ
 فَهُمْ يَعْمَهُونَ ④ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ⑤ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى
 الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ⑥ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَابِكرُ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَإِيَّكُمْ
 بِشَهَابٍ فَبِئْسَ لَكُمُ تَصَلُّوْتُ ⑦ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ ⑧ يَمْسُحُ بِهِ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ⑨ وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدِرِكًا
 وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْسُحُ بِهَا نَفْسٌ لَا تُخَفِّئُ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ⑩ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑪ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَصْفَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي سَبْعِ ءَايَتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ
 كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ⑫ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑬ وَجَعَلُوا بِهَا ءُتْرُقَاتٍ لَهَا
 أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ⑭ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ⑮ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَّيَّهَا النَّاسُ
 عِلْمَنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ⑯ وَخُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنْ
 الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ⑰ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَّيَّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
 مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ⑱ فَتَبَسَّرَ صَاحِبُهَا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ
 أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَادِيِّ وَادِيٍّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي
 بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ⑲ وَتَقَعْدَ الطَّيْرِ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَهِدُ أَمْ كَانَ مِنْ
 الْفَاسِقِينَ ⑳ لأَعِدَّتُمْ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ㉑ فَمَكَكَ غَيْرَ
 بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَخِشْتُكَ مِنْ سَبَإٍ يَبْنَوُ بِقَيْنٍ ㉒ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَنَالِكُهُمْ
 وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا عَرَّشُ عَظِيمٌ ㉓ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ㉔ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
 يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ㉕ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ

الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٦٦﴾ ﴿قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ أَذْهَبَ بِكَتْنِي هَذَا
فَالْقَهْ إِنَّهُمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا إِنَّيَأَلْفَىٰ إِلَيْكَ كَيْتٌ كَرِيمٌ ﴿٦٩﴾
إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٧٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتَوْهُ مُسْلِمِينَ ﴿٧١﴾ .

المناسبة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ...﴾ الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر^(١) أن المؤمنين يزيدهم القرآن هدى وبشرى؛ إذ هم به يستمسكون ويؤدون ما شرع من الأحكام على أتم الوجوه.. أردف هذا بيان أن من لا يؤمن بالآخرة يتمادى في غيه، ويعرض عن القرآن أشد الإعراض، ومن ثم تراه حائراً متردداً في ضلاله فهو في عذاب شديد في دنياه؛ لتبليبه وقلقه واضطراب نفسه، وفي الآخرة له أشد الخسران؛ لما يلحقه من النكال والوبال والحرمان من الثواب والنعيم الذي يتمتع به المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ لُتْقَى الْقُرْآنَاتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿٦٦﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله سبحانه لما وصف القرآن بأنه هدى وبشرى للمؤمنين، وأن من أعرض عنه كان له الخسران المبين.. أردف بذكر حال المنزل عليه وهو الرسول ﷺ مخاطباً له.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر قصص موسى عليه السلام تقريراً لما قبله ببيان أنه تلقاه من لدن حكيم عليم.. أردفه قصص داود وسليمان عليهما السلام، وذكر أنه آتى كلا منهما طائفة من علوم الدين والدنيا، فعلم داود صنعة الدروع ولبوس الحرب، وعلم سليمان منطق الطير، ثم بين أن سليمان طلب من ربه أن يوفقه إلى شكر نعمه عليه وعلى والديه، وأن يمكنه من العمل الصالح وأن يدخله جنات النعيم.

(١) المراغي.

قوله تعالى: ﴿وَتَقَعْدَ الظُّلُمَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدَى...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه، لما ذكر في^(١) سابق الآيات أنه سخر لسليمان الجن والإنس والطير، وجعلهم جنوداً له.. ذكر هنا أنه احتاج إلى جندي من جنوده؛ وهو الهدهد، فبحث عنه فلم يجده، فتوعده بالعذاب أو القتل إلا إذا أبدى له عذراً يبرئه، فحضر بعد قليل وقص عليه خبر مملكة باليمن من أغنى الممالك وأقواها، تحكمها امرأة هي بلقيس ملكة سبأ، ووصف له ما لها من جلال الملك وأبهته، وأنها وقومها يعبدون الشمس لا خالق الشمس العليم بكل شيء في السموات والأرض، والعليم بما نخفي وما نعلن، والعليم بالسر والنجوى، وهو رب العرش العظيم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَتَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾... الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه وتعالى، لما ذكر أن الهدهد أبدى المعاذير لتبرئة نفسه.. أردف ذلك بإجابة سليمان عن مقالة الهدهد، ثم أمره بتبليغ كتاب منه إلى ملكة سبأ، والتنحي جانباً ليستمع ما يدور من الحديث بينها وبين خاصتها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُهَا أَلَمْ لَوْ أَفْتُونِي...﴾ الآيات، مناسبة هذه الآيات لما قبلها: أن الله سبحانه، لما ذكر فيما سلف أن الهدهد حينما ألقى الكتاب أحضرت بطانتها وأولي الرأي لديها، وقرأت عليهم نص الكتاب.. بين هنا أنها طلبت إليهم إبداء آرائهم فيما عرض عليهم من هذا الخطب المدلهم والحادث الجلل حتى ينجلي لهم صواب الرأي فيما تعمل ويعملون؛ لأنها لا تريد أن تشيد بالأمر وحدها، فقبلوا وجوه الرأي واشتد الحوار بينهم، وكانت خاتمة المطاف أن قالوا: الرأي لدينا القتال، فإننا قوم أولو بأس ونجدة، والأمر مفوض إليك فافعلي ما بدا لك، وقالت: إني أرى أن عاقبة الحرب الدمار والخراب وصيرورة العزيز ذليلاً، وإني أرى أن نهاده ونرسل إليه بهدية، ثم ننظر ماذا يكون رده عله

(١) البراغي.

يقبل ذلك منا ويكف عنا، أو يضرب علينا خراجاً نحمله إليه كل عام ونلتزم ذلك، وبذلك يترك قتالنا وحرينا.

التفسير وأوجه القراءة

﴿طس﴾؛ أي: هذه طس؛ أي: هذه السورة مسماة به، وقد مر الكلام مفصلاً في فواتح السور أنها إن كانت اسماً للسورة، فمحلها الرفع على أنها خبر مبتدأ كما قدرنا، أو على أنها مبتدأ خبرها ما بعدها، وإن لم تكن هذه الحروف اسماً للسورة بل مسرودة على نمط التعديد، فلا محل لها من الإعراب، وقد مر أيضاً أن القول الأسلم في تفسيرها أن يقال: الله أعلم بمراده بذلك. وقيل^(١): الطاء من اللطيف، والسين من السميع، حكاه الثعلبي، وقيل: ﴿الطاء﴾: إشارة إلى طوله؛ أي: فضله، و﴿السين﴾: إلى سنائه؛ أي: علوه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بطائه إلى طيب قلوب محبيه، وبالسين إلى سر بينه وبين قلوب محبيه، لا يسعهم فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وقيل: إنه قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وفي رواية أخرى عنه قال: هو اسم الله الأعظم، وفي «كشف الأسرار»: ﴿الطاء﴾: إشارة إلى طهارة قدسه، و﴿السين﴾ إشارة إلى سناء عزه. يقول تعالى بطهارة قدسي وسناء عزي: لا أخيب أمل من أمل لطفي، انتهى. وقيل غير ذلك، والله أعلم بأسرار كتابه.

﴿تِلْكَ﴾؛ أي^(٢): هذه السورة العظيمة الشأن، أو آيات هذه السورة. ﴿الْقُرْآنَ﴾؛ أي: بعض آيات القرآن المعروف بعلو الشأن، والإشارة بـ﴿تِلْكَ﴾ إلى السورة المترجم عنها باسم خاص، والإتيان بإشارة البعيد؛ لتنزيل البعد الرتبي منزلة البعد الحسي، والقرآن عبارة عن جميع القرآن، أو عن جميع المنزل عند نزول هذه السورة؛ إذ هو المتسارع إلى الفهم حينئذ عند الإطلاق.

(٢) روح البيان.

(١) زاد المسير.

﴿وَكِتَابٍ﴾؛ أي: وآيات من كتاب عظيم الشأن. ﴿مُتِينٍ﴾؛ أي: مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب، إن قلنا: إنه من أبان بمعنى أظهر، أو ظاهر إعجازه وصحته، على أنه من أبان بمعنى بان؛ أي: ظهر، وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى، مثل غافر الذنب وقابل التوب.

أي: هذه السورة آيات الكلام الجامع بين القرآنية والكتابية، وكونه قرآناً من جهة أنه يقرأ، وكونه كتاباً بسبب أنه يكتب، وقدم الوصف الأول؛ لتقدم القرآنية على حال الكتابية، وأخره في سورة الحجر حيث قال: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ نظراً إلى حالته التي قد صار عليها، فإنه مكتوب والكتابة سبب القراءة، وقيل: نظراً إلى أن الإشارة إلى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب أدخل في المدح، فإن وصفه بالكتابية مفسح عن اشتماله على صفة كمال الكتب الإلهية، فكأنه كلها.

وأما تعريف القرآن هنا^(١) وتنكير الكتاب، وتعريف الكتاب في سورة الحجر وتنكير القرآن؛ فلصلاحيه كل واحد منهما للتعريف والتنكير. وفي «كشف الأسرار»: القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد ﷺ، ووصفان لأنه يُقرأ ويُكتب، فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم، وحيث جاء بلفظ النكرة فهو الوصف.

وقال شيخ الإسلام: إن قلت^(٢): الكتاب المبين هو القرآن، فكيف عطفه عليه من أن العطف يقتضي المغايرة؟

قلت: المغايرة تصدق بالمغايرة لفظاً ومعنى، وباللفظ فقط، وهو هنا من الثاني، كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾. أو المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ، فهو هنا من الأول. فإن قلت: لم قدم القرآن هنا على الكتاب وعكس في الحجر؟

(٢) فتح الرحمن.

(١) شوكانى.

قلت: جرياً على قاعدة العرب في تفننهم في الكلام، انتهى.

وقال أبو حيان^(١): وأضاف الآيات إلى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم؛ لأن المضاف إلى العظيم عظيم، والكتاب المبين؛ إما اللوح المحفوظ وإبائه أنه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو بينه للناظرين، وإما السورة، وإما القرآن وإبائتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع، وأن إعجازهما ظاهر مكشوف، ونكر ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾؛ ليهمم بالتنكير فيكون أفخم له، كقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾. وإذا أريد به القرآن فعطفه من عطف إحدى الصفتين على الأخرى؛ لتغايرهما في المدلول عليه بالصفة من حيث إن مدلول القرآن الاجتماع، ومدلول كتاب الكتابة، انتهى. ونظيره قولهم: هذا فعل السخي والجواد الكريم.

ومعنى الآية: أي إن^(٢) هذه الآيات التي أنزلتها إليك أيها الرسول لآيات القرآن وآيات كتاب بين واضح لمن تدبره، وفكر فيه أنه من عند الله سبحانه أنزله إليك، لم تتقوله أنت ولا أحد من خلقه؛ إذ لا يستطيع ذلك مخلوق ولو تظاهر معه الجن والإنس.

وقرأ الجمهور^(٣): ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بجر ﴿وَكِتَابٍ﴾ عطفاً على ﴿الْقُرْآنِ﴾؛ أي: تلك آيات القرآن وآيات كتاب مبين. وقرأ ابن أبي عبلة وأبو المتوكل وأبو عمران: ﴿وكتاب مبين﴾ بالرفع فيهما عطفاً على ﴿ءَايَاتٍ﴾، والأصل: وآيات كتاب، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فأعرب بإعرابه حالة كون تلك الآيات. ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)؛ أي: هادية لهم ومبشرة لهم بالجنة، فأقيم المصدر مقام الفاعل؛ للمبالغة كأنها نفس الهدى والبشارة.

ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ ءِيمَانًا﴾، وأما معنى تبشيرها إياهم فظاهر؛ لأنها تبشرهم

(١) البحر المحيط.

(٢) زاد المسير والبحر المحيط.

(٣) المراعي.

برحمة من الله ورضوان، وخصهم بالذكر لانتفاعهم بها. ﴿هَدَى﴾ و﴿بَشَرَى﴾ إما حالان من ﴿آيَاتِ﴾، أو من الكتاب، كما فسرنا، ويجوز أن يكونا خبرين آخرين لـ ﴿تِلْكَ﴾، أو هما مصدران منصوبان بفعل مقدر؛ أي: يهدي هدى ويبشر بشرى.

ثم وصف المؤمنين الذين لهم الهدى والبشرى، فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾؛ أي: يؤدون الصلوات الخمس بأركانها وشرائطها في مواقيتها. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾؛ أي: يعطون الصدقة المفروضة للمستحقين. وتخصيص^(١) الصلاة والزكاة بالذكر؛ لأنهما قرينتا الإيمان، وقطرا العبادات البدنية والمالية، مستتبعان لسائر الأعمال الصالحة، والموصول في محل جر صفة لـ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، أو بدل، أو عطف بيان منه، أو منصوب على المدح، أو مرفوع على تقدير مبتدأ. وجملة قوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ في محل نصب حال من ﴿الْوَاوِ﴾ في الصلة، فهي من تنمة الصلة؛ أي: الذين^(٢) يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، والحال أنهم يصدقون بالآخرة بأنها آتية مع ما فيها، ويعلمونها علماً يقيناً لا شك فيه، فإن تحمل مشاق العبادات إنما يكون لخوف العاقبة والوقوف على المحاسبة. وكرر^(٣) الضمير للدلالة على الحصر، كأنه قيل: أي: لا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح، لا من عداهم، وجعل الخبر مضارعاً؛ للدلالة على التجدد في كل وقت، وعدم الانقطاع.

وقال أبو حيان^(٤): ولما كان إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتجدد ولا يستغرق إلا زمان.. جاءت الصلة فعلية، ولما كان الإيمان بالآخرة بما هو ثابت عندهم مستقر الديمومة.. جاءت الجملة اسمية، وأكد المسند إليه فيها بتكراره.

وفي «زاده» ولما كان^(٥) إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد في

(٤) البحر المحيط.

(٥) زاده.

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

(٣) الشوكاني.

أوقاتها.. أتى بهما فعلين، ولَمَّا كان الإيقان بالآخرة أمراً ثابتاً مطلوباً دوامه.. أتى به جملة اسمية، وجعل خبرها مضارعاً؛ للدلالة على أن إيقانهم يستمر على سبيل التجدد. اهـ.

ومعنى الآية: أي^(١) إن المؤمنين حق الإيمان هم الذين يعملون الصالحات، فيقيمون الصلاة المفروضة على أكمل وجوها، ويؤدون الزكاة التي تظهر أموالهم وأنفسهم من الأرجاس، ويوقنون بالمعاد إلى ربهم، وأن هناك يوماً يحاسبون فيه على أعمالهم خيرها وشرها، فيذلون أنفسهم في طاعته رجاء ثوابه، وخوف عقابه، وليسوا كأولئك المكذبين الذين لا يبالون أحسنوا أم أساءوا، أطاعوا أم عصوا، لأنهم إن أحسنوا لا يرجون ثواباً وإن أساءوا لم يخافوا عقاباً.

ثم لما ذكر سبحانه أهل السعادة ذكر بعدهم أهل الشقاوة، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ ولا يصدقون بالبعث بعد الموت؛ وهم الكفار. ﴿زَيْنًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ﴾ القبيحة حيث جعلناها مشتبهة للطبع محبوبة للنفس، كما ينبيء عنه قوله عليه السلام: «حَفَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»؛ أي: جعلت محفوفة ومحاطة بالأمور المحبوبة المشتبهة.

واعلم^(٢): أن كل مشيئة وتزيين وإضلال ونحو ذلك منسوبة إلى الله تعالى بالأصالة، وإلى غيره بالتبعية. وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته هنا، وأسنده إلى الشيطان في قوله: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾؟.. قلت: بين الإسنادين فرق، وذلك أن اسناده إلى الشيطان حقيقة، وإسناده إلى الله مجاز. اهـ وهذا تأويل منه على طريق الاعتزال.

﴿فَهُمْ يَعمَهُونَ﴾؛ أي: يترددون في ضلالتهم، كما يكون حال الضال عن الطريق، وقيل: أي: يتحIRON ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها، والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من الضرر والعقوبة، لا يهتدون

إلى طريقة ولا يقفون على حقيقة، والفاء لترتيب المسبب على السبب.

﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بالكفر والعمه: مبتدأ، خبره ﴿الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾؛ أي: أشد العذاب وأقبحه في الدنيا، كالقتل والأسر يوم بدر، ووجه تخصيصه بعذاب الدنيا قوله بعده: ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ﴾؛ أي: أشد الناس خسراناً وأعظمهم خيبة؛ لاشتراطهم الضلالة بالهدى، فخسروا الجنة ونعيمها وحرموا النجاة من النار.

قال بعضهم^(١): واعلم أن أهل الدنيا في خسارة الآخرة، وأهل الآخرة في خسارة المولى، فمن لم يلتفت إلى الكونين ربح المولى. والمعنى: أي^(٢): إن الذين لا يصدقون بالآخرة وقيام الساعة، والمعاد إلى الله بعد الموت، وبالثواب والعقاب.. حببنا إليهم قبيح أعمالهم، ومددنا لهم في غيهم، فهم في ضلالهم حيارى تائهون، يحسبون أنهم يحسنون صنعا، لا يفكرون في عقبي أمرهم، ولا ينظرون إلى ما يؤول إليه سلوكهم. قال الزجاج: أي: جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زينا لهم ما هم فيه بأن جعلناه مشتهى بالطبع محبوباً إلى النفس، أولئك الموصوفون هم الذين لهم سوء العذاب في الدنيا بقتلهم وأسرههم حين قتال المؤمنين، كما وقع في بدر، وهم في الآخرة أعظم خسراناً مما هم فيه في الدنيا؛ لأن عذابهم فيها مستمر لا ينقطع، وعذابهم في الدنيا ليس بدائم، بل هو زائل لا بقاء له.

ثم مهد سبحانه مقدمة نافعة لما سيذكره بعد ذلك من الأخبار العجيبة، فقال ﴿وَأَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَتَلْقَى الْفُرْقَانَ﴾؛ أي: لتعطى القرآن بطريق التلقية والتلقين. ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾؛ أي: من عند رب حكيم فيما دبره لخلقه. ﴿عَلَيْهِ﴾ بأحوال خلقه؛ أي: تلقن القرآن من عند الله سبحانه وتعالى بواسطة جبريل، لا من عند نفسك، ولا من تلقاء غيرك، كما يزعم الكفار. و﴿لَدُنْ﴾ بمعنى: عند، وتنوين^(٣)

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

الاسمين للتعظيم؛ أي: من عند حكيم؛ أي: حكيم وعليم، أيّ عليم، وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن، وتنصيب على طبقته ﷺ في معرفة القرآن، والإحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق، فإن من تلقى الحكم والعلوم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علماً في رصانة العلم والحكمة، وفي الجمع بين الحكيم والعليم إشعاراً بأن علوم القرآن منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع، ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار الغيبية.

والمعنى: أي وإنك أيها الرسول لتحفظ القرآن وتعلمه من عند حكيم بتدبير خلقه عليم بأخبارهم وما فيه الخير لهم، فخير هو الصدق، وحكمه هو العدل، كما قال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾.

قصص موسى عليه السلام

ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم، فقال: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قصة قول موسى لزوجته ومن معها من ولده وخادمه في وادي الطور، وذلك أنه مكث بمدين عند شعيب عشر سنين، ثم سار بأهله بنت شعيب إلى مصر لزيارة أمه وأخيه هارون فضل الطريق في ليلة مظلمة شديدة البرد، وقد أخذ امرأته الطلق، فقدح فأصلد زنده، فبدا له من جانب الطور نار، فقال لأهله: اثبتوا مكانكم. ﴿إِنِّي ءَأْسْتُ﴾ وأبصرت ﴿نَارًا﴾.

قال مقاتل: النار هو النور، وهو نور رب العزة رآه ليلة الجمعة عن يمين الجبل بالأرض المقدسة. ﴿سَأْتِيكُمْ مِنهَا﴾؛ أي: من تلك النار؛ أي: ممن عندها. ﴿يَخْرُجُ﴾؛ أي: عن حال الطريق أين هو. و﴿السين﴾^(١): للدلالة على بعد المسافة، أو لتحقيق الوعد بالإتيان. وإن أبطأ فيكون للتأكيد. ﴿أَوْ ءَاتِيكُمْ﴾ منها. ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾؛ أي: بشعلة نار مقبوسة؛ أي: مأخوذة من معظم النار ومن أصلها إن لم أجد عندها من يدلني على الطريق، فإن سنة الله سبحانه أن لا يجمع حرمانين على عبده، يقال: اقتبست منه ناراً، أو علماً: استفدته منه، والشهاب:

(١) روح البيان.

الشعلة، والقبس: النار المقبوسة، فعل بمعنى مفعول؛ وهو القطعة من النار في عود أو غيره.

وقرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب إلا زيداً^(١): ﴿بِشَهَابٍ﴾ منوناً. فـ ﴿قَبَسٍ﴾: بدل منه، أو صفة له؛ لأنه بمعنى المقبوس. وقرأ باقي السبعة بالإضافة غير منون؛ وهي قراءة الحسن. قال الفراء: هذه الإضافة كالإضافة في قولهم: مسجد الجامع، وصلاة الأولى، أضاف الشيء إلى نفسه لاختلاف أسمائه. وقال النحاس: هي إضافة النوع إلى الجنس، كما تقول: ثوب خز وخاتم حديد.

فإن قلت: قال^(٢) في سورة طه: ﴿لَعَلَّ إِلَيْكُمْ مِّنْهَا يَفْقَسَ﴾ وفي القصص: ﴿لَعَلَّ إِلَيْكُمْ مِّنْهَا يَحْزَنَ﴾ بصيغة الترجي في السورتين، وقال هنا: ﴿سَنَائِكُمْ مِّنْهَا يَحْزَنَ﴾ بصيغة الإخبار والتيقن، فبين الإخبار والترجي تناقض، فكيف يجمع بينهما؟

قلت: لا تناقض بينهما؛ لأن الراجي إذا قوي رجاؤه يقول: سأفعل كذا بصيغة الإخبار وإن كانت الخية يمكن أن تقع. وعبارة شيخ الإسلام: كيف قال هنا ذلك، وفي طه: ﴿نَارًا لَّعَلَّ﴾، وأحدهما قطع وجزم، والآخر ترج، والقضية واحدة؟

قلت: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه: سأفعل كذا، وسيكون كذا مع تجويزه عدم الجزم.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾؛ أي: رجاء أن تستدفئوا بها، أو لكي تستدفئوا بها، وتدفعوا البرد بحرهما، وكان الزمان شتاء والليلة مثلجة، يقال: صلى بالنار واصطلى بها إذا استدفأ بها، والصلاء النار العظيمة، والاصطلاء الاستدفاء بها. قال بعضهم: الاصطلاء بالنار يقسي القلب، ولم يرو أنه ﷺ اصطلى بالنار.

(١) البحر المحيط وزاد المسير.

(٢) روح البيان بتصرف.

والمعنى: أي^(١) واذكر أيها الرسول الكريم لقومك قصة قول موسى لأهله، وقد سار بهم فضل الطريق في ليل دامس وظلام حالك، فرأى ناراً تأجج وتضطرب، فقال إني أبصرت ناراً سأتيكم منها إما بخبر عن الطريق أو آتيكم بشعلة من النار تستدفئون بها، وكان كما قال، فإنه رجع منها بخير عظيم، واقتبس نوراً جليلاً.

وقد كان هذا حين مسيره من مدين إلى مصر، ولم يكن معه سوى امرأته، وكانا يسيران ليلاً، فاشتبه عليهما الطريق والبرد شديد، وفي مثل هذه الحال يستبشر الناس بمشاهدة النار من بعد؛ لما يرجى فيها من زول الحيرة، وأمن الطريق، ومن الانتفاع بها للاصطلاء، ومن ثم قال لها هذه المقالة.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾؛ أي: فلما جاء موسى النار ووصل إليها، أي: جاء ذلك النور الذي ظنه ناراً. قال السدي: كان في النار ملائكة، والنار هنا مجرد نور، ولكنه ظن موسى أنها نار، فلما وصل إليها وجدها نوراً، وكانت الشجرة سمرة. ﴿ثَوْدَى﴾ موسى من قبل الله تعالى؛ أي: جاءه النداء؛ وهو الكلام المسموع من جانب الطور، وأن في قوله: ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ إما مفسرة بمعنى أي؛ لأن في النداء معنى القول؛ أي: قيل له^(٢): بورك من في النار، وبورك: مجهول بارك، وهو خير لا دعاء؛ أي: جعل مباركاً، وهو ما فيه الخير والبركة؛ أي: بورك من في مكان النار؛ وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله: ﴿ثَوْدَى مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ واستعملت ﴿مَنْ﴾ بمعنى (ما) حينئذ، ويدل عليه قراءة أبي: ﴿تباركت الأرض ومن حولها﴾ وعنه أيضاً: بوركت النار ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾؛ أي: ومن حول مكان النار.

والظاهر^(٣): أن المبارك فيه عام في كل من في تلك البقعة وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات؛ لكونها مبعث الأنبياء، وكفاتهم أحياء وأمواتاً،

(٣) روح البيان.

(١) المراغي.

(٢) النسفي.

وخصوصاً تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى .

وقرأ أبيّ وابن عباس ومجاهد: ﴿أَنْ بَوْرَكَتِ النَّارُ وَمِنْ حَوْلِهَا﴾، أو مصدرية؛ أي: نودي موسى بأن بورك من في النار ومن حولها، أو مخففة من الثقلية؛ أي: نودي بأنه بورك، والضمير ضمير الشأن. وقيل^(١): المراد بـ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ هو موسى عليه السلام لقربه منها. و﴿مِنْ حَوْلِهَا﴾ الملائكة؛ أي: نودي ببركة من في النار؛ أي: بتطهيره مما يشغل قلبه عن الله سبحانه، وتخليصه للنبوة والرسالة؛ أي: ناداه الله سبحانه وتعالى بأنا قدسناك يا موسى، واخترناك للرسالة، وهذه تحية من الله سبحانه لموسى، وتكرمة له، وبارك يتعدى بنفسه، كما هنا، وبـ«على» كما في قوله: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾، وبـ﴿فِي﴾ كما في قوله: ﴿وَبَرَكْنَا فِيهَا﴾.

وفي ابتداء^(٢) خطاب الله سبحانه موسى بذلك عند مجيئه بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم ديني تنتشر بركاته في أقطار الأرض المقدسة، وهو تكليمه تعالى إياه، واستنباؤه له وإظهار المعجزات على يده، وكل موضع يظهر فيه مشاهدة الحق ومكالمته يكون ذا بركة، ألا ترى إلى قول القائل:

إِذَا نَزَلْتُ سَلَمَىٰ بِوَادٍ فَمَاؤُهُ زُلَّالٌ وَسِلْسَالٌ وَجَنَّائُهُ وَرْدُ

وقوله: ﴿وَسُبِّحَنَّ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من تمام ما نودي به؛ لثلاث يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً، وللتعجب من عظمة ذلك الأمر. وعبارة «المراح» هنا: وقوله: ﴿وَسُبِّحَنَّ اللَّهُ﴾ من كلام الله مع موسى، نزه الله تعالى نفسه عما لا يليق به في ذاته وحكمته؛ ليكون ذلك مقدمة في صحة رسالة موسى عليه السلام، وإعلاماً بأن ذلك الأمر مكونه رب العالمين، ولدفع ما قد يتوهمه بحسب الطبع البشري الجاري على العادة الخلقية من أن الله سبحانه المتكلم به في مكان، أو في جهة. ومن أن الكلام الذي يسمعه في ذلك المكان بحرف وصوت حادث ككلام

(٣) المراح.

(١) المراح.

(٤) المراغي.

(٢) روح البيان.

الخلق، وقد علم موسى عليه السلام أن النداء من الله تعالى؛ لما دل على ذلك من أن النار كانت مشتعلة على شجرة خضراء لم تحترق. وقال السدي: هو من كلام موسى؛ لما سمع النداء قال: ﴿وَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ تنزيهاً لله تعالى عن سمات المحدثين.

وحاصل معنى الآية: أي^(١) فلما وصل موسى إلى النور الذي ظنه ناراً.. نودي بأن بورك من في مكان النار ومن حول مكانها، ومكانها هي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ ومن حولها هو من في ذلك الوادي وحواليه من أرض الشام الموسومة بالبركات، ومهبط الخيرات؛ لكونها مبعث الأنبياء وكفاتهم أحياء وأمواتاً. وقوله: ﴿سُبِّحَنَ اللَّهُ﴾ تنزيه لنفسه عما لا يليق به في ذاته وحكمته، وإيدان بأن مدبر ذلك الأمر هو رب العالمين.

﴿يُمَوِّجُ إِنَّهُ﴾؛ أي^(٢): إن مكلمك ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؛ أي: القوي القادر على ما يبعد من الأوهام، كقلب العصا حية، وأمر اليد الفاعل ما أفعله بحكمة بالغة، وتدبير تام، و﴿أَنَا﴾ خبر ﴿إن﴾، و﴿اللَّهُ﴾ عطف بيان له، و﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: صفتان لله ممهدتان؛ لما أراد الله أن يظهره على يد موسى عليه السلام من المعجزات.

قيل^(٣): معناه أن موسى قال: من المنادي؟ قال: إنه أنا الله. وقال أكثر المفسرين: إن الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ ضمير الشأن، وجملة ﴿أَنَا اللَّهُ﴾ جملة مفسرة للشأن. وقوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ معطوف على ﴿بُورِكَ﴾، فكلاهما تفسير لـ ﴿نُودِيَ﴾؛ أي: نودي أن بورك من في النار، وأن ألق عصاك.

فإن قلت: لم قال هنا: و﴿ألق﴾ بدون ذكر أن، وفي القصص بذكرها؟

(١) المراح.

(٢) الخازن.

قلتُ: لأن ما هنا تقدمه فعل بعد ﴿أَنَّ﴾، وهو ﴿بُورِكَ﴾ فحسن عطف الفعل عليه، وما هناك لم يتقدمه فعل بعد ﴿أَنَّ﴾، فذكرت ﴿أَنَّ﴾؛ لتكون جملة ﴿وَأَنَّ أَلْقَى﴾ معطوفة على جملة ﴿يَمُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾. وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ معطوف على محذوف، تقديره: فألقاها موسى من يده، فانقلبت حية تسعى، فلما رآها وأبصرها موسى حالة كونها تهتز وتضطرب وتتحرك بحركة شديدة، وتذهب إلى جانب، وحال كونها ﴿كَأَنَّهَا﴾؛ أي: كأن تلك العصا ﴿جان﴾؛ أي: حية صغيرة في سرعة الحركة وخفتها، فشبه الحية العظيمة المسماة بالثعبان بالجان في سرعة الحركة والالتواء، والجان^(١) ضرب من الحيات؛ أي: حية كحلاء العين لا تؤذي كثيرة في الدور، كما في «القاموس».

قال أبو الليث: الصحيح أن الثعبان كان عند فرعون، والجان عند الطور، وقرأ الحسن^(٢) والزهري وعمرو بن عبيد: ﴿جَان﴾ بهمزة مكان الألف، كأنه فر من التقاء الساكنين.

﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾؛ أي: هرب موسى منها مدبراً؛ أي: رجع وأعرض عنها هارباً خوفاً منها. قال في «كشف الأسرار»: أي أدبر عنها، وجعلها خلف ظهره. ﴿وَلَّى يَعْقَبُ﴾؛ أي: ولم يرجع على عقبه، من عقب المقاتل إذا كر بعد الفر، وإنما اعتراه الرعب؛ لظنه أن ذلك الأمر أريد به هلاك نفسه، ويدل عليه قوله: ﴿يَمُوسَى﴾؛ أي: قال الله تعالى: يا موسى ﴿لَا تَخَفْ﴾ من الحية وضررها، أو لا تخف من غيري مطلقاً ثقة بي لقوله: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾؛ أي: عندي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ في حالة الإيحاء والإرسال، لا في جميع الأوقات، بل حين يوحى إليهم في وقت الخطاب، فإنهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله تعالى، لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلاً. أما الخوف في غير هذه الحالة فلا يفارقهم، قال النبي عليه السلام: «أنا أخشاكم»، ولا يخاف من الملك العدل إلا ظالم، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ استثناء متصل من ﴿المرسلين﴾؛ أي: إلا من ظلم

(٢) البحر المحيط.

(١) روح البيان.

نفسه من المرسلين بذنب صدر منه، كآدم ويونس وداود وموسى عليهم السلام، والتعبير فيهم بالظلم؛ لقول آدم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾، وموسى ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾.

﴿قَدْ بَدَلَ حَسَنًا﴾؛ أي: توبة وندما. ﴿بَعْدَ سَوْءٍ﴾؛ أي: بعد عمل سوء ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ﴾ للتائبين ﴿رَحِيمٌ﴾؛ أي: مشفق عليهم بقبول توبتهم، وهذا تعريض لطيف بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطي. و^(١) اختار النحاس هذا القول؛ أي: جعله استثناء متصلًا، وقال: علم من عصى منهم فاستثناه، فقال: إلا من ظلم، وإن كنت قد غفرت له كآدم وداود وموسى، ولا مانع من الخوف بعد المغفرة، فإن نبينا ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقول: «وددت أني شجرة تعضد».

وقيل: الاستثناء منقطع؛ أي: لكن من ظلم ثم بدل حسنًا بعد سوء. وقيل: الاستثناء من محذوف، تقديره: أي: لا يخاف لدي المرسلون، وإنما يخاف غيرهم ممن ظلم إلا من ظلم ثم بدل حسنًا إلخ. قاله الفراء، ورده النحاس. والمعنى: على الانقطاع؛ أي: لكن^(٢) من ظلم من سائر العباد فإنه يخاف إلا إذا تاب فبدل بتوبته حسنًا بعد سوء فإنني أغفر له، وأمحو ذنوبه، وجميع آثارها، كما فعل السحرة الذين آمنوا بموسى. وفي هذا بشارة عظيمة لسائر البشر، فإن من عمل ذنبًا ثم أقبل عنه وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (٨٢)، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١١٠).

وقال أبو حيان: والأظهر^(٣) أن قوله: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾: استثناء منقطع؛ إذ الأنبياء معصومون من وقوع الظلم والواقع من غيرهم. وقال الأخفش وأبو عبيدة: ﴿إِلَّا﴾: حرف عطف بمعنى ﴿الواو﴾ في التشريك في اللفظ، والمعنى: والتقدير: ولا من ظلم، وهذا ليس بشيء؛ لأن معنى ﴿إِلَّا﴾ مباين لمعنى

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

(٣) البحر المحيط.

﴿الواو﴾ مباينة كثيرة؛ إذ ﴿الواو﴾ للإدخال؛ و﴿إلا﴾: للإخراج، فلا يمكن وقوع أحدهما موقع الآخر.

وقرأ أبو جعفر وزيد بن أسلم^(١): ﴿أَلَا مِنْ ظَلَمٍ﴾ بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح وتنبيه، و﴿من﴾ شرطية، وجوابها ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وقرأ الجمهور: ﴿حُسْنًا﴾ بضم الحاء وإسكان السين منوناً. وقرأ محمد بن عيسى الأصبهاني كذلك إلا أنه لم ينون، جعله فعلى فامتنع الصرف، وابن مقسم بضم الحاء والسين منوناً. وقرأ مجاهد وأبو حيوة وابن أبي ليلى والأعمش وأبو عمرو في رواية الجعفي وأبو زيد وعصمة وعبد الوارث وهارون وعياش بفتحهما منوناً.

قال شيخ الإسلام زكريا: قوله تعالى: ﴿يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُلُونَ﴾ فإن قلت^(٢): قال ذلك هنا، وقال في سورة القصص: ﴿يَمُوسَى أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ بزيادة ﴿أَقْبَلْ﴾، فلم خالف بين الموضعين؟

قلت: لأن ما هنا بني عليه كلام يناسبه، وهو ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُلُونَ﴾ فناسبه الحذف، وما هناك لم يبين عليه شيء فناسبه زيادة ﴿أَقْبَلْ﴾ جبراً له، وليكون في مقابلة مدبراً؛ أي: أقبل آمناً غير مدبر ولا تخف.

وقال أيضاً: قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ...﴾ الآية، إن قلت: كيف وجه صحة الاستثناء فيه مع أن الأنبياء معصومون من المعاصي؟

قلت: الاستثناء منقطع؛ أي: لكن من ظلم من غير الأنبياء فإنه يخاف، فإن تاب وبذل حسناً بعد سوء فإنني غفور رحيم، أو متصل بحمل الظلم على ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل، أو ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: ولا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وإنما خص المرسلين بالذكر؛ لأن الكلام في قصة موسى وكان من المرسلين، وإلا فسائر الأنبياء كذلك وإن لم يكن بعضهم رسلاً.

(٢) فتح الرحمن.

(١) البحر المحيط.

﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ﴾: معطوف على ﴿بُورِكَ﴾ أيضاً، والجيب مدخل الرأس من القميص المفتوح إلى الصدر؛ أي: وأدخل يدك في جيب مدرعتك، واجعلها تحت إبطك، ولم يقل^(١): في كَمِّكَ؛ لأنه كان عليه مدرعة من صوف، لا كم لها ولا إزار، فكانت يده الكريمة مكشوفة، فأمر بإدخال يده في مدرعته، وهي جبة صغيرة يتدرع بها؛ أي: تلبس بدل الدرع، وهو القميص؛ أي: وأدخل يدك في جيبيك وأخرجها.

﴿تَخْرُجُ﴾ يدك حالة كونها ﴿بَيَّضَاءَ﴾؛ أي: براقه لها شعاع كشعاع الشمس؛ أي: إن أدخلتها تخرج على هذه الصفة ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾؛ أي: من غير آفة وعلة ومرض، كبرص وبهق ونحوهما مما يبيض الجسم.

فإن قلت: لِمَ^(٢) أتى هنا بلفظ ﴿أَدْخَلَ﴾، وفي القصص بلفظ ﴿اسْلُكْ﴾ فلم خالف بين الموضعين؟

قلت: أتى هنا بلفظ ﴿أَدْخَلَ﴾ وهناك بلفظ ﴿اسْلُكْ﴾؛ لأن الإدخال أبلغ من السلوك؛ لأن ماضيه أكثر حروفاً من ماضي السلوك، فناسب ﴿أَدْخَلَ﴾ كثرة الآيات في قوله: ﴿تَخْرُجُ بَيَّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾؛ أي: معها مرسلات إلى فرعون، وناسب ﴿اسْلُكْ﴾ قتلها، وهي سلوك اليد وضم الجناح المعبر عنهما بقوله: ﴿فَدَاكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَيْنَا فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيْنَهُ﴾.

وقوله: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هاتان الآيتان المذكورتان؛ الأولى منهما تغيير ما في يده، وقلبها من جماد إلى حيوان، والثانية تغيير يده نفسها، وقلب أوصافها إلى أوصاف أخرى نورانية؛ أي^(٣): هما داخلتان في جملة تسع آيات، فتكون الآيات تسعاً بالعصا واليد؛ وهن: العصا، واليد البيضاء، والجذب في البوادي، ونقص الثمرات، والظوفان، والجراد، والقمل، والدم، والضفادع، حالة كونك مبعوثاً بها ﴿إِلَيْنَا فِرْعَوْنُ﴾ اللعين ﴿وَقَوْمُهُ﴾.

(٣) روح البيان.

(١) روح البيان.

(٢) فتح الرحمن.

القبطين، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ تعليل للبعث؛ أي: وإنما بعثناك إليهم بهذه الآيات التسع؛ لأن فرعون وقومه كانوا قوماً فاسقين؛ أي: خارجين عن الحدود في الكفران والعدوان؛ أي: خرجوا عما تقتضيه الفطرة ويوجبه العقل بادعاء فرعون الألوهية وتصديقهم له في ذلك.

والظاهر^(١): أن قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿أَلْقَى﴾ و﴿أَدْخَلَ﴾، وأن قوله: ﴿فِي تَبَعٍ﴾ متعلق بمحذوف حال من مفعولهما؛ أي: ألق عصاك، وأدخل يدك حالة كون العصا واليد مع جملة الآيات التسع، فإن الآيات إحدى عشرة: العصا واليد، والفلق، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمسة، والجذب في بواديهم، والنقصان في مزارعهم، وحالة كونك مرسلًا بها إلى فرعون وقومه القبط إنهم كانوا قوماً خارجين عن ربة الانقياد لأمرى والعبودية لألوهيتي.

فإن قلت: قال هنا^(٢): بلفظ ﴿وَقَوْمِهِ﴾، وفي القصص بلفظ ﴿وَمَلَأْنَاهُ﴾ فما الفرق بين الموضعين؟

قلت: الفرق بينهما أن الملاء أشرف القوم، ولم يوصفوا ثم بما وصف به القوم من قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٣﴾ وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ الآية، فناسب ذكر القوم هنا؛ ليعم هذا الوصف الكل، وذكر الملاء ثم.

و﴿الفاء﴾ في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَتُنَا﴾ للإفصاح؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أنا بعثناه إلى فرعون وقومه في تسع آيات، وأردت بيان حالهم حين جاءهم موسى بآياتنا.. فأقول لك: لما جاءهم موسى بآياتنا التسع، وظهرت على يده حالة كون تلك الآيات ﴿مُبْصِرَةً﴾؛ أي: مستنيرة واضحة. وعبارة «الجميل»؛ أي: مضيئة إضاءة معنوية في كلها، وحسية أيضاً في بعضها؛ وهو اليد. اهـ. شيخنا.

(٢) فتح الرحمن.

(١) المراح.

فقوله: ﴿مُصِيرَةً﴾ اسم فاعل^(١) أطلق على المفعول إشعاراً بأنها لفرط إنارتها ووضوحها للأبصار كانت بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر. ﴿قَالُوا هَذَا﴾ الذي جئت به يا موسى من الخوارق التي تشاهدها ﴿سِحْرٌ مُّيْتٌ﴾ واضح سحريته؛ أي^(٢): فلما جاءت فرعون وقومه أدلتنا الواضحة المنيرة الدالة على صدق الداعي أنكروها، وقالوا: هذا سحر وخيال لا حقيقة له، بين لائح في أنه خيال يدل على مهارة فاعله، وحذق صانعه.

وقرأ علي بن الحسين وكتادة مبصرة بفتح الميم والصاد؛ أي: مكاناً يكثر فيه البصر.

ثم بين أن هذا التكذيب إنما كان باللسان فحسب، لا بالقلب، فقال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾؛ أي: وكذبوا بتلك الآيات بألسنتهم، ولم يقرؤا أنها من عند الله سبحانه، والواو: في قوله: ﴿وَأَسْتَيْقِنَتْنَا أَنْفُسُهُمْ﴾ للحال؛ أي: وقد أيقنتها أنفسهم، وعلمتها قلوبهم وضمايرهم علماً يقينياً أنها من عند الله وليست بسحر؛ أي: كذبوها بألسنتهم حالة كون أنفسهم مستيقنة لها. قال أبو الليث: وإنما استيقنتها قلوبهم؛ لأن كل آية رأوها استغاثوا بموسى، وسألوا منه بأن يكشف عنهم، فكشف عنهم، فظهر لهم بذلك أنها من الله تعالى.

وقوله: ﴿ظُلُمًا﴾ نفسانياً ﴿وَعُلُوًّا﴾؛ أي: استكباراً شيطانياً، علتان لـ ﴿جحدوا﴾؛ أي: جحدوا بها ظلماً لتلك الآيات؛ إذ حطوها عن مرتبتها العالية، وسموها سحراً وعلوًّا؛ أي: ترفعاً عن الإيمان بها، وهم يعلمون أنها من الله سبحانه، أو حالان من ﴿الواو﴾ في ﴿جحدوا﴾؛ أي: حالة كونهم ظالمين لتلك الآيات ومترفعين عن الإيمان بها.

وقرأ عبد الله وابن وثاب والأعمش وطلحة وأبان بن تغلب: ﴿وعلياً﴾ بقلب ﴿الواو﴾ ياء، وكسر العين واللام، وأصله فعول، لكنهم كسروا العين إتباعاً. وروي ضمها عن ابن وثاب والأعمش وطلحة. والمعنى: أي وكذبوا بها

(٢) المراغي.

(١) روح البيان.

بألسنتهم، وأنكروا دلائلها على صدقه، وأنه رسول من ربه، لكنهم علموا في قرارة نفوسهم أنها حق من عنده، فخالفت ألسنتهم قلوبهم ظلماً للآيات، إذ خطوها عن مرتبتها العالية، وسموها سحراً ترفعاً عن الإيمان بها، كما قال في آية أخرى: ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾.

والخلاصة: أنهم تكبروا عن أن يؤمنوا بها، وهم يعلمون أنها من عند الله سبحانه وتعالى. ﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد وفكر ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ في الأرض وهو الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة، أي فانظر أيها الرسول ما آل إليه أمر فرعون وقومه من الإغراق على الوجه الذي فيه العبر للظالمين ومن إخراجهم من الجنات والعيون والزروع والمقام الكريم.

وفي هذا تحذير للمكذبين بمحمد ﷺ الجاحدين لما جاء به من عند ربه أن يصيبهم مثل ما أصاب أولئك؛ لعلهم يقلعون عن عنادهم واستكبارهم حتى لا تنزل بهم القوارع، ويأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون، فمن قدر على إهلاك فرعون كان قادراً على إهلاك من هو على صفته، وذلك إلى يوم القيامة، فإن جلال الله سبحانه دائم للأعداء، كما أن جماله باق للأولياء، مستمر في كل عصر وزمان، فعلى العاقل أن يتعظ بحال غيره، ويترك الأسباب المؤدية إلى الهلاك مثل الظلم والعلو الذي هو من صفات النفس الأمارة، ويصلح حاله بالعدل والتواضع، وغير ذلك مما هو من ملكات القلب.

قصة داود وسليمان عليهما السلام

ولما فرغ سبحانه من قصة موسى شرع في قصة داود بن إيشا وقصة ابنه سليمان عليهما السلام، وهذه القصص وما قبلها وما بعدها هي كاليان والتقارير لقوله: ﴿وَلَيْكَ لَتَلَقَّى الْفِئَاتِ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلَيْهِ ۝١﴾ فقال: ﴿و﴾ عزتي وجلالي. ﴿لقد آتينا﴾ وأعطينا ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه عليهما السلام ﴿عِلْمًا﴾؛ أي: طائفة عظيمة من العلم، فعلمنا داود صنعة الدروع ولبوس الحرب، وعلمنا سليمان منطق الطير والدواب وتسبيح الجبال ونحو ذلك، مما لم نؤته أحداً ممن قبلهما، فشكرا الله سبحانه على ما أولاهما من منته ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾ بما آتانا

من النبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين لم يؤتهم مثل ما آتانا.

تنبيه: وعاش داود مئة سنة، وبينه وبين موسى خمس مئة وتسع وستون سنة. وعاش سليمان نيفاً وخمسين سنة، وبينه وبين محمد ألف وسبع مئة سنة. اهـ. شيخنا نقلاً عن «التجوير».

فائدة: قال في «مشكاة الأنوار»: قالت نملة لسليمان عليه السلام: يا نبي الله أتدري لم صار اسم أبيك داود، واسمك سليمان؟ قال: لا. قالت: لأن أباك داوى قلبه عن جراحة الالتفات إلى غير الله سبحانه فَوَدَّ، وأنت سليم تصغير سليم أن لك، أي: حان لك أن تلحق بأبيك، انتهى.

فائدة أخرى: وعلم^(١) سبحانه وتعالى سبعة أنفار سبعة أشياء: علم آدم أسماء الأشياء، فكان سبباً في حصول السجود والتحية، وعلم الخضر علم الفراسة، فكان سبباً لوجدان موسى ويوشع تلميذاً له، وعلم يوسف التعبير، فكان سبباً لوجدان الأهل والمملكة، وعلم داود صنعة الدروع، فكان سبباً لوجدان الرياسة والدرجة، وعلم سليمان منطق الطير فكان سبباً لوجدان بلقيس، وعلم عيسى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، فكان سبباً لزوال التهمة عن الشر، وعلم محمداً ﷺ الشرع والتوحيد، فكان سبباً لوجود الشفاعة.

وقال الزمخشري: قوله: ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ فإن قلت: أليس^(٢) هذا موضع الفاء دون ﴿الواو﴾، كقولك: أعطيته فشكر، ومنعته فصبر؟

قلت: بلى، ولكن عطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم، وشيء من موجهه، فأضر ذلك، ثم عطف عليه التحميد، كأنه قال: ولقد آتيناهما علماً فعملما به وعلماه، وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة، وقالوا الحمد لله. والكثير المفضل عليه من لم يؤت علماً، أو من لم يؤت مثل علمهما، كذا قال أبو حيان. وقال غيره: والمفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما، لا من

(٢) الكشف.

(١) روح البيان.

لم يؤت علماً أصلاً، فإنه قد بين الكثير بالمؤمنين وخلوهم من العلم بالكلية مما لا يمكن، وفي تخصيصهما الكثير بالذكر رمز إلى أن البعض مُفَضَّلُون عليهما.

وقال الماوردي: المراد بقوله: ﴿عِلْمًا﴾ علم الكيمياء، وذلك لأنه من علوم الأنبياء والمرسلين والأولياء العارفين، والكيمياء في الحقيقة القناعة بالموجود، وترك التشوق إلى المفقود. وفي الآية إيماء^(١) إلى فضل العلم وشرف أهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم التي ينعم الله بها على عباده، وأن من أوتيها فقد أوتي فضلاً على كثير من العباد، ومنحاً شرفاً جليلاً حيث شكرنا عليه، وجعلناه أساس الفضل، ولم يعتبراً شيئاً دونه مما أوتياه من الملك العظيم.

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ وفيها تحريض للعلماء على أن يحمداوا الله على ما آتاهم من فضله، وأن يتواضعوا، ويعتقدوا أن في عباد الله من يفضلهم فيه، وفوق كل ذي علم عليهم، ونعم ما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كل الناس أقره من عمر.

وروي^(٢): أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن أفضل الأعمال؟ فقال: «العلم بالله والفقه في دينه». وكررهما عليه، فقال يا رسول الله أسألك عن العمل؟ فتخبرني عن العلم، فقال: «إن العلم ينفعك معه قليل من العمل، وإن الجهل لا ينفعك معه كثير العمل». والمتعبد بغير علم كحمار الطاحونة، يدور ولا يقطع المسافة.

وهذا التفضيل سبب لمزيد الحمد والشكر لله تعالى، فإن الثناء بقدر الموهبة والعطية، نحمد الله تعالى على آلائه ونعمائه، ونستزيد العلم وقطراته من دأمانه، ونسأله التوفيق في طريق التحقيق، والثبات على العمل الصالح بالعلم النافع الذي هو للهوى قانع، وللشهوات دافع، إنه المتفضل بالمنعم الكبير والوهاب الفياض الرحيم.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ بْنُ دَاوُدَ أَبَاهُ﴾ عليهما السلام؛ أي قام مقامه في

(٢) روح البيان.

(١) المراغي.

النبوة والملك بعد موته، وسخرت له الريح والشياطين؛ أي: صار إليه العلم والنبوة والملك بعد موت أبيه دون سائر أولاده، فسمي ميراثاً تجوزاً؛ لأن حقيقة الميراث في المال، والأنبياء إنما يرثون الكمالات النفسانية، ولا قدر للمال عندهم. وقال قتادة والكلبي^(١): كان لداود تسعة عشر ولداً ذكراً، فورث سليمان من بينهم نبوته، ولو كان المراد وراثة المال لم يُخَصَّ سليمان بالذكر؛ لأن جميع أولاده في ذلك سواء، وكذا قال جمهور المفسرين: فهذه الوراثة هي وراثة مجازية، كما في قوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء».

وقال قتادة في معنى الآية^(٢): ورث نبوته وملكه وعلمه، وأعطي ما أعطي داود، وزيد له تسخير الريح والشياطين، وكان أعظم ملكاً منه، وأقضى منه، وكان داود أشد تعبداً من سليمان، شاكراً لنعم الله تعالى، اهـ.

ثم ذكر بعض نعم الله عليه، ﴿وَقَالَ﴾؛ أي: سليمان تشهيراً لنعمة الله تعالى عليه ودعاء للناس إلى الإيمان إلى التصديق به بذكر المعجزات الباهرة التي أوتيتها؛ أي: لا فخرأ وتكبرأ.

قال البقلي^(٣): إن سليمان عليه السلام أخبر الخلق بما وهبه الله تعالى؛ لأن المتمكن إذا بلغ درجة التمكين يجوز له أن يخبر الخلق بما عنده من موهبة الله؛ لزيادة المؤمنين، وللحجة على المنكرين. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا يَنْعَمَ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٤)؛ أي قال سليمان متحدثاً بنعمة ربه ومنبها إلى ما شرفه به يكون أجدر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسَ عَلِمْنَا﴾ (النون)^(٥) نون الواحد المطاع على عادة الملوك، فإنهم متكلمون مثل ذلك، رعاية لقاعدة السياسة، لا تكبرأ وتجبراً. وكذا في ﴿أوتينا﴾ وقال بعضهم: ﴿عَلِمْنَا﴾؛ أي: أنا وأبي، وهذا ينافي اختصاص سليمان بفهم منطق الطير على ما هو المشهور؛ أي: علمنا الله سبحانه وتعالى ﴿مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾؛ أي: صوت الطير؛ أي: قال سليمان مخاطباً للناس، تحدثاً بما أنعم الله به عليه،

(٣) روح البيان.

(١) الشوكاني.

(٤) روح البيان.

(٢) المراغي.

وشكراً للنعمة التي خصه بها: يا أيها الناس إن ربي يسر لي فهم ما يريد الطائر إذا صوت، فأعطاني قوة أستطيع بها أن أثبتن مقاصده التي يومئ إليها فضلاً منه ونعمة. والمعنى: علمنا فهم ما يقوله كل طائر إذا صوت.

وقدم منطق الطير^(١)؛ لأنها نعمة خاصة به لا يشاركه فيها غيره. قال جماعة من المفسرين: إنه علم منطق جميع الحيوانات، وإنما ذكر الطير؛ لأنه كان جنداً من جنوده يسير معه لتظليله من الشمس. وقال قتادة والشعبي: إنما علم منطق الطير خاصة، ولا يعترض ذلك بالنملة، فإنها من جملة الطير، وكثيراً ما تخرج لها أجنحة فتطير، وكذلك كانت هذه النملة التي سمع كلامها وفهمه.

وسميت^(٢) أصوات الطير منطقاً اعتباراً بسليمان الذي كان يفهمه، فمن فهم من شيء معنى.. فذلك الشيء بالنسبة إليه ناطق وإن كان صامتاً، وبالنسبة إلى من لا يفهم عنه صامت وإن كان ناطقاً.

وقد اجتهد^(٣) كثير من الباحثين في العصر الحاضر فعرفوا كثيراً من لغات الطيور؛ أي: تنوع أصواتها لأداء أغراضها المختلفة، من حزن وفرح، وحاجة إلى طعام وشراب، واستغاثة من عدو إلى نحو ذلك من الأغراض القليلة التي جعلها الله سبحانه للطير.

وفي هذا معجزة لكتابه الكريم؛ لقوله في آخر السورة: ﴿وَقُلْ لِّلْحَمْدِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الظُّلُمِ الْإِتِّينِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.

وإنك لتعجب إذ ترى اليوم أن كثيراً من الأمم تبحث في لغات الطيور والحيوان والحشرات، كالنمل والنحل، وتبحث في تنوع أصواتها لتنوع أغراضها، فكأنه تعالى يقول: إنكم لا تعرفون لغات الطيور الآن، وعلمتها سليمان، وسيأتي يوم يتتشر فيه علم أحوال مخلوقاتي، ويطلع الناس على عجائب صنيعي فيها.

(٣) المراغي.

(١) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

﴿وَأَوْتَيْنَا﴾؛ أي: أعطينا ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مما نحتاج إليه في تدبير الملك، ويعيننا في ديننا ودنيانا، كالعلم والحكمة، والنبوة والمال، وتسخير الجن والإنس، والطير والرياح، والوحوش والدواب، وكل ما بين السماء والأرض. وهذا أسلوب يراد به الكثرة من أي شيء، كما يقال: فلان يقصده كل أحد، ويعلم كل شيء، وجاء سليمان بنون العظمة، والمراد نفسه بياناً لحاله من كونه مطاعاً لا يخالف، لا تكبراً وتعظيماً لنفسه، وسيأتي في مقال الهدهد عن بلقيس: ﴿وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

فإن قلت: كيف ^(١) سوى بينه في قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وبين بلقيس في قول الهدهد ﴿وَأَوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾؟

قلت: الفرق بينهما أنها أوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا فقط؛ لعطف ذلك على تملكهم، وسليمان أوتي من كل شيء من أسباب الدين والدنيا؛ لعطف ذلك على المعجزة؛ وهي: ﴿مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾.

قال مقاتل: كان سليمان عليه السلام جالساً إذ مر به طير يصوت، فقال لجلسائه: هل تدرون ما يقول هذا الطائر الذي مر بنا؟ قالوا: أنت أعلم. قال سليمان: إنه قال لي: السلام عليك أيها الملك المسلط على بني إسرائيل، أعطاك الله الكرامة، وأظهرك على عدوك، إني منطلق إلى فروخي، ثم أمر بك الثانية. وإنه سيرجع إلينا الثانية، فانظروا إلى رجوعه، قال: فنظر القوم إذ مر بهم، فقال: السلام عليك أيها الملك، إن شئت إيدن لي كيما أكتسب على فروخي حتى أشبعها ثم آتيك، فتفعل ما شئت، فأخبرهم سليمان بما قال، فأذن له.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور من التعليم والإيتاء ﴿هُوَ الْفَضْلُ﴾ والإحسان من الله تعالى ﴿الْمُئِينُ﴾؛ أي: الواضح الذي لا يخفى على أحد. وفي «الوسيط»: لهو الزيادة الظاهرة على ما أعطي غيرنا، قاله على سبيل الشكر والحمد، كما قال

(١) فتح الرحمن.

رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»؛ أي: أقول هذا القول شكراً، لا فخرأ.

﴿وَحِشْرَ لِسْتَيْنَ﴾؛ أي: جمع له بقهر وإكراه بأيسر أمر ﴿جُنُودُ﴾ وعساكره ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ من مختلف النواحي؛ ليحارب بهم من لم يدخل في طاعته، وإنما^(١) قال: ﴿جُنُودُ﴾؛ لاختلاف أجناس عساكره، فكل جنس من الخلق جند على حدة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ فالبعوض لنمرود جند، والأبائيل لأصحاب الفيل جند، والمعنى: أخرج لسليمان وجمع له عساكره في مسير وسفر كان له من الشام إلى طرف اليمن.

وفي «فتح الرحمن»: من إصطخر إلى اليمن، وإصطخر - بكسر الهمزة وفتح الخاء - بلدة من بلاد فارس كانت دار السلطنة لسليمان عليه السلام. من الجن والإنس والطير؛ أي: جمع له بمباشرة الرؤساء من كل جنس؛ لأنه كان إذا أراد سفراً أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود؛ ليجمعوا له أجناسهم، وقدم الجن للمسارعة إلى الإيذان بكمال قوة ملكه من أول أمر؛ لما أن الجن طائفة طاغية بعيدة من الحشر والتسخير ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يحبسون ويمنعون من الانتشار والتفرق، حتى يرد أولهم على آخرهم، من الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار. والوازع الذي يكف الجيش عن الانتشار، ويكف الرعية عن التظالم والفساد، وجمعه وزعة، والمعنى يحبس أوائلهم على أواخرهم ليتلاحقوا، ويجتمعوا ولا ينتشروا حتى ساقوا، كما هو حال الجيش الكثير، وكان لكل صنف من جنوده وزعة ومنعة ترد أولادهم على أخراهم صيانة من التفرق.

قال محمد بن القرظي^(٢): كان مُعَسِّكُ سليمان عليه السلام مئة فرسخ في مئة فرسخ، خمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون للوحش، وكان له ألف بيت من القوارير مصنوعة على الخشب، فيها ثلاث مئة منكوحة؛ يعني حرة، وسبع مئة سرية. وقد نسجت له

(١) روح البيان.

(٢) الفتوحات.

الجن بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً في فرسخ، وكان يوضع منبره في وسطه، وهو من ذهب فيقعد عليه، وحوله ست مئة ألف كرسي من ذهب وفضة، فتقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر.

وفي «أبي السعود» قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يحبس أوائلهم على أواخرهم؛ أي: يوقف أوائل العسكر حتى يلحقهم الأواخر، فيكونون مجتمعين لا يتخلف منهم أحد، وذلك للكثرة العظيمة. ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف، كما هو المعتاد في العساكر، وفيه إشعار بكمال مسارعتهم إلى السير، وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق آخرهم مع أن التلاحق يحصل بذلك أيضاً؛ لما أن أواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع، وهذا كله إذا لم يكن سيرهم بتيسير الله الريح في الجو، اهـ.

﴿حَقَّ﴾: ابتدائية؛ لدخولها على الجملة، وغائية؛ لكونها غاية لمحذوف يدل عليه قوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ تقديره: فساروا حتى ﴿إِذَا أَتَوْا﴾؛ أي: ساروا مشاة على الأرض، وركباً حتى إذا أتوا وأشرفوا ﴿عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ من فوق، وبلغوا آخره، ولعلمهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادي؛ إذ حينئذ يخافهم ما في الأرض لا عند مسيرهم في الهواء، كما في «الإرشاد»، ولعل هذه القصة قبل تسخير الله له الريح. والوادي مسيل الماء، والنمل معروف، الواحدة نملة.

ومعنى واد النمل^(١): واد يكثر فيه النمل، كما يقال: بلاد الثلج لبلد يكثر فيه الثلج، والمراد هنا: واد بالشام أو بالطائف كثير النمل، والمشهور أنه النمل الصغير. وقيل: كان نمل ذلك المكان كالذئب والبخاتي، ولذا قال بعضهم: ﴿في وادي النمل﴾: هو واد يسكنه الجن والنمل مراكبهم، ووقف القراء^(٢) جميعهم على ﴿وَادٍ﴾ بدون ياء إتباعاً للرسم، حيث لم يكن الحذف عندهم

(١) البحر المحيط.

(٢) زاد المسير.

للالتقاء الساكنين، كقوله: ﴿الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ إلا الكسائي، فإنه وقف بالياء، قال: لأن الموجب للحذف إنما هو التقاء الساكنين بالوصل.

والمعنى: فهم يسرون ممنوعاً بعضهم من مفارقة بعض، حتى إذا أتوا على واد النمل، وقطعوه، وبلغوا آخره، وأرادوا النزول. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ من نمال الوادي؛ وهي ملكة النملة، وكانت عرجاء ذات جناحين في عظم الديك، أو النعجة، أو الذئب، واسمها منذرة أو طاخية، أو جرمى، سميت بهذا الاسم في التوراة أو في الإنجيل، أو في بعض الصحف الإلهية، سماها الله تعالى بهذا الاسم، وعرفها به الأنبياء قبل سليمان، وخصت بالتسمية لنطقها، وإلا فكيف يتصور أن يكون للنملة اسم علم، والنمل لا يسمى بعضهم بعضاً، ولا يتميز للآدميين صورة بعضهم من بعض حتى يسمونهم، ولا هم واقعون تحت ملك بني آدم كالخيل والكلاب ونحوهما، كما في كتاب التعريف والأعلام للسهيلى رحمه الله، وهي من الحيوانات التي تدخل الجنة.

أي: قالت قولاً مشتملاً على حروف وأصوات على وجه النصيحة، وهو جواب ﴿إِذَا﴾.

﴿يَتَأَيَّهَا أَلْتَمَلْ أَدْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾؛ أي: حرككم ﴿لَا يَحْطُمَنَّكُمْ﴾؛ أي: لا يكسرنكم من الحطم؛ وهو الكسر. ﴿سَلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهَزْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يحطمنكم، ولا يعلمون بمكانكم، والجملة الاسمية حال من فاعل ﴿يَحْطُمَنَّكُمْ﴾؛ أي: والحال^(١) أنهم لا يشعرون أنهم يحطمونكم؛ إذ لو شعروا لم يفعلوا؛ أي: إن من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده أنهم لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بأن لا يشعروا، كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والأذى إلا على سبيل السهو.

وجعل خطاب النمل كخطاب العقلاء؛ لفهما لذلك الخطاب، وجملة ﴿لَا يَحْطُمَنَّكُمْ﴾ نهي لهم عن الحطم، والمراد: نهى عن التوقف والتأخر في دخول مساكنهم بحيث يحطمونها، قال مقاتل: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال،

(١) روح البيان.

وكان لا يتكلم أحد بشيء إلا حملته الريح حتى تلقيه إلى مسامع سليمان.

وقرأ الحسن^(١) وطلحة بن مصرف ومعتز بن سليمان وأبو سليمان التيمي وأبو مجلز وأبو رجاء وعاصم الجحدري: ﴿نُمْلَةٌ﴾ - بضم الميم - على وزن سَمَرَةٍ، وعن سليمان التيمي ﴿نُمْلَةٌ﴾ ونمل بضم النون والميم فيهما، وقرأ شهر بن حوشب وأبي بن كعب وأبو المتوكل وعاصم الجحدري ﴿مَسْكَنُكُمْ﴾ على الإفراد، وعن أبي ﴿ادخلن مساكنكن لا يحطمنكن﴾ مخففة النون التي قبل الكاف.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة وعيسى بن عُمر الهمداني الكوفي ونوح القاضي: ﴿لَا يُحْطَمُنْكُمْ﴾ بضم الياء وفتح الحاء وشد الطاء والنون، مضارع حطم المضعف. وقرأ^(٢) أبي بن كعب وأبو رجاء: ﴿لِيحْطَمُنْكُمْ﴾ بغير ألف بعد اللام. وقرأ ابن مسعود ﴿لَا يَحْطَمُكُمْ﴾ بفتح الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وسكون الميم وحذف النون.

وقرأ عمرو بن العاص وأبان ﴿يَحْطَمُنْكُمْ﴾ بفتح الياء وسكون الحاء والنون ساكنة أيضاً والطاء خفيفة. وقرأ أبو المتوكل وأبو مجلز: ﴿لَا يَحْطَمُنْكُمْ﴾: بفتح الياء وكسر الحاء وتشديد الطاء والنون جميعاً، أصله لا يحطمنكم من الاحتطام. وقرأ ابن السميعة وابن يعمر وعاصم الجحدري: ﴿يَحْطَمُنْكُمْ﴾ بضم الياء وسكون الحاء وتخفيف الطاء وتشديد النون من الإحطام.

وفي «القرطبي»^(٣): قال الثعلبي: كان للنملة جناحان، فصارت من الطير، فلذلك علم منطقها، ولولا ذلك لما علمه. قال أبو إسحق الثعلبي: ورأيت في بعض الكتب أن سليمان قال لها: لم حذرت النمل، أخفت من ظلمي أم علمت أنني نبي عدل، فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده؟ فقالت النملة: أما سمعت قولني وهم لا يشعرون، مع أنني لم أرد حطم النفوس، وإنما أردت حطم القلوب

(١) البحر المحيط.

(٣) القرطبي.

(٢) زاد المسير.

خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتن بالدنيا، ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسييح والذكر، فلما تكلمت مع سليمان مضت مسرعة إلى قومها، فقالت: هل عندكم من شيء نهديه إلى نبي الله؟ قالوا: وما قدر ما نهدي له، والله ما عندنا إلا نبقة واحدة. قالت: حسنة اتنوني بها، فأتوها بها، فحملتها بفيها، وانطلقت تجرها، وأمر الله الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والإنس والأنبياء والعلماء على البساط حتى وقفت بين يديه، فوضعت تلك النبقة من فيها في فيه، وأنشأت تقول:

أَلَمْ تَرَنَا نَهْدِي إِلَى اللَّهِ مَالَهُ وَإِنْ كَانَ عَنْهُ ذَا غِنَى فَهُوَ قَابِلُهُ
وَلَوْ كَانَ يُهْدَى لِلْجَلِيلِ بِقَدْرِهِ لَأَقْصَرَ عَنْهُ الْبَحْرُ يَوْمًا وَسَاحِلُهُ
وَلَكِنَّا نَهْدِي إِلَى مَنْ نَحْبُهُ فَيَرْضَى بِهَا عَنَّا وَيُشْكِرُ فَاعِلُهُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا مِنْ غَرِيمٍ فَعَالِهِ وَإِلَّا فَمَا فِي مُلْكِنَا مَا يُشَاكِلُهُ

فقال لها: بارك الله فيكم، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله، وأكثر خلق الله، والنمل حيوان معروف، شديد الإحساس والشم، حتى أنه يشم الشيء من بعيد، ويدخر قوته، ومن شدة إدراكه أنه يفلق الحبة فلقنتين خوفاً من الإنبات، ويفلق حبة الكزبرة أربع فلق؛ لأنها إذا فلقت فلقنتين نبتت، ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي باقيه عدة. اهـ.

وهذه النملة التي تكلمت مع سليمان مؤنثة حقيقة بدليل لحاق علامة التأنيث لفعلها؛ لأن نملة تطلق على الذكر والأنثى، فإذا أريد تمييز ذلك.. قيل: نملة ذكر، ونملة أنثى، نحو حمامة ويمامة.

وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة - رحمه الله -: أنه وقف على قتادة، وهو يقول: سلوني، فأمر أبو حنيفة شخصاً أن يسأل قتادة عن نملة سليمان، هل كانت ذكراً أو أنثى؟ فلم يجب قتادة، فقيل لأبي حنيفة في ذلك، فقال: كانت أنثى، واستدل على ذلك بلحاق علامة التأنيث بالفعل المسند إليه. اهـ. ورده بعضهم؛ لأنه يصح أن يقال في الذكر: قالت نملة على إرادة الواحدة.

وقوله: ﴿تَبَسَّمَ﴾ سليمان ﴿ضَاحِكًا﴾؛ أي: شارعاً في الضحك متعجباً ﴿مَنْ قَوْلَهَا﴾ كلام مفرع^(١) على محذوف تقديره: فسمع قولها المذكور، فتبسم. وكل^(٢) من التبسم والضحك والقهقهة انفتاح في الفم، لكن الأول انفتاح بلا صوت أصلاً، والثاني انفتاح مع صوت خفيف، والثالث انفتاح مع صوت قوي، اهـ عن «شرح على المواهب» يعني: أنه بالغ في تبسمه حتى بلغ نهايته التي هي أول مراتب الضحك، فهو حال مقدرة، أو مؤكدة على معنى: تبسم متعجباً من حذرهما وتحذيرهما، واهتدائهما إلى مصالحهما ومصالح بني نوعها، فإن ضحك الأنبياء التبسم، والإنسان إذا رأى أو سمع ما لا عهد له به يتعجب ويتبسم.

قال بعضهم: ضحك سليمان كان ظاهره تعجباً من قول النملة، وباطنه فرحاً بما أعطاه الله سبحانه من فهم كلام النملة، وسروراً بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات، فإنه لا يسر نبي بأمر الدنيا وإنما كان يسر بما كان من أمر الدين. وقرأ ابن السمقيع: ﴿ضَحْكَ﴾ جعله مصدرأ؛ لأن تبسم بمعنى ضحك، فانتصابه على المصدرية، أو على أنه مصدر في موضع الحال كقراءة ﴿ضَاحِكًا﴾.

﴿وَقَالَ﴾ سليمان ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي﴾؛ أي: ألهمني، وفقني. وقرأ البزي وورش بفتح ياء ﴿أَوْزَعْنِي﴾. ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ﴾ من النبوة والملك والعلم والعدل وفهم كلام الطير ونحوها. ﴿وَأَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ﴾ والدي؛ أي: والدي ووالدتي، وأدرج فيه^(٣) ذكر والديه تكثيراً للنعمة أو تعميماً لها، فإن النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما، لاسيما الدينية. اهـ «بيضاوي». قال أهل الكتاب^(٤): وأمه هي زوجة أوريا بوزن قوتلا التي امتحن الله سبحانه بها داود.

أي^(٥): وأنعمت بها على والدي داود بن إيشا بالنبوة، وتسبيح الجبال

(٤) القرطبي.

(٥) روح البيان.

(١) الفتوحات.

(٢) روح البيان.

(٣) البيضاوي.

والطير معه وصناعة اللبوس، وإلانة الحديد وغيرها، وعلى والدتي بتشايع بنت الياثن، كانت امرأة أوريا التي امتحن بها داود؛ وهي امرأة مسلمة زاكية طاهرة، وهي التي قالت له: يا بني لا تكثرن النوم بالليل، فإنه يدع الرجل فقيراً يوم القيامة، كذا في «كشف الأسرار».

قال ابن قتيبة^(١): معنى «أَوْزَعِي»: ألهمني، وأصل الإيزاع: الإغراء بالشيء، يقال: أوزعته بكذا؛ أي: أغريته به، وهو موزع بكذا، مولع بكذا. وقال الزجاج: تأويله في اللغة: كفني عن الأشياء، إلا عن شكر نعمتك. والمعنى: كفني عما يباعدي منك.

﴿و﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ عملاً ﴿صَالِحًا﴾؛ أي: مخلصاً لوجهك ﴿رَضْنَهُ﴾؛ أي: تقبله مني قيد العمل الصالح بذلك؛ لأن العمل الصالح قد لا يرضاه المنعم لنقص في العامل، كما قيل:

إِذَا كَانَ الْمُحِبُّ قَلِيلَ حَظٍّ فَمَا حَسَنَاتُهُ إِلَّا دُنُوبٌ
﴿وَأَدْخَلَنِي بِرَحْمَتِكَ﴾ وفضلك ﴿فِي﴾ زمرة ﴿عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ إبراهيم وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين، كما قاله ابن عباس؛ لأن الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله تعالى، ولا يهم بمعصية؛ أي: أثبت اسمي في أسمائهم، واحشرنني في زمرتهم. وقيل: أدخلني الجنة برحمتك؛ لأنه لا يدخل الجنة أحد إلا بالرحمة والفضل، لا بالعمل مع عبادك الصالحين؛ أي: الكاملين في الصلاح. قال المفسرون: إنما شكر الله عز وجل؛ لأن الريح أبلغت إليه صوتها ففهم ذلك.

فإن قيل^(٢): درجات الأنبياء أفضل من درجات الصالحين، فما السبب في أن الأنبياء يطلبون جعلهم من الصالحين، وقد تمنى يوسف عليه السلام ذلك بقوله: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾؟

(٢) الفتوحات.

(١) زاد المسير.

أجيب: بأن الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله سبحانه، ولا يفعل معصية، ولا يهتم بها، وهذه درجة عالية. اهـ «خطيب».

وإصلاح الله تعالى^(١) الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً، وتارة بإزالة ما فيه من الفساد، والأول أعز وأندر.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ والتفقد: تطلب ما غاب عنك، وتعرف أحواله. والطيْر: اسم جنس لكل ما يطير، وكانت تصحبه في سفره، وتظله بأجنحتها؛ أي: تعرف سليمان أحوال الطير، وبحث عنها - فلم ير الهدهد فيما بينها، أي^(٢): نزل سليمان منزلاً، واحتاج إلى الماء، فطلبوه فلم يجدوه، فطلب الهدهد ليدل على الماء؛ لأنه يعرف موضع الماء قربه وبعده، فينقر الأرض ثم تجيء الشياطين فيحفرونها ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة. ﴿فَقَالَ﴾ سليمان ﴿مَا لِيَ﴾؛ أي: أي شيء ثبت لي حال كوني ﴿لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ وكان رئيس الهداهد، واسمه يعفور، وقيل: عنبر، كما أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن؛ أي: ما لي لا أراه، هل ذلك لسائر ستره عني، أو لشيء آخر؛ ثم ظهر له أنه غائب، فقال: ﴿أَمْ كَانَتْ هِيَ﴾؛ أي الهدهد ﴿مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ أي: من الذين غابوا عني، و﴿أَمْ﴾ هي المنقطعة التي تقدر ببِل وبِالهمزة. أي^(٣): بل أكان من الغائبين، كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر، ولا يراه لسائر أو غيره، فقال: ما لي لا أراه، ثم احتاط فلاح له أنه غائب، فأضرب عن ذلك، وأخذ يقول: أهو غائب، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له.

والصحيح^(٤): أن ﴿أَمْ﴾ في هذا الموضع هي المنقطعة؛ لأن شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام، فلو تقدمها أداة الاستفهام غير الهمزة كانت أم منقطعة، وهنا تقدم عليها ﴿مَا﴾ ففات شرط المتصلة.

(١) البحر المحيط الشوكاني وزاد المسير.

(٢) البحر المحيط الشوكاني وزاد المسير.

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

(٣) البياضوي.

وقرأ ابن كثير وابن محيصن وعاصم والكسائي وهشام وأيوب هنا وفي يس^(١): ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ بفتح الياء، وقرأ حمزة ويعقوب والبزار بإسكانها في الموضعين، وقرأ الباقون بفتح التي في «يس» وإسكان التي هنا. قال أبو عمرو: لأن هذه التي هنا استفهام، والتي في «يس» نفي، واختار أبو حاتم وأبو عبيد الإسكان.

وخلاصة ذلك: أغاب عني الهدهد الآن، فلم أره حين تفقدته، أم كان قد غاب من قبل ولم أشعر بغيبته.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الواجب على الملوك التيقظ في مملكتهم وحسن قيامهم وتكفلهم بأمور رعاياهم، وتفقد أصغر رعيته، كما يتفقدون أكبرها بحيث لم يخف عليهم غيبة الأصاغر والأكابر منهم، كما أن سليمان تفقد حال أصغر طير من الطيور، ولم يخف عليه غيبته ساعة، ثم غاية شفقتة على الرعية أحال النقص والتقصير إلى نفسه، فقال: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدُودَ﴾ وما قال: ما للهدهد لم أره؛ لرعاية مصالح الرعية، وتأديبهم، قال: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْفَكَائِينَ﴾ يعني: من الذين غابوا عني بلا إذني.

روي: أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس.. تجهز للحج، فوافى الحرم، وأقام به ما شاء، وكان ينحر في كل يوم طول مقامه فيه خمسة آلاف ناقة، وخمسة آلاف بقرة، وعشرين ألف شاة، ثم عزم على السير إلى اليمن، فخرج من مكة صباحاً، فوافى صنعاء وقت الزوال، فرأى أرضاً حسناء أعجبه خضرتها، فنزل بها ليتغذى ويصلي، فلم يجد الماء، فتفقد الهدهد، وكان حين اشتغل سليمان بالنزول ارتفع نحو السماء، فنزل إلى بستان بلقيس، فإذا هو بهدهد آخر، وكان اسم هدهد سليمان يعفور، وهدهد اليمن عفير، فقال: عفير ليعفور: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود، قال: ومن سليمان؟ قال: ملك الإنس والجن والشياطين، والطير والوحش والرياح، قال يعفور: ومن ملك هذه البلاد؟ قال عفير: امرأة يقال لها: بلقيس، وإن - لصاحبك ملكاً عظيماً، ولكن ليس ملك بلقيس دونه،

فإنها تملك اليمن، وتحت يدها أربع مئة ملك، كل ملك على كورة، مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل، ولها ثلاث مئة وزير يدبرون ملكها، ولها اثنا عشر ألف قائد، مع كل قائد مئة ألف مقاتل، وذهب معه لينظر إلى بلقيس وملكها، فما رجع يعفور إلا بعد العصر، فلما دخل العصر سأل سليمان الإنس والجن والشياطين عن الماء، فلم يعلموا، ففقد الهدد فلم يره فدعا عريف الطير؛ وهو النسر، فسأله عن الهدد، فقال: أصلح الله الملك ما أدري أين هو، وما أرسلته إلى مكان! فغضب سليمان عند ذلك، وقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ﴾؛ أي: والله لأعذب الهدد بسبب غيبته فيما لم آذن فيه، ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾؛ أي: عذاباً موجعاً بنتف ريشه وإلقائه في الشمس، أو حيث النمل تأكله، أو جعله مع ضده في قفص، فهذا عذاب الطير، ﴿أَوْ لَأَذِجَنَّهُ﴾ بالسكين، ليعتبر به أبناء جنسه، ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنَّهُ﴾ الهدد ﴿بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: بحجة تبين عذره، فلا أذبح ولا أعذب، يشير^(١) إلى أن حفظ المملكة يكون بكمال السياسة، وكمال العدل، فلا يتجاوز عن جرم المجرمين، ويقبل منهم العذر الواضح بعد البحث عنه، والحلف في الحقيقة على أحد الأولين على عدم الثالث، فكلمة ﴿أَوْ﴾ بين الأولين للتخير، وفي الثالث للترديد بينه وبينهما.

وفيه^(٢): دليل على الإغلاظ على العاصين وعقابهم، وبدأ أولاً بأخف العقابين؛ وهو التعذيب، ثم أتبعه بالأشد؛ وهو إذهاب المهجة بالذبح، وأقسم على هذين؛ لأنهما من فعله، وأقسم على الإتيان بالسلطان وليس من فعله لما نظم الثلاثة في الحكم بـ ﴿أَوْ﴾، كأنه قال: ليكون أحد الثلاثة.

ثم دعا العقاب^(٣)؛ وهو أشد الطير طيراناً، فقال له: عليّ بالهدد الساعة، فارتفع العقاب في الهواء، فالتفت يميناً وشمالاً، فرأى الهدد من نحو اليمن، فانقض العقاب نحوه، يريده، وعلم الهدد أن العقاب يقصده بسوء، فقال: بحق الله الذي قواك، وأقدرك علي، وإلا ما رحمتني، ولم تتعرض لي بسوء، فتركه

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

(٣) البحر المحيط.

العقاب، وقال له: ويلك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك، أو يذبحك، فطارا متوجهين نحو سليمان، فلما انتهى إلى العسكر تلقاه النسر والطير، فقالوا له: ويلك أين غبت في يومك هذا؟ فلقد توعذك نبي الله، وأخبروه بما قال سليمان، فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله؟ فقالوا: بلى إنه قال: أو ليأتيني بلسطان مبین، فقال: نجوت إذأ، ثم طار العقاب والهدهد حتى أتيا سليمان، وكان قاعداً على كرسيه، فقال: العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله.

قرأ^(١) ابن كثير وحده بنون التوكيد المشددة بعدها نون الوقاية. وقرأ الباقون بنون مشددة فقط؛ وهي نون التوكيد. وقرأ عيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة غير موصولة بالياء. وقرأ الجمهور: ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِي﴾ بنون مشددة بعدها ياء المتكلم.

قال شيخ الإسلام^(٢): قوله تعالى: ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ توعده به سليمان الهدهد مع أنه غير مكلف بيانا لكونه خص بذلك، كما خص بعلم منطقته. اهـ.

﴿فَمَكَثَ﴾ الهدهد بعد تفقد سليمان إياه مكثاً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾؛ أي: غير طويل، أو مكث زماناً غير مديد، يشير إلى أن الغيبة، وإن كانت موجبة للعذاب الشديد؛ وهو الحرمان من سعادة الحضور ومنافعه، ولكنه من أمارات السعادة سرعة الرجوع، وتدارك الفائت.

قرأ الجمهور: ﴿فَمَكَثَ﴾: بضم الكاف. وقرأ عاصم وحده بفتحها، ومعناه على القراءتين: أقام زماناً غير طويل. قال سيبويه: مكث مكوثاً من باب قعد قعوداً. وقيل: إن الضمير في مكث لسليمان. والمعنى: بقي سليمان بعد التفقد والتوعد زماناً غير طويل، والأول أولى.

وقرأ ابن مسعود: ﴿فتمكث﴾: بزيادة تاء من باب تفعل. ﴿فَقَالَ﴾ معطوف على محذوف تقديره: فمكث الهدهد غير بعيد، فجاء فعوتب على مغيبه، فقال معذراً عن ذلك: ﴿أَحْطْتُ﴾ علماً ومعرفة ﴿بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ علماً ومعرفة؛ أي:

(٢) فتح الرحمن.

(١) الشوكاني.

علمت من الأمر ما لم تعلمه، ويجوز^(١) إدغام التاء في الطاء، فقال: ﴿أَحَطُ﴾، وإدغام الطاء في التاء، فيقال: أحت.

وقيل: هنا محذوفات تقديرها^(٢): فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرعى ذنبه وجناحيه يجرحهما تواضعاً لسليمان، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه، وقال له: أين كنت؟ لأعذبك عذاباً شديداً، فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى، فلما سمع سليمان ذلك ارتعد، وعفا عنه، ثم سأله، فقال: ما الذي أبطأك عني؟ فقال الهدهد: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾؛ أي: علمت ما لم تعلم أيها الملك، وبلغت إلى ما لم تبلغ.

وذلك^(٣) لأنه كان مما لم يشاهده سليمان، ولم يسمع خبره من الجن والإنس يشار إلى سعة كرم الله تعالى ورحمته بأن يختص طائراً بعلم ما لم يعلمه نبي مرسل، وهذا لا يقدر في حال النبي ﷺ والرسول بأن لا يعلم علماً غير نافع في النبوة.

والحاصل: أن الذي أحاط به الهدهد كان من الأمور المحسوسة التي لا تعد الإحاطة بها فضيلة، ولا الغفلة عنها نقیصة؛ لعدم توقف إدراكها إلا على مجرد إحساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم. وفي «القرطبي»: فإن قلت: كيف يخفى على سليمان مكانها، وكانت المسافة بينهما قريبة؛ وهو مسيرة ثلاث مراحل بين صنعاء ومأرب؟ فالجواب أن الله عز وجل أخفى ذلك عنه لمصلحة رآها، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب. اهـ.

وفي «الأسئلة المقحمة»: هذا سوء أدب في المخاطبة، فكيف واجهه بمثله، وقد احتمله وعفاه؟ والجواب أنه لا بأس به؛ لأنه عقبه بفائدة، والخشونة المصاحبة بفائدة قد يحتملها الأكابر، انتهى.

ثم أشار إلى أنه بصدد إقامة خدمة مهمة له، كما قال: ﴿وَجِئْتُكَ﴾ أيها

(٣) روح البيان.

(١) الشوكاني.

(٢) المراح.

الملك ﴿مِنْ﴾ مدينة ﴿سَبَا﴾ وهي مدينة من اليمن تعرف بمأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، وعلى هذا فسبأ غير منصرف للعلمية والتأنيث المعنوي. وقيل: اسم لحي باليمن، سموا باسم أبيهم الأكبر، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام. قالوا: اسمه عبد الشمس، لقب به لكونه أول من سبى، ثم سميت مدينة مأرب بسبأ، وعلى هذا فسبأ منصروف.

﴿يَبْرَأُ﴾؛ أي: بخبر خطير ﴿يَقِينُ﴾؛ أي: صادق محقق لا شك فيه، يشير إلى أن شرط المخبر أن لا يخبر عن شيء إلا أن يكون متيقناً فيه لا سيما عند الملوك.

وقرأ الجمهور^(١): ﴿مِنْ سَبَا﴾ - بكسر الهمزة منصروفاً هنا -، وفي قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ على جعله اسماً لحي، أو الموضع، أو للأب، كما في حديث فروة بن مسيك وغيره عن رسول الله ﷺ، أنه اسم رجل ولد عشرة من الأولاد، تيامن ستة منهم، وتشاءم أربعة، والستة الذين تيامنوا: حمير، وكندة، والأزد، وأشعر، وخشعم، وبجيلة، والأربعة الذي تشاءموا: لخم، وجذام، وعاملة، وغسان.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة غير منصروف فيهما. وقرأ قنبل من طريق النبال بإسكانها فيهما. وقرأت^(٢) فرقة: ﴿بِنَبَأٍ﴾: بألف عوض الهمزة، وكأنها قراءة من قرأ: ﴿لسبأ﴾ بالألف لتوازن الكلمتين، كما توازننا في قراءة من قرأهما بالهمزة المكسور والتنوين.

وقرأ الأعمش: ﴿مِنْ سَبَا﴾ بكسر الهمزة من غير تنوين، حكاها عنه ابن خالويه وابن عطية. ويبعد توجيهها، وقرأ ابن كثير في رواية: ﴿مِنْ سَبَا﴾ بتنوين الباء على وزن رحي، جعله مقصوراً منصروفاً. وذكر أبو معاوية أنه قرأ: ﴿مِنْ سَبَا﴾ بسكون الباء وهمزة مفتوحة غير منونة، بناء على فعلى، فامتنع الصرف للتأنيث اللازم. وروى ابن حبيب عن اليزيدي ﴿مِنْ سَبَا﴾ بألف ساكنة، كقولهم:

(٢) البحر المحيط.

(١) البحر المحيط.

تفرقوا أيدي سبأ.

قال الزمخشري^(١): ألهم الله سبحانه الهدد، فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة، والعلوم الجمة، والإحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه، وتنبهاً على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط بما لم يحط به سليمان لتحقاق إليه نفسه، ويصغر إليه علمه، ويكون لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء، وأعظم بها فتنة، اهـ.

ولما أبهم الهدد أولاً، ثم أبهم ثانياً دون ذلك الإبهام.. صرح بما كان أبهمه، فقال: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ﴾ ورأيت ﴿أَمْرًا تَلِكُكُمْ﴾؛ أي: تملك أهل سبأ، وهذه الجملة كاليان والتفسير للجملة التي قبلها؛ أي: ذلك النبأ اليقين هو كون هذه المرأة تملك هؤلاء.

وإيثار ﴿وَجَدْتُ﴾ على رأيت؛ لأنه أراه عليه السلام كونه عند غيبته بصدد خدمته بإبراز نفسه في معرض من يتفقد أحوال تلك المرأة، كأنها ضالة ليعرضها على سليمان، والضمير في ﴿تملكهم﴾ لسبأ على أنه اسم للحي، أو لأهل المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنه اسم لها، يعني أنها تملك الولاية والتصرف عليهم ولم يرد به ملك الرقة، والمراد بها بلقيس بنت شرحبيل بن مالك بن ريان من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها، وورث الملك من أربعين أباً، ولم يكن له ولد غيرها، فغلبت بعده على الملك، ودانت لها الأمة، وكانت هي وقومها يعبدون النار، وكان أبوها يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفواً لي، وأبى أن يتزوج منهم، فزوجوه امرأة من الجن يقال لها: قارعة، أو ريحانة بنت السكن، فولدت بلقيس، وتسمى بلقة، وبلقيس - بالكسر -، كما في «القاموس». وذلك يدل على إمكان العلوق بين الإنسي والجنى، كما قيل. وذلك لأن الجن وإن كانوا من النار، لكنهم ليسوا بباقيين على عنصرهم الناري، كالإنس ليسوا بباقيين على عنصرهم الترابي، فيمكن أن يحصل الازدواج

(١) الكشف.

بينهما على ما حقق في «آكام المرجان» قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم أنه كان كثير الصيد، فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الطباء فيخلئ عنهم، فظهر له ملك الجن، وشكره على ذلك، اتخذته صديقاً فخطب ابنته فزوجه إياها، اهـ «خازن».

﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ أي: من الأشياء التي يحتاج إليها الملوك، من الخيل وعتاد الحرب والسلاح، والسياسية، والهيبة، والمال، والنعيم ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾؛ أي: سرير ﴿عَظِيمٌ﴾؛ أي: كبير؛ أي: بالنسبة إلى حالها، أو إلى عروش أمثالها من الملوك. ووصفه^(١) بالعظم؛ لأنه كما قيل كان طولها ثمانين ذراعاً في ثمانين ذراعاً، وطوله في الهواء ثمانين ذراعاً، مقدمه من ذهب مفصص بالياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، ومؤخره من فضة مكلل بأنواع الجواهر، له أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر، وقائمة من ياقوت أخضر، وقائمة من زبرجد، وقائمة من در، وصفائح السرير من ذهب، وعليه سبعة أبيات لكل بيت باب مغلق، وكان عليه من الفرش ما يليق به.

والحاصل: أنه^(٢) بين في هذه الآية شؤونهم الدنيوية، وذكر منها ثلاثة أمور:

١. أن ملكتهم امرأة؛ وهي بلقيس بنت شراحيل، وكان أبوها من قبلهم ملكاً جليل القدر، واسع الملك.

٢. أنها أوتيت من الثراء وأبهة الملك، وما يلزم ذلك من عتاد الحرب والسلاح، وآلات القتال الشيء الكثير الذي لا يوجد مثله إلا في الممالك العظمى.

٣. أن لها سريراً عظيماً تجلس عليه، مرصعاً بالذهب وأنواع اللآلئ والجواهر، في قصر كبير رفيع الشأن، وفي هذا أكبر الأدلة على عظمة الملك وسعة رفقته، ورفعة شأنه بين الممالك.

(٢) المراغي.

(١) روح البيان.

وبعد أن بين شؤونهم الدنيوية ذكر معتقداتهم الدينية، فقال: ﴿وَجَدْتُهَا﴾؛ أي: وجدت تلك المرأة ﴿وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْطَانِ﴾ لا لرب العرش وخالق الكون المحيط بكل شيء علماً. ﴿مَنْ ذُوْنِ اللَّهِ﴾ سبحانه؛ أي: متجاوزين عبادة الله تعالى، قيل: كانوا مجوساً.

﴿وَزَيْنَ لَهُمُ﴾؛ أي: حسن لهم ﴿الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ القبيحة التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ﴾؛ أي: صدهم الشيطان بسبب ذلك التزين ومنعهم ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾؛ أي: عن طريق الحق والصواب، وهو الإيمان بالله وتوحيده ﴿فَهُمْ﴾؛ أي: تلك المرأة وقومها بسبب صد الشيطان إياهم ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى ذلك السبيل.

والمعنى: أي لقيتها وقومها في ضلال مبين، فهم يعبدون الشمس لا رب الشمس وخالق الكون، وزين لهم الشيطان أعمالهم القبيحة، فظنوا حسناً ما ليس بالحسن، وصدهم عن الطريق القويم الذي بعث به الأنبياء والرسل؛ وهو إخلاص السجود والعبادة لله وحده.

وقوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: مفعول له للصد على حذف اللام منه؛ أي: فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا لله، وهو ذم لهم على ترك السجود، فلذا وجب السجود عند تمام هذه الآيات.

قرأ الجمهور: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ بالتشديد^(١)، خرجت على أن قوله: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ في موضع نصب على أن يكون بدلاً من قوله: ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾؛ أي: فزين لهم الشيطان ألا يسجدوا، وما بين المبدل منه والبدل معترض، أو في موضع جر على أن يكون بدلاً من ﴿السَّبِيلِ﴾؛ أي: فصدهم عن أن لا يسجدوا، وعلى هذا التخريج تكون ﴿لَا﴾ زائدة؛ أي: فصدهم عن أن يسجدوا لله، فيكون قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ معترضاً بين المبدل منه والبدل، ويحتمل أن يكون على تقدير اللام على أنه مفعول به لـ ﴿زين﴾، أو ﴿صدهم﴾؛ أي: زين لهم أعمالهم لئلا

(١) البحر المحيط.

يسجدوا لله، أو صدّهم عن السبيل لثلاث سجدة لله. وقيل: العامل في قوله: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ ﴿يَهْتَدُونَ﴾؛ أي: فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله، وتكون ﴿لَا﴾ على هذا زائدة، كقوله: ﴿مَا مَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾.

وعلى قراءة الجمهور - أعني التشديد - ليست هذه الآية موضع سجدة؛ لأن ذلك إخبار عنهم بترك السجود؛ إما بالتزيين، أو بالصد، أو بمنع الاهتداء، وقد رجح كونه علة للصد الزجاج. ورجح الفراء كونه علة لـ ﴿زِين﴾. قال: زين لهم أعمالهم لثلاث يسجدوا، ثم حذفت اللام.

وقرأ ابن عباس^(١) وأبو عبد الرحمن السلمي والحسن والزهري وقتادة وأبو العالية وحميد الأعرج والأعمش وابن أبي عبة والكسائي ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ بتخفيف ﴿أَلَا﴾ على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا فتكون ﴿أَلَا﴾ على هذه القراءة حرف تنبيه واستفتاح، وما بعدها حرف نداء، والمنادى محذوف، واكتفى منه بـ ﴿يَا﴾، و﴿اسجدوا﴾ فعل أمر، ويكون الوقف على قوله: ﴿أَلَا يَا﴾ والابتداء بـ ﴿اسجدوا﴾. وكان^(٢) حق الخط على هذه القراءة أن يكون هكذا ﴿أَلَا يَا اسجدوا﴾، ولكن الصحابة رضي الله عنهم أسقطوا الألف من يا، وهمزة الوصل من ﴿اسجدوا﴾ خطأ، ووصلوا الياء بسين ﴿اسجدوا﴾ فصارت صورة الخط هكذا: ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ والمنادى محذوف، تقديره: ألا يا هؤلاء اسجدوا. وقد حذفت^(٣) العرب المنادى كثيراً من كلامها. ومنه قول الشاعر:

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا دَارَمِي عَلَى الْبِلَى وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَرَعَائِكَ الْقَطَرُ
وقول الآخر:

يَا أَسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَذْرِ وَإِنْ كَانَ جَبَانًا عِدَا آخِرِ الدَّهْرِ
وقول الآخر:

(١) البحر المحيط.

(٢) الشوكاني.

فَقَالَتْ أَلَا يَا أَسْمَعَ أَعْظَمَكَ بِخُطْبَةٍ فَقُلْتُ سَمِعْنَا فَأَنْطُقِي وَأَصِيبِي .
 . وَسَمِعَ بَعْضُ الْعَرَبِ يَقُولُ: أَلَا يَا أَرْحَمُونَا أَلَا تَصَدَّقُوا عَلَيْنَا. وَقَالَ (١) أَبُو
 عُبَيْدَةَ: هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ مُسْتَأْنَفٌ، يَعْنِي: أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْجُدُوا، وَعَلَى هَذِهِ
 الْقِرَاءَةِ أَعْنِي قِرَاءَةَ التَّخْفِيفِ تَكُونُ الْآيَةُ آيَةً سَجْدَةً. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَلِقِرَاءَةِ التَّخْفِيفِ
 وَجْهٌ حَسَنٌ، إِلَّا أَنَّ فِيهَا انْقِطَاعَ الْخَبَرِ عَنْ أَمْرٍ سَبَّأً، ثُمَّ الرَّجُوعَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى
 ذِكْرِهِمْ. قَالَ النُّجَاسُ: وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ تَكُونُ جُمْلَةٌ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ مُعْتَرِضَةٌ (٢)
 مِنْ كَلَامِ الْهَدَّهِدِ، أَوْ مِنْ كَلَامِ سَلِيمَانَ، أَوْ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ. وَالْقِرَاءَةُ
 بِالتَّشْدِيدِ خَبَرٌ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ بَعْضًا، لَا انْقِطَاعَ فِي وَسْطِهِ. وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 مَسْعُودٍ: ﴿هَلَا تَسْجُدُوا﴾ بِالْفَوْقِيَّةِ وَبِالْهَاءِ. وَفِي قِرَاءَةِ أَبِي ﴿أَلَا تَسْجُدُوا﴾:
 بِالْفَوْقِيَّةِ أَيْضًا. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ: ﴿هَلَا تَسْجُدُونَ﴾. وَعَنْ أَبِي ﴿أَلَا تَسْجُدُونَ﴾.

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: فَإِنْ قُلْتُ (٣): مَنْ أَيْنَ لِلْهَدَّهِدِ الْهَدْيَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ
 وَوُجُوبِ الْمَسْجُودِ لَهُ، وَإِنْكَارِ السُّجُودِ لِلشَّمْسِ، وَإِضَافَتِهِ إِلَى الشَّيْطَانِ وَتَرْيِينِهِ؟

قُلْتُ: لَا يَبْعُدُ أَنْ يُلْهِمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ، كَمَا أُلْهِمَ غَيْرَهُ مِنَ الطَّيُورِ، وَسَائِرِ
 الْحَيَوَانَاتِ وَالْمَعَارِفِ اللَّطِيفَةِ الَّتِي لَا تَكَادُ الْعُقَلَاءُ يَهْتَدُونَ لَهَا. وَمَنْ أَرَادَ اسْتِقْرَاءَ
 ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بَكْتَابُ «الْحَيَوَانَ» خُصُوصًا فِي زَمَانِ نَبِيِّ سَخَرَتْ لَهُ الطَّيُورُ، وَعَلِمَ
 مَنَظِقَهَا، وَجَعَلَ ذَلِكَ مَعْجَزَةً لَهُ، انْتَهَى.

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ أَيْضًا: فَإِنْ قُلْتُ أَسْجُدُ التَّلَاوَةَ وَاجِبَةً فِي قِرَاءَتِي التَّشْدِيدِ
 وَالتَّخْفِيفِ جَمِيعًا، أَوْ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا؟

قُلْتُ: هِيَ وَاجِبَةٌ فِيهِمَا، وَإِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ أَمْرٌ بِالسُّجُودِ، وَالْأُخْرَى ذِمٌّ
 لِلتَّارِكِ. وَمَا ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ مِنْ وَجُوبِ السَّجْدَةِ مَعَ التَّخْفِيفِ دُونَ التَّشْدِيدِ فَغَيْرُ
 مَرْجُوعٍ إِلَيْهِ. انْتَهَى.

(٣) الكشاف.

(١) زاد المسير.

(٢) الشوكاني.

وقوله: ﴿الَّذِي﴾: صفة للجلالة، أو بدل منه، أو عطف بيان له؛ أي: للإله الذي ﴿يُخْرِجُ﴾؛ أي: يظهر ﴿الْخَبَاءَ﴾؛ أي: الشيء المدخر المستور ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي^(١): يظهر للناس ما كان مخبئاً ومخفياً ومستوراً فيهما كائناً ما كان، كالثلج والمطر في السموات والنبات، والماء في الأرض. وقيل: خبء الأرض كنوزها ونباتها، والمعنى: يعلم الغيب في السموات والأرض. وقال ابن جرير: ﴿فِي﴾ بمعنى من، فتقديره: يخرج الخبء من السموات والأرض.

وقرأ أبي وعيسى بن عمر^(٢): ﴿الخب﴾: بنقل حركة الهمزة إلى الباء، وحذف الهمزة تخفيفاً. وقرأ عبد الله بن مسعود وعكرمة ومالك بن دينار: ﴿الخباء﴾ بالألف بدل الهمزة، فلزم فتح ما قبلها. قال أبو حاتم: وهذا لا يجوز في العربية، ورد عليه بأن سيبويه حكى عن العرب أن الألف تبدل من الهمزة إذا كان قبلها ساكن.

وقرأ الجمهور: ﴿الْخَبَاءَ﴾ بسكون الباء والهمزة. وفي قراءة عبد الله: ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال الفراء: ومن وفي يتعاقبان. ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾ في القلوب ﴿وَمَا تَقْلُونَ﴾ بالأسنة والجوراح. وذكر ﴿ما تلعنون﴾؛ لتوسيع دائرة العلم؛ للتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى العلم الإلهي.

وقرأ الجمهور^(٣): بالتحية في الفعلين. وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر وحفص عن عاصم والكسائي بالتاء فيهما للخطاب. أما القراءة الأولى فلكون الضمائر المتقدمة ضمائر غيبة، وأما القراءة الثانية فلكون قراءة الزهري والكسائي فيهما الأمر بالسجود، والخطاب لهم بذلك فهذا عندهم من تمام ذلك الخطاب.

والمعنى: أن الله سبحانه يخرج ما في هذا العالم الإنساني من الخفاء بعلمه له، كما يخرج ما خفي في السموات والأرض.

ثم بعد ما وصف الرب سبحانه بما تقدم مما يدل على عظيم قدرته، وجليل

(٣) الشوكاني.

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

سلطانه، ووجوب توحيده، وتخصيصه بالعبادة.. قال: ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: الجملة خبره ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: خبر بعد خبر.

قرأ الجمهور^(١): ﴿الْعَظِيمِ﴾ بالجبر نعتاً لـ ﴿الْعَرْشِ﴾. وقرأ ابن محيصن والضحاك بالرفع نعتاً لـ الرب، وخص العرش بالذكر؛ لأنه أعظم المخلوقات، كما ثبت ذلك في الحديث المرفوع إلى رسول الله ﷺ، ووصفه بالعظيم؛ لأنه أعظم ما خلق الله سبحانه من الأجرام، وما سواه في ضمنه.

وقال الزمخشري: فإن قلت: كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف العظيم؟

قلت: بين الوصفين فرق؛ لأن وصف عرشها تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك، ووصف عرش الله سبحانه بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق الله من السموات والأرض، فبين العظمين تفاوت عظيم.

وقال ابن زيد: من قوله: ﴿أَحَطْتُ﴾ إلى قوله: ﴿الْعَظِيمِ﴾ كلام الهدهد. انتهى. وقوله: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ محل سجود بالاتفاق، كما في «فتح الرحمن»، يستحب للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءتها.

وحاصل معنى الآيتين: أي^(٢) فصدھم عن السبيل حتى لا يهتدوا ويسجدوا لله الذي يظهر المخبوء في السموات والأرض، كالمطر والنبات، والمعادن المخبوءة في الأرض، ويعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأقوال والأفعال، كما قال: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأَلْتِيلٍ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (١٥) ولما بين أن كل العوالم مفتقرة إليه، ومحتاجة إلى تدبيره.. ذكر ما هو كالدليل على ذلك، فأبان أن أعظمها قدراً؛ وهو العرش الذي هو مركز تدبير شؤون العالم هو الخالق به، وهو محتاج إليه، فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٢١)؛ أي: هو الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو رب

(١) الشوكاني.

(٢) المراغي.

العرش العظيم، فكل عرش وإن عظم فهو دونه فأفردوه بالطاعة، ولا تشركوا به شيئاً.

ولما ذكر الهدهد^(١) قصة بلقيس.. لم يتغير سليمان عليه السلام لذلك، ولم يستفزه الطمع لما سمع من ملكها، كعادة الملوك في الطمع في ملك غيرهم، فلما ذكر الهدهد عبادة بلقيس وقومها غير الله سبحانه اغتاظ سليمان، وأخذته حمية الدين، وجعل يبحث عن تحقق ذلك. و﴿قَالَ﴾؛ أي: سليمان للهدهد، استئناف بياني، كأنه قيل: فما فعل سليمان بعد فراغ الهدهد من كلامه، فقيل: قال: ﴿سَنَظُرُ﴾ فيما أخبرتنا، وستعرف في مقالاتك بالتجربة من النظر بمعنى التأمل، والسين للتأكيد. ﴿أَصَدَقْتَ﴾ فيما قلت ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه، هذه الجملة استفهامية في محل نصب على أنه مفعول ﴿سَنَظُرُ﴾، و﴿أَمْ﴾ هي المتصلة، وقوله: ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أبلغ من قوله: أم كذبت؛ لأن المعنى من الذين اتصفوا بالكذب وصار خلقاً لهم؛ أي: قال له: سنختبر مقالك ونتعرف حقيقته بالامتحان، أصادق أنت فيما تقول أم كاذب فيه؛ لتخلص من الوعيد.

وفي هذا^(٢): دلالة على أن خبر الواحد، وهو الحديث الذي يرويه الواحد والاثنان فصاعداً ما لم يبلغ حد الشهرة والتواتر لا يوجب العلم، فيجب التوقف فيه على حد التجويز، وفيه دليل على أن لا يطرح، بل يجب أن يتعرف هل هو صدق أو كذب، فإن ظهرت أمارات صدقه قبل، وإلا لم يقبل.

فكتب سليمان - أي: في المجلس أو بعده - كتاباً إلى بلقيس، فقال فيه: من عبد الله سليمان بن داود إلى ملكة سبأ بلقيس: بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا علي واثنوني مسلمين، ثم طبعه بالمسك، وختمه بخاتمه المنقوش على فسه اسم الله الأعظم، ودفعه إلى الهدهد فأخذه بمنقاره، أو علقه بخيط، وجعل الخيط في عنقه، وقال: ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَكَذَا﴾؛ أي: اذهب بهذا الكتاب، فالباء للتعدية، وتخصيصه بالرسالة دون سائر

(٢) روح البيان.

(١) المراح.

ما تحت ملكه من أبناء الجن الأقوياء على التصرف والتعرف؛ لما عاين فيه من علامات العلم والحكمة وصحة الفراسة، ولثلا يبقى لها عذر.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أنه لما صدق فيما أخبر، وبذل النصيح لملكه، وراعى جانب الحق.. عوض عليه حتى أهل لرسالة رسول الحق على ضعف صورته ومعناه.

﴿فَأَلَقَهُ إِلَهُمَّ﴾؛ أي: اطرحه على بلقيس وقومها؛ لأنه ذكرهم معها في قوله: ﴿وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا﴾. وفي «الإرشاد»: وجمع الضمير؛ لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل إلى الإسلام. قال الزجاج^(١): في ﴿أَلَقَهُ﴾ خمسة أوجه: إثبات الياء في اللفظ وحذفها، وإثبات الكسرة للدلالة عليها، وبضم الهاء، وإثبات ﴿الواو﴾، وبحذف ﴿الواو﴾ وإثبات الضمة للدلالة عليها، وبإسكان الهاء. وقرأ بهذه اللغة الخامسة أبو عمرو وحمزة وأبو بكر. وقرأ قالون بكسر الهاء فقط من غير ياء، وروي عن هشام وجهان: إثبات الياء لفظاً، وحذفه مع كسر الهاء، وقرأ الباقرن إثبات الياء في اللفظ. وفي «الروح» قوله: ﴿فَأَلَقَهُ﴾ بسكون الهاء تخفيفاً لغة صحيحة، أو على نية الوقف يعني: أن أصله ﴿أَلَقَهُ﴾ بكسر القاف والهاء على أنه ضمير مفعول راجع إلى الكتاب، فسكن لما ذكر. اهـ.

﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾؛ أي: أعرض عنهم بترك وليهم وقربهم، وأبتعد إلى مكان تتوارى فيه، وتسمع ما يجيبونه. أمره بالتولي؛ لكون التنحي بعد دفع الكتاب من أحسن الآداب التي يتأدب بها رسل الملوك، والمراد التنحي إلى مكان يسمع فيه حديثهم حتى يخبر سليمان بما سمع. ﴿فَانْظُرْ﴾؛ أي: أي تأمل وتعرف ﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾؛ أي: ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول.

قال ابن الشيخ: ﴿مَاذَا﴾ اسم واحد استفهام منصوب بـ﴿يَرْجِعُونَ﴾، أو مبتدأ، و﴿ذَا﴾ بمعنى الذي، و﴿يَرْجِعُونَ﴾ صلتها، والعائد محذوف؛ أي: أي شيء الذي يرجعونه؟

(١) الشوكاني.

وقيل: في^(١) الآية تقديم وتأخير، تقديرها: فألقه إليهم، فانظر ماذا يرجعون، ثم تول عنهم؛ أي: انصرف إلي. فأخذ الهدهد الكتاب، وأتى به إلى بلقيس، وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاثة مراحل من صنعاء، فوجدها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الأبواب، ووضعت المفاتيح تحت رأسها، فألقى الكتاب على نحرها، وتوارى في الكوة، فانتبهت فزعة، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت؛ لأن ملك سليمان كان في خاتمه، فعند ذلك ﴿قَالَتْ﴾ بلقيس لأشراف قومها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة أن أهل مشورتها كانوا ثلاث مئة واثني عشر رجلاً. ﴿يَتَأْتِيَ الْمَلَأُ﴾ وهم عظماء قومها، يجمع على أملاء كنبأ وأنباء ﴿إِنِّي أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ كِتَابَ كَرِيمٍ﴾؛ أي: مختوم، وفي الكلام حذف، والتقدير: فذهب الهدهد، فألقاه إليهم، فسمعها تقول: يا أيها الملأ إني ألقى إلي كتاب كريم؛ أي^(٢): مكرم علي معظم لدي؛ لكونه مختوماً بخاتم عجيب وأصلاً على نهج غير معتاد، كما قال في «الأسئلة المقحمة»: معجزة سليمان كانت في خاتمه، فختم الكتاب بالخاتم الذي فيه ملكه، فأوقع الرعب في قلبها حتى شهدت بكرم كتابه إظهاراً لمعجزته، انتهى.

ويدل على أن الكريم هنا بمعنى المختوم. قوله ﷺ: «كرم الكتاب ختمه». وقيل: معنى ﴿كَرِيمٌ﴾: مرضي في لفظه ومعانيه، أو ﴿كَرِيمٌ﴾: شريف؛ لأنه صدر بالبسملة.

وقوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ استئناف بياني، كأنه قيل: ممن هو، وماذا مضمونه فقالت: إنه من سليمان؛ أي: إن هذا الكتاب مرسل من سليمان. ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ أي^(٣): وإن ما اشتمل عليه من الكلام، وتضمنه من القول مفتتح بالتسمية، وبعد التسمية ﴿أَلَّا تَقْلُوا عَلَيَّ﴾؛ أي: لا تتكبروا علي كما

(١) الخازن بتصرف.

(٣) الشوكاني.

(٢) روح البيان.

(٤) روح البيان.

يفعله جابرة الملوك.

و﴿أَنْ﴾ هي المفسرة، أو مصدرية، و﴿لَا﴾ ناهية، وقيل: نافية، ومحل الجملة الرفع على أنها بدل من ﴿كُنْتُ﴾، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو أن لا تعلوا، وهذه^(١) البسمة ليست بآية تامة مثل ﴿بِسْمِ اللَّهِ تَجْرِبُهَا وَتَرْسَهَا﴾ بخلاف ما وقع في أوائل السور، فإنها آية منفردة نزلت مئة وأربع عشرة مرة، عدد السور، كذا قاله بعضهم.

قرأ الجمهور^(٢): ﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُمْ﴾ بكسرهما على الاستئناف، وقرأ عكرمة وابن أبي عبة بفتحهما على إسقاط حرف الجر؛ أي: لأنه. وقرأ أبي: ﴿أَنْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَأَنْ بِسْمِ اللَّهِ﴾ بحذف الضميرين وإسكان النونين على أنهما مفسرتان، أو مخففتان من الثقيلة. وقرأ عبد الله بن مسعود: ﴿وَإِنَّ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ بزيادة ﴿الواو﴾ عطفاً على ﴿إِنِّي أَلْفِي﴾. وروى ذلك أيضاً عن أبي. وقرأ أشهب العقيلي وابن السميع: ﴿أَنْ لَا تَغْلُوا﴾ بالغين المعجمة من الغلو؛ وهو تجاوز الحد في الكبر.

فإن قلت: لم قدم سليمان اسمه على اسم الله سبحانه في قوله: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؟

قلت: قدم سليمان اسمه على اسم الله تعالى مع أن المناسب عكسه؛ لأنه عرف أن بلقيس تعرف اسمه دون اسم الله تعالى، فخاف أن تستخف باسم الله تعالى أول ما يقع نظرها عليه، أو كان اسمه على عنوان الكتاب واسم الله تعالى في باطنه.

﴿وَأَتُونِي﴾ حال كونكم ﴿مُسْلِمِينَ﴾؛ أي: متقادين للدين مؤمنين بما جئت به، فإن الإيمان لا يستلزم الإسلام والانقياد، دون العكس. وهذا^(٤) الكلام كان في غاية الإيجاز مع كمال الدلالة على المقصود؛ لاشتماله على البسمة الدالة على

(٣) البيضاوي.

(١) الشوكاني.

(٤) البحر المحيط.

(٢) فتح الرحمن.

ذات الصانع وصفاته صريحاً، أو التزاماً، والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل، والأمر بالإسلام الجامع لأمهات الفضائل، وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته، حتى يكون استدعاء للتقليد، فإن إلقاء الكاتب إليها على تلك الحالة من أعظم الأدلة.

وروي^(١): أنه لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام، والظاهر أن الكاتب هو ما نص الله عليه فقط، واحتمل أن يكون مكتوباً بالعربي؛ إذ الملوك يكون عندهم من يترجم بعدة ألسن، فكتب بالخط العربي، واللفظ العربي؛ لأنها كانت عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري، واحتمل أن يكون باللسان الذي كان سليمان يتكلم به، وكان عندها من يترجم لها؛ إذ كانت هي عارفة بذلك اللسان.

ونص هذا الكتاب مع وَجَارَتْه يدل على أمور:

١. إنه مشتمل على إثبات الإله ووحدانيته وقدرته، وكونه رحماناً رحيماً.
٢. نهيمهم عن اتباع أهوائهم، ووجوب اتباعهم للحق.
٣. أمرهم بالمجيء إليه منقادين خاضعين. وبهذا يكون الكتاب قد جمع كل ما لا بد منه في الدين والدنيا.

الإعراب

﴿طَسَّ تَلَكَّ ءَايَتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ① هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ② الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ③﴾

﴿طَسَّ﴾ قد تقدم إعراب هذه الكلمة، وتقدم لنا أن القول الأسلم في معنى هذه الكلمة تفويض علمها إلى الله سبحانه، وعلى هذا القول ليس لهذه الكلمة محل من الإعراب؛ لأن الإعراب فرع عن إدراك المعنى ﴿تَلَكَّ﴾: مبتدأ. ﴿ءَايَتُ

(١) روح البيان.

الْقُرْآنَ: خبر ومضاف إليه، والجملة مستأنفة. ﴿وَكِتَابٍ﴾: معطوف على ﴿الْقُرْآنَ﴾. ﴿مُتَيْنٍ﴾: صفة لـ ﴿كِتَابٍ﴾. ﴿هُدًى وَبُشْرَى﴾: حالان من ﴿ءَايَاتٍ﴾، والعامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة؛ أي: هادية ومبشرة، ويجوز فيهما الرفع على أنهما خبران لمبتدأ محذوف؛ أي: هي هدى وبشرى، ومعنى هذاها للمؤمنين، وهم مهديون، زيادتها في هداهم. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: تنازع فيه كل من ﴿هُدًى وَبُشْرَى﴾. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول للجمع المذكور في محل الجر صفة لـ ﴿المؤمنين﴾، ويجوز قطعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هم الذين. ﴿يُحْسِنُونَ الصَّلَاةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به صلة الموصول. ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: فعل وفاعل ومفعول معطوف على ﴿يُحْسِنُونَ﴾. ﴿وَهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية، أو عاطفة. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، ﴿بِالْآخِرَةِ﴾: متعلق بـ ﴿يُؤْتُونَ﴾. ﴿هُمْ﴾: تأكيد لفظي للمبتدأ، ولما فصل بين المبتدأ والخبر بالمتعلق الذي هو ﴿بِالْآخِرَةِ﴾. أعيد المبتدأ ثانياً؛ ليتصل بخبره في الصورة، وجملة ﴿يُؤْتُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب حال من فاعل ﴿يُؤْتُونَ﴾، أو معطوفة على جملة الصلة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾ وَلَئِكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿بِالْآخِرَةِ﴾: متعلق بـ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿زَيَّنَّا﴾: فعل وفاعل، ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة مستأنفة، ﴿فَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل الرفع معطوفة على جملة ﴿زَيَّنَّا﴾. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة مستأنفة. ﴿لَهُمْ﴾: خبر مقدم. ﴿سُوءُ الْعَذَابِ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الموصول. ﴿وَهُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾: متعلق بـ ﴿الْآخَسُونَ﴾. ﴿هُمْ﴾: تأكيد للمبتدأ. ﴿الْآخَسُونَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة معطوفة على جملة الصلة. ﴿وَلَئِكَ﴾ ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿لَنَلْقَى﴾: ناصب واسمه. ﴿لَنَلْقَى﴾:

﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿تلقى﴾: فعل مضارع مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على محمد. ﴿الْقُرْآنَ﴾: مفعول ثانٍ لـ ﴿تلقى﴾. ﴿مِنَ لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ ﴿تلقى﴾. ﴿عَلِيمٍ﴾: صفة ﴿حَكِيمٍ﴾، وجملة ﴿تلقى﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ مستأنفة.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيَكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَإَتِيَكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (٧).

﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف تقديره: اذكر يا محمد لقومك قصة إذ قال موسى، والجملة المحذوفة مستأنفة. ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾: فعل وفاعل. ﴿لِأَهْلِيهِ﴾: متعلق بـ ﴿قَالَ﴾، والجملة الفعلية في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿آنَسْتُ نَارًا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿سَآتِيَكُم﴾: ﴿السين﴾: حرف تنفيس واستقبال، ﴿آتِيَكُم﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿مِّنْهَا﴾: جار ومجرور حال من خبر؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿بِخَبَرٍ﴾: متعلق بـ ﴿آتِيَكُم﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مستأنفة، ﴿أَوْ﴾: حرف عطف وتنويع، وهي مانعة خلو. ﴿بَإَتِيَكُم﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿آتِيَكُم﴾ الأول. ﴿بِشِهَابٍ﴾: متعلق بـ ﴿بَإَتِيَكُم﴾. ﴿قَبَسٍ﴾: بدل من ﴿شِهَابٍ﴾، أو نعت له على تأويله بمشتق؛ أي: شهاب مقتبس؛ أي: مأخوذ من نار. ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة ﴿تَصْطَلُونَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿لعل﴾، وجملة ﴿لعل﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة لما قبلها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨).

﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف معلوم من السياق تقديره: فذهب موسى من عند أهله، فلما جاءها نودي. ﴿لَمَّا﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان. ﴿جَاءَهَا﴾: فعل ومفعول به، وفاعل ضمير مستتر

يعود على ﴿مُؤَيَّنٌ﴾، والجملة فعل شرط ومحلها الجر بالإضافة لـ ﴿لَمَّا﴾. ﴿تُؤَيَّنُ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿مُؤَيَّنٌ﴾، والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾، وجملة ﴿لَمَّا﴾ معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿أَنَّ﴾: مفسرة بمعنى أي؛ لأن في النداء معنى القول دون حروفه، والمعنى: قيل له بورك، ويجوز أن تكون مصدرية، ودخلت هنا على الماضي، أو مخففة من الثقلية، و﴿أَنَّ﴾ ما بعدها ﴿بُورِكَ﴾ في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض؛ أي: بأن بورك. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل الرفع نائب فاعل لـ ﴿بُورِكَ﴾. ﴿فِي النَّارِ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة؛ أي: استقر في مكان النار، وجملة ﴿بُورِكَ﴾ جملة مفسرة لا محل لها من الإعراب، و﴿مَنْ﴾ الثانية: معطوفة على ﴿مَنْ﴾ الأولى. ﴿حَوْلَهَا﴾: ظرف صلة ﴿مَنْ﴾ الثانية. ﴿وَسَبَّحَنَ اللَّهُ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿سَبَّحَانَ﴾: منصوب على المفعولية المطلقة بفعل محذوف وجوباً. ﴿اللَّهُ﴾: مضاف إليه. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: بدل منه، أو نعت له، والجملة المحذوفة مستأنفة، وهي من جملة لما نودي.

﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٩ ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾ ١٠ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ١١.

﴿يَمُوسَىٰ﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء مستأنفة. ﴿إِنَّهُ﴾: ناصب واسمه والهاء: إما ضمير الشأن، أو عائدة إلى ما دل عليه ما قبلها، يعني إن مكلمك. ﴿أَنَا﴾: مبتدأ. ﴿اللَّهُ﴾: خبره، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾. ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾: صفتان للجلالة. ﴿وَأَلْقِ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿أَلْقِ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿عَصَاكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه، والجملة معطوفة على ﴿بُورِكَ﴾؛ لأن المعنى: نودي أن بورك من النار وأن ألق عصاك، وهذا مما يرجح كون ﴿أَنَّ﴾ مفسرة. ﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فآلقاها فاستحالت حية فلما رآها. ﴿لَمَّا﴾: اسم شرط غير جازم. في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان ﴿رَآهَا﴾: فعل وفاعل مستتر

ومفعول به، و﴿رَأَى﴾ هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد. ﴿تَهْتَزُّ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على العصا، والجملة في محل نصب حال من مفعول رآها. ﴿كَانَتْهَا﴾: ناصب واسمه. ﴿جَانَّ﴾: خبره، وجملة كأن في محل نصب حال ثانية من ضمير ﴿رَءَاهَا﴾، أو هي حال من ضمير ﴿تَهْتَزُّ﴾ فتكون حالا متداخلة. ﴿وَلَّى﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَى﴾. ﴿مُذِيرًا﴾: حال من فاعل ولي، والجملة الفعلية جواب ﴿لَمَّا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَمَّا﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة. ﴿وَلَّى﴾: ﴿الْوَاوُ﴾: عاطفة. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿يُعَقَّبُ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَمْ﴾، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَى﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿وَلَّى﴾. ﴿يَتَمُوسَى﴾: منادى مفرد العلم، وجملة النداء في محل نصب مقول لقول محذوف تقديره: قال الله سبحانه يا موسى. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَخَفَّ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية، وفاعله ضمير يعود على ﴿مُوسَى﴾، والجملة في محل نصب مقول للقول المحذوف على كونها جواب النداء. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَخَافُ﴾: فعل مضارع. ﴿لَدَيْ﴾ ظرف ومضاف إليه متعلق بـ﴿يَخَافُ﴾. ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾: فاعل، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب مقول للقول المحذوف على كونها معللة لما قبلها ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء بمعنى لكن؛ لأن الاستثناء منقطع. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول في محل نصب على الاستثناء. ﴿ظَلَمَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾، والجملة صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿تُرَّى﴾: حرف عطف. ﴿بَدَلْ﴾: فعل ماضٍ وفاعل مستتر. ﴿حُسْنًا﴾: مفعول به. ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾: ظرف ومضاف إليه صفة لـ﴿حُسْنًا﴾، والجملة الفعلية معطوفة على جملة ﴿ظَلَمَ﴾. ﴿فَإِنِّي﴾: الفاء: تعليلية، ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: خبر أول لها. ﴿رَّحِيمٌ﴾: خبر ثان لها، والجملة في محل نصب مقول القول المحذوف على كونها معلل للاستثناء.

﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ يَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَبِعَ آيَاتِ إِيَّاكَ فَرِحَ وَفَرِحُوا بِآيَاتِهِمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَفِئْتَهُمْ أَنْفُسَهُمْ ظَلَمُوا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٩﴾.

﴿وَأَدْخَلَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿أَدْخَلَ﴾ فعل أمر وفاعل مستتر يعود على ﴿مُوسَى﴾. ﴿يَدَّكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿فِي جَيْبِكَ﴾: متعلق ب﴿أَدْخَلَ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَلْقَى﴾، ﴿فَخَرَّجَ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله ضمير يعود على ﴿يَدَّكَ﴾. ﴿يَبِضَّةً﴾: حال من فاعل ﴿فَخَرَّجَ﴾. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة ﴿يَبِضَّةً﴾، أو حال أخرى من فاعل ﴿فَخَرَّجَ﴾. ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال أخرى من فاعل ﴿فَخَرَّجَ﴾؛ أي: حالة كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿أَدْخَلَ﴾؛ أي: أدخل يدك في جيبك حال كونك مرسلًا بها إلى فرعون. ﴿وَقَوْمَهُ﴾: معطوف على ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿إِنَّهُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانُوا قَوْمًا﴾: فعل ناقص واسمه وخبره. ﴿فَلَيَقِينَ﴾: صفة ﴿قَوْمًا﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل الأمر بالذهاب. ﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت أنا بعثناه إلى فرعون وقومه في تسع آيات، وأردت بيان حالهم حين جاءهم موسى.. فأقول لك. ﴿لَمَّا جَاءَتْهُمْ﴾: ﴿لما﴾: اسم شرط. ﴿جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾: فعل ومفعول به وفاعل. ﴿مُبْصِرَةً﴾: حال من ﴿آيَاتُنَا﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل جواب ﴿لما﴾، وجملة ﴿لما﴾ في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة مستأنفة. ﴿هَذَا سِحْرٌ﴾: مبتدأ وخبر. ﴿ثُبُثَ﴾: صفة ﴿سِحْرٌ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿وَحَمَدُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿قَالُوا﴾. ﴿بِهَا﴾: متعلق ب﴿جحدوا﴾. ﴿وَأَسْتَيْقِنَنَّهَا﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿أَسْتَيْقِنَنَّهَا﴾: فعل ومفعول به. ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾: فاعل، والجملة في محل النصب حال من فاعل ﴿جحدوا﴾ ولكنها على تقدير قد. ﴿ظَلَمْنَا﴾: مفعول لأجله ل﴿جحدوا﴾، أو حال من فاعل ﴿جحدوا﴾؛ أي: ظالمين ومستكبرين. ﴿وَعُلُوًّا﴾: معطوف على ﴿ظَلَمْنَا﴾. ﴿فَانْظُرْ﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت جحدهم بآيات الله سبحانه، وأردت بيان ما هو اللائق بك.. فأقول لك انظر وفكر واعجب. ﴿انظر﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود على

محمد، والجملة في محل نصب مقول لجواب إذا المقدرة. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام التعجبي في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم عليه وجوباً ﴿كَانَ عَقِبَهُ الْمُفْسِدِينَ﴾: فعل واسمه ومضاف إليه، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل نصب مفعول به لـ ﴿انظر﴾ معلقة عنها باسم الاستفهام. وعبرة «السمين»: والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض؛ لأنها معلقة لـ ﴿انظر﴾ بمعنى: تفكر.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْחَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَطِيقَ الطَّيْرِ وَأُوتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْعَمِيمُ (١٦) وَخَيْرَ لِّسَانٍ جُودُهُ مِنَ الْبَحْرِ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧).

﴿وَلَقَدْ﴾: ﴿الواو﴾: استنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق. ﴿ءَاتَيْنَا دَاوُدَ﴾: فعل وفاعل ومفعول أول. ﴿وَسُلَيْمَانَ﴾: معطوف على ﴿دَاوُدَ﴾. ﴿عِلْمًا﴾: مفعول ثانٍ لـ ﴿ءَاتَيْنَا﴾، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب. ﴿وَقَالَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فعملاً بما أعطياه بالقلب بالعزم وعملاً به بالجوارح بالمباشرة، وعملاً به باللسان، وقال الحمد لله، والجملة المحذوفة معطوفة على ﴿ءَاتَيْنَا﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل وفاعل معطوف على الجملة المحذوفة. ﴿الْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿الَّذِي﴾: صفة للجلالة. ﴿فَضَّلْنَا﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة صلة الموصول. ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾: متعلق بـ ﴿فَضَّلْنَا﴾. ﴿مِّنْ عِبَادِهِ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه صفة لـ ﴿كَثِيرٍ﴾. ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: صفة لـ ﴿عِبَادِهِ﴾. ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة مستأنفة. ﴿وَقَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَانُ﴾ معطوف على ﴿وَرِثَ﴾. ﴿يَتَاءَتِيهَا﴾: حرف نداء. ﴿أَيَّ﴾: منادى نكرة مقصودة، و﴿ها﴾: حرف تنبيه زائد تعويضاً عما فات؛ أي: من الإضافة. ﴿النَّاسِ﴾: بدل من ﴿أَيَّ﴾، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿عِلْمَنَا﴾: فعل ونائب فاعل. ﴿مَطِيقَ الطَّيْرِ﴾: مفعول ثانٍ لـ ﴿عِلْمَنَا﴾، والجملة في

محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَأَوْتَيْنَا﴾: فعل ونائب فاعل معطوف على ﴿عَلَّمْنَا﴾. ﴿مِنْ﴾: زائدة، أو تبعيضية. ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾: مفعول ثان لـ ﴿وَأَوْتَيْنَا﴾. ﴿إِنَّ هَذَا﴾: ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: حرف ابتداء، ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل. ﴿الْفَضْلُ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿الْمُيِّنُ﴾: صفة ﴿الْفَضْلُ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة على كونها مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَحُشِرَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿لِسَائِنَ﴾: متعلق به. ﴿جُنُودُ﴾: نائب فاعل لـ ﴿حُشِرَ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿مِنَ الْجِنَّ﴾: حال من ﴿جُنُودُ﴾. ﴿وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾: معطوفان على ﴿الْجِنَّ﴾. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت حشر جنوده، وأردت بيان حالهم عند الحشر. فأقول لك هم. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿يُوزَعُونَ﴾: فعل ونائب فاعل، والجملة خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سَائِنُكُمْ وَجُنُودُهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَلَيَسَّرَ لَكُمْ مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿حَتَّىٰ﴾: حرف جر وغاية لمحذوف تقديره: فساروا حتى إذا أتوا. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿أَتَوْا﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل الخفض بإضافة إذا إليها، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر. ﴿وَإِذَا﴾: مجرور بـ ﴿عَلَىٰ﴾، وحذفت الياء في الخط تبعاً للفظ. ﴿النَّمْلُ﴾: مضاف إليه، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿أَتَوْا﴾. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾: فعل وفاعل، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾، وجملة ﴿إِذَا﴾ الشرطية في محل الخفض بـ ﴿حَتَّىٰ﴾ الجارة تقديره: فساروا إلى قول النملة وقت إتيانهم وادي النمل. ﴿يَأْتِيهَا﴾: حرف نداء ﴿أَيَّ﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿هَا﴾: حرف تنبيه. ﴿النَّمْلُ﴾: بدل من ﴿أَيَّ﴾، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾. ﴿ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به على السعة، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾ على كونها جواب

النداء. ﴿لَا﴾ ناهية جازمة. ﴿يَحْطِئَنَّكُمْ﴾: فعل مضارع، ونون توكيد ثقيلة، ومفعول به في محل الجزم بـ﴿لَا﴾ الناهية مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. ﴿سَلِّمْنَ﴾: فاعل. ﴿وَجُودُكُمْ﴾: معطوف عليه، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَتْ﴾ على كونها مستأنفة؛ لأنها لا تعلق لها بما قبلها. ﴿وَهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿سَلِّمْنَ وَجُودُكُمْ﴾. ﴿فَنَبِّئَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فسمع قولها فتبسم ﴿تبسم﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿سَلِّمْنَ﴾. ﴿ضَاحِكًا﴾: حال مؤكدة من فاعل ﴿تبسم﴾، والجملة معطوفة على تلك المحذوفة. ﴿مِنْ قَوْلِهَا﴾: متعلق بـ﴿ضَاحِكًا﴾. ﴿وَقَالَ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿تبسم﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَوْزَعِي﴾: فعل دعاء وفاعل مستتر ومفعول به ونون وقاية، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿أَنْ﴾: حرف نصب ومصدر. ﴿أَشْكُرُ﴾: فعل مضارع منصوب بـ﴿أَنْ﴾ المصدرية، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿سَلِّمْنَ﴾. ﴿نِعْمَتَكَ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿الَّتِي﴾: صفة لـ﴿نِعْمَتَكَ﴾، وجملة ﴿أَنْ﴾ المصدرية مع صلتها في تأويل مصدر منصوب على كونه مفعولاً ثانياً لـ﴿أَوْزَعِي﴾؛ لأنه بمعنى: ألهمني، أو منصوب بنزع الخافض؛ أي: رب أوزعني شكر نعمتك. ﴿أَنْعَمْتَ﴾: فعل وفاعل صلة الموصول، والعائد محذوف تقديره: أنعمتها. ﴿عَلَى﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أَنْعَمْتَ﴾. ﴿وَعَلَىٰ وَلَدَيْ﴾: معطوف على قوله: ﴿عَلَى﴾. ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ﴾: ناصب وفعل مضارع، وفاعل مستتر معطوف على ﴿أَنْ أَشْكُرُ﴾. ﴿صَلِّحًا﴾: مفعول به، أو مفعول مطلق. ﴿تَرْضَاهُ﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة صفة ﴿صَلِّحًا﴾. ﴿وَأَدْخَلَنِي﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة ﴿أَدْخَلَنِي﴾: فعل دعاء ونون وقاية وفاعل مستتر ومفعول به معطوف على ﴿أَوْزَعِي﴾. ﴿بِرَحْمَتِكَ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بـ﴿أَدْخَلَنِي﴾، والباء سببية، أو بمحذوف حال من مفعول ﴿أَدْخَلَنِي﴾؛ أي: حالة كوني متلبساً برحمتك. ﴿فِي عِبَادِكَ﴾: متعلق بـ﴿أَدْخَلَنِي﴾ أيضاً. ﴿الصَّالِحِينَ﴾: نعت لـ﴿عِبَادِكَ﴾.

﴿وَقَفَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَٰذِهِدُ أَمْ كَانَ مِنَ الْفٰسٰكِيْنَ﴾ ١٠.

﴿وَقَفَّذَ الطَّيْرَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة مستأنفة مسوقة في سرد أمر آخر حدث لسليمان أثناء مسيره الذي كان فيه قصة النمل. ﴿فَقَالَ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿تَفَقَّدَ﴾. ﴿مَا﴾: اسم استفهام في محل الرفع مبتدأ مبني على السكون. ﴿لِي﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿أَرَى﴾: فعل مضارع وفاعل مستتر. ﴿الْهَٰذِهِدُ﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب حال من ياء المتكلم. ﴿أَمْ﴾: منقطعة بمعنى بل. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص، واسمه ضمير يعود على ﴿الْهَٰذِهِدُ﴾. ﴿مِنَ الْفٰسٰكِيْنَ﴾: خبره، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. وفي «الفتوحات»: قوله: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْفٰسٰكِيْنَ﴾: ﴿أَمْ﴾: منقطعة، كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لسائر أو غيره، فقال: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى﴾، ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك، وأخذ يقول: أهو غائب، كأنه يسأل عن صحة ما لاح له. اهـ. «بيضاوي». وعلى هذا فتقدر ببل والهمزة، أو ببل وحدها، أو بالهمزة وحدها، اهـ.

﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ سُلْطٰنٌ مِّنْ﴾ ١١.

﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿أَعَذَّبَ﴾: فعل مضارع في محل الرفع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد القيلة، وفاعله ضمير مستتر يعود على ﴿سُلَيْمٰنٌ﴾، و﴿الهاء﴾: مفعول به ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق. ﴿شَدِيدًا﴾: صفة له، والجملة جواب القسم. ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بالنون، وفاعله ضمير يعود على ﴿سُلَيْمٰنٌ﴾، و﴿الهاء﴾: مفعول به، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ﴾. ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ﴾: حرف عطف، و﴿اللام﴾: حرف موطئة للقسم. ﴿يَأْتِيَنَّكَ﴾: فعل مضارع في محل الرفع؛ لتجرده عن الناصب والجازم مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله ضمير يعود على ﴿الْهَٰذِهِدُ﴾، ونون الوقاية حرف لا محل لها من الإعراب؛ لأن أصله: ليأتيني بثلاث نونات، و﴿الياء﴾: مفعول به. ﴿سُلْطٰنٌ﴾: متعلق بـ﴿يأتيني﴾.

﴿مُبِين﴾: صفة ﴿سلطان﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿لَأَعَذِّبَهُ﴾.

﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَاوٍ بَقِيَّةٍ

﴿٢٣﴾.

﴿فَمَكَتْ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية، ﴿مَكَتْ﴾: فعل ماض وفاعل مستتر، والجملة مستأنفة. ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: منصوب على الظرفية الزمانية؛ أي: زماناً غير بعيد، أو على المكانية؛ أي: مكاناً غير بعيد. ﴿فَقَالَ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿أَلْهَذِهِ﴾، معطوف على ﴿مَكَتْ﴾. ﴿أَحَطْتُ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿بِمَا﴾: متعلق بـ﴿أَحَطْتُ﴾. ﴿لَمْ﴾: حرف جزم. ﴿تُحِطْ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَنُ﴾ مجزوم بـ﴿لَمْ﴾. ﴿بِهِ﴾: متعلق بـ﴿تُحِطْ﴾، والجملة صلة الموصول. ﴿وَجِئْتُكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به معطوف على ﴿أَحَطْتُ﴾. ﴿مِنْ سَبَإٍ﴾: متعلق بمحذوف حال من ﴿نَبَأُ﴾؛ لأنه صفة نكرة قدمت عليها. ﴿بِنَاوٍ﴾: متعلق بـ﴿جِئْتُكَ﴾. ﴿بَقِيَّةٍ﴾: صفة ﴿نَبَأٍ﴾.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿وَجَدْتُ امْرَأَةً﴾: فعل وفاعل ومفعول به، ووجد هنا يتعدى لمفعول واحد؛ لأنه من وجدان الضالة، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل النصب مقول ﴿قال﴾. ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿امْرَأَةً﴾، ومفعول به، والجملة صفة لـ﴿امْرَأَةً﴾. ﴿وَأُوتِيَتْ﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعله ضمير يعود على ﴿امْرَأَةً﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾. ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أُوتِيَتْ﴾. ﴿وَلَهَا﴾: خبر مقدم. ﴿عَرْشٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة لـ﴿عَرْشٍ﴾، والجملة في محل النصب حال من نائب فاعل ﴿أُوتِيَتْ﴾.

﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَجَدْتُهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به ﴿وَقَوْمَهَا﴾: معطوف على الهاء، أو مفعول معه، والجملة الفعلية بدل من جملة قوله: ﴿وَجَدْتُ امْرَأَةً﴾، فهي داخلة في

حيز خبر ﴿إِنَّ﴾، ووجد يتعدى لواحد، كما مر آنفاً؛ لأنه بمعنى لقيتها.
﴿يَسْجُدُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿لِلشَّيْطَانِ﴾: متعلق به. ﴿وَمِن دُونِ اللَّهِ﴾: حال من فاعل
﴿يَسْجُدُونَ﴾؛ أي: مجاوزين الله، وجملة ﴿يَسْجُدُونَ﴾: في محل نصب حال من
مفعول ﴿وَجَدْتُ﴾ وما عطف عليه. ﴿وَزَيْنَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿زَيْنَ﴾: فعل
ماض. ﴿لَهُمْ﴾: متعلق به. ﴿الشَّيْطَانُ﴾: فاعل: ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾: مفعول به، والجملة
في محل نصب معطوفة على جملة ﴿يَسْجُدُونَ﴾. ﴿فَصَدَّهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: حرف
عطف وتفريع، ﴿صدهم﴾: فعل ومفعول به، وفاعله ضمير يعود على
﴿الشَّيْطَانُ﴾، والجملة معطوفة على جملة ﴿زَيْنَ﴾. ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾: متعلق
بـ ﴿صدهم﴾. ﴿فَهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة تفريعية، ﴿هم﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا
يَهْتَدُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿فَصَدَّهُمْ﴾.

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ﴾ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾.

﴿أَلَا﴾: ﴿أن﴾: حرف نصب ومصدر مبني بسكون على النون المدغمة في
لام ﴿لا﴾، وحذفت في الخط اتباعاً لرسم المصحف العثماني، ﴿لا﴾: زائدة.
﴿يَسْجُدُوا﴾: فعل وفاعل منصوب بحذف النون، وجملة ﴿أن﴾ المصدرية مع
صلتها في تأويل مصدر منصوب على المفعولية لـ ﴿يَهْتَدُونَ﴾، لكن بنزع الخافض،
وهو إلى. والمعنى: فهم لا يهتدون إلى السجود، وعلى هذا الإعراب لا يصح
الوقف على ﴿يَهْتَدُونَ﴾. ويجوز أن يكون المصدر بدلاً من ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾، و﴿لا﴾:
نافية حينئذ، والتقدير: وزين لهم الشيطان أعمالهم عدم السجود، ويجوز أن
يكون بدلاً من ﴿السَّبِيلِ﴾، و﴿لا﴾: زائدة، وفيه أوجه آخر كما أشرنا إليها في
مبحث التفسير. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿يَسْجُدُوا﴾. ﴿الَّذِي﴾: صفة
للجلالة. ﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به، والجملة صلة
الموصول. ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾: متعلق بـ ﴿يُخْرِجُ﴾. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على
﴿السَّمَوَاتِ﴾. ﴿وَيَعْلَمُ﴾: فعل وفاعل مستتر معطوف على ﴿يُخْرِجُ﴾. ﴿مَا﴾: مفعول
﴿يَعْلَمُ﴾، وجملة ﴿تُخْفُونَ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف؛ أي: ما تخفونه.

﴿وَمَا تَقُولُونَ﴾: معطوف على ﴿مَا تَخْفُونَ﴾. ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: خبره، والجملة مستأنفة. ﴿رَبُّ الْعَرْشِ﴾: خبر ثان للجلالة. ﴿الْعَظِيمِ﴾: بالجر صفة لـ ﴿الْعَرْشِ﴾، وبالرفع صفة لـ ﴿رَبِّ﴾.

﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٨﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَنُ﴾، والجملة مستأنفة استثنافاً بيانياً. ﴿سَنَنْظُرُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَنُ﴾، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَصَدَقْتَ﴾: الهمزة: فيه للاستفهام، ﴿صَدَقْتَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مفعول ﴿نَنْظُرُ﴾ معلق عنها بهمزة الاستفهام. ﴿أَمْ﴾: متصلة معادلة للهمزة. ﴿كُنْتَ﴾: فعل ناقص واسمه. ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿صَدَقْتَ﴾. ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا﴾: قبله محذوف تقديره: ثم كتب سليمان كتاباً، فقال اذهب بكتابي هذا. ﴿أَذْهَبَ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على ﴿الْهَذُودُ﴾. ﴿بِكِتَابِي﴾: متعلق به. ﴿هَذَا﴾: صفة لـ ﴿كِتَابِي﴾، أو بدل منه، والجملة الفعلية في محل النصب مقول للقول المحذوف، كما قدرنا. ﴿فَأَلْقَاهُ﴾: الفاء: عاطفة، ﴿أَلْقَاهُ﴾: فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلق به، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَذْهَبَ﴾، ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿تَوَلَّى﴾: فعل أمر وفاعل مستتر معطوف على ﴿أَلْقَى﴾. ﴿عَنْهُمْ﴾: متعلق بـ ﴿تَوَلَّى﴾، أو بمحذوف حال من فاعل ﴿تَوَلَّى﴾؛ أي: متجاوزاً إليهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ﴿فَانْظُرْ﴾: الفاء: عاطفة، ﴿انْظُرْ﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر معطوف على ﴿تَوَلَّى﴾. ﴿مَاذَا﴾: اسم استفهام مركب في محل النصب مفعول مقدم لـ ﴿يَرْجِعُونَ﴾. ﴿يَرْجِعُونَ﴾: فعل وفاعل؛ أي: أي شيء يرجعون؟، أو ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبتدأ ﴿ذَا﴾: اسم موصول بمعنى الذي في محل الرفع خبره، وجملة ﴿يَرْجِعُونَ﴾: صلة ﴿ذَا﴾، والعائد محذوف تقديره: أي شيء الذي يرجعونه؟ وعلى كلا التقديرين، فالجملة الاستفهامية قد علق عنها العامل، وهو ﴿انْظُرْ﴾ بالاستفهام، فمحلها

النصب على نزع الخافض؛ أي: ثم انظر في أي شيء يرجعونه.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا إِنَّيَأَلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (٣٦) إِنَّكُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٧﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة مستأنفة.
﴿يَا﴾: حرف نداء. ﴿أَي﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿ها﴾: حرف تنبيه زائد.
﴿الْمَلَأُوا﴾: صفة لـ ﴿أَي﴾، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قال﴾. ﴿إِنَّ﴾: ناصب واسمه. ﴿أَلَيْكَ﴾: فعل ماض مغير الصيغة. ﴿إِلَ﴾: متعلق به. ﴿كِتَابٌ﴾: نائب فاعل. ﴿كَرِيمٌ﴾: صفة لـ ﴿كِتَابٌ﴾، وجملة ﴿أَلَيْكَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إن﴾، وجملة ﴿إن﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء.
﴿إِنَّكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿مِنْ سُلَيْمَنَ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة مسوقة للرد على سؤال مقدر، كأنهم قالوا: ممن هو وما هي منظوياته. ﴿وَإِنَّكُمْ﴾: الواو: عاطفة. ﴿إِنَّكُمْ﴾: ناصب واسمه، وجملة البسملة خبرها، وجملة ﴿إن﴾ معطوفة على جملة ﴿إن﴾ الأولى. ﴿أَلَا﴾: ﴿أن﴾: مفسرة. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل مجزوم بـ ﴿لَا﴾ الناهية. ﴿عَلَى﴾: متعلق به، والجملة الفعلية مفسرة لـ ﴿كِتَابٌ﴾؛ لتضمنه معنى القول دون حروفه؛ أي: ألقى إلى أن لا تعلموا علي. ويجوز أن تكون ﴿أن﴾ مصدرية ناصبة للفعل، و﴿لَا﴾: نافية، و﴿أن﴾ وما في حيزها مصدر مؤول في محل رفع بدل من ﴿كِتَابٌ﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: مضمونه أن لا تعلموا، أو في محل نصب بنزع الخافض؛ أي: بأن لا تعلموا. ﴿وَأَتُونِي﴾: الواو: عاطفة. ﴿وَأَتُونِي﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، و﴿النون﴾: للوقاية، و﴿الياء﴾: مفعول به. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: حال من فاعل ﴿وَأَتُونِي﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١): هما مصدران أقيما مقام الفاعل للمبالغة، كأنهما نفس الهدى والبشارة.

﴿فَهُمْ يَعمَهُونَ﴾؛ أي: يترددون ويتحيرون في أودية الضلال من العمه، وهو التردد في الأمر من التحير؛ أي: يترددون بين تركها؛ لأنها واضحة البطلان، ظاهر السوء، وبين الاستمرار عليها. وقيل: معنى ﴿يَعمَهُونَ﴾: يستمرون من غير تردد؛ إذ لم يدر في خلدكم لحظة الإقلاع عنها. ويقال في تصريفه: عمه يعمه - من باب ضرب وفتح - عمهاً وعموهاً وعموهية وعمهاناً إذا تحير في طريقه أو أمره، وتردد في الضلال فهو عمه، وجمعه عمهون وعامه، وجمعه عامهون وعمه.

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ والسوء: كل ما يسوء الإنسان ويغمه.

﴿الْآخِضُونَ﴾؛ أي: أشد الناس خسراناً لحرمانهم الثواب، واستمرارهم في العذاب.

﴿وَأِنَّكَ لَلْفَقَى الْفَرَّانِ﴾؛ أي: لتلقن وتعطي، يقال: تلقى الكلام من فلان ولقنه إذا أخذه من لفظه وفهمه. وعبارة «القرطبي»: أي: يلقي إليك فتلقاه، وتعلمه وتأخذه من لدن حكيم عليم. وفي «السمين»: لقي مخففاً يتعدى لواحد، ومضعفاً يتعدى لاثنين، فأقيم أولهما هنا مقام الفاعل، والثاني: ﴿الْفَرَّانِ﴾. اهـ.

﴿وَأَنْتَ نَارًا﴾؛ أي: أبصرت إبصاراً حصل لي به أنس، يقال: آنتت ناراً، وآنتت فرعاً، وآنتت منه رشداً، فهو يطلق على المادي والمعنوي.

﴿يَخْبِرُ﴾؛ أي: عن الطريق وحاله. ﴿أَوْ آتِيَكُمْ شِهَابٍ قَبَسٍ﴾؛ أي: بشعلة نار قبس؛ أي: بقطعة من النار مقبوسة، ومأخوذة من أصلها. يقرأ بإضافة ﴿شِهَابٍ﴾ إلى ﴿قَبَسٍ﴾، فالإضافة فيه للبيان؛ لأن الشهاب يكون قبساً وغيره، كالكوكب فهو من إضافة النوع إلى جنسه، كخاتم حديد وثوب خز، وهي بمعنى من؛ أي: شهاب من قبس، ويقرأ بتنوين ﴿شِهَابٍ﴾، فـ﴿قَبَسٍ﴾ على هذا بدل منه، أو نعت له على تأويله بالمفعول؛ أي: شهاب مقبوس؛ أي: مأخوذ من نار، فالشهاب الشعلة، والقبس النار. والشهاب في الأصل كل مضيء متولد من النار، وما يرى كأنه كوكب انقضى، والكوكب عموماً، والسنان لما فيه من البريق، وجمعه شهب وشهبان وشهبان وأشهب، ويقال: فلان شهاب حرب إذا كان ماضياً فيها،

والْقَبَس - بفتحيتين -: النار المقبوسة. تقول: خذ لي قبساً من النار ومقبساً ومقباساً، واقبس لي ناراً واقتبس، ومنه: ما أنت إلا كالقابس العجلان؛ أي: المقتبس، وما زورتك إلا كقبسة العجلان. وتقول: ما أنا إلا قبسة من نارك وقبضة من آثارك، وقبسته ناراً وأقبسته، كقولك بغيته الشيء وأبغيته، ومن المجاز قبسته علماً وخبراً وأقبسته.

وفي «المفردات»: الشهاب: الشعلة الساطعة من النار المتوقدة، والقبس: المتناول من الشعلة، والاقتباس، ثم استعير لطلب العلم والهداية.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: فيه الإبدال من تاء الافتعال؛ لأن أصله تصطلون، فقلبت التاء طاء لوقوعها بعد حرف الإطباق، وهو الصاد على القاعدة التصريفية، وهو من صلى بالنار - بكسر اللام - من باب تعب. وفي «المصباح»: صلى بالنار وصليها صلى - من باب تعب -: وجد حرها، والصلاء - بوزن كتاب - حر النار، والنار العظيمة، وصليت اللحم أصله - من باب رمى - شويته. وفي «الأساس»: وصلي النار وصلى بها يصلى النار الكبرى وتصلها وتصلى بها، وأصله وصلاه، وشاة مصلية: مشوية، وقد صليتها. ومعنى ﴿تَصْطَلُونَ﴾: تستدفنون بها.

قال الشاعر:

النَّارُ فَأكِهَةُ الشَّتَاءِ فَمَنْ يُرِدْ أَكَلَ الْفَوَاكِهَ شَاتِيَاً فَلْيَضْطَلْ
﴿كَأَنَّهُ جَانٌّ﴾ والجان: حية صغيرة سريعة الحركة، هذا بالنظر إلى أصل معناها، وإلا فجنثها كانت كبيرة جداً. وفي «القاموس» و«التاج»: والجان: اسم جمع للجن، وحية أكحل العين لا تؤذي كثيره في الدور.

﴿وَلَىٰ مُذْرِكٌ﴾ يقال: ولى عنها: أعرض عنها، وأدبر عنها: جعلها تلي ظهره.
﴿وَلَمْ يَعْقَبْ﴾: لم يعطف ولم ينتظر من عقب المقاتل إذا كر بعد الفر.

قال الشاعر:

فَمَا عَقَّبُوا إِذْ قِيلَ هَلْ مِنْ مُعَقِّبٍ وَلَا نَزَلُوا يَوْمَ الْكَرِيهِهِ مَنْزِلَاً
يصف قوماً بالجبن، وأنهم إن قيل لهم: هل من معقب وراجع على عقبه

للحرب لم يرجعوا إليها، ولا نزلوا يوم الحرب منزلاً من منازلها.

﴿فِي جَبِيكَ﴾؛ أي: طوق قميصك، وسمي جيبك؛ لأنه يجاب؛ أي: يقطع ليدخل فيه الرأس. ﴿جحدوا بها﴾؛ أي: كذبوها. ﴿وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾؛ أي: علمت علماً يقينياً أنها من عند الله، والجمود: إنكار الشيء بعد المعرفة والإيقان تعتاً، وأريد هنا التكذيب؛ لئلا يلزم استدراك قوله: ﴿وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾؛ أي: قام مقامه في النبوة والملك.

﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾؛ أي: أعطينا فهم ما يريده كل طائر إذا صوت. والمنطق: مصدر ميمي لنطق ينطق - من باب ضرب - نطقاً ومنطقاً ونطقاً؛ أي: تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني، والمنطق: الكلام، وقد يستعمل في غير الإنسان. يقال: سمعت منطق الطير.

وقال البيضاوي: والنطق والمنطق في المتعارف: كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً، مفيداً كان أو غير مفيد، وقد يطلق على ما يصوت به على التشبيه أو التبع، كقولهم: نطقت الحمامة إذا صوتت، ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد، وعلم المنطق: هو علم يبحث في صحيح الفكر وفاسده، فهو يضع القواعد التي تعصم الذهن من الوقوع في الأخطاء.

والطير جمع طائر، كركب وراكب، وهو كل ذي جناح يسبح في الهواء ويجري، وكان سليمان يعرف نطق غير الطير أيضاً، كما يجيء من قصة النمل، لكنه أدرج هذا في قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وخص منطق الطير؛ لشرف الطير على سائر الحيوان.

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ﴾ الحشر: إخراج الجماعة من مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب وغيرها.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾؛ أي: يحبس أولهم ليلحق آخرهم، فيكونون مجتمعين لا يتخلف منهم أحد. وفي «المختار»: وزعه يزعه وزعاً مثل وضعه يضعه وضعاً؛ أي: كفه فانتزع هو؛ أي: كف، وأوزعه بالشيء أغراه به، واستوزعت الله

شكره، فأوزعني؛ أي: استلهمته، فألهمني. والوازع: الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر، وجمعه وزعة. وقال الحسن: لا بد للناس من وازع؛ أي: سلطان يكفهم. يقال: وزعت الجيش إذا حبست أولهم على آخرهم.

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ النمل والنمل - بضم الميم - حيوان حريص على جمع الغذاء، يتخذ قرى تحت الأرض، فيها منازل ودهاليز، وغرف وطبقات منعطفة يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء. الواحدة: نملة، ونملة للذكر والأنثى. والجمع: نمل كرملة ورمال. وفي «الروح»: ونملة مؤنث حقيقي بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها؛ لأن نملة تطلق على الذكر والأنثى، فإذا أريد تمييزها احتيج إلى مميز خارجي، نحو نملة ذكر، ونملة أنثى، وكذلك لفظة حمامة ويمامة من المؤنثات اللفظية. اهـ

﴿وَادِ النَّمْلِ﴾ والوادي: الموضع الذي يسيل فيه الماء، والنمل معروف، الواحدة: نملة، سميت نملة لتنملها؛ وهي كثرة حركتها وقلة قوائمها، ومعنى وادي النمل: واد يكثر فيه النمل، والمراد: واد بالشام أو بالطائف كثير النمل، والمشهور أنه النمل الصغير.

﴿لَا يَحْطِئَنَّكُمْ﴾؛ أي: لا يكسرنكم ويهشمنكم سليمان وجنوده. وفي «المختار»: حطمه من باب ضرب؛ أي: كسره فانحطم وتحطم، والتحطيم: التكسير، والحطام: ما تكسر من اليبس. اهـ، وسمي حجر الكعبة الحطيم؛ لأنه كسر منها.

﴿أَوْزَعْنِي﴾ ألهمني، وحقيقته: اجعلني أزع شكر نعمتك عندي، وأكفه وارتبطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكراً لك، وقد تقدم شرح هذه المادة قريباً.

﴿وَنَقَدَ الظَّيْرَ﴾ قال في «القاموس»: تفقده طلبه عن غيبة. وفي «كشف الأسرار»: التفقد: طلب المفقود، وإنما قيل له التفقد؛ لأن طالب الشيء يدرك بعضه ويفقد بعضه. في المفردات: التفقد التعهد، لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان

الشيء، والتعهد: تعرف العهد المقدم، والطير: اسم جامع للجنس كما في «الوسيط».

﴿الْهْدَهُدُ﴾ - بضمتين مع سكون الدال - والهُدُود - بضم ففتح فكسر - والهداهد: طائر ذو خطوط وألوان كثيرة، الواحدة: هدهدة بضمتين بينهما سكون، وهدهدة بضم ففتح فكسر، وهداودة، والجمع: هداهد وهداهيد.

ويقولون: هو أبصر من هدهد؛ لأنهم يزعمون أنه يرى الماء تحت الأرض، وفي «حياة الحيوان»: الهدهد: متن الريح طبعاً؛ لأنه يبنى أفحوصه في الزبل. وهذا عام في جنسه وإن بخر المجنون بعرف الهدهد أبراه ولحمه إذا بخر به معقود عن المرأة، أو مسحور أبراه. وفي «الفتاوى الزينية»: سئل عن أكل الهدهد أيجوز أم لا؟ أجاب نعم يجوز. انتهى.

﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ العذاب: الإيجاع الشديد، وعذبه تعذيباً أكثر حبسه في العذاب. ﴿أَوْ لَاذِجْنَةً﴾ وأصل الذبح شق حلق الإنسان. اهـ. «روح».

﴿أَوْ لِيَأْتِيَنَّ﴾ بنون مشددة مفتوحة؛ هي نون التوكيد الثقيلة بعدها نون مكسورة؛ هي نون الوقاية، وقرىء ﴿لِيَأْتِيَنَّ﴾ بنون مشددة مكسورة أصله: ليأتيني ثلاث نونات، فحذفت النون التي قبل ياء المتكلم لتوالي الأمثال.

﴿فَمَكَثَ﴾ بضم الكاف وفتحها، والأول من باب قرب، والثاني من باب نصر، وفي «القاموس» وغيره: مكث يمكث - من باب نصر - مكثاً بفتح فسكون ومكثاً بفتحتين ومكوثاً ومكيثي بالمكان أقام ولبث فهو ماكث. والاسم المكث بضم الميم، والمِكث بكسرهما، ومكث يمكث - من باب قرب - مكاثة نبت ورزن. اهـ والمكث: ثبات مع انتظار.

﴿بِمَا لَمْ يُحِطْ﴾ والإحاطة بالشيء علماً: أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه معلوم ما. اهـ «خازن».

﴿مِنْ سَكَا﴾ وسبأ: بلاد واقعة جنوبي غربي الجزيرة العربية في اليمن،

ذكرت في كتاب العهد القديم، وفي مؤلفات العرب، واليونان، والرومان كانت على جانب عظيم من الحضارة، كان يتعاطى سكانها تجارة الذهب والفضة والأحجار الكريمة.

﴿تَلِكُكُمْ﴾؛ أي: تسوسهم وتدبر أمورهم، لا ملك الرقبة. ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ والعرش في الأصل: شيء مسقف، ويراد به هنا سرير عظيم، أعني: سرير الملك. ﴿فَصَدَّهْمَ عَنِ السَّبِيلِ﴾ والسبيل من الطريق ما هو معتاد السلوك.

﴿الْخَبَاءُ﴾: مصدر بمعنى المخبوء، يقال: خبأت الشيء أخبؤه خبأ - من باب نفع -؛ أي: سترته، والخبء في السموات المطر وفي الأرض النبات.

﴿سَنَظَرُ﴾ من النظر بمعنى التأمل، والسين للتأكيد؛ لنعرف بالتجربة البتة.

﴿تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾؛ أي: تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه؛ ليكون ما يقولونه بسمع منك. ﴿فَانْظُرْ﴾؛ أي: تأمل وفكر. ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾ والملاء: عظماء القوم الذين يملؤون العيون مهابة، والقلوب جلاله، جمعه أملاء كنبأ وأنباء. ﴿أَلَّا قَعَلُوا﴾؛ أي: ألا تتكبروا ولا تنقادوا للهوى والنفس. ﴿مُسْلِينَ﴾؛ أي: منقادين خاضعين.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبدیع:

فمنها: الإشارة بالبعيد عن القريب في قوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْقَانِ﴾ للإيذان ببعده منزلة في الفضل والشرف.

ومنها: التنكير للتعظيم والتفخيم في قوله: ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾؛ أي: كتاب عظيم الشأن رفيع القدر.

ومنها: الإتيان بالمصدر بدل اسم الفاعل؛ للمبالغة في قوله: ﴿هُدًى

وَيُشْرَى؛ أي: هادياً ومبشراً، كأنها نفس الهدى والبشارة.

ومنها: تكرير الضمير في قوله: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ لإفادة الحصر والاختصاص، وأما وجه تكراره هنا فهو أنه كان أصل الكلام هم يوقنون بالآخرة، ثم قدم المجرور على عامله عناية به، فوق فاصلاً بين المبتدأ والخبر، فأريد أن يلي المبتدأ خبره. وقد حال المجرور بينهما، فطري ذكره ليليه الخبر، ولم يفت مقصود العناية بالجار والمجرور حيث بقي على حاله مقدماً، ولا يستنكر أن تعاد الكلمة مفصولة له وحدها بعدما يوجب التطرية. ومثله ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾ وفيه المقابلة اللطيفة بين الجملتين.

ومنها: العدول في الصلة عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية؛ لإفادة التأكيد والمبالغة والدوام، فإن الإيمان والإيقان بالآخرة أمر ثابت مطلوب دوامه، ولذلك أتى به جملة اسمية، وجعل خبرها فعلاً مضارعاً، فقال: ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾؛ للدلالة على أن إيقانهم يستمر على سبيل التجدد، أما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد في أوقاتها المعينة، ولذلك أتى بهما فعلين، فقال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾.

ومنها: التأكيد بـ﴿إِنْ﴾ واللام في قوله: ﴿وَلِلَّهِ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ﴾؛ أي: لوجود المتشككين في القرآن.

ومنها: تنوين الاسمين للتعظيم في قوله: ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

ومنها: الجمع بين الحكيم والعليم إشعاراً بأن علوم القرآن منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع، ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار الغيبية.

ومنها: استعمال أو بدل ﴿الواو﴾ في قوله: ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ مَبِينٍ﴾ أثر ﴿أو﴾ على ﴿الواو﴾؛ لنكتة بلاغية رائعة، فإن ﴿أو﴾ تفيد التخيير، وقد بنى رجاءه على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً فلن يعدم بواحدة منهما، وهما: إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار هضماً لنفسه، واعترافاً بقصوره نحو ربه.

ومنها: إيجاز الحذف في قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ﴾ حذفت قبل الرؤية جمل تقديرها: فألقاها فانقلبت إلى حية الخ.

ومنها: التعجيب من عظمة ما رأى في قوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ومنها: التشبيه في قوله: ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ حيث شبه الحية العظيمة المسماة بالثعبان بالجان؛ أي: الحية الصغيرة في سرعة الحركة والالتواء.

ومنها: التعريض بظلم موسى بقتل القبطي في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾.

ومنها: الطباق بين الحسن والسوء في قوله: ﴿حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾، وبين ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ ﴿وَلَّى يَعْقَبُ﴾.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿كَأَنَّهُمَا جَانٌّ﴾ ذكرت أداة التشبيه وحذفت وجه الشبه، فصار مرسلًا مجملًا.

ومنها: المجاز العقلي في إسناد الإبصار إلى الآيات في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا كُنَّا مَبْصُرَةً﴾ حيث نسب الإبصار إليها مجازاً؛ لأنه بها يبصر، ويجوز أن يكون مجازاً مرسلًا، والعلاقة السببية؛ لأنها سبب الإبصار، وهذا أولى من قول بعضهم: إن مبصرة اسم فاعل بمعنى اسم المفعول نحو ماء دافق؛ أي: مدفوق إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر.

ومنها: التنوين والتنكير في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾؛ لتعظيم العلم الذي أوتياه وتكثيره، كأنه قال: علماً أي، علم، وهو كذلك فإن علمهما كان مما يستغرب ويستعظم، ومن ذلك علم منطق الطير وسائر الحيوانات على أن كل علم بالإضافة إلى علم الله سبحانه قليل ضئيل.

ومنها: استعمال حرف الاستعلاء لإفادة الفوقية في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنزَلْنَا عَلَيَّ وَادَّ الْغَلِيلِ﴾ فعلى ﴿أَنزَلْنَا﴾ بـ﴿عَلَى﴾؛ لأن الإتيان كان من فوق، فأتى بحرف الاستعلاء.

ومنها: التوليد في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّملُ ادْخُلُواْ مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَحُودٌ وَهُرٌ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فإن هذه الآية اشتملت على أحد عشر نوعاً من البلاغة يتولد بعضها من بعض: أولها: النداء بـ﴿يا﴾، وثانيها: كنت بـ﴿أي﴾، وثالثها: نهبت بـ﴿ها﴾، التنبيه، ورابعها: سمت بقولها: ﴿النَّملِ﴾، وخامسها: أمرت بقولها: ﴿ادْخُلُوا﴾، وسادسها: نصت بقولها: ﴿مَسْكِنَكُمْ﴾، وسابعها: حذرت بقولها: ﴿لَا يَحْطَمَنَّكُمْ﴾، وثامنها: خصصت بقولها: ﴿سُلَيْمَنُ﴾، وتاسعها: عممت بقولها: ﴿وَحُودٌ وَهُرٌ﴾، وعاشرها: أشارت بقولها: ﴿وَهُمُ﴾، وحادي عشرها: عذرت بقولها: ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾. هذا وقد أنشدوا ملغزين في نملة سليمان وبقرة بني إسرائيل.

فَمَا مِثُّ أَخِيَا لَهُ أَلَّهُ مِيتًا لِيُخْبِرَ قَوْمًا أَنْذَرُوا بِبَيَانٍ وَعَجْفَاءٍ قَدْ قَامَتْ لِتُنْذِرَ قَوْمَهَا وَأَهْلَ قَرَاهَا زَهَبَةَ الْحَدَثَانِ
ومنها: أسلوب التعجب في قوله: ﴿مَالِكٌ لَا أَرَى الْهَهِدُ﴾.

ومنها: التأكيد المكرر في قوله: ﴿لَاَعْدِيَّتُهُ﴾، ﴿أَوْ لَاَذْبَحَتُهُ﴾، ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِي﴾؛ لتأكيد الأمر.

ومنها: طباق السلب في قوله: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾.

ومنها: جناس التصريف في قوله: ﴿وَجِثَّتْكَ مِنْ سِكِّ بَنِي يَفِينٍ﴾ وهو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه، أو من قريب من مخرجه؛ وهو من محسنات الكلام المتعلقة باللفظ. وقال أبو حيان في تعريفه: وهو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف. انتهى.

قال صاحب «الكشاف»: وهذا من محاسن الكلام بشرط أن يجيء مطبوعاً غير متكلف، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام، ولقد حسن في الآية، وبدع لفظاً ومعنى، ألا ترى أنه لو وضع مكان ﴿بَنِي﴾ لفظة بخبر.. لكان المعنى صحيحاً، ولكن يفوت ما في النبأ من الزيادة التي معناها الخبر الهام، والتي يطابقها وصف الحال؛ لأنه جاء منغوماً عذب الجرس؛ لاتفاق سبأ ونبأ.

ومنها: الطباق في اللفظ في قوله: ﴿تُخَفُّونَ﴾ و﴿تُقَلِّتُونَ﴾.

ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع.

والله سبحانه وتعالى أعلم

* * *

قال الله سبحانه جلّ وعلا:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَفْتُونِ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُوْنَ ۖ﴾ (٣٢) ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوْا قَوْلًا وَأَوْلُوْا بِأَبْسِ شَيْدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۖ﴾ (٣٣) ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُوْنَ ۖ﴾ (٣٤) ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَ ۖ﴾ (٣٥) ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِيتُوْنِي بِمَالٍ مِّمَّا ءَاتَيْنِيَّ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ أَفْرَحُوْنَ ۖ﴾ (٣٦) ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُوْنَ ۖ﴾ (٣٧) ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْمُرُهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ۖ﴾ (٣٨) ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَالِيكَ بِهِ ۖ قَبْلَ أَنْ تَقُوْمَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ۖ﴾ (٣٩) ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَالِيكَ بِهِ ۖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۖ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِ كَرِيْمٍ ۖ﴾ (٤٠) ﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْدِيْءُ أَمْرًا تَكُوْنُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُوْنَ ۖ﴾ (٤١) ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۖ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۖ﴾ (٤٢) ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۖ﴾ (٤٣) ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا ۖ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنَ فَوَارِيصٍ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ۖ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَنِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ﴾ (٤٤) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُوْدَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فِئْرَانٍ يَخْتَصِمُوْنَ ۖ﴾ (٤٥) ﴿قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعِجِلُوْنَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۚ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُوْنَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ۖ﴾ (٤٦) ﴿قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَيَمَنُ مَعَكَ ۖ قَالَ طَئِبْتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّتَشَبِهُونَ ۖ﴾ (٤٧) ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَعْوَ رَهْطٍ يُفْسِدُوْنَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ۖ﴾ (٤٨) ﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُوْلَ لَوْلَئِهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُوْنَ ۖ﴾ (٤٩) ﴿وَمَكْرُوْا مَكْرًا وَمَكْرًا مَّكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ ۖ﴾ (٥٠) ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُّكْرِهِمْ ۖ إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ﴾ (٥١) ﴿فَبِتِلْكَ يُؤْتُهُمْ خَاوِيَةً ۖ بِمَا ظَلَمُوا ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ ۖ﴾ (٥٢) ﴿وَأَنبِئْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَفْقَهُوْنَ ۖ﴾ (٥٣) ﴿وَلَوْ مَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ءَأَتَاوْتُ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُوْنَ ۖ﴾ (٥٤) ﴿أَيُّكُمْ لَأَتَاوْنَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النَّسَاءِ ۖ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُوْكُمْ ۖ﴾ (٥٥) .

التفسير وأوجه القراءة

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ﴾؛ أي: بلقىس قبله حذف معلوم من السياق، تقديره:

فلما قرأت بلقى الكتاب جمعت أشرف قومها وقالت لهم: يا أيها الملأ إني ألقى إلي كتاب كريم، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ وكرر^(١) ﴿قَالَتْ﴾؛ للإيدان بغاية اعتنائها بما قالت؛ أي: قالت: يا أيها الأشرف أفتوني في أمري؛ أي: أجيئوني في الذي ذكرت لكم بما يقتضيه الحزم، واذكروا ما تستصيبون فيه، وأشيروا علي وبينوا لي الصواب فيه، وعبرت عن جواب المشورة بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالباً، إشعاراً بأنهم قادرون على حل المشكلات النازلة، وليكون في ذلك حل لما أشكل عليها من الأمر. قال بعضهم: الفتوى من الفتى؛ وهو الشاب القوي، وسميت الفتوى بذلك؛ لأن المفتي؛ أي: المجيب الحاكم بما هو صواب يقوي السائل في جواب الحادثة.

ثم زادت في التأدب لهم، واستجلاب خواطيرهم ليمحضوها النصح، ويشيروا عليها بالصواب، فقالت: ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾؛ أي: فاصلة ومنفذة أمراً من الأمور ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِي﴾؛ أي: حتى تحضروا عندي، وتشيروا علي؛ أي: لا أقطع أمراً إلا بمحضركم وبموجب آرائكم؛ أي: عادتي معكم أن لا أفعل أمراً من الأمور المتعلقة بالملك حتى أحضركم وأشاوركم.

وفيه استمالة لقلوبهم^(٢)؛ لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير، وفيه إشارة إلى أن المرء لا ينبغي أن يكون مستبدأ برأيه، ويكون مشاوراً في جميع ما سنج له من الأمور، لا سيما الملوك يجب أن يكون لهم قوم من أهل الرأي والبصيرة، فلا يقطعون أمراً إلا بمشاورتهم. والمعنى: أي^(٣): قالت بلقى لأشرف قومها: أيها الملأ أشيروا علي في أمر هذا الكتاب الذي ألقى إلي، فإني لا أقضي فيه برأي حتى تشهدوني فأشاوركم فيه.

وفي قولها هذا دلالة على إجلالهم، وتكريمهم ليمحضوها النصح، ويشيروا عليها بالصواب، ولتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وحزمهم فيما يقيم أمرهم

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

وإمضاءهم على الطاعة لها، علماً منها أنهم إن لم يبذلوا أنفسهم وأموالهم ودماءهم دونها.. لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها، وإن لم يجتمع أمرهم وحزمهم وجدهم.. كان ذلك عوناً لعدوهم عليهم، وإن لم تختبر ما عندهم، وتعلم قدر عزمهم.. لم تكن على بصيرة من أمرهم، وربما كان في استبدادها برأيها وهن في طاعتها، وتعمية في تقدير أمرهم، وكان في مشاورتهم، وأخذ رأيهم عون على ما تريد من قوة شوكتهم، وشدة مدافعتهم، ألا ترى إلى قولهم في جوابهم: ﴿نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾ على ما لها من عقل راجح وأدب جم في التخاطب. وعلى هذا النهج سار الإسلام، فقد قال سبحانه لنبيه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، وقد مدح سبحانه صحابة رسوله بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

وفي قراءة عبد الله^(١): ﴿مَا كُنْتُ قَاضِيَةً أَمْرًا﴾ وقوله: ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ بكسر النون^(٢) والفتح لحن، لأن النون إنما تفتح في موضع الرفع، وهذا في موضع النصب. وأصله: حتى تشهدوني، فحذفت النون الأولى للنصب والياء؛ للدلالة الكسرة عليها، وبالياء في الوصل والوقف. قرأ يعقوب: أي: حتى تحضروني، أو تشيروني، أو تشهدوا أنه صواب؛ أي: لا أبت الأمر إلا بمحضركم. وقيل: كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.

وقوله: ﴿فَالُوا﴾؛ أي: قال الملأ مجيبين لها، استئناف بياني، كأنه قيل: فماذا قالوا في جوابها؟ فقيل: قالوا: ﴿نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً﴾ في العدد والعدة؛ أي: ذووا قوة في الآلات والأجساد والعدد. ﴿وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ﴾ وأخذ ﴿شَيْءٍ﴾ لأعدائنا عند الحرب واللقاء؛ أي: لنا من الشجاعة والنجدة ما نمنع به أنفسنا وبلدنا ومملكتنا؛ أي: لنا شجاعة مفرطة، وبطش شديد، فلا نخاف أعداءنا.

وهذا تعريض^(٣) منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك، ثم فوضوا الأمر إليها؛ لعلمهم بصحة رأيها وقوة عقلها، فقالوا: ﴿وَالْأَمْرُ﴾ في شأننا هذا، بل في كل

(٣) روح البيان.

(١) البحر المحيط.

(٢) النسفي.

أمورنا مفوض ﴿إِلَيْكَ﴾ أيتها الملكة، وموكل إلى رأيك ونظرك. ﴿فَانْظُرِي﴾ وفكري ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ وتشيرين علينا؛ أي: تأملي ماذا تأمرينا به سامعون لأمرك، مطيعون له، فمري بنا بأمرك.

وفيه إشارة إلى أن شرط أهل المشاورة أن لا يحكموا على الرئيس المستشار بشيء، بل يخبرونه فيما أراد من الرأي الصائب، فلعله أعلم بصلاح حاله منهم، فلما أحست منهم الميل إلى الحرب، والعدول عن سنن الصواب، بادعائهم القوى الذاتية والعرضية لم ترض به، لما علمت أن من سخر له الطير على هذا الوجه لا يعجزه شيء يريده، ومالت إلى الصلح، وبينت السبب في رغبتها فيه. ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ من القرى، ومدينة من المدن على منهاج الحراب والقتال.

قال الزجاج: أي إذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة ﴿أَفْسَدُوهَا﴾؛ أي^(١): خربوا مبانيها، وغيروا مغانيها، وأتلفوا أموالها، وفرقوا شمل أهلها ﴿وَجَعَلُوا أَعْزَةً أَهْلَهَا أَذَلَّةً﴾؛ أي: ذليلين بالقتل والأسر، والإجلاء وغير ذلك من أنواع الإهانة والإذلال؛ أي: أهانوا أشرافها، وحطوا مراتبهم، فصاروا عند ذلك أذلة. وإنما يفعلون ذلك لأجل أن يتم لهم الملك، وتستحكم لهم الوطأة، وتتقرر لهم في قلوبهم المهابة، والمقصود من قولها هذا تحذير قومها من مسير سليمان إليهم، ودخوله بلادهم، وقد صدقها الله سبحانه فيما قالت، فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ أي: مثل ذلك الفعل من الإفساد، وجعل الأعزة أذلة يفعلون؛ أي: وكما قالت هي تفعل الملوك.

قال ابن الأنباري: الوقف على قوله: ﴿وَجَعَلُوا أَعْزَةً أَهْلَهَا أَذَلَّةً﴾ وقف تام. فقال الله عز وجل تحقيقاً لقولها: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ وقيل^(٢): هذه الجملة من تمام كلامها، ذكرته تأكيداً لما وصفته من حال الملوك، وتقريراً بأن ذلك من عادتهم المستمرة؛ أي: إن الذين أرسلوا الكتاب يفعلون مثل الذي تفعله الملوك،

(٢) المراح.

(١) الشوكاني.

فإن ذلك عادتهم المستمرة.

وفي ذلك إشارة إلى أن العاقل مهما تيسر له دفع الخصوم بطريق صالح لا يوقع نفسه في خطر الهلاك بالمحاربة والمقاتلة بالاختيار، إلا أن يكون مضطراً. قال بعضهم: من السؤدد الصلح وترك الإفراط في الغيرة.

وفي «الفتوحات المكية»: للملك أن يعفو عن كل شيء إلا عن ثلاثة أشياء، وهي: التعرض للحرم، وإفشاء سره، والقذح في الملك. نسأل الله حسن الأدب في طريق الطلب.

ومعنى الآية: أي قالت لهم حين عرضوا عليها أنفسهم لقتال سليمان: إن الملوك إذا دخلوا قرية فاتحين أفسدوها بتخريب عمارتها، وإتلاف أموالها، وأذلوا أهلها بالأسر والإجلاء عن موطنهم، أو قتلوهم تقتيلاً ليتم لهم الملك والغلبة، وتتقرر لهم في النفوس المهابة، وهكذا يفعلون معنا، وفي هذا تحذير شديد لقومها من مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم.

ثم لما قدمت لهم هذه المقدمة، وبينت لهم ما في دخول الملوك إلى أرضهم من المفسدة.. أوضحت لهم وجه الرأي عندها، وصرحت لهم بصوابه، فقالت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: إلى سليمان وقومه رسلاً ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾ عظيمة، وهي ^(١) اسم للشيء المهدى بملاطفة ورفق ﴿فَنَاطِرَةٌ﴾؛ أي: فمنتظرة. قال في «كشف الأسرار»: الناظر ههنا بمعنى المنتظر، و﴿الفاء﴾ فيه للعطف على مرسله.

﴿يَم﴾ أصله بما، على أنه استفهام؛ أي: بأي شيء. ﴿يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ بالجواب من عنده حتى أعمل بما يقتضيه الحال، و﴿يَم﴾ متعلق ب﴿يَرْجِعُ﴾؛ أي: إني أجرب هذا الرجل بإرسال رسلي إليه بهدية مشتملة على نفائس الأموال، فإن كان ملكاً أرضيناه بذلك، وكفينا أمره، وإن كان نبياً لم يرضه ذلك؛ لأن غاية مطلبه، ومنتهى أربه هو الدعاء إلى الدين فلا ينجينا منه إلا إجابته ومتابعته، والتدين بدينه، وسلوك طريقته، وإني ناظرة فيما يرجع به رسلي المرسلون بالهدية

(١) روح البيان.

من قبول أو رد، فعاملة بما يقتضيه ذلك.

والمعنى: أي^(١) وإني سأرسل إليه هدية من نفائس الأموال؛ لأتعرف حاله، وأختبر أمره، أنبي هو أم ملك، فإن كان نبياً لم يقبلها، ولم يرض منا إلا أن نتبعه على دينه، وإن كان ملكاً قبل الهدية، وانصرف إلى حين، فإن الهدايا مما تورث المودة، وتذهب العداوة. وفي الحديث: «تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء». ولقد أحسن من قال:

هَدَايَا النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَوَلَّدَ فِي قُلُوبِهِمُ الْوِصَالُ
وَتَزَرَّعَ فِي الضَّمِيرِ هَوًى وَوَدًّا وَتَكْسِبُهُمْ إِذَا حَضَرُوا جَمَالًا
وحاصل القصة^(٢): أن بلقيس كانت امرأة ليبية عاقلة، قد ساست الأمور

وجربتها فأهدت وصفاء ووصائف. قال ابن عباس: مئة وصيف، ومئة وصيفة. وقال وهب وغيره: عمدت بلقيس إلى خمس مئة غلام، وخمس مئة جارية، فألبست الجواري لباس الغلمان الأقبية والمناطق، وألبست الغلمان لباس الجواري، وجعلت في أيديهم أساور الذهب، وفي أعناقهم أطواق الذهب، وفي آذانهم أقراط، وشنوفاً مرصعات بأنواع الجواهر، وحملت الجواري على خمس مئة فرس، والغلمان على خمس مئة برذون، على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج، وبعثت إليه لبنات من ذهب، ولبنات من فضة، وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت، وأرسلت بالمسك والعنبر والعود والألنجوج، وعمدت إلى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وخرزة جرع معوجة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها - يقال له: المنذر بن عمرو - وضمت إليه رجالاً من قومها أصحاب عقل ورأي، وكتبت مع المنذر كتاباً تذكر فيه الهدية، وقالت: إن كنت نبياً فميز بين الوصفاء والوصائف، وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها، وأثقب الدرة ثقباً مستوياً، وأدخل في خرزة خيطاً من غير علاج إنس ولا جن، وأمرت بلقيس الغلمان، فقالت: إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث

(١) المراغي.

(٢) الخازن.

وتخنيث يشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال، ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه، فإن نظر إليك نظراً فيه غضب.. فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره، فإنما أعز منه، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً.. فاعلم أنه نبي فتفهم قوله، ورد الجواب، فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر، فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبناً من الذهب والفضة ففعلوا، وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ، وأن يفرش فيه لبن الذهب والفضة، وأن يخلوا قدر تلك اللبنات التي معهم، وأن يعملوا حول الميدان حائطاً مشرقاً من الذهب والفضة ففعلوا، ثم قال سليمان: أي دواب البر والبحر أحسن، فقالوا يا نبي الله رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص، قال: عليّ بها، فأتوه بها، فقال: شدوها عن يمين الميدان وشماله، وقال للجن: عليّ بأولادكم، فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان وشماله، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره، ووضع أربعة آلاف كرسي على يمينه وعلى شماله، وأمر الجن والإنس والشياطين والوحوش والسباع والطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله، فلما دنا القوم من الميدان، ونظروا إلى ملك سليمان، ورأوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة.. تقاصرت إليهم أنفسهم، ووضعوا ما معهم من الهدايا، وقيل: إن سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة.. ترك من طريقهم موضعاً على قدر ما معهم من اللبنات، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً خافوا أن يتهموا بذلك، فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع، ولما نظروا إلى الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا، فقالت لهم الشياطين: جوزوا لا بأس عليكم، وكانوا يمرون على كراديس الإنس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان، فأقبل عليهم بوجه طلق، وتلقاهم متلقى حسناً، وسألهم عن حالهم، فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا فيه، وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه، وقال: أين الحقّة؟ فأتي بها، فحركها فجاءه جبريل عليه السلام، فأخبره بما فيها، فقال لهم: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وجزعة فقال الرسول صدقت فأنقب الدرة، وأدخل الخيط في الجزعة، فقال سليمان: من لي بثقبها؟ وسأل الإنس

والجن فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الشياطين، فقالوا: نرسل إلى الأرض، فلما جاءت الأرض، أخذت شعرة في فمها، ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: يكون رزقي في الشجرة، فقال لها: لك ذلك، ثم قال: من لهذه الخرزة؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا نبي الله، فأخذت الدودة خيطاً في فمها، ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: يصير رزقي في الفواكه، فقال لها: لك ذلك، ثم ميز بين الغلمان والجواري بأن أمرهم بأن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها، وتضرب بها الأخرى، وتغسل وجهها، والغلام يأخذ الماء بيديه، ويضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها، والغلام يصبه على ظهره، فميز بين الغلمان والجواري، ثم رد سليمان الهدية، كما أخبر الله سبحانه عنه بقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾؛ أي: الرسول المبعوث من قبل بلقيس وهو المنذر بن عمرو ﴿سَلِّمْنَ﴾ بالهدية، والمراد بهذا المضمرة الجنس، فلا ينافي كونهم جماعة، كما يدل عليه قولها: ﴿يَمِ يَجْعُ الْمُرْسَلُونَ﴾.

وقرأ عبد الله^(١): ﴿فَلَمَّا جَاؤُوا﴾ وقرأ: ﴿ارجعوا﴾ جعله عائداً على قوله: ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالَ﴾ سليمان مخاطباً للرسول والمرسل تغليياً على الغائب؛ أي: قال بعد ما جرى بينه وبينهم من قصة الحقبة وغيرها، لا أنه خاطبهم أول ما جاؤوه، كما يفهم من ظاهر العبارة.

﴿أَتَمِدُونِ بِمَالٍ﴾ حقير، أصله: أتمدوني^(٢)، فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة الدالة عليها، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي؛ أي: لا ينبغي لكم يا أهل سبأ أن تتمدوني وتعاونوني بالمال، ثم علل هذا الإنكار بقوله: ﴿فَمَا﴾ موصولة ﴿ءَاتَيْنَا اللَّهَ﴾ مما رأيت آثاره من النبوة، والملك الذي لا غاية وراءه ﴿خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ﴾ من المال ومتاع الدنيا، فلا حاجة لي إلى هديتكم، ولا وقع لها عندي؛

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

أي: لأن الله سبحانه وتعالى قد أعطاني منه ما لم يعط أحداً، ومع ذلك أكرمني بالنبوة والدين.

وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو^(١): ﴿أَتَمِدُونِي﴾ بنونين وياء في الوصل. وروي المسيبي عن نافع: ﴿أَتَمِدُونِي﴾ بنون واحدة خفيفة وياء في الوصل والوقف. وقرأ عاصم وابن عامر والكسائي: ﴿أَتَمِدُونَنِي﴾ بغير ياء في الوصل والوقف. وقرأ حمزة ﴿أَتَمِدُونِي بِمَالٍ﴾ بنون واحدة مشددة ووقف على الياء. وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿فَمَا آتَانِ اللَّهُ﴾ بكسر النون من غير ياء. وقرأ أبو عمرو ونافع وحفص عن عاصم: ﴿فَمَا آتَانِيَّ﴾ بفتح الياء، فكانهم فتحوا التاء، غير الكسائي، فإنه أمالها من ﴿آتاني الله﴾.

أي: قال منكراً لإمدادهم له بالمال مع علو سلطانه، وكثرة أمواله^(٢): أتساعدوني وتكرموني بمال حقير، فما آتاني الله من النبوة والملك العظيم والأموال الكثيرة خير مما آتاكم من المال الذي هذه الهدية من جملته، ثم إنه أضرب عن الإنكار المتقدم، فقال: ﴿بَلْ أَتَتْكُمْ بِهِدِيكُمْ﴾؛ أي: بما يهدي إليكم من الأموال. فالمضاف إليه ضمير المهدي إليه ﴿تَقْرَحُونَ﴾ حباً لزيادة المال وكثرته لما أنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا، توبيخاً لهم بفرحهم بهذه الهدية فرح فخر وخيلاء، وأما أنا فلا أفرح بها، وليست الدنيا من حاجتي؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أعطاني منها ما لم يعطه أحداً من العالمين، ومع ذلك أكرمني بالنبوة. والمراد بهذا الإضراب من سليمان بيان السبب الحامل لهم على الهدية مع الإزدراء بهم والحق عليهم.

وفي «الإرشاد»^(٣): إضراب عما ذكر من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها إليه افتخاراً وامتناناً، واعتداداً بها، كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحققة والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك. انتهى.

(٣) روح البيان.

(١) زاد المسير.

(٢) الشوكاني.

يقول الفقير: إنهم لما رأوا ما أنعم الله به على سليمان من الملك الكبير.. استقلوا بما عندهم حتى هموا بطرح اللبنة، إلا أنه منعتهم الأمانة من ذلك، فكيف امتنوا على سليمان بهديتهم، وافتخروا على أن حديث الحق ونحوه إنما كان على وجه الامتحان لا بطريق الهدية كما عرف.

وفي «التأويلات» يشير إلى أن الهدية موجبة لاستمالة القلوب، ولكن أهل الدين لما عارضهم أمر ديني في مقابلة منافع كثيرة دنيوية.. رجحوا طرف الدين على طرف المنافع الكثيرة الدنيوية، واستقلوا كثرتها؛ لأنها فانية، واستكبروا قليلاً من أمور الدين؛ لأنها باقية، كما فعل سليمان لما جاءه الرسول بالهدية.. استغل كثرتها، وقال: فما آتاني الله من كمالات الدين والقربات والدرجات الأخروية خير مما آتاكم من الدنيا وزخارفها. ﴿بَلْ أَنْتُمْ﴾ أي: أمثالكم من أهل الدنيا بمثل هديتكم الدنيوية الفانية تفرحون؛ لخسة نفوسكم، وجهلكم عن السعادات الأخروية الباقية.

قال جعفر الصادق: الدنيا أصغر قدراً عند الله وعند أنبيائه وأوليائه من أن يفرحوا بشيء منها، أو يحزنوا عليه، فلا ينبغي لعالم ولا لعاقل أن يفرح بعرض الدنيا.

وعبارة المراح هنا: قوله: ﴿بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ فالمصدر^(١) إما مضاف لفاعله؛ أي: تفرحون بما تهدونه افتخاراً على أمثالكم، واعتداداً به من حيث إنكم قدرتم على إهداء مثله، وإما مضاف لمفعوله؛ أي: تفرحون بما يهدى إليكم حباً في كثرة أموالكم، وحالي خلاف حالكم، فلا أفرح بالدنيا، وليست الدنيا من حاجتي. وقيل: بل أنتم بهديتكم هذه تفرحون بأخذها إن رددت إليكم.

ثم قال سليمان عليه السلام للمنذر بن عمرو أمير الوفد: ﴿أَتَجْعَلُ﴾ أيها الرسول^(٢)، أفرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق، لأن الرجوع مختص بالرسول، والإمداد ونحوه عام. أو خص أمير الرسل بالخطاب هنا،

(٢) روح البيان.

(١) المراح.

وخاطبهم معه فيما سبق افتناناً في الكلام. وقرأ عبد الله: ﴿ارجعوا﴾. وقيل: إن الضمير يرجع إلى الهدد.

﴿إِلَيْهِمْ﴾؛ أي: إلى بلقيس وقومها بهديتهم؛ ليعلموا أن أهل الدين لا ينخدعون بحطام الدنيا، وإنما يريدون الإسلام فليأتوا مسلمين مؤمنين، وإلا ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ﴾؛ أي: بجموع من الجن والإنس والتأييد الإلهي ﴿لَا قِبَلَ لَهُمْ﴾؛ أي: لا طاقة لهم ﴿بِهَا﴾؛ أي: بمقاومتها، ولا قدرة لهم على مقابلتها. وقرأ ابن مسعود: ﴿بِهِمْ﴾ بضمير جمع الذكور، واللام في ﴿لَنَأْتِيَنَّهُمْ﴾ موطئة للقسم المحذوف. وقوله: ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ﴾ معطوف على جواب القسم؛ أي: فوالله لنأتين بلقيس وقومها في أرضهم سباً بجنود لا قبل لهم بها، ولنخرجنهم ﴿مِنْهَا﴾؛ أي: من سباً وأرضهم التي هم فيها حالة كونهم ﴿أَذَلَّةٌ﴾ بذهاب ما كانوا فيه من العز؛ أي: ذليلين بذهاب ملكهم وعزهم. بعدما كانوا أعزة أهلها، وجملة قوله: ﴿وَهُمْ صَغِيرُونَ﴾؛ أي: أسارى مهانون بوقوعهم في أسر واستعباد بأغلال أيمانهم إلى أعناقهم، حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الإجلاء. وقيل^(١): هي حال مؤكدة؛ لأن الصغار هو الذلة. وقيل: إن المراد بالصغار هنا الأسر والاستعباد. وقيل: إن الصغار الإهانة التي تسبب عنها الذلة.

ولما رجع رسل بلقيس إليها، وأخبروها بخبر سليمان.. قالت: والله قد علمت أنه ليس بملك، ولا لنا به من طاقة، وبعثت إلى سليمان أنني قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك، وما تدعو إليه من دينك، وتجهزت للمسیر إلى سليمان. وقيل: أخبر جبريل سليمان بذلك، فقال سليمان: يا أيها المלא أيكم يأتيني بعرشها... إلخ.

وروي عن ابن عباس^(٢) - رضي الله عنهما - أنه قال: لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان، وأخبروها الخبر.. قالت: قد عرفت والله ما هذا بملك، ولا لنا به من طاقة، وبعثت إلى سليمان أنني قادمة إليك بملوك قومي حتى

(٢) المراح.

(١) الشوكاني.

أنظر ما أمرك، وما تدعو إليه من دينك، ثم أمرت بعرشها، فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في داخل بعض، ثم غلقت عليه سبعة أبواب، وجعلت عليها حراساً يحفظونه، ثم تجهزت للمسير، فارتحلت إلى سليمان في اثني عشر ألف ملك من ملوكها تحت كل ملك ألف، فخرج سليمان يوماً فجلس على سريره فسمع وهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس، وقد نزلت بهذا المكان؛ أي: الذي على مسيرة فرسخ من سليمان عليه السلام. فأقبل سليمان على جنوده فقال: **يَتَأَيَّاهُ الْمَلُوكُ** والأشرف **﴿أَيْكُمُ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾**؛ أي: من الذي منكم يأتيني بعرشها وسريرها؛ أي: بعرش بلقيس الذي تقدم وصفه بالعظم **﴿بَقَلْ أَنْ يَأْتُونِي﴾**؛ أي: قبل أن تأتيني هي وقومها حالة كونهم **﴿سُلَيْمِينَ﴾**؛ أي: مؤمنين بالله وبرسوله؛ لأنه قد أوحى إليه أنها سوف تسلم.

قيل: أراد سليمان أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء العجائب على يده الدالة على عظيم قدرة الله تعالى، وعلى صدقه في نبوته، وكان سليمان إذ ذاك في بيت المقدس، وعرشها في سبأ بلدة باليمن، وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين، وأن يعرف مقدار مملكتها قبل وصولها إليه؛ لأن العرش سرير المملكة، وقيل: إنما أراد أخذ عرشها قبل أن يصلوا إليه ويسلموا؛ لأنها إذا أسلمت وأسلم قومها.. لم يحل أخذ أموالهم بغير رضاهم، وهذا^(١) بعيد عند أهل التحقيق، أو أراد أن يؤتي به فينكر ويغير، ثم ينظر أثبته أم تنكره، اختباراً لعقلها، ولهذا قال: **﴿نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾**.

قال ابن عطية: وظاهر الروايات أن هذه المقالة من سليمان هي بعد مجيء هديتها ورده إياها وبعثه الهدهد بالكتاب، وعلى هذا جمهور المتأولين. انتهى. وقيل: أراد أن يختبر صدق الهدهد في وصفه للعرش بالعظم. والقول الأول هو الذي عليه الأكثر.

﴿قَالَ عَفَرْتُ﴾؛ أي: مارد خبيث **﴿مِنَ الْجِنَّ﴾** بيان له؛ إذ يقال للرجل

(١) النسفي.

الخبيث المنكر المعفر لأقرانه عفريت. قيل: اسم^(١) هذا العفريت كودت. ذكره النحاس عن وهب بن منبه. وقال السهيلي: اسمه ذكوان. وقيل: اسمه دعوان. وقيل: صخر. وفي «فتح الرحمن»: اسمه كوذى أو اصطخر سيد الجن، وكان قبل ذلك متمرداً على سليمان. واصطخر فارس تنسب إليه، وكان الجني كالجبل العظيم يضع قدمه عند منتهى طرفه.

وقرأ الجمهور^(٢): ﴿عَفْرِتٌ﴾ - بكسر العين وسكون الفاء وكسر الراء وسكون المثناة التحتية وبالتاء -، وقرأ أبي بن كعب وأبو العالية وابن يعمر وعاصم الجحدري: ﴿عَفْرِتٌ﴾ - بفتح العين وكسر الراء - وقرأ أبو رجاء وأبو السمال وعيسى الثقفي وابن السميعة ورويت عن أبي بكر الصديق: ﴿عَفْرِيةٌ﴾ - بكسر العين وسكون الفاء وكسر الراء بعدها ياء مفتوحة بعدها تاء التانيث -، وقرأت فرقة: ﴿عَفِرٌ﴾ بلا ياء ولا تاء. ويقال في لغة طي وتميم: ﴿عَفَرةٌ﴾ بالالف وتاء التانيث، وفيه لغة سادسة: ﴿عَفَاريةٌ﴾، ويوصف بها الرجل، ولما كان قد يوصف به الإنس.. خص بقوله: ﴿من الجن﴾. وقرأ ابن مسعود وابن السميعة أيضاً: ﴿عَفَرةٌ﴾ بكسر العين وفتح الراء وبالف من غير ياء.

﴿أَنَا ءَايِكَ بِهِ﴾؛ أي: بعرشها ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾؛ أي: من مجلسك للحكومة بين الناس، وكان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم. وقيل: المعنى قبل أن تستوي من جلوسك قائماً. وقوله: ﴿ءَايِكَ﴾: فعل مضارع، أصله: أأتيك بهمزتين، فأبدلت الثانية ألفاً، وكذا في الموضع الآتي. وقيل: هو اسم فاعل، وهو^(٣) الأنسب لمقام ادعاء الإتيان بلا محالة، وأوفق بما عطف عليه من الجملة الاسمية؛ أي: أنا أت به في تلك المدة البتة.

﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾؛ أي: على حملة والإتيان به ﴿لَقَوِيَّ﴾ لا يثقل علي حملة ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة، لا غيره ولا أبدله

(٣) روح البيان.

(١) الشوكاني.

(٢) البحر المحيط. وزاد المسير.

بغيره، والمعنى أنه سيأتي بالعرش إلى سليمان قبل أن يقوم من مجلسه الذي يجلس فيه للحكومة بين الناس.

ولما قال سليمان عليه السلام: أريد أسرع من هذا ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ وهو آصف بن برخيا بن خالة سليمان، وكان وزيره وكاتبه ومؤدبه في حال صغره، وكان رجلاً صديقاً يقرأ الكتب الإلهية، ويعلم الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وقد خلقه الله لنصرة سليمان ونفاذ أمره.

فالمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة على موسى وإبراهيم وغيرهما، أو اللوح المحفوظ وأسراره المكنونة. قال ابن عطية: وقالت فرقة: هو سليمان نفسه، ويكون الخطاب على هذا للعفريت، كأن سليمان استبطأ ما قاله العفريت، فقال له تحقيراً له: ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهٍ﴾؛ أي: بعرشها ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ﴾ ويرجع ﴿إِلَيْكَ طَرَفُكَ﴾؛ أي: بصرك مما نظرت إليه يعني أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك.

والمعنى على هذا القول الأخير؛ أي^(١): قال سليمان للعفريت محدثاً بنعمة الله وعظيم فضله عليه: أنا أفعل ما لا تستطيع أنت، أنا أحضره في أقصر ما يكون مدة، أنا أحضره قبل ارتداد طرفك إليك، وقد كان كما قال. وقال المعتزلة: هو جبريل؛ وذلك لأنهم لا يرون كرامة الأولياء، وقيل: الخضر، والأول أولى، وقيل: غير ذلك مما لا أصل له. والله أعلم.

ويروى^(٢): أن آصف قال لسليمان عليه السلام: مد عينيك حتى ينتهي طرفك، فمد عينيه، فنظر نحو اليمن، فدعا آصف فغار العرش في مكانه، ثم نبع عند مجلس سليمان بقدرة الله تعالى قبل أن يرتد طرفه. قيل: كان الدعاء الذي دعا به آصف يا ذا الجلال والإكرام. وقيل: يا حي يا قيوم، وروي ذلك عن عائشة، وروي عن الزهري قال: دعاء الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ائتني بعرشها. والمراد بالطرف تحريك

(١) المراغي.

(٢) النسفي.

الأجفان وفتحها للنظر، وارتداده انضمامها.

قال شيخ الإسلام^(١): القائل في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ هو كاتب سليمان واسمه آصف. فإن قلت: كيف قدر مع أنه غير نبي على ما لم يقدر عليه سليمان من إحضار عرش بلقيس في طرفة عين؟ قلت: يجوز أن يخص غير النبي بكرامة لا يشاركه فيها النبي، كما خصت مريم بأنها كانت ترزق من فاكهة الجنة، وزكريا لم يرزق منها، ولم يلزم من ذلك فضلها على زكريا، وقد نقل أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان إذا أراد الخروج إلى الغزاة.. قال لفقراء المهاجرين والأنصار ادعوا لنا بالنصرة، فإن الله سبحانه ينصرنا بدعائكم، ولم يكونوا أفضل منه مع أن كرامة التابع من جملة كرامة المتبوع.

ويحكى: أن العلم الذي كان عند آصف هو اسم الله الأعظم، فدعا به، فأجيب له في الحال، وهو عند أكثر العلماء كما قال البندنجي اسم الله، وقيل: يا حي يا قيوم، وقيل: يا ذام الجلال والإكرام، وقيل: الله يا رحمن، وقيل: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت. انتهى.

قال بعضهم^(٢): أراد سليمان أن يظهر كرامة أمته؛ ليعلم أن في أمم الأنبياء أهل الكرامات؛ لئلا ينكروا من كرامات الأولياء. وقال محمد بن المنكدر: إنما الذي عنده علم هو سليمان نفسه، قال له عالم من بني إسرائيل: أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه منك عند الله، فإن دعوت الله كان العرش عندك، فقال: صدقت، ففعل ذلك، فجيء بالعرش في الوقت.

قال الرازي: وهذا القول أقرب، والمخاطب العفريت الذي كلمه، وأراد سليمان عليه السلام إظهار المعجزة فطالبه أولاً، ثم بين أنه يتحصل له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يتهيأ للعفريت. قيل: خر سليمان ساجداً ودعا باسم الله الأعظم، فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسي سليمان. وإنما هذا

(٢) المراح.

(١) فتح الرحمن.

أقرب؛ لأن سليمان كان أعرف بالكتاب من غيره؛ لأنه نبي، وإن إحضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية، فلو حصلت لأصف.. لاقتضى ذلك تفضيله على سليمان، ولو افتقر إليه في ذلك.. لاقتضى ذلك نقص حال سليمان في أعين الخلق، ولأن ظاهر قوله: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ يقتضي أن يكون إتيان العرش بدعاء سليمان. انتهى.

قوله: ﴿فَلَمَّا رَآهُ﴾ قبله حذف، تقديره: فأذن له سليمان، فدعا الله، فأتي به فلما رآه سليمان؛ أي: فلما رأى سليمان العرش ﴿مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ﴾؛ أي: حاضراً لديه؛ أي: متحولاً إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف ﴿قَالَ﴾ سليمان شاكراً لربه لما آتاه الله سبحانه من هذه الخوارق ﴿هَذَا﴾؛ أي: إتيان العرش في هذه المدة القصيرة ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾؛ أي: من إحسانه إلي من غير استحقاق له من قبلي أكرمني به ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾؛ أي: لكي يختبرني ﴿أَشْكُرُ﴾ به بذلك، واعترف بأنه من فضله من غير حول مني ولا قوة. ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بترك الشكر عليه، وعدم القيام به، أو بأن أثبت لنفسي تصرفاً في ذلك.

قال الأخفش: المعنى لينظر أشكر أم أكفر. والابتلاء: الاختبار، وإذا قيل^(١): ابتلي فلان بكذا وبلاه.. يتضمن أمرين:

أحدهما: تعرف حاله، والوقوف على ما يجهل من أمره.

والثاني: ظهور جودته ورداءته، وربما قصد به الأمران، وربما يقصد به أحدهما، فإذا قيل بلاه الله كذا، وابتلاه.. فليس المراد إلا ظهور جودته، أو رداءته دون التعرف لحاله، والوقوف على ما يجهل منه؛ إذ كان تعالى علام الغيوب.

﴿أَشْكُرُ﴾ بأن أراني محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة، وأقوم بحقه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بأن أجد لنفسي مدخلاً في البين، وأقصر في إقامة موجه، و﴿أَمْ﴾ هنا متصلة.

(١) روح البيان.

﴿وَمَنْ شَكَرَ﴾ فضل الله سبحانه وإحسانه إليه ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾؛ لأنه غني عنه وعن شكره؛ أي: لغرض نفسه ونفعها، فإن نفع شكره يعود إليه؛ وهو أن يخرج عن علة وجوب الشكر عليه، ويستوجب به تمام النعمة ودوامها؛ لأن^(١) الشكر قيد النعمة الموجودة، وصيد النعمة المفقودة.

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾؛ أي: ترك شكر الله سبحانه على فضله وإحسانه إليه بأن لم يعرف النعمة، ولم يؤد حقها، فإن مضرة كفره ووباله عليه، لا يضر الله سبحانه كفرانه. ﴿فَإِنَّ رَبِّي﴾؛ أي: لأن ربي سبحانه ﴿عَنِّي﴾ عن شكره، لا يضره ذلك الكفران ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإفضال عليه، لا يقطع نعمه عنه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة. قال الواسطي: ما كان منا من الشكر فهو لنا، وما كان منه من النعمة فهو إلينا، وله المنة والفضل علينا.

قال في «المفردات»: المنحة والمحنة جميعاً بلاء، فالمحنة مقتضية للصبر، والمنحة مقتضية للشكر. والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين، وبهذا النظر قال عمر - رضي الله عنه -: بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر، ولهذا قال أمير المؤمنين - رضي الله عنه -: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله. وقال الواسطي أيضاً في الشكر: يبطال رؤية الفضل كيف يوزاي شكر الشاكرين فضله، وفضله قديم وشكرهم محدث. اهـ.

قال في «الأسئلة المقحمة»: في الآية دليل على إثبات الكرامات من وجهين:

أحدهما: أن العفريت من الجن لما ادعى إحضاره قبل أن يقوم سليمان من مقامه.. لم ينكر عليه سليمان، بل قال: أريد أعجل من ذلك، فإذا جاز أن يكون مقدوراً لعفريت من الجن.. فكيف لا يكون مقدوراً لبعض أولياء الله تعالى.

(١) الخازن.

والثاني: أن الذي عنده علم من الكتاب؛ وهو آصف وزير سليمان لم يكن نبياً، وقد أحضره قبل أن يرتد طرفه إليه، كما نطق به القرآن، فدل على جواز إثبات الكرامات الخارقة للعادة للأولياء خلافاً للقدرية حيث أنكروا ذلك.

فصل

والكرامة^(١): ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص صالح غير مقرون بدعوى النبوة والرسالة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يسمى استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يسمى معجزة. قال بعضهم: لا ريب عند أولي التحقيق أن كل كرامة نتيجة فضيلة من علم أو عمل أو خلق حسن، فلا يعول على خرق العادة بغير علم صحيح، أو عمل صالح، فطي الأرض إنما هو نتيجة عن طي العبد أرض جسمه بالمجاهدات، وأصناف العبادات، وإقامته على طوال الليالي بالمناجاة، والمشي على الماء لمن أطعم الطعام وكسا العراة؛ إما من ماله، أو بالسعي عليهم، أو علم جاهلاً، أو أرشد ضالاً؛ لأن هاتين الصفتين سر الحياتين، الحسية والعلمية، وبينهما وبين الماء مناسبة بيّنة.

وترك الظهور بالكرامات الحسية والعلمية أليق للعارف؛ لأنه محل الآفات، وللعارف استخدام الجن أو الملك في غذائه من طعامه وشرابه وفي لباسه. قال في «كشف الأسرار»: قد تحصل الكرامة باختيار الولي ودعائه، وقد تكون بغيره، وفي الحديث: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين - إزار ورداء باليين - لا يؤبه - ييالي - له لو أقسم على الله لأبره».

وكرامات الأولياء ملحقمة بمعجزات الأنبياء؛ إذ لو لم يكن النبي صادقاً في معجزته ونبوته.. لم تكن الكرامة تظهر على من يصدقه، ويكون من جملة أمته، ولا ينكر كرامات الأولياء إلا أهل الحرمان سواء أنكروها مطلقاً، أو أنكروا كرامات أولياء زمانهم، وصدقوا كرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانهم

(١) روح البيان.

كالصحابه والسلف الصالح، كمن صدق بموسى وكذب بمحمد عليهما السلام. وما هي إلا خصلة إسرائيلية، نسأل التوفيق وحسن الخاتمة لنا ولجميع المسلمين أجمعين. آمين.

﴿قَالَ﴾ سليمان، كرر الحكاية تنبيهاً على ما بين السابق واللاحق من المخالفة؛ لما أن الأول من باب الشكر، والثاني أمر لخدمه: ﴿نَكْرُوا﴾؛ أي: غيروا ﴿هَآءَ﴾؛ أي: لأجل إدراك مستوى عقلها. ﴿عَرَّهَا﴾؛ أي: سريرها الذي جيء به؛ أي: غيروا هيئته وشكله بوجه من الوجوه، بحيث ينكر ويجهل، والأمر للشياطين، فجعل الشياطين أسفله أعلاه، وبنوا فوقه قباباً أخرى هي أعجب من تلك القباب، وجعلوا موضع الجوهر الأحمر الأخضر وبالعكس؛ أي: غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رآته بزيادة أو نقصان.

قال الفراء وغيره: إنما أمرهم بتنكيره؛ لأن الشياطين قالوا له: إن في عقلها شيئاً، فأراد أن يمتحنها. وقيل: خافت الجن أن يتزوج بها سليمان، فيولد له منها ولد، فيبقوا مسخرين لآل سليمان أبداً، فقالوا لسليمان: إنها ضعيفة العقل، ورجلها كرجل الحمار.

وقوله: ﴿تَنْظُرُ﴾ قراءة الجمهور بالجزم على أنه جواب الأمر^(١). وقرأ أبو حيوة بالرفع على الاستئناف؛ أي: نختبر ﴿أَنْهَدَى﴾ إلى معرفته فتظهر رجاحة عقلها. ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفته فتظهر سخافة عقلها. وذلك^(٢) أن الشياطين خافوا أن تفشي بلقيس أسرارهم إلى سليمان؛ لأن أمها كانت جنية، وأن يتزوجها سليمان، ويكون بينهما ولد جامع للجن والإنس فيرث الملك، ويخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفطع، ولا ينفكون من التسخير، ويبقون في التعب والعمل أبداً، فأرادوا أن يبغضوها إلى سليمان، فقالوا: إن في عقلها خللاً وقصوراً، وإنها شعراء الساقين، وإن رجلها كحافر الحمار، فأراد سليمان أن يختبرها في عقلها فأمر بتنكير العرش، واتخذ الصرح كما سيأتي؛

(١) البحر المحيط.

(٢) روح البيان.

ليتعرف ساقياها ورجليها.

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ﴾ بلقيس سليمان والعرش بين يديه ﴿قِيلَ﴾ لها من جهة سليمان بالذات، أو بالواسطة امتحاناً لعقلها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكَ﴾؛ أي: أمثل هذا عرشك الذي تركته في قصرِكَ، وأغلقت عليه الأبواب، وجعلت عليه حراساً، ولم يقل: هذا عرشك؛ لئلا يكون تلقيناً لها، فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير، وهو اختيار عقلها ﴿فَأَلَّتْ﴾ بلقيس جواباً له: ﴿كَأَنَّهُ﴾؛ أي: كأن عرشي ﴿هُوَ﴾؛ أي: هذا العرش الحاضر، أو كأن هذا الحاضر هو عرشي، فلوحت لما اعتراه بالتنكير من نوع مغاير في الصفات مع اتحاد الذات، فاستدل سليمان بذلك على كمال عقلها، حيث لم تقر ولم تنكر، ولم تقل لا، ولا قالت: نعم، بل شبهوا عليها فشبهت عليهم مع علمها بحقيقة الحال، ولو قيل لها: هذا عرشك؟ قالت: نعم، لمعرفتها للعرش. وقال عكرمة: كانت حكيمة، لم تقل: نعم، خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا، خوفاً من التكذيب لها.

وكانها ظنت أن سليمان أراد بذلك اختبار عقلها، وإظهار معجزة لها، فقالت: ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ﴾؛ أي^(١): وأعطينا العلم بكمال قدرته تعالى، وصحة نبوتك ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾؛ أي: من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها الآن في العرش بما سمعناه من رسولنا المنذر بن عمرو من الآيات الدالة على ذلك ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾؛ أي: منقادين خاضعين لأمر سليمان من ذلك الوقت. وهذا من تنمة كلام بلقيس.

والمعنى: وأوتينا العلم بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدد والرسل من قبلها؛ أي: من قبل الآية الظاهرة في العرش. وقيل: هو من كلام سليمان، والمعنى عليه: وأوتينا العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة، وقيل: أوتينا العلم بإسلامها، وبمجيئها طائفة من قبلها؛ أي: من قبل مجيئها، وكنا مسلمين منقادين لأوامر الله تعالى.

ويكون الغرض من هذا^(٢): شكر نعمة الله تعالى عليه أن خصه بمزيد العلم

(٢) الخازن.

(١) المراح.

والتقدم في الإسلام، وقيل: هو من كلام قوم سليمان، والقول الثاني أرجح^(١) من سائر الأقوال.

وخلاصة المعنى على القول الأول: وعليه أكثر المفسرين؛ أي: وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصدق نبوتك من قبل هذه المعجزة بما شاهدناه من أمر الهدهد، وبما سمعناه من رسلنا إليك من الآيات الدالة على ذلك، وكنا منقادين لك من ذلك الحين، فلا حاجة إلى إظهار معجزات أخرى.

وقوله: ﴿وَصَدَّهَا﴾؛ أي: منع بلقيس من إظهار ما ادعته من الإسلام إلى الآن. ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سبحانه، بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من الإسلام؛ أي: منعها عن عبادة الله سبحانه عبادة ما كانت تعبده من دون الله تعالى قديماً؛ وهو الشمس، ف﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾ فاعل ﴿صَدَّ﴾، ويحتمل كون^(٢) فاعل ﴿صَدَّ﴾ ضميراً عائداً على ﴿سُلَيْمَنْ﴾، و﴿مَا﴾ مجرورة بحرف جر محذوف.

والمعنى: وصدها سليمان؛ أي: منعها وصرفها عن الذي كانت تعبده من دون الله، وحال بينها وبينه؛ وهو الشمس، أو المعنى^(٣): وصدها الله سبحانه عن عبادتها القديمة بالتوفيق للإيمان، فيكون الفاعل ضميراً يعود على ﴿اللَّهُ﴾ سبحانه، و﴿مَا﴾: مفعول على الوجهين الأخيرين، وفاعل على الأول، والأول أولى، والجملة مستأنفة للبيان، كما ذكرنا.

وقوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾: تعليل لسببية عبادتها المذكورة؛ للصد عن عبادة الله سبحانه؛ أي: إنها كانت من قوم راسخين في الكفر، ولذلك لم تكن قادرة على إسلامها، وهي بين ظهرانيتهم إلى أن دخلت تحت ملك سليمان؛ أي: فصارت من قوم مؤمنين، أو استئناف أخبر الله تعالى أنها كانت من مجوس يعبدون الشمس، فلا تعرف إلا عبادتها.

قرأ الجمهور^(٤): بكسر الهمزة. وقرأ سعيد بن جبير وأبو حيوة وابن أبي

(١) الشوكاني.

(٢) البحر المحيط.

(٣) المراح بتصرف.

عبلة بفتحها، فإنما على تقدير الجر؛ أي: لأنها، وإما على أن يكون بدلاً من الفاعل الذي هو ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾؛ أي: ومنعها عن إظهار دعوها الإسلام كونها من قوم كافرين، أو وصرفها سليمان عن صيرورتها كافرة.

والمعنى: أي^(١) ومنعها ما كانت تعبده من دون الله تعالى؛ وهو الشمس عن إظهار الإسلام، والاعتراف بوحدانيته تعالى من قبل أنها من قوم كانوا يعبدونها، ونشأت بين أظهرهم، ولم تكن قادرة على إظهار إسلامها إلى أن مثلت بين يدي سليمان، فاستطاعت أن تنطق بما كانت تعتقده في قرارة نفسها، ويجول في خاطرها.

روي: أن سليمان أمر قبل مقدمها ببناء قصر عظيم جعل صحنه - أي أرضه - من زجاج أبيض شفاف يجري من تحته الماء، وألقى فيه دواب البحر من سمك وغيره، فلما قدمت إليه استقبلها فيه، وجلس في صدره، فحين أرادت الوصول إليه.. حسبته ماء، فكشفت عن ساقها؛ لئلا تبتل أذيالها، كما هي عادة من يخوض الماء، فقال لها سليمان: إن ما تظنينه ماء ليس بالماء، بل هو صرح قد صنع من الزجاج، فسترت ساقها وعجبت من ذلك، وعلمت أن هذا ملك أعز من ملكها، وسلطان أعز من سلطانها، ودعاها سليمان إلى عبادة الله سبحانه، وعابها على عبادة الشمس دون الله سبحانه، فأجابته إلى ما طلب، وقالت: رب إني ظلمت نفسي بالثبات على ما كنت عليه من الكفر، وأسلمت مع سليمان لله رب كل شيء، وأخلصت له العبادة.

وإلى ما تقدم أشار سبحانه بقوله: ﴿قِيلَ لَهَا﴾ من جهة سليمان ﴿أَدْخُلِ الصَّرْحَ﴾؛ أي: الصحن والبلاط المتخذ من زجاج. قال أبو عبيدة^(٢): الصرح: القصر. وقال الزجاج: الصرح الصحن. يقال: هذه صرحة الدار وقاعتها. وقال ابن قتيبة: الصرح: بلاط اتخذ من قوارير، وجعل تحته ماء وسمك.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾؛ أي: فلما رأت بلقيس الصرح؛ أي: ذلك الصحن المتخذ من

(٢) الشوكاني.

(١) المراغي.

زجاج شفاف ﴿حَبِيتَةً﴾؛ أي: ظنت ذلك الصرح ﴿لُجَّةً﴾؛ أي: ماء غمرا ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ على عادة من أراد خوض الماء، تثنية ساق؛ وهي ^(١) ما بين الكعبين، كعب الركبة وكعب القدم.

وقرأ ابن كثير وقنبل في رواية الأخریط عن وهب بن واضح: ﴿عن سَاقِيهَا﴾ بالهمز. قال أبو علي: وهي ضعيفة، وكذلك في قراءة قنبل ﴿يوم يكشف عن ساق﴾، وأما همزة السوق وعلى سؤقه، فلغة مشهورة في همز ﴿الواو﴾ التي قبلها ضمة، ذكره أبو حيان.

أي: تَشَمَّرَتْ؛ لثلا تبتل أذيالها؛ لأجل أن تصل إلى سليمان، فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً، خلا أنها شعراء. قال وهب بن منبه: فلما رأت اللجة فزعت وظنت أنها قصد بها الغرق، وتعجبت من كون كرسيه على الماء، ورأت ما هالها، ولم يكن لها بدّ من امتثال الأمر، فرفعت ثيابها عن ساقها فرآهما، فإذا هي أحسن النساء ساقاً وقدماً سليمة مما قالت الجن فيها إلا أنها كانت كثيرة الشعر في ساقها، فلما علم الحال صرف بصره عنها.

﴿قَالَ﴾ سليمان عليه السلام حين رأى منها الدهشة والرعب لا تكشفني ساقيك ﴿إِنَّهُ﴾؛ أي: إن ما توهمته ماء ﴿صَرَحَّ﴾؛ أي: بلاط ﴿مُمرَّدٌ﴾؛ أي: مملس؛ أي: أملس مصنوع ﴿مِنْ قَوَارِيرٍ﴾؛ أي: من زجاج صاف شفاف، وليس بماء؛ جمع قارورة؛ أي: إن الذي ظننته ماء سقف مملس مصنوع من زجاج تحته ماء، فلا تخافي واعبري.

وحاصل ما في المقام كما مر قريباً: أن سليمان ^(٢) أمر الشياطين قبل قدوم بلقيس بأن يحفروا على طريقها حفيرة، ويجعلوا سقفها زجاجاً أبيض شفافاً، ويصنعوا فيها ماء وسمكاً وفضدعاً وغير ذلك من حيوانات الماء، وصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج، فمن أراد مجاوزته يمر فوق السطح الذي تحته الماء، ولا يمسه الماء، ومن لم يكن عالماً بالحال يظن هذا ماء مكشوفاً ليس له

(١) روح البيان.

(٢) المراح.

سقف يمنع من الخوض فيه، ووضع سليمان عليه السلام سريره في صدر ذلك السطح، فجلس عليه، فدعاها إليه وقال لها: ﴿أَدْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ﴾. فلما سمعت بلقيس ذلك أذعنت واستسلمت، و﴿قَالَتْ﴾ حين عاينت تلك المعجزة أيضاً بعد أن دعاها سليمان إلى الاسلام ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة الشمس، والثبات على الكفر فيما تقدم من الزمان، وقيل بسوء ظني بسليمان أنه يغرقني في اللجة. ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾؛ أي: ودخلت في دين الإسلام مصاحبة له في الدين مقتدية به. ﴿إِلِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أي: معبود العالمين، التفتت من الخطاب إلى الغيبة؛ أي: إلى الاسم الجليل، والوصف بالربوبية لإظهار معرفتها بألوهيته تعالى، وتفرد به باستحقاق العبودية، وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس. والمعنى^(١): أخلصت له التوحيد تابعة لسليمان مقتدية به.

وقال القيصري: أسلمت إسلام سليمان؛ أي: كما أسلم سليمان. و﴿مَعَ﴾ في هذا الموضع ك﴿مَعَ﴾ في قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾؛ إذ لا شك أن زمان إيمان المؤمنين ما كان مقارناً لزمان إيمان الرسل، وكذا إسلام بلقيس ما كان عند إسلام سليمان، فالمراد كما أنه آمن بالله آمنت بالله، وكما أنه أسلم لله أسلمت لله. انتهى.

ويجوز أن يكون ﴿مَعَ﴾ هنا واقعاً موقع بعد، كما في قوله: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وقال^(٢) شيخ الإسلام: حقيقة المعية الاتفاق في الزمان، وسليمان كان مسلماً قبلها، ولم يقل بدل ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ على يد سليمان؛ لأنها كانت ملكة فلم تذكر عبارة تدل على أنها صارت مولاة له بإسلامها، وإن كان الواقع كذلك. انتهى.

قيل لما أراد سليمان أن يتزوجها، وكره شعر ساقها.. أمر الشياطين أن يتخذوا النورة والحمام لأجل إزالته، فكانتا من يومئذ، فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً حتى بقيت على نكاحه إلى أن مات عنها، ورزق منها بولد اسمه داود.

(٢) فتح الرحمن.

(١) روح البيان.

وأقرها على ملكها، وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة قصور لم يرَ الناس مثلها ارتفاعاً وحسناً، وكان يزورها في الشهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وكان يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان، فسبحان من لا يزول ملكه.

فائدة: روي^(١) أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فمدة ملكه أربعون سنة، ووفاته في أواخر سنة خمس وسبعين وخمس مئة لوفاة موسى عليه السلام، وبين وفاته والهجرة الشريفة الإسلامية ألف وسبع مئة وثلاث وسبعون سنة، ونقل أن قبره ببيت المقدس عند الجيسمانية، وهو وأبوه داود في قبر واحد، وعاش أبوه داود مئة سنة.

قصص صالح عليه السلام

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ معطوف^(٢) على قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ﴾، واللام فيه موطئة للقسم، وهذه القصة من جملة بيان قوله: ﴿وَلَنُكَفِّرَنَّ الْفَرِّاتِ مِن لَّدُنَّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾؛ أي: وعزتي وجلالي لقد أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾ وهي قبيلة من العرب كانوا يعبدون الأصنام ﴿أَخَاهُمْ﴾ النسبي المعروف عندهم بالصدق والأمانة، وقوله: ﴿صَلِّحًا﴾ عطف بيان من ﴿أَخَاهُمْ﴾، وهو صالح بن عبيد بن آسف بن كاشح بن حاذر بن ثمود، وعاش^(٣) صالح مئتين وثمانين سنة، وبينه وبين هود مئة سنة، وعاش هود أربع مئة سنة وأربعاً وستين سنة، وبينه وبين نوح ثمان مئة سنة.

أي: أرسلناه إليهم بـ ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ سبحانه؛ أي: وحدوه بالعبادة، ولا تعبدوا غيره معه، فـ ﴿إِنْ﴾ مصدرية في محل الجر بالباء المحذوفة، ويصح كونها مفسرة؛ لأن الإرسال بمعنى الوحي يتضمن معنى القول، كما في «الكرخي».

و﴿إِذَا﴾ في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ فِي مَقَامٍ يَخْتَصِمُونَ﴾ فجائية؛ أي: ففاجأ إرساله تفرقهم واختصامهم، فأمن فريق وكفر فريق؛ أي: استمروا على كفرهم.

(٣) الفتوحات.

(١) روح البيان.

(٢) الشوكاني.

و﴿هُمْ﴾: مبتدأ و﴿فَرِيقَانِ﴾: خبره، وجملة ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: صفة ﴿فَرِيقَانِ﴾، والواو: فيه مجموع الفريقين، كما في «البيضاوي». وهو العامل في إذا على القول بظرفيتها؛ أي: ففي الوقت الحاضر أعني: وقت الإرسال اختصم الفريقان في الدين، كل فريق يقول الحق معي.

والمراد بالفريقين^(١): المؤمنون منهم والكافرون، ومعنى الاختصام: أن كل فريق يخاصم على ما هو فيه، ويزعم أن الحق معه. وقيل: إن الخصومة بينهم في صالح هل هو مرسل أم لا؟. وقيل: أحد الفريقين صالح، والفريق الآخر جميع قومه؛ وهو ضعيف.

والمعنى^(٢): إذا قوم صالح فريقان مؤمن به وكافر به يختصمون في الدين، فيقول كل فريق الحق معي، وهو مبين في قوله في سورة الأعراف: ﴿قَالَ أَلَمْأَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَنْفَعَالُوكَ أَنْتَ صَالِحًا مَّرْسَلٌ مِّن رَّبِّكَ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنَ بِهِ كَفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ وقال الفريق الكافر: يا صالح اتتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين.

ومعنى الآية: وعزتي وجلالي لقد بعثنا إلى ثمود أخاهم صالحا، وقلنا لهم: اعبدوا الله وحده لا شريك له، ولا تجعلوا معه إلها غيره. وحين دعاهم إلى ذلك افترقوا فرقتين؛ فريق صدق صالحا، وآمن بما جاء به من عند ربه، وفريق كذبه، وكفر بما جاء به وصارا يتجادلان ويتخاصمان، وكل منهما يقول: أنا على الحق، وخصمي على الباطل.

ثم ذكر أن صالحا استعطف المكذبين، وكانوا أكثر عدداً وأشد عتوا وعناداً، حتى قالوا: ﴿يَصْلِحُ أَتُونَا بِمَا نَعُدُّكَ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾؛ ﴿قَالَ﴾ صالح ﴿يَقُولُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾؛ أي: بالعقوبة التي يسوءكم نزولها بكم.

(١) الشوكاني.

(٢) النسفي.

﴿فَإِنَّ﴾ حصول ﴿الْحَسَنَةِ﴾ والخيرات التي بشرتكم بها في الدنيا والآخرة إن أنتم مؤمنون.

والاستعجال: طلب الشيء قبل أوانه، وأصل ﴿لَمْ﴾ لما على أنه استفهام، حذفت ألفها فرقاً بينها وبين ﴿مَا﴾ الموصولة في صورة الجر بالحرف؛ أي: قال لهم: لأي غرض تطلبون عجلة العقوبة حيث قلتما ائتما بما تعدنا قبل التوبة، فتؤخرونها إلى حين نزول العذاب، فإنهم كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون: إن وقع تبنا حيثئذ وإلا فنحن على ما كنا عليه.

ثم نصحهم، وطلب إليهم أن يستغفروا ربهم لعلمهم يرحمون، فقال: ﴿لَوْلَا﴾ حرف تحضيض بمعنى هلا؛ أي: هلا ﴿سَتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ سبحانه وتوبون إليه من كفركم، فيغفر لكم عظيم جرمكم، ويصفح عن عقوبتكم على ما أتيتم به من الخطايا. ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تُزْحَمُونَ﴾ بقبولها؛ إذ قد جرت سنته أن لا تقبل التوبة بعد نزول العقوبة، أي^(١): رجاء أن ترحموا أو لكي ترحموا فلا تعذبوا، فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر، ووصف العذاب بأنه سيئة مجازاً؛ إما لأن العذاب من لوازمه، أو لأنه يشبهه في كونه مكروهاً، فكان جوابهم عليه بعد هذا الإرشاد الصحيح والكلام اللين أنهم ﴿قَالُوا﴾؛ أي: قال الفريق الكافر منهم لصالح ومن معه: إنا قد ﴿أَطَعْنَا﴾ وتشاء منا ﴿يَا صَالِح﴾ يا صالح ﴿وَبِمِنْ﴾ دخل ﴿مَعَكَ﴾ في دينك؛ أي: كرهنا فالكفم وفأل دينكم، حيث^(٢) تابعت علينا الشدائد والمصائب. من القحط والاختلاف منذ اخترعتم دينكم هذا، وكانوا قحطوا عند مبعثه بسبب تكذيبه، فقالوا: أصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم أصحابك فنسبوه إلى مجيئه، يعنون: شدتنا من شؤمك ومن شؤم من آمن معك؛ أي: من قبح حالكم وقبح دينكم، وقد كانت العرب أكثر الناس طيرة وأشقاهاهم بها، وكانوا إذا أرادوا سفراً أو أمراً من الأمور نفروا - حركوا - طائراً من وكره، فإن طار يمنية ساروا وفعلوا ما عزموا، وإن طار يسرة تركوا ذلك.

(١) الشوكاني.

(٢) المراح.

وفي «الفتوحات»: تشاء منا؛ أي: أصابنا الشؤم؛ أي: الضيق والشدة. وفي «القرطبي»: الشؤم النحس، ولا شيء أضر ولا أفسد للتدبير من اعتقاد الطيرة، ومن ظن أن خوار بقرة، أو نعيق غراب يرد قضاء، أو يدفع مقدوراً.. فقد جهل. اهـ.

وأصل ﴿أَطْرَيْنَا﴾ تطيرنا، وقد قرئ بذلك فادغمت التاء في الطاء، واجتلبت الهمزة لسكون الطاء، فإذا ابتدأت قلت: اطيرنا، وإذا وصلت لم تذكر الهمزة وتسقط لأنها همزة وصل.

فلما قالوا ذلك ﴿قَالَ﴾ لهم صالح ﴿طَاطِرُكُمْ﴾؛ أي: حظكم ونصيبكم من الخير والشر مكتوب ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ سبحانه وتعالى، ومقدر عليكم من عنده تعالى، لا من عندنا. وقيل: طائرکم؛ أي: شدتكم ورخاؤكم من عند الله تعالى، لا من عندنا. وقال ابن عباس: الشؤم: الشدة التي أتتكم من عند الله بكفرکم. وقيل: طائرکم؛ أي: عملکم عند الله سمي طائراً؛ لسرعة صعوده إلى السماء. وقيل طائرکم؛ أي: سبيکم الذي جاء منه شرکم عند الله؛ وهو قدره، سمي القدر طائراً لسرعة نزوله، ولا شيء أسرع من قضاء محتوم.

والمعنى: أن الشؤم الذي أصابكم هو من عند الله تعالى بسبب كفرکم، ثم أوضح لهم سبب ما هم فيه بأوضح بيان، فقال: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾؛ أي: تختبرون^(١) بتعاقب السراء والضراء؛ أي: الخير والشر، والدولة والنكبة، والسهولة والصعوبة، أو تعذبون بذنوبکم. وقيل: يفتنکم غیرکم. وقيل: يفتنکم الشيطان بما تقعون فيه من الطيرة، أو بما لأجله تطيرون، فأضرب عن ذكر طائرهم الذي هو مبدأ ما يحق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه.

واختبار الله تعالى^(٢): إنما هو لإظهار الجودة والرداءة، ففي الأنبياء والأولياء والصلحاء تظهر الجودة، ألا ترى أن أيوب عليه السلام امتحن فصبر، فظهر للخلق درجته وقربه من الله تعالى، وفي الكفار والمنافقين والفساقين تظهر

(١) روح البيان.

(٢) روح البيان.

الرداءة. حكي أن امرأة مرضت مرضاً شديداً طويلاً، فأطالت على الله تعالى في ذلك وكفرت، ولذا قيل: عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان.

والابتلاء مطلقاً؛ أي: سواء كان في صورة المحبوب، أو في صورة المكروه رحمة من الله تعالى في الحقيقة؛ لأن مراده جذب عبده إليه، فإن لم ينجذب حكم عليه بالغضب في الدنيا والآخرة، كما ترى في الأمم السالفة، ومن يليهم في كل عصر إلى آخر الزمان.

والمعنى: أي^(١) بل أنتم قوم يختبركم ربكم حين أرسلني إليكم أتطيعونه فتعملوا بما أمركم به، فيجزيكم الجزيل من ثوابه، أم تعصونه فتعملوا بخلافه فيحل بكم عقابه.

ثم ذكر أن قريته كانت كثيرة الفساد، فقال: ﴿وَكَاثٌ فِي الْأَدْيَةِ﴾؛ أي: في مدينة ثمود، وهي الحجر، وتقدم في سورة الحجر أن الحجر واد بين المدينة والشام، وهو ديار ثمود. ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾؛ أي: تسعة أشخاص، وبهذا الاعتبار وقع تمييزاً للتسعة، لا باعتبار لفظه، فإن مميز الثلاثة إلى العشرة مخفوض مجموع. قال^(٢) ابن عباس - رضي الله عنهما -: أسماؤهم: رهي، ورعيم، وهرمي، وهريم، وداب، وصواب، ورباب، ومسطع، وقدار بن سالف عاقر الناقة، وأسماؤهم عن وهب بن منبه قد نظمها بعضهم في بيتين، فقال:

رَبَابٌ وَغَنَمٌ وَالْهَذِيلُ وَمَسْطَعٌ عُمَيْرٌ بِسَيْطٍ عَاصِمٌ وَقِدَارٌ
وَسَمْعَانُ رَهْطُ الْمَاكِرِينَ بِصَالِحٍ أَلَا إِنَّ عُذْوَانَ النُّفُوسِ جَوَارٌ
وهم الذين سعوا في عقر الناقة، وكانوا عتاة قوم صالح، وكانوا من أبناء أشرافهم.

ثم وصف التسعة بقوله: ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: يعملون الفساد في أرض الحجر بالشرك، وسائر أنواع المعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾؛ أي: لا يفعلون

(٢) المراح.

(١) المراغي.

شيئاً من الإصلاح، ففائدة العطف بيان أن إفسادهم لا يخالطه شيء ما من الإصلاح.

﴿قَالُوا﴾ استئناف لبيان^(١) بعض ما فعلوا من الفساد، أي: قال بعضهم لبعض في أثناء المشاورة في أمر صالح عليه السلام بعد أن عقروا الناقة، وتوعدهم بقوله: ﴿تَمَتُّوْا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ﴿تَقَاسَمُوا﴾؛ أي: تحالفوا، وهو أمر مقول لـ ﴿قَالُوا﴾، أو ماض وقع حالاً من ﴿الواو﴾ في ﴿قَالُوا﴾ بإضمار قد؛ أي: والحال أنهم تقاسموا بالله ﴿لَنُيَبِّتَنَّ وَأَهْلَكُمْ﴾؛ أي: احلفوا لنباغتنه وأهله بالهلاك ليلاً؛ أي: لنأتين صالحاً ليلاً بغته، فلنقتلنه وأهله ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾؛ أي: لولي دم صالح وأهله إن سألنا عنه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾؛ أي: ما حضرنا هلاكه وهلاكهم فضلاً عن أن نتولى إهلاكهم فيكون مصدراً، أو وقت هلاكهم فيكون زماناً، أو مكان هلاكهم فيكون اسم مكان. ولا ندري من قتله ولا قتل أهله ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾؛ أي: ونحلف إننا لصادقون فيما نقول، فهو من تمام القول، وإذا كانوا لم يشهدوا هلاكهم فهم لم يقتلوهم بالأولى، وأيضاً فهم إذا لم يقتلوا الأتباع فأحر بهم أن لا يقتلوا صالحاً.

وقرأ الجمهور^(٢): ﴿تَقَاسَمُوا﴾ وابن أبي ليلي: ﴿تَقَسَمُوا﴾ بغير ألف وتشديد السين، وكلاهما من القسم، والتقاسم والتقسيم كالظاهر والتظهير، والظاهر أن قوله: ﴿تَقَاسَمُوا﴾ فعل أمر محكي بالقول، وهو قول الجمهور. وقرأ^(٣) حمزة والكسائي: ﴿لَتُبَيِّتَنَّهُ﴾ بقاء فوقية بعد اللام، وبالرفع للجمع ﴿ثُمَّ لَتَقُولَنَّ﴾ بقاء فوقية وبالرفع للجمع. وقرأ مجاهد وأبو رجاء وحמיד بن قيس: ﴿لَيُبَيِّتَنَّهُ﴾ بياء وتاء مضمومتين. ﴿ثُمَّ لَيَقُولَنَّ﴾ بياء مفتوحة وقاف مضمومة وواو ساكنة ولام مضمومة.

وعبارة أبي حيان: وقرأ الجمهور^(٤): ﴿لَنُيَبِّتَنَّ وَأَهْلَكُمْ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنون فيهما، والحسن وحمزة والكسائي بقاء خطاب الجمع، ومجاهد وابن وثاب

(١) روح البيان.

(٢) البحر المحيط.

وطلحة والأعمش بياء الغيبة، والفعلان مسندان للجمع، وحמיד بن قيس بياء الغيبة في الأول مسنداً للجمع؛ أي: ﴿ليبيتنه﴾؛ أي: قوم منا، وبالنون في الثاني؛ أي: جميعنا يقول: لوليه، والبيات: مباغته العدو.

وقرأ الجمهور: ﴿مهلك﴾ - بضم الميم وفتح اللام - من أهلك الرباعي. وقرأ حفص والمفضل: ﴿مَهْلَك﴾ بفتح الميم وكسر اللام، وأبو بكر وأبان عن عاصم بفتحهما، فأما القراءة الأولى فتحتمل المصدر والزمان والمكان؛ أي: ما شهدنا إهلاك أهله، أو زمان إهلاكهم، أو مكان إهلاكهم. ويلزم من هذين أنهم إذا لم يشهدوا الزمان، ولا المكان أن لا يشهدوا الإهلاك. وأما القراءة الثانية فالقياس يقتضي أن يكون للزمان والمكان؛ أي: ما شهدنا زمان هلاكهم ولا مكانه. والثالثة يقتضي القياس أن يكون مصدراً؛ أي: ما شهدنا هلاكه.

والمعنى: أنهم توافقوا^(١) وحلفوا بالله لندخلن على صالح ومن آمن به، وهم أربعة آلاف ليلاً بغتة، ونقتلهم جميعاً، ثم لنقولن لولي دم صالح: ما حضرنا قتلهم أو وقته أو مكانه، فلا ندرى من قتلهم وإنا لصادقون في إنكارنا لقتلهم؛ أي: لو اتهمنا قوم صالح حلفنا لهم أنا لم نحضر.

قال الزجاج: كان هؤلاء النفر تحالفوا أن يبيتوا صالحاً وأهله، ثم ينكروا عند أوليائه أنهم ما فعلوا ذلك ولا رأوه، وكان هذا مكرراً منهم، ومن ثم قال سبحانه محذراً لهم ولأمثالهم: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَّكْرًا﴾؛ أي^(٢): غدروا غدراً بهذه المحالفة حين قصدوا تبيت صالح وأهله ﴿وَمَكْرَنَا مَكْرًا﴾؛ أي: جازيناهم على مكرهم بتعجيل العذاب لهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكرنا؛ أي: وغدر هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض بصالح؛ إذ ساروا إليه ليلاً ليقتلوه وأهله وهو لا يشعر بذلك فأخذناهم بعقوبتنا، وعجلنا لهم العذاب من حيث لا يشعرون بمكر الله بهم، والمكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة.

﴿فَانظُرْ﴾؛ أي: فكر يا محمد في أنه ﴿كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُمْ مَكْرِهِمْ﴾؛

(٢) الخازن.

(١) المراح.

أي: على أي حال وقع وحدث عاقبة مكرهم، وهي ﴿أَنَا دَمَرْنَاهُمْ﴾؛ أي: استأصلناهم بالهلاك؛ أي: أهلكنا هؤلاء التسعة الماكرين بصالح ﴿وَقَوْمَهُمُ﴾ الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبيت ﴿أَجْمَعِينَ﴾ بحيث لم يشذ منهم شاذ.

أي: ففكر^(١) يا محمد كيف آل أمرهم، وكيف كانت عاقبة مكرهم؟ فقد أهلكناهم وقومهم الذين لم يؤمنوا على وجه يقتضي النظر، ويسترعي الاعتبار، ويكون عظة لمن غدر كغدرهم في جميع الأزمان.

روي أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه، ولما قال لهم بعد عقرهم الناقة: إنكم تهلكون إلى ثلاثة أيام.. قالوا: زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاث، فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث، فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه، فوقعت عليهم صخرة من جبالهم طبقت عليهم الشعب، فهلكوا وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة، ونجى الله صالحاً ومن آمن معه.

ومعنى الآية^(٢): أن الله دمر التسعة الرهط المذكورين، ودمر قومهم الذين لم يكونوا معهم عند مباشرتهم لذلك. ومعنى التأكيد بـ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ أنه لم يشذ منهم أحد، ولا سلم من العقوبة فرد من أفرادهم، فهو تأكيد لكل من المعطوف والمعطوف عليه.

وقال ابن الجوزي في صفة إهلاكهم أربعة أقوال^(٣):

أحدها: أنهم أتوا دار صالح شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلتهم، قاله ابن عباس.

والثاني: رماهم الله تعالى بصخرة فأهلكتهم، قاله قتادة.

والثالث: أنهم دخلوا غاراً ينتظرون مجيء صالح، فبعث الله صخرة سدت باب الغار، قاله ابن زيد.

(٣) زاد المسير.

(١) المراغي.

(٢) الشوكاني.

والرابع: أنهم نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً؛ ليأتوا دار صالح، فجثم عليهم الجبل فأهلكهم، قاله مقاتل. اهـ.

وقرأ الجمهور^(١): ﴿إنا دمرناهم﴾ بكسر الهمزة على الاستئناف، وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق وحمزة والكسائي بفتحها على أن جملة ﴿أنا﴾ بدل من ﴿عاقبة مكرهم﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هي؛ أي: العاقبة تدبيرهم، أو يكون على تقدير حرف الجر؛ أي: لأننا دمرناهم، وقرأ أبي: ﴿أن دمرناهم﴾ وهي أن التي شأنها أن تنصب المضارع، ويجوز فيها الأوجه الجائزة في أنا بفتح الهمزة.

ثم أكد ما تقدم، وقرره بقوله: ﴿فَتَلَك﴾ الآثار الموجودة في ديار ثمود ﴿يُؤْتُهُمْ﴾؛ أي: بيوت الذين كذبوا صالحاً حالة كونها ﴿خَاوِيَةً﴾؛ أي: خالية عن الأهل والسكان، من خوى البطن إذا خلا، أو حالة كونها ساقطة منهزمة من خوى النجم إذا سقط، وقال ابن عباس: أي: ساقط أعلاها على أسفلها.

﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾؛ أي: بسبب ظلمهم المذكور وغيره كالشرك؛ أي: فتلك مساكنهم أصبحت خالية منهم؛ قد أهلكهم الله سبحانه بظلمهم أنفسهم بشركهم به وتكذيبهم برسوله. والمعنى: فانظر إلى بيوتهم خاوية.

وقرأ الجمهور^(٢): ﴿خَاوِيَةً﴾ بالنصب على الحال. قال الزمخشري: عمل فيها ما دل عليه ﴿تلك﴾ من معنى الإشارة. وقرأ عيسى بن عمر وعاصم بن عمر ونصر بن عاصم والجحدري برفع ﴿خاوية﴾ على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هي خاوية، أو على الخبر عن ﴿تلك﴾ و﴿يُؤْتُهُمْ﴾ بدل من ﴿تلك﴾، أو عطف بيان له، أو على أنه خبر كان لـ ﴿تلك﴾.

﴿إِنِّ فِي ذَلِكَ﴾؛ أي: إن في فعلنا بثمود ما قصصناه عليك، وهو استئصالنا إياهم بالتدمير، وخلاء مساكنهم منهم، وبيوتهم هي بوادي القرى بين المدينة والشام. ﴿لَآيَةً﴾ عظيمة وعبرة بليغة وعظة زاجرة. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾؛

(٢) البحر المحيط.

(١) البحر المحيط.

أي: يتصفون بالعلم فيتعظون بها؛ أي: لمن كان من أولي العلم والمعرفة، فيعلم ارتباط الأسباب بمسبباتها، والنتائج بمقدماتها، بحسب السنن التي وضعت في الكون. يعني^(١): اعلم يا محمد أنني فاعل ذلك العذاب بكفار قومك في الوقت المؤقت لهم، فليسوا خيراً منهم، كما في «كشف الأسرار».

وبعد أن ذكر من هلكوا.. أردفهم بمن أنجاهم، فقال: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ أي: صالحاً ومن معه من المؤمنين من نعمتنا وعذابنا الذي أحللناه بشمود. وقوله ﴿وَكَاوُوا يَتَّقُونَ﴾؛ أي: الكفر والمعاصي اتقاء مستمرا، معطوف على الصلة، فلذلك خصوا بالنجاة؛ أي: وإنما نجوا^(٢)؛ لأنهم كانوا يتقون سخط الله، ويخافون شديد عذابه، وأليم عقابه بتصديقهم رسوله الذي أرسله إليهم، وكانوا أربعة آلاف، خرج بهم صالح إلى حضرموت، وهي مدينة من مدن اليمن، وسميت حضرموت؛ لأن صالحاً لما دخلها مات، ثم بنوا مدينة يقال لها: حاضوراء.

وفي هذا إيماء^(٣) إلى أن الله ينجي محمداً وأتباعه عند حلول العذاب بمشركي قريش، حين يخرج من بين ظهرانيهم، كما أحل بقوم صالح ما أحل حين خرج هو والمؤمنون به إلى أطراف الشام، ونزل رملة وفلسطين.

وفيه أيضاً إشارة^(٤) إلى أن الهجرة من أرض الظلم إلى أرض العدل لازمة خصوصاً من أرض الظالمين المؤاخذين بأنواع العقوبات؛ إذ مكان الظلم ظلمة فلا نور للعبادة فيه، وإن الإنسان إذا ظلم في أرض ثم تاب، فالأفضل له أن يهاجر منها إلى مكان لم يعص الله تعالى فيه.

فإن قلت^(٥): لم قال الله سبحانه هنا: ﴿أَنْجَيْنَا﴾ بصيغة أفعل، وقال: في حم السجدة ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ بصيغة فعل المضعف، فما الفرق بين الموضعين؟.

(١) روح البيان.

(٢) المراغي.

(٣) المراغي.

(٤) روح البيان.

(٥) فتح الرحمن بتصرف.

قلت: قال هنا: ﴿أُنَجِّينَا﴾ بصيغة أفعال موافقة لما بعده، حيث قال هنا فيما بعد: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ وَأَمْطَرْنَاهُ﴾ وقال هناك: ﴿نَجِّينَا﴾ بصيغة فعل المضعف موافقة لما قبله حيث قال قبله: ﴿وَزَيَّنَّا﴾ وموافقة لما بعده أيضاً، حيث قال بعده: ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ والله أعلم بأسرار كتابه.

قصة لوط عليه السلام

وقوله: ﴿وَلُوطًا﴾ منصوب بفعل مضمر معطوف على ﴿أَرْسَلْنَا﴾ في صدر قصة صالح. وقوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف للإرسال المحذوف، على أن المراد به أمر ممتد وقع فيه الإرسال، وما جرى بينه وبين قومه من الأفعال والأقوال. والمعنى: وعزتي وجلالي لقد أرسلنا لوطاً بن هاران وقت قوله: ﴿لِقَوْمِهِ﴾ الساكنين معه في قرية سدوم على وجه الإنكار عليهم والتوبيخ لهم ﴿أَتَأْتُونَ﴾؛ أي: هل تفعلون الفعلة ﴿الْفَاحِشَةَ﴾؛ أي: المتناهية في القبح. والمراد بها هنا اللواط، والإتيان في الأدبار. وقال بعضهم: انتصاب ﴿لوطاً﴾ بإضمار أذكر و﴿إِذْ﴾ بدل منه؛ أي: واذكر لوطاً إذ قال لقومه على وجه الإنكار عليهم: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ ﴿وَأَنْتُمْ تُبْغِضُونَ﴾؛ إما من بصر القلب وهو العلم. والمعنى^(١): أي: تأتونها، والحال أنكم تعلمون فحشها علماً يقينياً، وتعاطي القبيح من العالم بقبحه أقبح من غيره، ولذا قيل: فساد كبير جاهل متنسك وعالم متهتك، أو من نظر العين؛ أي: وأنتم تبصرونها بعضكم من بعض؛ لما أنهم كانوا يعلنون بها، ولا يستترون حال فعل الفاحشة عتواً وتمرداً، فيكون أفحش. وجملة قوله: ﴿وَأَنْتُمْ تُبْغِضُونَ﴾ في محل النصب على الحال متضمنة لتأكيد الإنكار.

والمعنى^(٢): واذكر يا محمد لقومك قصة لوط إذ قال لقومه منذراً ومحذراً لهم: إنكم لتفعلون فاحشة لم يسبقكم بها أحد من بني آدم مع علمكم بقبحها لدى العقول والشرائع، واقتراف القبائح ممن يعلم قبحها أشنع.

(٢) المراغي.

(١) روح البيان.

ثم بين ما يأتون من الفاحشة بطريق التصريح بعد الإبهام؛ ليكون أوقع في النفس، فقال: ﴿أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ آلِجَالٍ﴾؛ أي: لتطؤون أديبار الرجال ﴿شَهْوَةً﴾؛ أي: لأجل الشهوة والتلذذ فقط، كالبهائم ليس فيها قصد إعفاف، ولا قصد ولد. ﴿مِنْ دُونَ النِّسَاءِ﴾؛ أي: حال كونكم متجاوزين النساء اللاتي هن محالُّ الشهوة. وفي قوله: ﴿أَيْنَكُمْ...﴾ إلخ تكرير للتوبيخ مع التصريح بأن تلك الفاحشة هي اللواط: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾ التحريم، أو العقوبة على هذه المعصية؛ أي: بل أنتم قوم سفهاء ماجنون متجاهلون، حيث لا تعملون بموجب علمكم، فإن من لا يجري على مقتضى بصارته وعلمه، ويفعل فعل الجاهل هو والجاهل سواء، و﴿يَجْهَلُونَ﴾ صفة لـ ﴿قَوْمٍ﴾، والتاء فيه؛ لكون الموصوف في معنى المخاطب.

فإن قلت^(١): إذا فسرنا ﴿يُبْصِرُونَ﴾ بالعلم، وقد قال بعده ﴿قَوْمٌ يَجْهَلُونَ﴾ فيكون العلم جهلاً فيبينهما مناقضة؟

قلت: معناه تفعلون فعل الجاهلين، وتعلمون أنه فاحشة، وقيل: تجهلون العاقبة، وقيل: أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها.

وقرى^(٢): ﴿أَيْنَكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وبتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين أو تركه، فالقراءات أربع. واختار الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة الثانية من ﴿أَيْنَكُمْ﴾، فأما الخط فالسبيل فيه أن يكتب بألفين على الوجوه كلها؛ لأنها همزة مبتدأة دخلت عليها ألف الاستفهام. ذكره القرطبي.

ومعنى الآية: أي^(٣) أينبغي أن تأتوا الرجال، وتقودكم الشهوة إلى ذلك، وتذروا النساء اللاتي فيهن محاسن الجمال وفيهن مباهج الرجال، إنكم لقوم جاهلون سفهاء حمقى ماجنون.

وقد أشار سبحانه إلى قبيح فعلهم، وعظيم شناعته من وجوه:

(١) الخازن.

(٢) الجلالين.

(٣) المراغي.

١. قوله: ﴿الرَّحَالُ﴾ فيه الإشارة إلى أن الحيوان الأعجم لا يرضى بمثل هذا.

٢. قوله: ﴿مَنْ دُونِ النَّسَاءِ﴾ وفي ذلك إيماء إلى أن تركهن، واستبدال الرجال بهن خطأ شنيع، وفعل قبيح.

٣ - قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ وفي هذا إيماء إلى أنهم يفعلون فعل الجهلاء الذين لا عقول لهم، ولا يدرون عظيم قبح ما يفعلون.

ونحو الآية قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾.

الإعراب

﴿قَالَتْ يَأْأَيُّ الْمَلَكُوتِ أَفْتُنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قَوْلًا وَأَوْلُوا بِأَيِّ شَيْءٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿قَالَتْ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على بلقيس، والجملة مستأنفة.
﴿قَالَتْ يَأْأَيُّ الْمَلَكُوتِ أَفْتُنِي فِي أَمْرِي...﴾، إلى آخر الآية مقول محكي لـ ﴿قَالَتْ﴾، وإن شئت قلت: ﴿يا﴾: حرف نداء. ﴿أي﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿ها﴾: حرف تنبيه زائد تعويضاً عما فات؛ أي: من الإضافة. ﴿الْمَلَكُوتِ﴾ صفة لـ ﴿أي﴾، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَتْ﴾. ﴿أَفْتُنِي﴾: فعل أمر وفاعل ونون وقاية ومفعول به، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿فِي أَمْرِي﴾ متعلق بـ ﴿أَفْتُنِي﴾. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كُنْتُ قَاطِعَةً﴾: فعل ناقص واسمه، وخبره. ﴿أَمْرًا﴾: مفعول به. لـ ﴿قَاطِعَةً﴾، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَتْ﴾. ﴿حَتَّى﴾: حرف جر وغاية. ﴿تَشْهَدُونِ﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد ﴿حَتَّى﴾ بمعنى إلى، وعلامة نصبه حذف النون، والنون الموجودة نون الوقاية، والواو فاعل، وياء المتكلم المحذوفة للفاصلة مفعول به، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور بـ ﴿حَتَّى﴾ تقديره إلى شهودكم إياي، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿كَانَ﴾. ﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة

مستأنفة. ﴿تَحَنُّنٌ﴾: مبتدأ. ﴿أُولَئِكَ﴾: خبر مرفوع بالواو؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. ﴿قُوَّةٌ﴾: مضاف إليه. ﴿وَأُولَئِكَ بِأَيْسٍ﴾: معطوف عليه. ﴿شَدِيدٍ﴾: صفة ﴿بَأْسٍ﴾، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿وَالْآخَرُ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ؛ أي: والأمر موكول إليك، والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها. ﴿فَانْظُرِي﴾: ﴿الفاء﴾: فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره: إذا عرفت ما قلنا لك، وأردت بيان ما هو اللازم لك.. فنقول لك. ﴿انظري ماذا تأمرين﴾: ﴿انظري﴾: فعل أمر، وفاعل مبني على حذف النون، والجملة في محل النصب مقول لجواب إذا المقدرة، وجملة إذا المقدرة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿مَاذَا﴾: اسم استفهام مركب في محل النصب مفعول ثانٍ لـ ﴿تَأْمُرِينَ﴾. مقدم عليه وجوباً للزومه الصدارة، وهو معلق للنظر عن العمل في لفظ ما بعده. ﴿تَأْمُرِينَ﴾: فعل مضارع وفاعل مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والمفعول الأول محذوف تقديره: تأمرينا.

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ (١٦).

﴿قَالَتْ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة مستأنفة. ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ﴾: ناصب واسمه. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان. ﴿دَخَلُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿قَرْيَةً﴾: مفعول به على التوسع، والجملة الفعلية في محل الخفض بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على كونها فعل شرط لها، والظرف متعلق بالجواب الآتي. ﴿أَفْسَدُوهَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها من الإعراب. ﴿وَجَعَلُوا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿أَفْسَدُوهَا﴾. ﴿أَعْرَءَ أَهْلِهَا﴾: مفعول ﴿جَعَلُوا﴾ الأول ومضاف إليه. ﴿أَذَلَّةً﴾: مفعول ثانٍ لـ ﴿جَعَلُوا﴾، وجملة ﴿إِذَا﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَتْ﴾. ﴿وَكَذَلِكَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿كَذَلِكَ﴾: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف. ﴿يَفْعَلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ على كونها مقولاً لـ ﴿قَالَتْ﴾، والتقدير: ويفعلون فعلاً كائناً كذلك المذكور

من جعل الأعزة أذلة.

﴿وَلَايَ مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيهِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿وَلَايَ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿إني﴾: ناصب واسمه. ﴿مُرْسِلَةٌ﴾: خبره، ومفعوله محذوف تقديره: رسلاً، والجملة في محل النصب معطوفة على جملة ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ الْمَلُوكَ﴾. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلق بـ﴿مُرْسِلَةٌ﴾. ﴿بِهَدِيَّةٍ﴾: متعلق به أيضاً. ﴿فَنَاظِرَةٌ﴾: معطوف على ﴿مُرْسِلَةٌ﴾. ﴿بِمَ﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر، ﴿م﴾: اسم استفهام في محل الجر بالباء مبني بسكون على الألف المحذوف، فرقاً بينها وبين ﴿مَا﴾ الموصولة، الجار والمجرور متعلق بـ﴿يَرْجِعُ﴾، ولا يجوز تعلقه بـ﴿ناظرة﴾؛ لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله. ﴿يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في محل النصب مفعول ﴿ناظرة﴾ معلق عنه باسم الاستفهام ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فأعدت الهدية فأرسلتها مع رسول إلى سليمان. ﴿لَمَّا﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب مفعول فيه ظرف زمان. ﴿جَاءَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير مستتر يعود على الرسول. ﴿سُلَيْمَنُ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية فعل شرط لـ﴿لَمَّا﴾ في محل جر بالإضافة. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَنُ﴾، والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَمَّا﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة ﴿أُمِدُّونِي﴾: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الإنكاري التوبيخي. ﴿تمدونني﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبات النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، والياء المحذوفة مفعول به. ﴿بِمَالٍ﴾: متعلق به؛ أي: تعاونوني بالمال، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿فَمَا﴾: ﴿الفاء﴾: تعليلية معللة؛ لما تقدم من إنكاره عليهم وتوبيخه إياهم. ﴿مَا﴾: اسم موصول في محل الرفع مبتدأ. ﴿آتَانِيهِ﴾: فعل ماضٍ ونون وقاية ومفعول به مقدم. ﴿اللَّهُ﴾: فاعل مؤخر، والجملة الفعلية صلة لـ﴿مَا﴾ الموصولة، والعائد محذوف تقديره: ما آتانيه الله. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على

كونها معللة للإنكار. ﴿مَتَى﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿خَيْرٌ﴾. ﴿ءَاتَانَكُمْ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿الله﴾ ومفعول أول، والمفعول الثاني محذوف تقديره: مما آتاكموه، وهو العائد على الموصول، والجملة صلة الموصول. ﴿بَلَّ﴾: حرف عطف وإضراب للإضراب الانتقالي؛ لبيان السبب الذي حداهم إلى إمداده بالمال. ﴿أَتَشْرُ﴾: مبتدأ. ﴿يَهْدِيكُمْ﴾: جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بما بعده، وجملة ﴿تَفْرَحُونَ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾.

﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿أَرْجِعْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير يعود إلى رسول بلقيس. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلق به، والجملة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿نَأْتِيَنَّهُمْ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على سليمان ومن معه تقديره: نحن، و﴿الهاء﴾: مفعول به، و﴿الميم﴾: علامة الجمع الذكور. و﴿يَجُودُ﴾: متعلق به، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها من الإعراب، وجملة القسم في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَا﴾: نافية للجنس. ﴿قِيلَ﴾: في محل نصب اسمها مبني على الفتح. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور خبر ﴿لَا﴾. ﴿بِهَا﴾: متعلق بـ﴿قِيلَ﴾ لتضمنه معنى المصدر؛ لأن حقيقته المقابلة والمقاومة، يقال: مالي به قبل؛ أي: طاقة، وجملة ﴿لَا﴾ في محل الجر صفة لـ﴿جُنُودٍ﴾. ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، و﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿نُخْرِجَنَّهُمْ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله ضمير يعود على ﴿سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ﴾، و﴿الهاء﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم في محل نصب معطوفة على جملة القسم الأول. ﴿مِنْهَا﴾: متعلق بـ﴿نُخْرِجَ﴾، والضمير يعود إلى سبأ؛ أي: بلادهم. ﴿أَذِلَّةً﴾: حال من ضمير المفعول. ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿هَمْ صَاغِرُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة في محل نصب حال ثانية من الهاء في ﴿لَنُخْرِجَنَّهُمْ﴾.

﴿قَالَ يَبْنَائِيَا أَلَمْ تَأْتِيَا أَيْتِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ

أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٦٩﴾ .

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعله ضمير يعود على سليمان، والجملة مستأنفة.
 ﴿يَا﴾: حرف نداء. ﴿أَي﴾: منادى نكرة مقصودة، ﴿والهاء﴾: حرف تنبيه
 ﴿الْمَلَكُ﴾ صفة لـ ﴿أَي﴾، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿إِيكُمْ﴾:
 مبتدأ ومضاف إليه. ﴿يَأْتِينِي﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿أَي﴾ ونون
 وقاية ومفعول به، والجملة الفعلية في محل الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية
 في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿بِعَرْشِهَا﴾: جار ومجرور
 ومضاف إليه متعلق بـ ﴿يَأْتِينِي﴾ ﴿قَبْلَ﴾ منصوب على الظرفية متعلق بـ ﴿يَأْتِينِي﴾ ﴿أَنْ﴾
 حرف نصب ومصدر ﴿يَأْتُونِي﴾ فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَنْ﴾، علامة نصبه حذف
 النون، والواو: فاعل، و﴿النون﴾: للوقاية، و﴿الياء﴾: مفعول به. ﴿مُسْلِمِينَ﴾:
 حال من فاعل ﴿يَأْتُونِي﴾، والجملة الفعلية في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف
 إليه. والتقدير: قبل إتيانهم إياي منقادين خاضعين. ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾: فعل وفاعل.
 ﴿مِنْ الْجِنَّ﴾: صفة لـ ﴿عِفْرِيتٌ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿أَنَا﴾: مبتدأ. ﴿ءَايِكَ﴾: فعل
 مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿عِفْرِيتٌ﴾ ومفعول به، والجملة الفعلية في محل
 الرفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾: ﴿بِهِ﴾:
 متعلق بـ ﴿ءَايِكَ﴾، وكذا الظرف في قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ تَقُومَ﴾: متعلق به. ﴿أَنْ﴾:
 حرف مصدر. ﴿تَقُومَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ ﴿أَنْ﴾، وفاعله ضمير يعود على
 ﴿سُلَيْمَنُ﴾. ﴿مِنْ مَقَامِكَ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿تَقُومَ﴾، والجملة الفعلية في
 تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه. تقديره قبل قيامك من مقامك. ﴿وَإِنِّي﴾:
 الواو: عاطفة. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه، ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلق بما بعده. ﴿لَقَوِيٌّ﴾:
 اللام: حرف ابتداء، ﴿قوي﴾: خبر ﴿إِنْ﴾. ﴿أَمِينٌ﴾: خبر ثان لها؛ أي:
 قوي على حمله أمين على ما فيه، لا أختلس منه شيئاً، ولا أعبت به، وجملة
 ﴿إِنْ﴾ في محل نصب معطوفة على جملة قوله ﴿أَنَا ءَايِكَ بِهِ﴾ على كونها مقولاً
 لـ ﴿قَالَ﴾.

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ﴾

مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ .

﴿قَالَ أَلَيْسَ﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿عِنْدَهُ﴾: ظرف ومضاف إليه خبر مقدم. ﴿عَلَى﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِنْ أَلَيْسَ﴾: صفة لـ ﴿عَلَى﴾، والجملة الاسمية صلة الموصول. ﴿أَنَا﴾: مبتدأ، وجملة ﴿أَلَيْسَ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَبْلَ﴾: منصوب على الظرفية متعلق بـ ﴿أَلَيْسَ﴾. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدر ونصب. ﴿يَرْتَدَّ﴾: منصوب بـ ﴿أَنْ﴾. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلق به. ﴿طَرَفُكَ﴾: فاعل، والجملة في تأويل مصدر مجرور بإضافة الظرف إليه، تقديره: قبل ارتداد طرفك إليك. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: عاطفة على محذوف. تقديره: ودعا آصف بالعلم الذي عنده، فغار العرش في مكانه بمأرب، ثم نبع بمجلس سليمان، فلما رآه. ﴿لَمَّا﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية. ﴿رَأَاهُ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَنَ﴾ ومفعول به. ﴿مُسْتَقَرًّا﴾: حال من ضمير المفعول، والجملة الفعلية فعل شرط لـ ﴿مَا﴾ في محل جر بالإضافة. ﴿عِنْدَهُ﴾: متعلق بـ ﴿مُسْتَقَرًّا﴾؛ أي: ساكناً عنده. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَنَ﴾، والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَمَّا﴾ معطوفة على تلك الجملة المحذوفة. ﴿هَذَا﴾: مبتدأ. ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾: جار ومجرور خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لِيَبْلُوَنِي﴾: اللام: حرف جر وتعليل، ﴿يَبْلُوَنِي﴾: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وعلامة نصبه فتحة ظاهرة في آخره، وفاعله ضمير يعود على ﴿رَبِّي﴾، و﴿النون﴾: للوقاية، و﴿الياء﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مع أن المضمرة في تأويل مصدر مجرور باللام تقديره: لبلاؤه إياي، الجار والمجرور متعلق بمحذوف معلوم من السياق تقديره: تفضل عليّ بإحضار هذا العرش في قدر طرفة عين لبلاؤه إياي، والجملة المحذوفة في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿أَشْكُرُ﴾: الهمزة: للاستفهام الذي يطلب به تعيين أحد الشيتين. ﴿أَشْكُرُ﴾: فعل مضارع، وفاعله ضمير يعود على ﴿سُلَيْمَنَ﴾، وجملة ﴿أَشْكُرُ﴾ في محل نصب بدل من الياء في ﴿يَبْلُونِي﴾، فهي بمثابة المفعول به. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف متصلة، وجملة ﴿أَكْفُرُ﴾ معطوفة على جملة

﴿أشكر﴾.

﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَيْءَ غَوْءٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿وَمَنْ﴾: ﴿الواو﴾: استثنائية. ﴿مَنْ﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب، أو هما. ﴿شَكَرَ﴾: فعل ماض في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ على كونه فعل شرط لها، وفاعله ضمير يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿فَإِنَّمَا﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب جوازاً. ﴿إِنَّمَا﴾: أداة حصر. ﴿يَشْكُرُ﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾. ﴿لِنَفْسِهِ﴾: متعلق بـ﴿يَشْكُرُ﴾، والجملة الفعلية في محل الجزم جواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية، وإنما جزمت المحل مع كونه مضارعاً؛ ليشاكل الجواب الشرط، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها مستأنفة. ﴿وَمَنْ﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة. ﴿مَنْ﴾: اسم شرط في محل الرفع مبتدأ، والخبر جملة الشرط، أو الجواب. ﴿كَفَرَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿مَنْ﴾، في محل الجزم بـ﴿مَنْ﴾ الشرطية على كونه فعل شرط لها. ﴿فَإِنَّ﴾: ﴿الفاء﴾: رابطة الجواب وجوباً، ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿رَيْءٍ﴾: اسمها. ﴿غَوْءٍ﴾: خبر أول لها. ﴿كَرِيمٍ﴾: خبر ثان، وجملة ﴿إِنَّ﴾ في محل الجزم جواب ﴿مَنْ﴾ الشرطية، وجملة ﴿مَنْ﴾ الشرطية معطوفة على جملة ﴿مَنْ﴾ الأولى.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَلَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَنُ﴾، والجملة مستأنفة. ﴿نَكِّرُوا﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهَا﴾: متعلق به. ﴿عَرْشَهَا﴾: مفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿نَنْظُرْ﴾: فعل مضارع مجزوم بالطلب السابق، وفاعله ضمير يعود على ﴿سُلَيْمَانَ﴾ ومن معه، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾، وقرئ بالرفع على الاستئناف. ﴿أَتَهْتَدِي﴾ ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الذي يطلب به تعيين أحد الشئتين. ﴿تهتدي﴾: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة في محل النصب مفعول ﴿نَنْظُرْ﴾ علق عنها بالاستفهام. ﴿أَمْ﴾:

حرف عطف معادلة للهمزة. ﴿تَكُونُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمها ضمير يعود على بلقيس. ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾: جار ومجرور خبر ﴿تَكُونُ﴾، والجملة في محل نصب معطوفة على جملة ﴿تهتدي﴾، وجملة ﴿لَا يَهْتَدُونَ﴾ صلة الموصول. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: عاطفة على محذوف تقديره: فجاءت بلقيس. ﴿لَمَّا﴾: اسم شرط غير جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية. ﴿جَاءَتْ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة فعل شرط لـ ﴿لَمَّا﴾. ﴿قِيلَ﴾: فعل ماض مغير الصفة. ﴿أَمْكَدَّا عَرْشُكَ﴾: نائب فاعل محكي لـ ﴿قِيلَ﴾، وجملة ﴿قِيلَ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾، وجملة ﴿لَمَّا﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة، وإن شئت قلت: ﴿الهمزة﴾: للاستفهام الاستخباري. ﴿هَا﴾: حرف تنبيه. ﴿كَذَا﴾: جار ومجرور خبر مقدم. ﴿عَرْشُكَ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل الرفع نائب فاعل لـ ﴿قِيلَ﴾، والأصل اتصال هاء التنبيه باسم الإشارة، فكان مقتضاه أن يقال: أكهدا عرشك. وهذا الفصل جائز إذا كان حرف الجر كافاً، فلو قلت: أبهذا أمرت، أو لهذا فعلت.. لم يجز فيه ذلك الفصل، فلا يجوز أن يقال: أها بذا أمرت، أها لذا فعلت؛ لعدم السماع. ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة مستأنفة. ﴿كَأَنَّهُ﴾: ناصب واسمه. ﴿هُوَ﴾: في محل الرفع خبره، وجملة ﴿كَأَن﴾: في محل نصب مقول ﴿قَالَتْ﴾. ﴿وَأُوتِينَا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فلما سمعوا قولها: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ قالوا: أصابت في الجواب. ﴿وَأُوتِينَا﴾: فعل ماض مغير الصيغة، ونائب فاعل. ﴿أَلَعَلَّ﴾: مفعول ثان لـ ﴿أُوتِينَا﴾. ﴿مِنْ قِيلِهَا﴾: متعلق بـ ﴿أُوتِينَا﴾، والجملة الفعلية في محل نصب معطوفة على تلك المحذوفة على كونها مقول ﴿قالوا﴾ المقدر. ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾: فعل ناقص واسمه وخبره معطوف على ﴿أُوتِينَا﴾.

﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَقْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

﴿وَصَدَّهَا﴾: فعل ومفعول. ﴿مَا﴾: موصولة في محل الرفع فاعل، والجملة معطوفة على جملة ﴿أُوتِينَا﴾؛ لأنها من جملة كلام سليمان. ﴿كَانَتْ﴾: فعل ناقص، واسمها ضمير يعود على بلقيس، وجملة ﴿تَقْبُدُ﴾ في محل نصب خبر

﴿كَانَ﴾. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: جار ومجرور حال من فاعل ﴿تَقَبُّدُ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ صلة لـ ﴿مَا﴾ الموصولة. ﴿إِنَّمَا﴾: ناصب واسمه. ﴿كَانَتْ﴾: فعل ناقص، واسمه ضمير يعود على بلقيس. ﴿مِنْ قَوْرٍ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾. ﴿كَافِرِينَ﴾: صفة لـ ﴿قَوْرٍ﴾، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها.

﴿قِيلَ لَمَّا أَذْخِلِ الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبِيبَتُهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرَحَ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿قِيلَ﴾: فعل ماضٍ مغير الصيغة. ﴿لَمَّا﴾: متعلق به. ﴿أَذْخِلِ الصَّرْحَ﴾: نائب فاعل محكي لـ ﴿قِيلَ﴾، والجملة مستأنفة، وإن شئت قلت: ﴿أَذْخِلِ﴾: فعل أمر وفاعل. ﴿الصَّرْحَ﴾: مفعول به على التوسع، والجملة في محل الرفع نائب فاعل لـ ﴿قِيلَ﴾. ﴿فَلَمَّا﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة على محذوف تقديره: فدخلته. ﴿لَمَّا﴾: اسم شرط غير جازم في نصب على الظرفية الزمانية. ﴿رَأَتْهُ﴾: فعل وفاعل مستتر ومفعول به؛ لأن رأى بصرية، والجملة فعل شرط لـ ﴿لَمَّا﴾. ﴿حَبِيبَتُهُ﴾: فعل وفاعل مستتر يعود على بلقيس ومفعول أول. ﴿لُجَّةً﴾: مفعول ثانٍ لحسب، والجملة جواب ﴿لَمَّا﴾ لا محل لها من الإعراب، وجملة ﴿لَمَّا﴾ معطوفة على الجملة المحذوفة. ﴿وَكَشَفَتْ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على بلقيس معطوف على ﴿حَبِيبَتُهُ﴾. ﴿عَنْ سَاقِيهَا﴾: متعلق بـ ﴿كَشَفَتْ﴾. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿سُلَيْمَانَ﴾، والجملة مستأنفة ﴿إِنَّهُ صَرَحَ﴾: ناصب واسمه وخبره. ﴿مُمرَّدٌ﴾: صفة أولى لـ ﴿صَرَحَ﴾. ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾: صفة ثانية لـ ﴿صَرَحَ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾: في محل نصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿قَالَتْ﴾: فعل ماضٍ وفاعل مستتر يعود على بلقيس، والجملة مستأنفة. ﴿رَبِّ﴾: منادى مضاف حذف منه حرف النداء، وجملة النداء في محل نصب مقول ﴿قَالَتْ﴾. ﴿إِنِّي﴾: ناصب واسمه. ﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل الرفع خبر ﴿إِنْ﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ في محل نصب مقول ﴿قَالَتْ﴾ على كونها جواب النداء. ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿ظَلَمْتُ﴾. ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف حال من فاعل ﴿أَسْلَمْتُ﴾؛ أي: حالة كوني مصاحبة

لسليمان. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ﴿أسلمت﴾. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: صفة للجلالة. ﴿الْعَالَمِينَ﴾: مضاف إليه.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾. ﴿٤٥﴾.

﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: استئنافية، و﴿اللام﴾: موطنه للقسم، ﴿قد﴾: حرف تحقيق. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾: متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾. ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعول به ومضاف إليه. ﴿صَالِحًا﴾: بدل من ﴿أَخَاهُمْ﴾، أو عطف بيان له، والجملة الفعلية مستأنفة مسوقة لبيان قصة صالح ﴿أَن﴾: مصدرية. ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: فعل أمر وفاعل ومفعول به في محل النصب بـ﴿أَن﴾ المصدرية مبني على حذف النون، والجملة الفعلية مع ﴿أَن﴾ المصدرية في تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة؛ أي: بعبادة الله، والجار المقدر متعلق بـ﴿أَرْسَلْنَا﴾، ويصح كونها مفسرة؛ لأن الإرسال يتمضمّن معنى القول. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: عاطفة. ﴿إِذَا﴾: فجائية حرف لا محل لها من الإعراب. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فَرِيقَانِ﴾: خبر، وجملة ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ صفة لـ﴿فَرِيقَانِ﴾ على المعنى، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾؛ لأن كل فريق يضم جماعة، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ الخ؛ لأنها في معنى: ولقد أرسلنا صالحاً إلى ثمود، ففاجأ الإرسال افتراقهم واختصامهم.

﴿قَالَ يَنْفَوِرَ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَيَمَن مَعَكَ قَالَ طَاعْتَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الدَّبِيرَةِ سَعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾.

﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿صالح﴾، والجملة مستأنفة. ﴿يَنْفَوِرَ﴾: إلى قوله: ﴿قَالُوا﴾ مقول محكي، وإن شئت قلت: ﴿يَنْفَوِرَ﴾: منادى مضاف، وجملة النداء في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لِمَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف جر، ﴿ما﴾: اسم استفهام في محل الجر باللام، حذفت ألفها لدخول الجار عليه، الجار والمجرور متعلق بـ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾. ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة في

محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿بِالسَّيِّئَةِ﴾: متعلق بـ ﴿سَتَعْلَمُونَ﴾. ﴿فَبَلَ الْحَسَنَةِ﴾: ظرف متعلق بمحذوف حال من ﴿السَّيِّئَةِ﴾، والمراد بـ ﴿السَّيِّئَةِ﴾ العذاب، وبـ ﴿الْحَسَنَةِ﴾ الرحمة. ﴿لَوْلَا﴾ حرف تحضيض بمعنى: هلا. ﴿سَتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿لَمَلَكُوا﴾ ناصب واسمه، وجملة ﴿تُرْحَمُونَ﴾ خبره، وجملة ﴿لعل﴾ في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾ على كونها معللة لما قبلها. ﴿قَالُوا﴾ فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿أَطِيعْنَا﴾: فعل ماضٍ وفاعل، والجملة الفعلية في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿يَا﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿أَطِيعْنَا﴾. ﴿وَيَمَنَ﴾: معطوف على ﴿يَا﴾. ﴿مَعَكَ﴾: منصوب على الظرفية الاعتبارية متعلق بمحذوف صلة ﴿مَنْ﴾ الموصولة. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ وفاعل مستتر يعود على ﴿صالح﴾. ﴿طَلَبْتُمْ﴾: مبتدأ ومضاف إليه. ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾: ظرف ومضاف إليه متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل النصب مقول ﴿قَالَ﴾. ﴿بَلَّ﴾: حرف عطف وإضراب أضرب بها عن بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه. ﴿أَنْتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿قَوْمٌ﴾: خبره، وجملة ﴿تَقْتُلُونَ﴾ صفة ﴿قَوْمٌ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها على كونها مقولاً لـ ﴿قَالَ﴾. ﴿وَكَانَ﴾: ﴿الواو﴾: استثنائية. ﴿كَانَ﴾: فعل ماضٍ ناقص. ﴿فِي الدِّينَةِ﴾: خبرها مقدم على اسمها. ﴿تَسْعَةٌ﴾ اسمها مؤخر. ﴿رَهْطٍ﴾: مضاف إليه، وجملة ﴿كَانَ﴾ مستأنفة. ﴿يُقْسِدُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلق به، والجملة في محل الرفع صفة لـ ﴿تَسْعَةٌ﴾، وجملة ﴿وَلَا يَصْلِحُونَ﴾: معطوفة على جملة ﴿يُقْسِدُونَ﴾.

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٤٩).

﴿قَالُوا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿تَقَاسَمُوا﴾: فعل أمر وفاعل بمعنى: احلفوا، والجملة في محل النصب مقول ﴿قَالُوا﴾، ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً، وحينئذ يجوز أن يكون مفسراً لـ ﴿قَالُوا﴾، كأنه قيل: ما قالوا، فقيل تقاسموا، ويجوز أن يكون مع فاعله جملة في محل نصب على الحال؛ أي:

قالوا متقاسمين بإضمار قد ﴿يَاللَّهِ﴾ جار ومجرور متعلقان بـ ﴿تَقَاسَمُوا﴾. ﴿لَتُنَيِّتَنَّ﴾: ﴿اللام﴾: موطئة للقسم، ﴿نَيِّتَنَّ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله ضمير مستتر تقديره: نحن، و﴿الهاء﴾: مفعول به. ﴿وَأَهْلَهُ﴾: معطوف على ﴿الهاء﴾، أو مفعول معه، والجملة الفعلية جواب القسم، وجملة القسم في محل نصب مقول ﴿قَالُوا﴾. ﴿تُرَّ﴾: حرف عطف وتراخ. ﴿لَنَقُولَنَّ﴾ ﴿اللام﴾: موطئة للقسم. ﴿نَقُولَنَّ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح؛ لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن. ﴿لَوْلَيْهِ﴾: متعلق به، وجملة القسم معطوفة على جملة القسم الأول. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿شَهِدْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مَهْلِكٌ﴾: مفعول به. ﴿أَهْلِهِ﴾: مضاف إليه، والجملة في محل نصب مقول ﴿لَنَقُولَنَّ﴾. ﴿وَلِإِنَّا﴾: ﴿الواو﴾: عاطفة، أو حالية. ﴿إِنَّا﴾: ناصب واسمه. ﴿أَصْدِقُونَ﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء، ﴿صَادِقُونَ﴾: خبر ﴿إِنَّا﴾، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿لَنَقُولَنَّ﴾، أو في محل نصب على الحال من فاعل ﴿لَنَقُولَنَّ﴾.

﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٥٠ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ٥١ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٥٢ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿٥٣﴾:

﴿وَمَكْرُوا﴾ فعل وفاعل، ﴿مَكْرًا﴾: مفعول مطلق، والجملة مستأنفة. ﴿وَمَكْرَنَا﴾: فعل وفاعل معطوف على ﴿مَكْرُوا﴾. ﴿مَكْرًا﴾: مفعول مطلق أيضاً. ﴿وَهُمْ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من مفعول ﴿مَكْرَنَا﴾ المحذوف؛ أي: ومكرناهم وهم لا يشعرون مكرنا بهم، أو حال من فاعل ﴿مَكْرُوا﴾. ﴿فَانْظُرْ﴾: ﴿الفاء﴾: استئنافية، ﴿انظر﴾: فعل أمر، وفاعل مستتر يعود على محمد، أو على أي مخاطب، والجملة مستأنفة. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام للاستفهام التعجبي في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم عليها للزومه الصدارة. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾: اسمها ومضاف إليه، وجملة ﴿كَانَ﴾ في محل نصب مفعول

﴿انظر﴾؛ لأن الاستفهام علقه عن العمل في لفظه، أو في محل نصب بنزع الخافض. ﴿أَنَا﴾: ناصب واسمه. ﴿دَمَرْنَاهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿وَقَوْمَهُمْ﴾: معطوف على ضمير المفعول. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لكل من المعطوف والمعطوف عليه، وجملة ﴿دَمَرْنَاهُمْ﴾ في محل الرفع خبر ﴿إِنا﴾، وجملة ﴿إِنْ﴾ بالكسر مستأنفة، وبالفتح بدل من ﴿العاقبة﴾، أو خبر لمبتدأ محذوف، كما أشرنا إليه في مبحث التفسير. ﴿فَتِلْكَ﴾: ﴿الفاء﴾: عاطفة، ﴿تلك﴾: مبتدأ. ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾: خبر. ﴿خَاوِيَةً﴾: حال من ﴿يُؤْتِيهِمْ﴾، والعامل فيها معنى الإشارة، والجملة الاسمية معطوفة على جملة ﴿أَنَا دَمَرْنَاهُمْ﴾ مقرر لها. ﴿يَمَّا﴾: ﴿الباء﴾: حرف جر وسبب، ﴿ما﴾: مصدرية. ﴿ظَلَمُوا﴾: فعل وفاعل صلة ﴿ما﴾ المصدرية، ﴿ما﴾ مع صلتها في تأويل مصدر مجرور بالباء؛ أي: بسبب ظلمهم، الجار والمجرور متعلق بـ ﴿خَاوِيَةً﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف نصب. ﴿فِي ذَلِكَ﴾: خبر مقدم لـ ﴿إِنَّ﴾. ﴿لَايَةً﴾: ﴿اللام﴾: حرف ابتداء. ﴿آيَةً﴾: اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر، وجملة ﴿إِنَّ﴾ مستأنفة. ﴿لِقَوْمٍ﴾: جار ومجرور صفة لـ ﴿آيَةً﴾. وجملة ﴿يَعْلَمُونَ﴾ صفة ﴿قوم﴾. ﴿وَأَجْمَعِينَ﴾: ﴿الواو﴾: استئنافية. ﴿أُنَجِّينَا﴾: فعل وفاعل، والجملة مستأنفة. ﴿الَّذِينَ﴾: مفعول به لـ ﴿أُنَجِّينَا﴾. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل وفاعل صلة الموصول. ﴿وَكَانُوا﴾: فعل ناقص واسمه، وجملة ﴿يَنْقُوتُ﴾ خبر كان، وجملة كان معطوفة على جملة ﴿ءَامَنُوا﴾.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلَحِشَّةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ﴿٥٥﴾﴾:

﴿وَلَوْطًا﴾: مفعول به لفعل محذوف تقديره: ولقد أرسلنا لوطاً، والجملة المحذوفة إما مستأنفة، أو معطوفة على جملة قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِنْ تُمُودَ آخَاهُمْ صَالِحًا﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ: أرسلنا المقدر، أو بـ: اذكر المحذوف. ﴿قَالَ﴾: فعل ماضٍ، وفاعل مستتر يعود على ﴿لوطاً﴾، وجملة ﴿قَالَ﴾ في محل الجر مضاف إليه لـ ﴿إِذْ﴾. ﴿لِقَوْمِهِ﴾: جار ومجرور متعلق بـ ﴿قَالَ﴾. ﴿أَتَأْتُونَ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي.

﴿تَاتُون﴾: فعل وفاعل. ﴿أَلْفَجِحْشَةً﴾: مفعول به، والجملة في محل نصب مفعول ﴿قَالَ﴾. ﴿وَأَنْتَرُ﴾: ﴿الواو﴾: حالية. ﴿أَنْتَرُ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿تُبْصِرُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من فاعل ﴿تَاتُون﴾. ﴿أَيْتَكُمْ﴾: الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي. ﴿إِنكُمْ﴾: ناصب واسمه. ﴿لَتَأْتُونَ﴾: اللام: حرف ابتداء، ﴿تَاتُون﴾: فعل وفاعل. ﴿الرِّجَالُ﴾: مفعول به. ﴿شَهْوَةً﴾: مفعول لأجله، أو حال من الفاعل، أو من المفعول. و﴿مِنْ دُونِ الْبَنَاتِ﴾: حال من الفاعل؛ أي: متجاوزين النساء إلى الرجال، وجملة ﴿تَاتُون﴾ في محل الرفع خبر إن، وجملة إن في محل نصب مفعول ﴿قَالَ﴾. ﴿بَلَّ﴾: حرف اضراب. ﴿أَنْتَرُ﴾: مبتدأ. ﴿قَوْمٌ﴾: خبر، وجملة ﴿يَجْهَلُونَ﴾ صفة ﴿قَوْمٌ﴾، والجملة الاسمية في محل نصب مفعول ﴿قَالَ﴾.

التصريف ومفردات اللغة

﴿أَفْتَوِي﴾؛ أي: أشيروا إلي بما عندكم من الرأي والتدبير فيما حدث. والفتوى: الجواب في الحادثة، اشتقت على طريق الاستعارة من الفتى في السن. والمراد بالفتوى هنا: الإشارة إليها بما عندهم، وكما ذكرنا فيما حدث لها من الرأي والتدبير. والفتوى في العرف: هو الجواب في الحوادث المشككة. قال بعضهم: الفتوى من الفتى؛ وهو الشاب القوي، وسميت الفتوى؛ لأن المفتي؛ أي: المجيب الحاكم بما هو صواب يقوي السائل في جواب الحادثة، كما مر.

﴿قَاطِعَةً أَثَرًا﴾؛ أي: بآتة فيه منفذته. ﴿تَشْهَدُونَ﴾؛ أي: تحضرون. ﴿أَوَّلُوا قُوَّةً وَأَوَّلُوا بَأْسًا﴾ وأولو: اسم جمع بمعنى أصحاب، والواحد: ذو بمعنى صاحب، وقيل: جمع ذو على غير لفظه، وهو من ملحقات جمع المذكر السالم في إعرابه، والمؤنث أولات، وواحدتها: ذات، تقول: جاء أولو العلم وأولات الفضل، والمراد بالقوة: القوة الجسمية وكثرة الآلات، والمراد بالبأس: النجدة والثبات في الحرب.

﴿أَعَزَّةً أَهْلَهَا﴾: جمع عزيز بمعنى القاهر الغالب، والشريف العظيم، مأخوذ من العزة؛ وهي حالة مانعة للإنسان من أن يغلب. ﴿أَذَلَّةٌ﴾: جمع ذليل؛ أي:

بالقتل والأسر والإجلاء، وغير ذلك من فنون الإهانة والإذلال.

﴿بِهَدْيَةٍ﴾: وهي اسم للشيء المهدي بملاطفة ورفق. قال في «المفردات»: الهدية مختصة باللفظ الذي يهدي بعضنا إلى بعض. اهـ.

هذا، والهدية اسم الشيء المهدى، كما أن العطية اسم للشيء المعطى، فتضاف إلى المهدي والمهدى إليه. تقول: هذه هدية فلان تريد هي التي أهداها، أو أهديت إليه، والمضاف إليه في قوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ هو المهدى إليه؛ أي: بما يُهدى إليكم، وأما نحن فلسنا كذلك.

وفي «الفتوحات»: قوله: ﴿بِهَدِيَّتِكُمْ﴾ والهدية: مصدر بمعنى الإهداء مضاف لفاعله؛ أي: تفرحون بما تهدونه افتخاراً على أمثالكم، أو لمفعوله؛ أي: تفرحون بما يهدي إليكم حباً في كثرة أموالكم، فإن الهدايا مم يورث المودة ويذهب الشحنة، وفي الحديث: «تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا» ولقد أحسن من قال شعراً:

هَدَايَا النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تُولَدُ فِي قُلُوبِهِمُ الْوَصَالَا
وَتَزْرَعُ فِي الضَّمِيرِ هَوًى وَوَدًّا وَتُكْسِبُهُمْ إِذَا حَضَرُوا جَمَالَا
كما مرَّ. ﴿أَتَيْدُونَنِي بِمَالٍ﴾ سمي المال مالاً؛ لكونه مائلاً أبداً وناثلاً، ولذلك يسمى عرضاً، وعلى هذا دل من قال: «المال قحبة: يكون يوماً في بيت عطار، ويوماً يكون في بيت بيطار، كما في «الفردات» يقال: أمده بالمال إذا ساعده به وزاده منه.

﴿يَجْتَوِي لَا قِيلَ لِمَ بِهَا﴾؛ أي: لا طاقة لهم بمقاومتها، ولا قدرة لهم على مقابلتها. قال في «المختار»: رآه قبلاً - بفتحين - وقبلاً - بضميتين - وقبلاً - بكسر بعده فتح -؛ أي: مقابلة وعيانا. قال تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ ولي قبل فلان حق؛ أي: عنده. وما لي به قبل؛ أي: طاقة. انتهى. والذي يفهم من «المفردات»: أنه في الأصل بمعنى عند، ثم يستعار للقوة والقدرة على المقابلة؛ أي: المجازاة، فيقال: لا قبل لي بكذا؛ أي: لا يمكنني أن أقابله، ولا قبل لهم

بها؛ أي: لا طاقة لهم على دفاعها.

﴿وَهُمْ صَغُورٌ﴾ يقال: صغر صغراً بالكسر في ضد الكبير، وصغاراً بالفتح في الذلة، والصاغر الراضي بالمنزلة الدنيئة، وكل من هذه الذلة والصغار مبني على الإنكار والإصرار، كما أن كلاً من العز والشرف مبني على التصديق والإقرار.

﴿عَفِيتٌ﴾ العفريت من البشر الخبيث الماكر الذي يعفر أقرانه، ومن الشياطين والجن المارد، وجمعه: عفاريت، ومؤنثه: عفريته، والعفرية: مثله.

﴿مِنْ مَقَامِكَ﴾؛ أي: مجلسك الذي تجلس فيه للحكم. ﴿لَقَوِيٌّ﴾؛ أي: قادر على حمله لا أعجز عنه. ﴿أَمِينٌ﴾؛ أي: على ما فيه من اللآلئ والجواهر وغيرها.

﴿أَنَا مَأْيَكِ بِهِ﴾: يحتمل أنه مضارع أصله: أتني بهمتين، فوزنه أفعِل، فالهمزة الأولى زائدة للمضارعة، والثانية أصلية فاء الكلمة، ويحتمل أنه اسم فاعل فوزنه فاعِل، فالهمزة الأولى أصلية فاء الكلمة، والألف بعدها زائدة كالتي في ضارب وقائم اهـ. شيخنا.

﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ قال أبو السعود: الطرف: تحريك الأجفان وفتحها للنظر إلى شيء، وارتداده انضمامها، ولكونه أمراً طبيعياً غير منوط بالقصد أثر الارتداد على الرد. اهـ شيخنا. وفي «القاموس»: إن الطرف كما يطلق على نظر العين يطلق على العين نفسها. اهـ.

﴿يَلْبُؤْنَ﴾ وفي «المفردات»: يقال: بلى الثوب بلى خلق، وبلوته اختبرته كاني أخلقته من كثرة اختباري له.

﴿تَكْرُؤًا لَهَا عَرْشَهَا﴾؛ أي: غيروا هيئته وشكله بحيث لا يعرف بسهولة. قال الراغب: التنكير: جعل الشيء بحيث لا يعرف ضد التعريف، ومنه نقل إلى مصطلح أهل العربية. اهـ. «شهاب».

﴿أَدْخُلِي الصَّرْحَ﴾ قال في «الكشاف»: الصرح القصر، وكل بناء عال سمي

بذلك اعتباراً بكونه صرحاً من الثوب؛ أي: خالصاً. فإن الصرح بالتحريك الخالص من كل شيء، وقيل: صحن الدار، وأصله من التصريح، وهو الكشف، وكذب صُراح؛ أي: ظاهر مكشوف، ولؤم صُراح، ولبن صُريح؛ أي: ذهب رغوته وخلص، وكأس صراح لم تمزج، وصرحت الخمرة: ذهب عنها الزبد، ولقيته مصارحة؛ أي: مجاهرة، وصرَحَ النهار ذهب سحابه وأضاءت شمسُه.

﴿لُجَّةٌ﴾ واللجة: الماء الكثير. وفي «المفردات»: لجة: البحر تردد أمواجه. وفي «كشف الأسرار»: اللجة: الضحضاح من الماء، وهو الماء اليسير، أو إلى الكعبين وأنصاف السوق، أو ما لا غرق فيه، كما في «القاموس». والمعنى: ظننت أنه ماء كثير بين يدي سرير سليمان.

﴿عَنْ سَاقِيهَا﴾: تشنية ساق؛ وهي ما بين الكعبين، كعب الركبة وكعب القدم؛ أي: تشمرت لثلا تبتل أذيالها.

﴿صَرَحٌ مُّمَرَّدٌ﴾؛ أي: ذو سطح أملس، ومنه الأمرد؛ لملاسة وجه؛ أي: نعومته لعدم وجود الشعر به. وفي «القاموس»: التمريد في البناء التمليس والتسوية، وبناء ممرد مطول، والمارد: المرتفع العالي، وشجرة مرداء إذا لم يكن عليها ورق.

﴿مِنْ قَوَارِيرٍ﴾؛ أي: مصنوع من الزجاج الصافي، وليس بماء. جمع قارورة، وفي «المصباح»: القارورة: إناء من زجاج، والجمع القوارير، والقارورة أيضاً وعاء الرطب والتمر؛ وهي القوصرة. وتطلق القارورة على المرأة؛ لأن الولد أو المنى يقر في رحمها، كما يقر الشيء من الإناء، أو تشبيهاً بآنية الزجاج لضعفها. قال الأزهري: والعرب تكني عن المرأة بالقارورة والقوصرة. وفي «القاموس»: والقارورة: حدقة العين، وما قر فيه الشراب، أو نحوه، أو يخص بالزجاج. و﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾؛ أي: من زجاج في بياض الفضة وصفاء الزجاج.

﴿فَرِيقَانِ﴾؛ أي: طائفتان؛ طائفة مؤمنة، وأخرى كافرة. ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾؛ أي: يجادل بعضهم بعضاً ويحاجه، من الاختصام، وأصله: أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر بالضم؛ أي: بجانبه. ﴿بِالسَّيْفَةِ﴾ العقوبة التي تسوء صاحبها. ﴿فَبَلَ

الْحَسَنَةُ ﴿التوبة﴾

﴿لَوْلَا﴾ للتحضيض، بمعنى: هلاً، وهي كلمة تفيد الحث على حصول ما بعدها. ﴿أَطَّيَّرْنَا﴾؛ أي: تطايرنا، وتشاء منا بك وبمن معك في دينك، حيث تتابعت علينا الشدائد، وأصل اطيرنا: تطيرنا أدغمت التاء في الطاء، فتعذر الابتداء بالساكن، واجتلبت همزة الوصل، فصار اطيرنا.

وأصل ذلك أنهم كانوا إذا خرجوا مسافرين، فمروا بطائر يزجرونه، فإن مر سانحاً تيمنوا، وإن مر بارحاً تشاءموا، فلما نسبوا الخير والشر إلى الطير استعير لما كان سبباً لهما من قدر الله سبحانه وقسمته، أو عمل العبد. وفي «القاموس»: البارح من الصيد ما مر من ميامنك إلى مياسرك، وبرح الظبي بروحاً: ولأك مياسره ومر، وسنح سنوحاً ضد برح، ومن لي بالسانح بعد البارح؛ أي: المبارك بعد المشؤوم. انتهى.

قال في «كشف الأسرار»: هذا كان اعتقاد العرب في بعض الوحوش والطيور أنها إذا صاحت في جانب دون جانب دل على حدوث آفات وبلايا. ونهى رسول الله ﷺ عنها. وقال: «أقروا الطير على مكنتها»؛ لأنها أوهام لا حقيقة معها. والمكنت بيض الضبة، واحدتها: مكنة. قال ابن الملك: كان أهل الجاهلية إذا قصد واحد إلى حاجة، وأتى من جانبه الأيسر طير وغيره يتشاءم به فيرجع، هذا هو الطيرة.

﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: هي البلد. من أخذها من مدن بالمكان يمدن إذا أقام فيه، فهي فعيلة، والجمع: مدائن بالهمز والميم أصلية والياء زائدة، ومن أخذها من دان يدين فالميم زائدة والياء أصلية، وهي مفعولة، ويقال: دنت الرجل: ملكته. ودنت له: خضعت له وأطعت، ويقال: للأمة مدينة؛ لأنها مملوكة. وفي معاجم اللغة: مدن بالمكان يمدن - من باب نصر - مدوناً إذا أقام، وهو فعل ممات. ومدن المدينة آتاها، ومدن المدائن - بالتشديد - بناها ومصرها، وتمدّن: تخلق بأخلاق أهل المدن، وانتقل من الهمجية إلى حالة الأنس والظرف، وتجمع المدينة على مدن بسكون الدال، ومدن بضمها، ومدائن. والمدينة: علم أطلق

على يثرب. ومدينة السلام بغداد، والمدائن مدينة قرب بغداد كان فيها إيوان كسرى، وسميت بالجمع؛ لكبرها، والنسبة إليها مدائني.

﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ الرهط: قوم الرجل وقبيلته، وعدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة، وليس فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، وجمعه أرهط وأرهاط. وجمع الجمع أرهط وأراهيط، وإذا أضيف إلى الرهط عدد كان المراد به الشخص والنفس، نحو عشرون رهطاً؛ أي: شخصاً. ويقال: نحن ذوو رهط؛ أي: مجتمعون. وفي «المصباح»: الرهط: ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة. وسكون الهاء أفصح من فتحها، وهو جمع لا واحد له من لفظه. وقيل: الرهط من سبعة إلى عشرة، وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر، والفرق بينه وبين النفر أن الرهط من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة، ليس فيهم امرأة، والنفر من الثلاثة إلى التسعة.

﴿لَنَيْبَتَنَّهُمْ﴾ والبيات: مباغطة العدو ومفاجأته بالإيقاع به ليلاً. ﴿لَوْلِيَّهِ﴾ أي: لمن له حق القصاص من ذوي قرابته إذا قتل. ﴿مَهْلِكٌ﴾ بضم الميم وفتح اللام؛ أي: إهلاكهم مصدر ميمي من أهلك الرباعي، وافتح الميم واللام؛ أي: هلاكهم مصدر ميمي من هلك الثلاثي، وافتح الميم وكسر اللام؛ أي: وقت هلاكه أو مكانه، فهو للظرف؛ لأنه من باب ضرب.

﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرًا﴾ والمكر: صرف الغير عما يقصده بحيلة. وقيل: المكر: التدبير الخفي لعمل الشر، ومكرهم: هو ما أخفوه من تدبير القتل بصالح ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون على سبيل الاستعارة المنضمة إلى المشاكلة، كما في «الكشاف» وشروحه اهـ «شهاب»؛ أي: تشبيهاً له بالمكر من حيث كونه إضراراً في خفية؛ لأن المكر قصد الإضرار على طريق الغدر والحيلة اهـ «زاده». ﴿أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ التدمير: استئصال الشيء بالهلاك.

﴿خَاوِيَةً﴾ أي: خالية عن السكان، من خوى البطن إذا خلا، أو ساقطة متهدمة، من خوى النجم إذا سقط. اهـ «بيضاوي». وخوى بالمعنيين من باب رمى.

﴿أَتَأْتُونَ الْفَتْحَةَ﴾ والفاحشة: كل ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال. والمراد بها هنا اللواط، والإتيان في الأدبار. ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ من بصر القلب؛ وهو العلم، أو من بصر العين؛ وهو النظر. ﴿شَهْوَةٌ﴾ أصل الشهوة: نزوع النفس إلى ما تريده.

البلاغة

وقد تضمنت هذه الآيات ضرباً من البلاغة، وأنواعاً من الفصاحة والبيان والبدیع:

فمنها: حكاية الحال الماضية في قوله: ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ حيث عبرت عن الماضي بالمضارع.

ومنها: التأكيد في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾؛ لأن هذه الجملة سبقت لتأكيد ما قبلها.

ومنها: الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أَسْأَلُكُمْ بِمَا﴾؛ لأنه معطوف على محذوف تقديره: فأعدت الهدية مع رسول بكتاب فأرسلته، فلما جاء سليمان الخ.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾.

ومنها: الكناية في قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فإن ارتداد الطرف كناية عن الإسراع. والطرف: هو تحريك أجفانك إذا نظرت، فوضع موضع النظر، ولما كان الناظر موصوفاً بإرسال الطرف وصف برد الطرف، ووصف الطرف بالارتداد.

ومنها: الطباق في قوله: ﴿وَمِنْ شُكْرِ﴾ وقوله: ﴿وَمِنْ كَفَرٍ﴾.

ومنها: التشبيه المرسل المجمل في قوله: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾؛ أي: كأنه عرشي في الشكل والوصف.

ومنها: التجنيس، وهو تألف الكلمتين في تأليف حروفهما في قوله:

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿السيئة﴾ و﴿الحسنة﴾ في قوله: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾.

ومنها: التحضيض في قوله: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾.

ومنها: جناس الاشتقاق في قوله: ﴿أَطِيعْنَا﴾ ﴿طَاعُواكُمْ﴾.

ومنها: الطباق بين ﴿يُفْسِدُونَ﴾ و﴿يُصْلِحُونَ﴾.

ومنها: الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿طَاعُواكُمْ﴾؛ لأنه مستعار لما كان سبباً للخير والشر من قدر الله تعالى وقسمته، أو من عمل العبد، كما في «الروح».

ومنها: التمام كما سماه قدامة في نقد الشعر، أو التميم كما سماه الحاتمي في قوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ وهو أن تأتي في الكلام كلمة إذا طرحت منه نقص معناه في ذاته، أو في صفاته، ولفظه تام؛ لأن قوله: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَعَّةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ مفهومه أن شأنهم الإفساد البحت، ولكن قوله: ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ لا يدفع أن يندر منهم، أو من أحدهم بعض الصلاح فتمم الكلام بقوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ دفعاً لتلك الندرة أن تقع، أو أن يخالغ بعض الأذهان شك في أنها ستقع، وبذلك قطع كل رجاء في إصلاح أمرهم، وحسن حالهم. اهـ من الدرويش.

ومنها: المشاكلة في قوله: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرٌ وَمَكْرَئٌ مَكْرٌ﴾ والمشاكلة معناها: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته؛ لأن الله تعالى تقديس أن يستعمل في حقه المكر، إلا أنه استعمل هنا مشاكلة، وهو كثير في القرآن، أما مكرهم: فهو ما بيتوه لصالح، وما انتووه من إهلاكه وأهله خفية. وأما مكر الله تعالى بهم: فهو إهلاكهم من حيث لا يشعرون.

وفيه أيضاً الاستعارة المنضمة إلى المشاكلة، فقد شبه الإهلاك بالمكر في كونه إضراراً في الخفاء؛ أي: من حيث لا يشعرون.

ومنها: الاستفهام التوبيخي في قوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَلَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.
ومنها: الزيادة والحذف في عدة مواضع^(١).

والله سبحانه وتعالى أعلم

(١) وهذا آخر ما بشرني الله سبحانه به في تفسير هذا المجلد العشرون، وأسأله عم نواله أن ييسر لي ويوفقني فيما بقي من كتابه الكريم شرحاً موافقاً لما هو المعنى عنده سبحانه، ونحمده سبحانه حمداً كثيراً طيباً مباركاً يوافي نعمهم، ويكافئ مزيداً حمداً يعدل حمد الملائكة المقربين وأوليائه الصالحين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين. آمين.

وكان الفراغ من مسودة هذا المجلد بعون الملك ذي الكبرياء في أوائل ليلة الأربعاء من الثالث من الشهر الرابع من شهور سنة ألف وأربع مئة وثلاثة عشر من سني الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية من تاريخ ١٤١٣/٤/٢٥هـ.

انتهى المجلد العشرون بعون الله وتوفيقه، ويلي المجلد الحادي العشرون، وأوله قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ فَكَلَوْا أَخْرِجُوا مَا لَوْ ط...﴾ الآية.

شعر

وَقُلْ بِذَلِكَ رَبِّ لَا تَقْطَعْ عَنِّي عَنْكَ بِقَاطِعٍ وَلَا تَخْرِمْ عَنِّي
مِنْ سِرِّكَ الْأَبْهَى الْمُزِيلِ لِلْعَمَى وَأَخْتُمْ بِخَيْرِ يَا رَحِيمَ الرَّحْمَا

من كلام زين العابدين

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَأْمُولُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ إِلَيْكَ شَكَوْتُ الضَّرَّ فَأَرْحَمِ شِكَايَتِي
أَلَا يَا رَجَائِي أَنْتَ كَاشِفُ كُرْبَتِي فَهَبْ لِي ذُنُوبِي كُلَّهَا وَأَقْضِ حَاجَتِي
فَزَادِي قَلِيلٌ مَا أَرَاهُ مُبْلَغِي عَلَى الزَّادِ أَبْكِي أَمْ لِبُعْدِ مَسَافَتِي
أَتَيْتُ بِأَعْمَالٍ قَبَاحٍ رَدِيئَةٍ وَمَا فِي الْوَرَى خَلَقَ جَنَى كَجَنَائَتِي

الفهرس

سورة الفرقان الآيات من (٢١) إلى (٥٤) ٧

٨ - المناسبة

١١ - أسباب النزول

١٢ - التفسير وأوجه القراءة

٣٤ قصة موسى وهارون عليهما السلام

٣٧ قصة قوم نوح عليه السلام

٣٨ قصص عاد وثمود وأصحاب الرس وغيرهم

٦٢ - الإعراب

٧٦ - التصريف ومفردات اللغة

٨٤ - البلاغة

سورة الفرقان الآيات من (٥٥) إلى (٧٧) ٨٩

٨٩ - المناسبة

٩٠ - أسباب النزول

٩١ - التفسير وأوجه القراءة

١٢٦ - الإعراب

١٣٦ - التصريف ومفردات اللغة

١٤١ - البلاغة

١٤٤ خلاصة ما اشتملت عليه السورة الكريمة من الأحكام

١٤٥ سورة الشعراء

سورة الشعراء الآيات من (١) إلى (٣٧) ١٤٧

- ١٤٧ - المناسبة
- ١٤٨ - التفسير وأوجه القراءة
- ١٥٧ قصص موسى عليه السلام
- ١٧٥ - الإعراب
- ١٨٧ - التصريف ومفردات اللغة
- ١٨٩ - البلاغة

سورة الشعراء الآيات من (٣٨) إلى (٨٢) ١٩٤

- ١٩٤ - المناسبة
- ١٩٥ - التفسير وأوجه القراءة
- ٢١٧ قصص إبراهيم عليه السلام
- ٢٢٥ - الإعراب
- ٢٣٥ - التصريف ومفردات اللغة
- ٢٣٩ - البلاغة

سورة الشعراء الآيات من (٨٣) إلى (١٤٠) ٢٤٣

- ٢٤٣ - المناسبة
- ٢٤٥ - التفسير وأوجه القراءة
- ٢٥٥ قصص نوح عليه السلام
- ٢٦١ قصص هود عليه السلام
- ٢٦٧ - الإعراب
- ٢٧٨ - التصريف ومفردات اللغة
- ٢٨٢ - البلاغة

سورة الشعراء الآيات من (١٤١) إلى (١٩١) ٢٨٦

- ٢٨٦ - المناسبة
- ٢٨٧ - التفسير وأوجه القراءة
- ٢٩٤ قصص لوط عليه السلام

٢٩٩ إيضاح لهذه القصة بما كتبه الباحثون
٣٠١ قصص شعيب عليه السلام
٣٠٨ الإعراب
٣١٦ التصريف ومفردات اللغة
٣٢٠ البلاغة

سورة الشعراء الآيات من (١٩٢) إلى (٢٢٧) ٣٢٣

٣٢٣ المناسبة
٣٢٤ أسباب النزول
٣٢٥ التفسير وأوجه القراءة
٣٥٦ الإعراب
٣٦٤ التصريف ومفردات اللغة
٣٦٧ البلاغة
٣٧٠ خلاصة ما حوته هذه السورة

سورة النمل ٣٧١

سورة النمل الآيات من (١) إلى (٣١) ٣٧٣

٣٧٤ المناسبة
٣٧٦ التفسير وأوجه القراءة
٣٨٢ قصص موسى عليه السلام
٣٩٣ قصة داود وسليمان عليهما السلام
٤٢٣ الإعراب
٤٣٦ التصريف ومفردات اللغة
٤٤٢ البلاغة

سورة النمل الآيات من (٣٢) إلى (٥٥) ٤٤٧

٤٤٧ التفسير وأوجه القراءة
-----	-----------------------------

٤٧١ قصص صالح عليه السلام
٤٨١ قصة لوط عليه السلام
٤٨٣ - الإعراب
٤٩٦ - التصريف ومفردات اللغة
٥٠٢ - البلاغة